حرب الاستنزاف

عبده مباشر   اسلام توفيق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مباشر، عبده .
حرب الاستنزاف/ عبده مباشر، إسلام توفيق. ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
٤٠٠ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك X ٥٩٩ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ القصص العربية .
٢ ـ قصص الحرب .
(أ) ـ توفيق، إسلام (مؤلف مشارك) .
(ب) ـ العنوان :
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٧/٢٣١٦
I.S.B.N 977 - 419 - 599 - X
ديوى ٨١٣

حرب الاستنزاف

عبده مباشر اسلام توفيق



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

إهـــداء

ومن أحق من الفريق أول محمد أحمد صادق نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية السابق صاحب فكرة معارك الاستنزاف والأب الروحى للمجموعة ٣٩ قتال التى تحملت باقتدار مسئولية العمل خلف خطوط العدو طوال الفترة من ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ لكى نهدى له هذا الكتاب؟

كما أنه صاحب فكرة إنشائها ورعايتها وتزويدها بكل احتياجاتها لتتمكن من أداء مهامها على أكمل وجه.

وجدير بالإهداء أيضا الشهيد العميد إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة ٣٩ قتال الذى يعد من أنبل وأشجع المقاتلين فى مصر، الذى استطاع بروحه المعنوية العالية وإصراره وحسن قيادته أن يتربع كأسطورة فى مجال العمليات الخاصة والعمليات خلف خطوط العدو.

للفريق صادق وإبراهيم الرفاعى ولكل أفراد المجموعة ٣٩ قتال نهدى عملنا هذا.

وما توفيقنا إلا بالله،،،

عبده مباشر
إسلام توفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عندما أعلن مصطفى النحاس رئيس مجلس الوزراء إلغاء معاهدة ١٩٣٦ التى تربط مصر بانجلترا وتنظم أوضاع قوات الاحتلال فى خطاب له أمام البرلمان فى خريف عام ١٩٥١، اجتاحت الشارع المصرى موجات متصلة من الفرح والبهجة.

وكان هذا الإعلان بداية لمرحلة جديدة من الصراع السياسى والعسكرى مع دولة الاحتلال. وفى نفس الوقت الذى انطلقت فيه المظاهرات تعبيرًا عن التأييد الكامل لهذا القرار كانت جموع الفدائيين تندفع بمساندة من الحكومة باتجاه معسكرات قوات الاحتلال بمديرية (محافظة) الشرقية ومنطقة القناة للإسهام فى معركة تحرير مصر من الاستعمار الذى بدأ عام ١٨٨٢. وكان الناس على اختلاف مواقعهم على اقتناع بأن الاستعمار هو الذى يعرقل مسيرة النهضة المصرية لذا ارتبط حلم النهضة بالاستقلال. وبهذا القدر من البساطة والتبسيط كان يجرى اختزال القضايا المعقدة والمتشابكة لمسألتى التحرر من الاستعمار والنهضة.

وكفتى يحلم بدور وطنى يسهم به فى إنهاء الاحتلال الإنجليزى الذى يعرقل خطوات مصر نحو المستقبل الذى تستحقه ويستحقه أهلها الطيبون الصابرون المكافحون الشرفاء، قررت الانضمام للفدائيين بالرغم من صغر سنى - ١٤ سنة وقتها - وكان الاختيار بالنسبة لى كطالب بمدرسة الزقازيق الثانوية الأميرية

محصورًا بين كتائب حزب الوفد وكتائب جماعة الإخوان المسلمون، واخترت حزب الوفد باعتباره حزبًا ليبيراليًا لا تسير فيه الأمور وفقًا لقاعدة السمع والطاعة. ولا شك أن ما قمت به بالاشتراك مع رفاق السلاح طوال الفترة التى استمرت من أكتوبر ١٩٥١ وحتى يناير ١٩٥٢ أضاف لى الكثير من الخبرات والمعلومات وضاعف من عدد الأصدقاء والمعارف وجعلنى أقترب كثيرًا من دائرة الأسرار.

باختصار كانت تجربة فى غاية السخاء والصعوبة وربما بسبب صغر السن والتجارب، لم أتمكن من تقدير حجم الأخطار التى تواجه وتعترض العمل الفدائى، وربما كان ذلك سببًا من أسباب الاستهانة بالمخاطر خلال أدائى لهذا الدور.

وعندما انطوت صفحة العمل الفدائى بعد اندلاع حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ شعرت بحزن عميق. لذا ما أن سيطرت المجموعة اليوليوية على السلطة وأعلنت عن إنشاء الحرس الوطنى حتى بادرت بالانضمام لصفوفه وتلقيت أكثر من مرحلة تدريبية وانتهت بكتابة تقرير بأننى أصلح لقيادة مجموعة من الفدائيين إلا أنه لم تتح لى الفرصة للاشتراك فى أية عمليات ضد قوات الاحتلال.

وتمضى الحياة وتدور الأيام دورتها وتتمكن إسرائيل من احتلال سيناء عام ١٩٦٧ بعد أن ألحقت بالقوات المسلحة هزيمة مضنية.

ولما كنت قد سافرت إلى ألمانيا للدراسة عام ١٩٦٦ فإننى وجدتنى مدفوعًا لقطع الدراسة والعودة للوطن بعد أن أسهمت فى تنظيم حملة تبرعات تحولت إلى حمولة طائرة من المعدات والأدوات الطبية. وفقًا لما قررته السلطات المصرية توجهت بالطائرة إلى قبرص وهناك حملت طائرة من مصر للطيران الحمولة وأقلعت إلى الإسكندرية. وسرعان ما دارت عجلة العمل.

وفى البداية حاولت معرفة حقيقة ما حدث. وقد أسهم كثيرون فى توضيح الكثير من الحقائق.

وتبدأ العمليات خلف خطوط العدو وأعرف أن صديقى إبراهيم الرفاعى هو الذى قاد ونفذ هذه العمليات، والتقى به ونتفق على الانضمام للمجموعة التى بدأ تشكيلها بتعليمات من اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية. وأناقش الأمر مع مدير المخابرات، وبعد أن يسأل ويدقق ويستفسر يطلب مهلة للتفكير فى الأمر. وفى النهاية أتقدم بطلب للتطوع فى صفوف مجموعة الكوماندوز التى يقودها إبراهيم الرفاعى بالصفة المدنية. ويكتب الرفاعى تزكية مقترحًا الموافقة على طلبى بعد أن يوضح أننى سبق أن حصلت على دورة تدريبية بوحدات الصاعقة ودورة قفز بالمظلات وأننى أتمتع بروح معنوية عالية وأننى قطعت المسافة بين أنشاص إلى بور سعيد سيرًا على الأقدام مع وحدات الصاعقة فى ديسمبر عام ١٩٦٤ خلال طابور السير الذى نظمته قيادة وحدات الصاعقة، وعندما نظمت القيادة الطابور الثانى بين القاهرة والإسكندرية بعد مرور ما يقرب من عام على الطابور الأول لم يتخلف عن الانضمام للطابور. وقبل أن يوافق اللواء صادق على الطلب، اقترح عليه نائبه اللواء محرز عبد الرحمن أن أوقع إقرارًا بأن القوات المسلحة غير مسئولة عنى فى حالات الفقد أو الإصابة أو الأسر أو الاستشهاد. ولأقطع الطريق أمام مناورة اللواء محرز أكتب الإقرار وأوقعه، ويقرر مدير المخابرات الاحتفاظ به فى مكتبه، ويوافق الرجل على طلب التطوع ..ومن بعده يوافق رئيس الأركان إلا أن الفريق أول فوزى وزير الحربية يرفض الموافقة، ويسألنى هل تريد أن تعرف المزيد من أسرار القوات المسلحة؟

ويقول لا لن أوافق ولن أفتح الباب أمام مدنى للاطلاع على أسرار عسكرية. وأستأذن منه فى عرض الأمر على الرئيس عبد الناصر بصفته القائد الأعلى، وأسأله هل يمكن بعد أن وافق كل هؤلاء القادة ومنهم مدير المخابرات الحربية الأمين على أسرار القوات المسلحة أن استسلم أمام رفضه وأنسى الأمر برمته. ويؤكد لى بنفسه أن رأى الرئيس عبد الناصر لن يختلف عن رأيه.

وأخرج من مكتبه وأتوجه إلى مكتب مدير المخابرات الحربية الذى يخبرنى بعد أن يعرف بما جرى أنه هو الذى سيعرض الأمر على الرئيس عبد الناصر. ويستغرب الرئيس عبد الناصر موقف الفريق أول فوزى ويوضح للواء صادق أن

اشتراك مدنى فى عمليات خلف خطوط العدو سيكون أحد العوامل المؤثرة فى شحذ همة ورفع معنويات القوات المسلحة على امتداد الجبهة، وسيتساءل الجميع إذا كان هناك مدنى يفعل ذلك فإنه يمكنهم أيضًا تنفيذ عمليات خلف خطوط العدو.

وقال بوضوح للواء صادق أن دور عبده مباشر كمتطوع مدنى بوحدة الكوماندوز لن يختلف عن دور الشئون المعنوية. ويحسم عبد الناصر الأمر ويقرر قبول تطوعى بالصفة المدنية بوحدة الكوماندوز التى حملت فيما بعد اسم المجموعة ٣٩ قتال، وتبدأ مشاركتى فى عمليات خلف خطوط العدو.

وكان الأمر مختلفًا تمامًا مقارنة بالاشتراك فى عمليات الفدائيين بمنطقة القناة عام ١٩٥١ سواء بالنسبة للتدريب أو التخطيط أو التنفيذ أو الهدف، ولم يعد الأمر بسيطًا ببساطة الربط السابق بين الاستقلال والنهضة فشتان بين الاحتلال الإنجليزى الذى كان يفاوض فعلاً للجلاء عن مصر وبين الاحتلال الإسرائيلى الذى يسعى لتكريس وجوده فى الأراضى العربية المحتلة، كما أن الصراع المصرى - الإنجليزى يختلف بشكل جذرى عن الصراع العربى - الإسرائيلى، والمصرى - الإسرائيلى.

ومن جديد تتاح لى فرصه عظيمة للعمل الوطنى فى ميدان قتال ومن جديد تتاح لى فرصة نادرة لاكتساب خبرات مختلفة.

وتتوقف العمليات خلف خطوط العدو بعد قبول مصر مبادرة روجرز إلا أن المجموعة ٣٩ قتال تواصل عملياتها لاستطلاع مؤخرة العدو.

ويرحل الرئيس عبد الناصر عن عالمنا، ويتحمل السادات مسئولية قيادة مصر، وفى مايو ١٩٧١ يحسم لصالحه قضية الصراع على السلطة .ويقرر فى سبتمبر ١٩٧١ تكريم المجموعة ٣٩ قتال.

وخلال الاستعداد ليوم الاحتفال بالتكريم أرفض الوقوف فى طابور العرض بزى عسكرى، وأصر على الوقوف مرتديًا ملابسى المدنية. ويواجه إصرارى برفض من اللواء عز الدين مختار نائب مدير المخابرات الحربية واللواء محرز

عبد الرحمن مدير المخابرات الحربية ويحاول كل منهما إقناعى بارتداء «أوفرول» والمشاركة فى طابور العرض. وأشرح لهما أننى تطوعت بالصفة المدنية واشتركت فى العمليات بصفتى المدنية واليوم لا أجد سببًا مقنعًا للتخلى عن صفتى المدنية. ولأن ما أطالب به رغم وجاهته مخالف لما جرى عليه العمل يتم رفع الأمر للمستويات القيادية الأعلى حتى يصل الأمر مرة أخرى إلى رئيس الجمهورية القائد الأعلى.

ويحسم الرئيس السادات الأمر بقوله إذا كنتم قد قبلتم تطوعه للقتال بالصفة المدنية، فكيف تتكرون عليه الآن حقه فى الاشتراك فى الطابور بالصفة المدنية؟ وفى أول وربما آخر استثناء من نوعه فى تاريخ القوات المسلحة أشترك فى طابور العرض يوم تكريم المجموعة ٣٩ قتال بالزى المدنى.

وعندما حان دورى لمصافحة الرئيس السادات طلب من وزير الحربية منحى وسامًا ورتبة عسكرية فخرية وقال كلامًا طيبًا فى حقى على مرأى ومسمع من الجميع.

وما هى إلا أشهر، ويبدأ السادات محاولاته لإزاحة الفريق أول محمد صادق وتحقق ذلك فى أكتوبر ١٩٧٢ ويتم تعيين الفريق أول أحمد إسماعيل وزيرًا للحربية وما هى إلا أسابيع ويقرر السادات فصلى من عملى مع آخرين من الكتاب والصحفيين.

وفى خطابه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ يعلن السادات عودتنا لأعمالنا. وأتسلم عملى من جديد بالأهرام. وبعد عدة أيام أعود إلى الجبهة من جديد مراسلاً حربيًا لمتابعة معركة أكتوبر١٩٧٣ وبدلاً من العمليات خلف خطوط العدو أسجل شهادتى لأول معركة هجومية ناجحة فى تاريخ مصر المعاصر.

وبعد مرور أكثر من ٣٠ عامًا على معارك الاستنزاف وعمليات المجموعة ٣٩ قتال خلف خطوط العدو، يفتح صديقى الأثير إسلام توفيق أمامى الباب لكى نسجل شهادتنا على دور هذه المجموعة الباسلة.

ولا شك أننى كنت طوال هذه السنوات أعيش تحت وطأة الإحساس بالتقصير لأننى لم أكتب كتابًا عن هذه المجموعة، ويجتاحنى الآن إحساس عميق بالراحة لأننى أديت هذا الواجب ووفيت بدينى للشهيد الصديق إبراهيم الرفاعى، ولكل رجال هذه المجموعة، وفى نفس الوقت أتوجه إلى الله بالشكر العميق على أن منحنى القدرة والفرصة لتسجيل شهادتى.

وعلى الله قصد السبيل

عبده مباشر

القاهرة فى ٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

• مقدمة بقلم العميد بحري إسلام توفيق

بعد حصولى على شهادة الثانوية العامة عام ١٩٥٧ تقدمت للالتحاق بالكلية البحرية سعيًا وراء حلم العمل فى صفوف القوات البحرية. ولما جانبنى التوفيق التحقت بكلية التجارة بجامعة عين شمس على غير رغبتى .

وطوال العـــام الدراسى ١٩٥٧- ١٩٥٨ لم يتـوقف القلب عن النبض بحب البحرية. ومرة أخرى أتقدم بأوراقى بحثًا عن مكان بالكلية البحرية بعد نهاية العام الدراسى ويحالفنى التوفيق، وينبض القلب فرحًا، وتغمرنى البهجة وأنا أضع قدمى على أول طريق تحقيق الحلم.

ومرت سنوات الدراسة الجميلة بالكلية البحرية سريعة وخلالها بذلت جهدًا للتفوق علميًا ودراسيًا ولم أنس مزاولة الرياضة فى قطاع البطولة.

وحققت أكثر من فوز فى رياضات ألعاب القوى والملاكمة والكرة الطائرة والسباحة. وكان ينافسنى فى هذا المجال الطالب عادل لويس زميلى فى نفس الدفعة وكان من أبطال الدراجات ومثّل مصر فى البطولات العالمية.

وقبل الاحتفال بتخريج الدفعة بعد انتهاء فترة الدراسة بالكلية، كان يتم تحديد الأوائل فى الدراسة وفى الأنشطة والمجالات المختلفة.

وبالنسبة لأفضل طالب رياضى بالكلية قرر المقدم مهندس الفونس حبيب صادق كبير المعلمين اختيارى للفوز بهذه الجائزة وفضلنى على ابن شقيقته عادل لويس، ولو اختار ابن شقيقته كأفضل طالب رياضى ما لامه أحد لأنه كان بالفعل رياضيًا متميزًا، ولكنه الحرص الشديد على توخى الدقة والعدالة والإنصاف.

وما زلت أحمل لهذا الرجل الكبير كل الاحترام والتقدير.

وفى يوم التخرج فى يوليو ١٩٦١ حصلت على جائزة أم البحرية المخصصة لأفضل طالب رياضى وكانت ساعة رولكس من الذهب وقد سلمها لى الرئيس عبد الناصر بعد أن صافحنى بقوة مهنئًا وكان قد لاحظ أننى كنت أحمل علم الكلية لتسليمه للدفعة التالية وكان كرجل عسكرى يعلم أن حامل العلم لابد أن يتميز بالقوة البدنية العالية والقامة الطويلة.

وطوال تلك الأيام بدأت ترد على خاطرى صورتى وأنا قائد مدمرة أو قائد مجموعة لنشات طوربيد أو قائد غواصة.....أو. ......المهم أن أتحمل مسئولية قيادية بالقوات البحرية خاصة بعد أن تبين للجميع من خلال رحلة الكلية البحرية التى قمنا بها على ظهر القطعة البحرية رشيد أن قدرتى على تحمل البحر عالية ولا أتأثر بثورات البحر وأمواجه العالية وسرعة الرياح.

وعلى امتداد فترة التدريب الأساسية التى استمرت عامين طفت بوحدات القوات البحرية تمهيدًا للتوزيع على الوحدات المختلفة على ضوء تقارير الكفاءة فى الأداء خلال هذين العامين .

وكنت أتوقع اختيارى للانضمام للواء المدمرات أو لنشات الطوربيد. لكننى فوجئت بتوزيعى على لواء الوحدات الخاصة، وتلقيت أمرًا بالتوجه إلى أنشاص بسرعة للحصول على فرقة صاعقة. وهناك علمت أن قوة من الصاعقة البحرية شاركت فى عمليات اليمن ونتيجة لفشلها فى تنفيذ المهام المكلفة بها أمر المشير عبد الحكيم عامر بعودتها للحصول على فرقة صاعقة فى إطار إعادة تدريبها قبل مشاركتها مرة أخرى فى العمليات العسكرية باليمن.

كما تم إرسال مجموعة من الضباط وضباط الصف البحريين إلى أنشاص للحصول على فرقة معلمى صاعقة تمهيدًا لإنشاء سرية صاعقة بحرية كان من المخطط إرسالها للعمل بجبال اليمن.

وبعد ذلك حصلت على فرقة قفز بالمظلات، وما أن انتهيت حتى صدر قرار بتعيينى قائدًا لفصيلة بأول سرية للصاعقة البحرية. وألحقت على كتيبة صاعقة للتدريب العملى معها فى منطقة عويبد بالقرب من السويس فى مناورة كبيرة.

وفوجئنا بالأمر بالتحرك إلى اليمن للمشاركة فى العمليات هناك، وكان موقع السرية فى صعدة على حدود جيزان ونجران وهى من أخطر الأماكن فى اليمن. وكانت مهمة السرية احتياطى المنطقة نظرًا للكفاءة العالية للسرية وحسن اختيار الأفراد والضباط فكان العبء الكبير يقع على عاتق هذه السرية فى كل المهام الصعبة من فتح طريق مغلق إلى إنقاذ قول إدارى متحرك على طرق صعبة إلى استرداد مواقع قد احتلها العدو إلى حراسة أماكن صعبة وهكذا استمرت الأيام.

وكانت القوات فى حالة يأس شديد لا تعرف كيف تخرج من هذا المأزق الذى دخلت فيه.

وبدأت القوات البحرية تفكر فى إنشاء كتيبة مشاة أسطول، نظرًا لازدياد عدد سرايا الصاعقة البحرية، وفعلاً تم إنشاؤها بالتعاون مع خبراء من الاتحاد السوفيتى. وفى هذه الأثناء بدأت حرب ١٩٦٧ تلوح فى الأفق. وتحركت كتيبة مشاة الأسطول إلى شرم الشيخ استعدادًا لاحتلال ميناء إيلات ضمن خطة القوات المسلحة. وكانت وحدتنا من أكفأ الوحدات التى وصلت إلى شرم الشيخ، كما كانت أول وحدة تصل إلى المكان.

ووجه لها الفريق محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة خطاب شكر.

وتمر الأيام سريعًا، ويستمر التدريب، وتبرز مجلة القوات المسلحة صور هذه الكتيبة وتدريبها لترهب العدو .

وفوجئنا بالأمر بالانسحاب من شرم الشيخ إلى الغردقة. وتم سحب القوة بالكامل وتحميلها على الناقلات الموجودة بالميناء. وعند الاقتراب من الغردقة فوجئنا بالأمر بالاتجاه إلى رأس غارب وعرفنا أن الغردقة قد ضربت جوا وتم تدمير المطار. وكانت النيران مشتعلة فى أكثر من مكان بمنطقة خليج السويس.

وعند الوصول إلى رأس غارب وجدنا العربات تنتظرنا لتنقلنا إلى السويس. ولم نكن نعرف ماذا يجرى وكنا جميعًا فى حالة ترقب. وبعد أن كانت الأوامر احتلال مدن إسرائيلية أصبح الأمر الانسحاب من سيناء. وصلنا إلى القاهرة ولا نعرف شيئًا. وبالسؤال ماذا حدث أخبرنا أحد ضباط الجيش الذى كان موجودًا فى محطة السكة الحديد بالقاهرة أن المشير بيقول لليهود تعالوا. أى ادخلوا سيناء. تمهيدا لضرب سيناء بالصواريخ الظافر والقاهر وتدمير القوات الإسرائيلية.

وتوجهنا إلى الإسكندرية وبمجرد الوصول إلى محطة السكة الحديد عرفنا أن الهزيمة منكرة والنكبة التى أصيبت بها البلاد بغير حدود وكانت الحالة النفسية للجميع منخفضة جدًا وبعد أن كنا نفخر بأننا جنود فى القوات المسلحة أصبحنا نستحى أن نرتدى الزى العسكرى.

وعدنا إلى الوحدة بأبى قير ننتظر خطاب الرئيس عبد الناصر ونراه وهو يبكى فازدادت الحسرة والندم.

وفى هذه الأثناء استدعيت إلى مكتب مدير شعبة العمليات البحرية وكلفنى بإعداد خطة لاختيار ضباط وصف وجنود لتشكيل سرية صاعقة بحرية وإعداد خطة التسليح والاحتياجات المختلفة لهذه السرية وتم حل كتيبة مشاة الأسطول بعد اختيار الضباط والأفراد للسرية وتوزيع الضباط والأفراد الباقين على الوحدات البحرية.

وتحول الغضب إلى عمل جاد وقمت خطيبًا فى السرية وقلت لهم إن كنتم عازمين على تقديم أرواحكم فى سبيل الله دفاعًا عن أرضنا فلابد أولا من تقديم الوقت والجهد والعرق استعدادًا لهذا العمل ولابد أن يكون العمل جادًا

حتى يكون له ثمرة عاجلة. وبدأ التدريب فعلاً بعناية مكثفة وبخبرة العمل فى جبال اليمن علاوة على الفرق المختلفة التى تم اختيارها لتدريب القوة عليها ومنها فرقة نسف وتدمير وألغام بمدرسة المهندسين وفرقة قيادة جميع المركبات فى مدرسة المركبات وفرقة أسلحة صغيرة

بمدرسة المشاة وذلك بالإضافة إلى التدريبات البحرية بالتعاون مع كل الأجهزة والوحدات. واستمر التدريب القاسى. وعند انتهاء هذه الفترة من التدريب كنت أرى أن أتوج هذا التدريب بفترة تدريب بمدرسة الصاعقة بأنشاص. وفعلاً تحركت السرية إلى أنشاص وفى يوم من أيام الراحة وبينما أنا أسير فى أحد طرق مصر الجديدة حيث منزل والدى كان القدر على موعد معى وإبراهيم الرفاعى، الذى كنت أعرفه منذ كنت طالبًا فى مدرسة مصر الجديدة الثانوية. فسألنى عن أحوالى ثم سألنى عما إذا كان عندى ناس يعملوا عمليات خاصة فأجبته بنعم فأخبرنى أن سعد الشاذلى منعه من دخول أنشاص لاختيار ضباط صاعقة للعمل خلف خطوط العدو وأخذنى إلى اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية آنذاك وقال له هذا إسلام توفيق عنده ناس موجودون فى أنشاص ومستعد للعمل. وأخذنى إبراهيم الرفاعى إلى الجبهة للاستطلاع وأنا لا أعرف شيئًا. ثم عدنا إلى الإدارة وكانت المهمة الأولى التى أوكلت إلينا هى الحصول على صاروخ موجود بالجبهة وتمت العملية بنجاح والحمد لله رب العالمين وبدأت الأنظار تتجه إلى سرية الصاعقة البحرية وشعرت القوات البحرية بالحرج وقررت سحب السرية إلى الإسكندرية وتعيين قائد آخر لها وامتنعت عن العمل وقدمت شكوى إلى قائد القوات البحرية بالموقف السيء الذى تعرضت له فبعد الجهد الذى بذلته فى اختيار الأفراد وتدريبهم حتى وصلوا إلى هذا المستوى الراقى وبدء العمل القتالى وتوجيه الوزير خطاب شكر يأتى آخر ليقود السرية وفوجئت أن اللواء محمد صادق مدير المخابرات يعرف الموضوع ويستدعينى إلى مكتبه بالقاهرة ويقول لى أنا هنا أبوك لما يحصل حاجة زى كده كان لابد أن تخبرنى أنت ما تقدرش تأخذ حقك احنا نأخذ لك حقك.

فى هذه اللحظة شعرت أن هذا القائد ليس قائدًا عظيمًا فقط ولكنه والد فى نفس الوقت وشعرت بالاطمئنان للعمل تحت قيادته.

فعلاً تم اختيار بعض العناصر الممتازة من السرية وتم استدعاؤها للعمل بإدارة المخابرات تحت قيادة إبراهيم الرفاعى وتوالت العمليات والانتصارات وانضم إلى المجموعة الرائد عصام الدالى ضابط الصاعقة القوى والجرىء والحاصل على فرقة أركان حرب من روسيا ويعمل فى استطلاع مؤخرة العدو وله خبرة عالية فى العمليات الخاصة وكان اختيارًا موفقًا لدعم القوة الموجودة وحصل توافق روحى بينه وبينى وكانت هناك علاقات عائلية علاوة على علاقة العمل وكان يعتز بصداقتى وأعتز بصداقته.

وتتحرك القوة إلى السويس استعدادًا لعملية الكرنتينة وبعد تناول طعام الغداء لعبت معه مباراة شطرنج وكان دائمًا يتفوق علىَّ ولكن فى هذا اليوم تفوقت عليه وهذا مما لفت نظرى وتوقعت أن شيئًا غير عادى سيحدث وسارت الأمور فى طريقها والاستعداد لنزول البحر ليلاً وفعلاً تمت العملية واستشهد فيها الصديق الحميم عصام الدالى.

وكانت العلاقات العائلية والأسرية مع إبراهيم الرفاعى وأسرته وثيقة وكنا نتوجه يوم الجمعة أو فى بعض أيام الراحات إلى الريف لقضاء يوم بعيدًا عن صخب المدينة وإرهاق العمل وكنا نذهب معًا إلى أنشاص لصيد الحمام البرى وفى أيام رمضان المعظم كان يمر علىَّ ونذهب إلى الحسين لشراء بعض احتياجاتنا من رجل معروف هناك ولما استشهد أخوه سامح رزق بمولود سماه سامح وكان يعلمه الرماية عندنا بالوحدة وهو الآن ضابط بالقوات المسلحة.

وكذلك كانت العلاقة وطيدة مع أحمد رجائى وبعد استشهاد عصام الدالى كان الفريق محمد صادق يزور أسرته فى بيته رغم كثرة مشاغلة وأطلق اسمه على الشارع الذى يسكن فيه واستمر حرص الفريق صادق على رعاية المجموعة ٣٩ قتال وقد منحنا جميعًا ثقته وشجعنا مما زاد من ثقتنا بأنفسنا ومن قدرتنا على تنفيذ أية مهام نكلف بها.

وعندما ألتفت الآن إلى الخلف أرى كم كانت هذه المجموعة متآلفة ومتماسكة وبالغة الجرأة وقادرة على المبادرة ومتفانية فى عملها. كما كان أفراد المجموعة متعاونين ومتكاتفين وتجمع بينهم علاقة صداقة متميزة.

وكان الأستاذ عبده مباشر على علاقة طيبة بالمجموعة أسريًا وشخصيًا وقد نال تقديرى الشخصى حيث رأيت فيه رجلاً عظيمًا يستحق الصدارة فى أى مكان لعلمه الواسع وسماحته وإستحواذه على محبة الجميع وإخلاصه فى حب مصر وبذله الجهد العظيم فى سبيل ذلك.

وتسير الأيام فى صالحنا فالانتصارات على العدو مستمرة وموجعة والتطور المستمر فى المجموعة فى المعدات والأسلحة والعمليات متنوعة وشيقة وتنتهى الصفحة بالانتصار الكبير فى اكتوبر ١٩٧٣م.

وتمر الأيام سريعًا وكأنها لمحات وليست سنينًا ويبدأ الكلام عن الحرب والمجموعة ٣٩ قتال وألتقى بالأستاذ عبده مباشر الذى شارك المجموعة فى عملياتها وكان المدنى الوحيد الذى تطوع للعمل فى المجموعة بل وفى تاريخ القوات المسلحة ككل وأسأله ما هذا الذى يكتب عن المجموعة هل يعجبك فيسكت فأعود وأسأله من الذى سيكتب عن هذه المجموعة فيجيب أنا وأنت وأسأل نفسى من أين الوقت والجهد فقد تفتح قلبى ورسخ الإيمان فيه فى جبال اليمن ووضحت الأمور وضوحًا جليًا فى حرب٦٧ وبدأت أفكر فى تحصيل العلم الدينى فى هذا الوقت وبدأت فى حفظ القرآن الكريم والسعى إلى العلماء لتلقى هذا العلم الذى كنت قد حرمت منه صغيرًا وأصبح وقتى كله لا يكفى لتحصيل العلم والعبادة فمن أين الوقت والجهد وتحدثنى نفسى وتقول إن كنت قد احتسبت عملك فى سبيل الله فى هذه الحرب فاحتسب قلمك فى سبيل الله لكى يكتمل العمل وأسأل الأستاذ عبده وما هو العائد من هذا العمل فيقول شهادة حق يجب أن تقال.

وبعد بذل الجهد الشاق فى الكتابة والانتهاء منها أسأل الأستاذ عبده بماذا نبدأ الكتاب هل نبدأ بكلمة أنور السادات الذى كتبها بخط يده يوم جاء لتكريم

المجموعة وقال فيها سيأتى اليوم الذى سيعرف فيه شعبكم هذه الأعمال الخارقة فأجاب بسرعة ما كنت أتوقعها نبدأ باسم الله. كل شىء لا يبدأ باسم الله فهو أبتر. فقلت له ونعم بالله نعم المولى ونعم النصير.

وبعد أن قدمت من وقتى وعرقى ودمى للوقوف فى وجه العدو الإسرائيلى الذى كان يقف جاثمين على مسافة ١٠٠ كم من القاهرة صابرًا محتسبًا أقدم هذا الكتاب لكل من يحب مصر ويريد لها العزة والكرامة ويريد أن يقف على حقائق الأمور والله شاهد على صدق كل ما كتبت ولا أرجو من وراء ذلك إلا وجه الله.

حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا،،،

إسلام توفيق

الإسكندرية ٢٠٠٢

الفصل الأول
قصة سرية الصاعقة البحرية

(١) مرحلة التشكيل:

بدأ تكوين سرية الصاعقة البحرية على إثر قرار مصر التدخل فى الصراع اليمنى عام ١٩٦٢ بعد انقلاب السلال على نظام أسرة حميد الدين فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وبعد حوالى عام من الانفصال السورى.

وقررت قيادة القوات البحرية تكوين مجموعة من الصاعقة البحرية للانضمام والعمل مع الأسطول الذى توجه للمشاركة فى العملية ٩٠٠٠، عملية مساندة قوات الانقلاب العسكرى اليمنى. هذه المجموعة التى تضم حوالى ٥٤ فردًا منهم ٤ ضباط حاولت القيام بعملية إنزال بحرى على الساحل السعودى بالقرب من جيزان بعد قصفها بالطائرات والمدمرات، إلا أن العملية فشلت بالكامل، فأصدر المشير عامر أوامره بعودة هذه المجموعة إلى مصر والبدء فى إنشاء أول سرية صاعقة بحرية على أن تتلقى تدريبها فى أنشاص للحصول على فرقة صاعقة وبعدها فرقة مظلات.

وتم تنفيذ أوامر المشير بالفعل وتكونت أول سرية صاعقة بحرية. وقد تقرر إلحاق هذه السرية بالكتيبة ٦٣ صاعقة للمشاركة فى المناورات والتدريبات المختلفة وسرعان ما تبلورت هذه السرية نتيجة حماس الضباط البحريين والصف والجنود، وعندما تأكد المشير من تأهل واستعداد هذه السرية أمر

بإرسالها إلى اليمن للمشاركة فى العمليات، واحتلت مواقعها فى منطقة صعدة بالشمال والمجاورة للحدود السعودية بالقرب من منطقتى نجران وجيزان.

وأهم المواقع الإستراتيجية الحاكمة فى المنطقة، الجبل الأسود الأكثر ارتفاعًا والأخطر موقعًا لتحكمه فى طرق المرور ، كما أنه يطل مباشرة على الحدود السعودية وعلى المناطق التى لجأت إليها القوات الملكية التى كانت تقاتل قوات الانقلاب.

ولقد كان يطلق على القوات الموالية لنظام السلال القوات الجمهورية ويطلق القوات الملكية على القوات التى كانت تقاتل لنصرة الإمام البدر. وهذه القوات الملكية ضمت كثيرًا من الخبراء العسكريين الغربيين وبعض الخبراء الإسرائيليين بجانب خبراء وقوات ومستشارين عسكريين من السعودية والأردن. وقامت السرية بدور احتياطى القوات الموجودة فى منطقة صعدة. ودور هذه السرية باختصار الاستعداد لمواجهة أى مواقف غير مريحة أو العمل ضد أى اختراقات أو عمليات هجومية تقوم بها القوات الملكية.

وبما أن القوات الموجودة فى المنطقة تحتل مواقع ثابتة ودفاعية، فقد كان الاعتماد كليًا على هذه السرية لأنها الأقدر على الحركة، و لأنها لا تحتل أى مواقع دفاعية بجانب تأكد الجميع من ارتفاع مستوى تدريبها وكفاءتها القتالية.

وكانت تتحمل أيضا مسئولية حراسة «القول الإدارى» فى أثناء تحركه من العاصمة صنعاء إلى صعدة. خلال هذه المرحلة كانت كل الطرق التى تقود إلى الشمال طرقًا وعرة وجبلية وعلى امتداد هذه الطرق كان الملكيون يبرعون فى إنشاء الكمائن لقطع طرق الإمداد والتموين عن القوات الموجودة بمنطقة صعدة.

وبما أن القوات الموجودة بصعدة فى حاجة دائمة للمياه والذخيرة والطعام والأسلحة، وبما أن المجهود الجوى لا يمكن أن يلبى كل هذه الاحتياجات والطلبات لضعفه ولسوء تجهيز المطار أو أرض الهبوط كان من الضرورى إمداد القوات الموجودة بالمنطقة بواسطة «القولات الإدارية».

وهذه القولات كانت تواجه بالنيران على امتداد الطرق الموصلة إلى صعدة، وكان يكفى أن يقبع جندى واحد أو أكثر فوق قمة أحد الجبال المطلة على الطريق، لكى يوقف القوات المتقدمة لفترات قد تطول أو تقصر وفقًا لقدرة قوات الحماية على التعامل مع أفراد الكمين.

ويذكر أن فردًا واحدًا تمكن من إيقاف تحرك مجموعة قتال كانت تضم قوات مشاة ومدفعية ومشاة ميكانيكية ومدرعات.

وحتى بعد تدخل القوات الجوية التى قصفت الجبل الذى يحتمى فيه بالقاذفات من طراز اليوشن - ٢٨، حمولة ٣ أطنان ظل مسيطرًا على الموقف لمدة ٣ أيام.

هذا الفرد لم ينته أمره إلا على يد سرية الصاعقة البحرية التى صدرت لها الأوامر بالقضاء على هذا الكمين فى اليوم الثالث.

وبما أنه لم تكن هناك معلومات عن الكمين فقد وقع فى روع الجميع أن هناك قوة ملكية كبيرة تقوم بالسيطرة على هذا الجبل وتقطع الطريق على القوات المصرية.

وعندما سألت قيادة السرية عن العدو قيل لها إن العدو موجود حين تقابلونه. وانتشرت قوات السرية، وواصلت صعود الجبل من اتجاهات مختلفة، وبعد إصابة مجموعة كبيرة من السرية تم الوصول إلى قمة الجبل ولم يكن هناك سوى هذا الفرد.

وكما وصفه الملازم أول بحرى إسلام توفيق أول من عثر عليه حيًا، كان نحيلاً ضامر الجسد، متوسط الطول يبلغ من العمر حوالى ٣٠ سنة، قمحى اللون، سلاحه بندقية قناصة ومجموعة كبيرة من الذخيرة ومجموعة أخرى من فوارغ الطلقات وكمية من الزبيب والقمح العويجة وقشر البن الذى كان يتناوله بكثرة حتى يظل مستيقظًا والجنزبيل وكمية محدودة من المياه.

هذا الرجل أجاد اختيار الموقع الذى يتحصن فيه، فهو عبارة عن شكل شرفة محمية من أعلى ومن الأجناب والموقع بهذه الصورة لا يصلح للتعامل معه لا

المدفعية ولا الطائرات، ولم يكن هناك من سبيل سوى صعود مجموعة من المقاتلين للقضاء على هذا الكمين.

وكان هذا المقاتل الملكي يطل من موقعه ويطلق نيرانه على أهداف محددة ثم يعود إلى الاختفاء ليستعد للخروج من جديد، وهكذا.

ولم يكن لهذه السرية البحرية في الجبل الأسود من صديق سوى القمر، فالقوات الملكية تقترب من الجبل في نهاية النهار وهم يرتدون فراء الخراف حتى يظن الجميع أنهم قطعان من الخراف، وعندما يصلون إلى بطن الجبل يختفون إلى الليل.

وفي الليالي المظلمة يتسللون صعودًا إلى نصف الجبل. وينتظرون شروق الشمس لعلمهم أن الجنود المصريين يظلون في حالة يقظة طوال الليل، وما أن تشرق الشمس ناموا.

في هذا التوقيت يصعد الجنود الملكيون من منتصف الجبل حتى مواقع هؤلاء الجنود ويقومون بذبحهم.

كانت التعليمات تقضي بألا يتحدث الجندي أو يشعل سيجارة طوال الليل، حتى لا يكتشف العدو وجوده، لكن في الصباح يتغير سلوك الأفراد. لذا في الليالي القمرية كان يمكن لرجال السرية البحرية اكتشاف تحركات العدو، وكانت قيادة السرية تبعث بنقط مراقبة في منتصف الجبل كما أمرت بتغيير تعليمات القيادة وسمحت للأفراد بالحديث والغناء والتدخين مع استخدام الهاون المضيء.

واستخدمت السرية قذائف (R.B.J) بطريقة جديدة، وأطلقوا عليها الانفجار الجوي، أي إطلاق القذائف في الفضاء بزوايا ٤٥ درجة فيؤدي الانفجار إلى انتشار الشظايا على نطاق واسع وكانت هذه الوسيلة تستهدف تطهير الجبل.

خلال هذه المرحلة كانت مهمة السرية استرداد المواقع الجبلية التي تسقط في أيدي الملكيين، وبعد الاسترداد والتأمين تقوم بتسليمه مرة أخرى للقوات البرية الموجودة في المنطقة.

استمرت السرية على هذا الحال لمدة ثمانية أشهر تعرضت خلالها لأسوأ الظروف من منع الطعام عنها من القيادات المحلية ومنع الترفيه والمياه.

وعلى سبيل المثال، كانت القيادة المحلية ترسل بصفيحة مياه فارغة مليئة بالعدس أبوجبة لإطعام ١٠٠ فرد ثلاث وجبات، أما بالنسبة للمياه فكان الموقف أسوأ، كانوا يتكاسلون عن إرسال الأطعمة والمياه لقوات السرية على قمة الجبل، وبما أنهم من رجال البحرية فلم يكن هناك من يقف فى صفهم من بين رجال القوات البرية.

ولم تكن الحياة على قمة الجبل الأسود مريحة، فارتفاع الجبل كان يبلغ ٣٥٠٠ متر، وفى كثير من الأحيان كانت السحب فى مستوى منخفض عن قمة الجبل، وبما يؤدى إلى انخفاض درجة الحرارة وانخفاض درجة الضغط الجوى.

ولم تكن هناك أماكن معدة للنوم، كان النوم على الأرض والمخدات من شكائر رمل. وبجانب كل ذلك كانت هناك الجوارح كالنسور التى تنقض بقسوة على جثث الموتى لنهشها، وكان أفراد القوة مضطرون للتعامل معها بالنيران، فاكتشفوا أن نيران البنادق والمدافع الرشاشة لا تؤثر فيها، فبدءوا يطلقون عليها نيران المدافع المضادة للطائرات عيار ١٢,٧، وغير النسور كانت هناك الفهود التى تتميز بالشراسة والسرعة وأنواع من الغوريلا تحوم حول مواقع القوات.

أى أن الطبيعة والجوارح والحيوانات المفترسة كانت تسهم مع العدو فى جعل الحياة مستحيلة، ومع هذه الصعوبات كانت القيادات المحلية تبخل بالطعام والمياه على هذه السرية، وأخيرًا وأمام التهديد بالنزول من قمة الجبل وإخلاء المواقع وبما يعرض أمن القوات لمخاطر جسيمة اضطرت القيادة المحلية إلى الانتظام فى إمداد رجال السرية بالطعام والمياه.

ويذكر أن رجال السرية كانوا يصعدون الجبل خلال أربع ساعات. وبعد استرداد قمة الجبل لأول مرة من أيدى القوات الملكية الذين أخذوا الموقع من القوات البرية الموجودة به، بدأ قائد كتيبة المشاة فى الصعود إلى القمة للاطلاع

على نتيجة المعركتين، معركة احتلال القوات الملكية للقمة، ومعركة استرداد سرية الصاعقة البحرية لهذه المواقع.

وقد ظل يصعد الجبل لمدة ثلاثة أيام، وعندما و صل جمع وثائق الشهداء والمحافظ والأقلام والساعات ثم أمر بدفنهم بلا مبالاة وعاد أدراجه إلى مواقعه أسفل الجبل فى حراسة نفس المجموعة التى صعد الجبل فى حراستها.

هذا الأسلوب فى التعامل مع الشهداء ومستوى اللياقة البدنية المتدنى الذى سمح له بصعود الجبل فى ثلاثة أيام، فى حين أن رجال السرية البحرية يصعدونه فى أربع ساعات وهم يحملون الذخيرة والأسلحة والمعدات أصاب الملازم أول بحرى إسلام توفيق بأول صدمة فى حياته العسكرية.

فهو كقائد كان يرى فى جنوده مجموعة من الإخوة والأبناء يحبهم ويحبونه ويتعامل معهم بأبوة ويرعاهم بقدر ما فى وسعه من طاقة ويجيد تدريبهم وتأهيلهم، وهم معًا يشكلون وحدة شديدة الانسجام والتفانى فى العمل والاستعداد للبذل والعطاء، وها هو قائد أقدم منه رتبة لا يبدى أى اهتمام بجثث رجاله من الضباط والجنود ويأمر بدفنهم فوق قمة الجبل، حيث لا مكان للدفن، والمتاح هو تغطية الجثث ببعض الصخور، وبما يتيح للنسور نهشها.

وظلت السرية تعمل كاحتياطى للقوات الموجودة بمنطقة صعدة وفى ظل هذه الظروف القاسية لمدة ثمانية أشهر بدون إجازات. ووفقا لجدول الإجازات حصل الملازم أول بحرى إسلام على أول إجازة له لمدة ١٥ يومًا. وبعد عودته إلى صعدة استمرت الخدمة بنفس الموقع لمدة أربعة أشهر.

خلالها زار اليمن المشير عبدالحكيم عامر، وعندما عرف الصورة على حقيقتها تساءل قائلاً: ماذا بعد هذا؟ وانتشر هذا التساؤل فى أرجاء اليمن، واكتسب شهرة بين أفراد القوات المسلحة.

وكان الرجل وكأنه كان يقرأ الغيب، لقد شاهد الموقف على الطبيعة وأوجعه الانغماس المصرى فى المستنقع اليمنى. أما الإجابة الحقيقية على تساؤل المشير، فقد عثر عليها فى يونيه ١٩٦٧، أما الإجابات الأولية التى حصل عليها قبل يونيه

فتمثلت فى ٤٥ ألف شهيد دفنوا فى ثرى اليمن، وفوق جبالها، بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من الجرحى والمعاقين الذين أوفدتهم مصر إلى العلاج فى جميع أنحاء العالم، خاصة بريطانيا وفرنسا وسويسرا فى شكل إرساليات مرضية، علاوة على إنفاق أكثر من ٥ ملايين دولار يوميًا من دماء الشعب المصرى.

وقررت قيادة القوات البحرية تشكيل المزيد من سرايا الصاعقة البحرية حتى تتمكن من إحلال سرايا محل أخرى باليمن، لأن الجميع لم تكن لهم رغبة فى الاستمرار فى العمل فى هذا المكان.

وتم تشكيل ٧ سرايا أخذت حظًا وافرًا من التدريب العملى فى مسرح العمليات اليمنى. وبدأ التفكير فى إنشاء صاعقة بحرية تقوم بأداء العمل المطلوب منها على سواحل العدو ومراسيه وموانيه وقطعه البحرية والمحافظة على شواطىء مصر والعمل فى مجال الاستطلاع البحرى.

وبدأ فعلاً وضع خطط التدريب للوصول إلى هذه الأهداف بجانب أعمال الصاعقة البرية من كمائن وإغارات مختلفة، واستخدام للألغام والنسف والتدمير، والألغام البحرية والنهرية، وبدأ استخدام قوارب مطاط مزودة بمحرك خارجى للوصول إلى الأهداف البحرية وشواطىء العدو.

كما بدأ وضع قواعد لاختيار الأفراد والضباط للقيام بهذه المهام، وكذلك وضع تنظيم للصاعقة البحرية ضمن لواء الوحدات الخاصة الذى كان يهتم بنشاط الضفادع البشرية بأنواعها.

وخطرت على ذهن الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية فكرة تشكيل أول نواة لمشاة أسطول بالقوات البحرية وتدريبها وتسليحها. وخلال شهرى مايو/ يونيه ١٩٦٧، انفجرت الأحداث وتحركت هذه الكتيبة إلى شرم الشيخ لتنفيذ مهمة احتلال ميناء إيلات الإسرائيلى المطل على رأس خليج العقبة.

وتحركت الكتيبة من قاعدة الإسكندرية البحرية إلى القاهرة بالقطار، ثم بالطائرات إلى شرم الشيخ. وكانت هذه الكتيبة فى طليعة القوات التى وصلت إلى شرم الشيخ. وبعد احتلالها لمواقعها تسلمت قيادة الكتيبة خطاب شكر من الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة وقتذاك.

ثم واصلت الكتيبة تدريباتها فى المنطقة وعلى سواحل شرم الشيخ تمهيدًا لتنفيذ المهمة المكلفة بها. ولأن الأمر كان جديدًا ومهمًا، فقد نال تغطية إعلامية واسعة النطاق من مجلة القوات المسلحة والتليفزيون المصرى والصحف المختلفة.

وصباح ٥ يونيه ١٩٦٧ اندلعت نيران الحرب وبدأ تخبط القيادة المصرية على المستويات المختلفة. ولم يكن هناك من يعلم حقيقة الموقف أو حقيقة ما يجرى بمسرح العمليات. حتى أن العميد طيار ضابط اتصال المنطقة بقيادة القوات الجوية أرسل إشارات لمعرفة الموقف ومدى ما تستطيعه القوات الجوية تقديمه لمساعدة القوات الموجودة بمنطقة شرم الشيخ، فكانت الإجابة: «لا تشغلنا بأسألتك التافهة».

وقبل نهاية نهار هذا اليوم، تلقت الكتيبة أمرًا بالانسحاب إلى الغردقة بواسطة ناقلات الجنود البحرية الموجودة فى ميناء شرم الشيخ. وفى الغردقة فوجئت الكتيبة بأن القاعدة الجوية فى الغردقة قد تم تدميرها وبأن النيران قد اشتعلت بشرم الشيخ. فصدرت التعليمات بالتوجه إلى رأس غارب شمالاً. وهناك فوجئت الكتيبة مرة أخرى بأن النيران مشتعلة فى المدن الموجودة على الشاطىء الآخر من خليج السويس. ونقلت عربات النقل الخاصة بشركة بترول رأس غارب أفراد القوة إلى السويس.

وأخيرًا وبعد تخبط استقر الأمر على النزول إلى القاهرة.

وفى القاهرة استمعت القوة إلى صوت «أحمد سعيد» فى إذاعة صوت العرب وهو يبشر المستمعين بأخبار سقوط الطائرات الإسرائيلية، وقرب دخول القوات المصرية إلى تل أبيب. كانت المعركة قد حسمت لصالح إسرائيل منذ الدقائق الأولى، أما معركة «أحمد سعيد» فمازالت مستمرة وتتقل من انتصار إلى انتصار

آخر، ويتذكر الملازم أول إسلام توفيق أنه استقل سيارة «ميكروباص» تابعة للقوات البحرية من منطقة كوبرى قصر النيل لزيارة الأسرة بمصر الجديدة، ففوجىء بأن جميع إشارات المرور تفتح له بترحيب شديد من رجال المرور الفرحين والمقتنعين بأن القوات المسلحة قد انتصرت وفقا لبيانات «أحمد سعيد».

ولم تستقر الكتيبة فى القاهرة طويلاً، حيث تلقت أمرًا بالعودة إلى الإسكندرية. وعند وصول الكتيبة إلى محطة السكك الحديدية فى القاهرة التقوا بعقيد من القوات المسلحة فسألوه إيه الحكاية؟

فقال إن المشير قد أمر بانسحاب القوات الموجودة فى سيناء بالكامل لإخلائها من المصريين، تمهيدًا لضرب القوات الإسرائيلية المتقدمة بالصواريخ القاهر والظافر. وبهذه المعلومات المبهجة والتى تفسر أمر الانسحاب، اقتنع رجال الكتيبة بأن النصر فى متناول الأيدى. وفى القطار نالوا من ترحيب المسافرين الكثير، أما طاقم القطار فقد قدم لجنود وضباط وقادة الكتيبة الطعام والمشروبات بدون مقابل، وأصروا إصرارًا شديدًا على رفض أى مقابل تعبيرًا عن فرحتهم بالجنود الذين تحقق الانتصار على أيدى إخوة لهم، وما أن وصل القطار إلى الإسكندرية حتى فوجىء قائد الكتيبة بحقيقة الأمر.. الهزيمة كانت عنوان الحقيقة.

عادت الكتيبة إلى مقرها فى أبى قير وانتظرت بيان الرئيس عبدالناصر حول الموقف، وبعد البيان شعر الجميع بالإحباط، وقرروا التخلى عن الزى الرسمى، وبدأ الإحساس بالغليان يتزايد فى صفوف القوات المسلحة.

أما فى القوات البحرية فقد أدى الغليان والغضب لتكوين مجموعة انقلابية هدفها إزاحة النظام القائم، وكل من تسببوا فى الهزيمة من السياسيين والعسكريين.

وكانت القيادة البحرية قد أرسلت طبيبًا برتبة نقيب بالقوات البحرية إلى الولايات المتحدة لدراسة طب الفضاء، وكان معلومًا لقادة وضباط القيادة البحرية أن المشرف على هذه الدراسة من رجال المخابرات الأمريكية. هذا الطبيب قرر العودة إلى مصر فور اندلاع الحرب فى يونيه ١٩٦٧. واغتنمت المجموعة

الانقلابية البحرية وجود هذا النقيب طبيب، واتصلت به أولا لضمه إلى صفوفها، و ثانيًا لمخاطبة المخابرات الأمريكية لمد يد العون لها لمساعدتها على تنفيذ الانقلاب.

كانت المجموعة الانقلابية تضم عددًا من الضباط معظمهم برتبة الرائد والمقدم، وخلال مرحلة الاتصالات والتنظيم والاستعداد حكى النقيب طبيب بحرى مايجرى الإعداد له لصديقه المقدم بحرى نزيه هلودة. وكان المقدم بحرى جمال دفعة نزيه مسئولاً بمكتب المخابرات الحربية فى الإسكندرية. وما أن استمع نزيه للحكاية حتى اصطحب النقيب طبيب معه إلى دفعته وصديقه جمال فى مكتب المخابرات. وبدأت عملية الإيقاع بالمجموعة الانقلابية.

وأحيط مدير المخابرات الحربية علمًا بالقضية وعندما اقترح عليه المقيد مدير مكتب المخابرات الحربية فى الإسكندرية الانتظار حتى يتم الإيقاع بأكبر عدد ممكن من الضباط المشتركين فى التخطيط للانقلاب، حتى تصبح القضية شديدة الدسامة، أجابهم بقوله: أتريدون تشريد ما يقرب من ٥٠ أسرة، ألا يكفيكم خمس أسر؟ أسرعوا بضبط القضية دون انتظار اكتفاء بمن تم التسجيل لهم.

خلال هذه المرحلة التى سادها الغضب والتآمر والأفكار الانقلابية سعى النقيب طبيب للإيقاع بإسلام توفيق الذى أصبح نقيبًا بحريًا، وقائدًا لسرية الصاعقة البحرية للاستفادة منه ومن ضباطه وجنوده فى تنفيذ هذا الانقلاب.

ولهذه السرية قصة، فبعد انتهاء الحرب تم تفكيك كتيبة مشاة الأسطول ووقع الاختيار على إسلام توفيق لقيادة سرية أعمال فدائية تابعة للقوات البحرية وطلبت القيادة منه اختيار أفضل العناصر من الضباط والصف والجنود بكتيبة مشاة الأسطول لتشكيل هذه السرية.

وبخبرته وعلاقاته وعمله بهذه الكتيبة وبسرايا الصاعقة البحرية التى كانت نواة تشكيل كتيبة مشاة الأسطول كان يسيرًا عليه اختيار العناصر الأفضل وتشكلت السرية فعلا.

وبما أن تشكيل السرية صدر من العميد محمود فهمى عبدالرحمن رئيس شعبة العمليات البحرية الجديد - وهنا يجب أن نشير إلى أن طاقم قيادة القوات البحرية قد تم تغييره بالكامل فى إطار خطة إعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة على ضوء هزيمة يونيه ١٩٦٧ - فقد قام النقيب بحرى إسلام توفيق بإعطائه تمام بالسرية الجديدة وخطة التدريب المقترحة واحتياجاتها بالكامل، ووافق رئيس شعبة العمليات على تلبية الاحتياجات المطلوبة بالكامل وصدق على خطة التدريب.

وكانت السرية هدفًا للانقلابيين، فقد كان لها دور فى خطة الانقلاب، ومن هنا بدأت محاولات النقيب طبيب بحرى لتجنيد إسلام، وبمعنى أصح محاولة استدراجه والإيقاع به، إلا أن إسلام أجاب على محاولات النقيب طبيب بحرى بالرفض والتقليل من قدرة المجموعة الانقلابية على تنفيذ هذا الانقلاب .وكان من بين ما قاله: إنهم «شوية عيال» وإن الهدف الرئيسى للجميع خلال هذه النكبة هو قتال إسرائيل وتحرير سيناء من الاحتلال والدفاع عن شرف العسكرية المصرية .وأكد للنقيب طبيب أن من واجه الهزيمة عليه أن يعمل بكل قواه للثأر ممن ألحق به هذه الهزيمة. وبناء على أمر ا للواء صادق مدير المخابرات الحربية بالإسراع بالقبض على الضباط الانقلابيين دون انتظار لتضخم العدد بدأت إجراءات ضبط أفراد هذه المجموعة ومن بينهم النقيب طبيب بحرى. لكن سرعان ما تبين للجميع أن هذا الطبيب هو الذى أبلغ عن زملائه. وبالتالى لم يعد له مكان فى الإسكندرية بين زملائه الضباط البحريين.

وامتد الغضب والسخط ليشمل زوجته التى قاطعها جميع زملائها وزميلاتها فى المدرسة التى كانت تعمل بها، وقدمت النيابة العسكرية الضباط إلى المحكمة العسكرية بتهمة قلب نظام الحكم وصدرت ضد الجميع أحكام بالسجن.

وعندما حاولت إدارة المخابرات الحربية تكريم النقيب طبيب، طلب الانتقال من الإسكندرية للعمل بالخدمات الطبية فى القاهرة، ورأى مدير المخابرات الحربية إبقاءه بالإدارة.

وواصل النقيب إسلام تدريب السرية الجديدة، وكان عليه أن يتوجه إلى إنشاص لتنفيذ المرحلة النهائية من البرنامج التدريبى بمدرسة الصاعقة فى إنشاص.

(٢) مرحلة العمليات

قررت القيادة السياسية المصرية مساندة الانقلاب العسكرى فى اليمن، أما الأسباب فمنها:

١- بعد الانفصال السورى فى سبتمبر ١٩٦١ الذى أنهى الوحدة المصرية - السورية التى بدأت فى فبراير ١٩٥٨، وأصاب عبدالناصر بجرح غائر نفسيًا وبدنيًا، نال من كبريائه وكرامته وأوجعه بصورة غير متوقعة، تبين لعبد الناصر أن أطرافًا عربية كان منها الملكة العربية السعودية والأردن قد شاركت فى مؤامرة الانفصال، وعندما حاول عبدالناصر إنهاء الانفصال بالقوة العسكرية، تبين له أن هذه الخطوة محفوفة بالمخاطر، فإسرائيل والولايات المتحدة كانت بالمرصاد لأى تحرك عسكرى مصرى، وكان الانفصاليون قد ثبتوا أقدامهم وأحكموا سيطرتهم على الأوضاع، لذا تراجع عبدالناصر عن فكرة التدخل العسكرى، لكن هذا التراجع كان قد تأخر قليلاً، حيث إن بعضًا من قوات الصاعقة والمظلات كان قد تم إسقاطه فعلاً بالقرب من اللاذقية، ونتيجة للتراجع سقطت هذه القوات أسيرة فى يد القوات الانفصالية.

وبعد عام من هذا الانفصال تمكن الانقلابيون اليمنيون من تنفيذ انقلاب ناجح فى اليمن أنهوا به حكم أسرة حميد الدين، وبعد نجاح الانقلاب طلب السلال قائد المجموعة الانقلابية من مصر التدخل لحماية اليمن من أى مقاومة داخلية أو خارجية.

وكانت استجابة عبدالناصر للتدخل للثأر مما أصابه على أيدى الانفصاليين فى سوريا والدول العربية التى ساندت الانفصال، ومنها السعودية، أى أن قرار التدخل أو الاستجابة لنداء السلال كان محاولة للرد بقوة على مؤامرة الانفصال، وخلال هذه الفترة كان العالم العربى مقسمًا إلى قسمين: دول ثورية ودول

رجعية، وكان معسكر الدول الثورية يضم مصر وسوريا والعراق والجزائر، وكان تقدير عبدالناصر أن مساندته لانقلاب اليمن هو دعم لمعسكر القوى الثورية، كما أن نقل قواته إلى اليمن التى لها حدود مشتركة طويلة مع المملكة العربية السعودية سيشكل تهديدًا للمعسكر الرجعى، خاصة للأسرة السعودية، وكان فى خلفية ذهن عبدالناصر محاولة التدخل عسكريًا ضد السعودية، لأنه لا يمكن الاكتفاء فقط بدعم الانقلاب، حتى وإن كان ذلك سحبًا من رصيد ونفوذ السعودية فى شبه الجزيرة. وكان من مخططات عبدالناصر أيضًا التدخل ضد قوات الاحتلال البريطانى فى عدن والمحميات والمشيخات فى الجنوب.

٢- كانت مصر تلعب دورًا فى تشجيع الانقلابيين، وكان عبدالرحمن البيضانى ضابط الاتصال للانقلابيين اليمنيين، فى حين كان أنور السادات هو حلقة الاتصال بين اليمن والنظام المصرى. وكانت علاقة البيضانى بالسادات من القوة بمكانة، ولعب الاثنان دورًا لتطوير فكرة مساندة مصر عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا للانقلاب اليمنى والوصول بالنفوذ المصرى إلى هذه المنطقة الحساسة فى جنوب شبه الجزيرة العربية.

٣- لعب السوفييت دورًا رئيسيًا فى تشجيع عبدالناصر ودفعه للتدخل العسكرى والسياسى والاقتصادى لمساندة الانقلابيين اليمنيين، وتعهدوا بتحمل مسئولياتهم فى مساندة مصر بالسلاح والمعدات والذخائر والمشورة، وتوفير موارد مالية لتطوير اليمن اقتصاديًا وعسكريًا، وأوضحوا لعبدالناصر أن الوجود العسكرى المصرى فى اليمن سيدعم نفوذ القوى الثورية المعادية بطبيعتها للإمبريالية والصهيونية والاستعمار، وسيشكل رأس حربة ضد الرجعية السعودية والاستعمار الإنجليزى فى ميناء عدن وباقى المستعمرات فى الجنوب اليمنى، وكان فى تشجيعهم محاولة لدفع عبدالناصر للاشتباك لا مع السعودية فقط، بل ومع الاستعمار الإنجليزى فى جنوب شبه الجزيرة، وقد أثبتت الأيام أن المؤامرة السوفيتية كانت أوسع نطاقًا، فهى التى مهدت للنكبة عام ١٩٦٧، فتورط الجيش المصرى فى اليمن، كان يعنى توزع القوات المصرية المسلحة بين مسرح العمليات فى اليمن ومصر، وبما يخل بقاعدة الاتزان الإستراتيجى. وبما أن مصر ليست

دولة عظمى، ولا تملك من وسائل النقل الجوى والبحرى ما يمكنها من المناورة بالقوات فيما بين جبهتين، فإن ذلك كان يعنى فقدان القوات المسلحة لعنصر الاتزان الإستراتيجى، وافتقاد هذا العنصر كان يعنى أن القوات الموجودة على الأرض المصرية خاصة فى سيناء والجبهة الشرقية غير قادرة على الوفاء بالمتطلبات الدفاعية عن حدود مصر الشرقية. والعجز عن الدفاع يعنى عدم القدرة على المبادرة بأية عمليات هجومية. وأيضًا فإن تورط مصر عسكريًا فى اليمن سيؤدى إلى استنزافها اقتصاديًا، وتدمير معنويات جنودها بجانب الخسائر التى ستلحق بالأسلحة والمعدات.

٤- استجابة لنداء التدخل المصرى لدعم الانقلاب اليمنى، أوفد عبدالناصر بعثة عسكرية إلى اليمن لدراسة الأوضاع والاحتياجات المطلوبة، وتقدير القوة التى يمكن أن تحقق هدف المساندة والاستجابة لنداء اليمن.

هذه اللجنة بعد أن قامت بالبحث والدراسة خلصت إلى أن قوة مكونة من كتيبة مشاة وسرية صاعقة كافية لتحقيق الهدف.

هذا التقرير الساذج كان من أسباب بدء التورط العسكرى المصرى فى اليمن، لأنه ما أيسر توفير كتيبة مشاة وسرية صاعقة لإنجاز هذا الهدف!!!.

ولم تكن اليمن أبدًا لقمة سائغة للطامعين. وتقول دروس التاريخ إن جغرافية اليمن صعبة وطرقها ودروبها وجبالها شديدة الوعورة، أما البشر فقد درجوا على أن يكونوا مستقلين ومسلحين لا يهابون الموت، ولا يشكل لهم رادعًا كنتيجة لأسلوب حياتهم وتقاليدهم، وباعتبارهم من سكان الجبال، فإن ميلهم التقليدى هو للحرب أكثر مما هو للسلم.

وكل من يعرف اليمن أو اليمنيين يدرك أن مقاومة الغزاة جعلت من اليمن أرضا تستعصى على الفتح. وكل من حاول غزو اليمن لقى من المقاومة والمتاعب ما كلفه الكثير من الدماء والخسائر الاقتصادية، فاليمن لم تستسلم لفاتحها، وكان أهلها على يقين أن أرض اليمن لهم ولهم فقط، والاستثناءان الوحيدان هما محاولتا محمد على وعبدالعزيز آل سعود.

فقد تمكن محمد على من بسط سيطرته على اليمن عندما استعان به الخليفة العثمانى بعد أن فشلت قواته فى السيطرة عليها.

أما قصة الملك عبدالعزيز واليمن فهى تستحق أن تروى، فعندما تمكن من الاستيلاء على نجد تطلع لمد نفوذه إلى الحجاز، وبسط سلطانه على عسير وتقدمت قواته للاستيلاء على الحجاز، وحققت انتصارات فى الحزمة على قوات الحسين بن على، بعدها واصلت قوات عبدالعزيز آل سعود التقدم جنوبًا للاستيلاء على نجران والاتفاق على خط حدود بين الدولتين. وخلال المفاوضات كان عبدالعزيز قد سيطر تمامًا على الحجاز، وأنهى حكم الهاشميين، واستدار بنظره جنوبًا، فقرر الزحف على اليمن، وتقدمت قوات سعودية يقودها كل من الأمير سعود بن عبدالعزيز، والأمير فيصل بن عبدالعزيز، واستطاع فيصل أن يشق طريقه بسهولة، فى حين تعثرت قوات الأمير سعود. وقبل أن يواصل فيصل تقدمه من منطقة الساحل إلى صنعاء، ظهرت بعض قطع بحرية تابعة لكل من البحرية البريطانية والفرنسية والإيطالية فى ميناء الحديدة اليمنى، فأصدر عبدالعزيز أوامره لابنيه سعود وفيصل بالعودة قبل أن (تستيقظ الذئاب)، وكان يعنى بذلك قبل أن تنظم المقاومة اليمنية صفوفها وتبدأ فى التصدى للطوابير العسكرية السعودية. وكان الملك عبدالعزيز رغم الانتصارات التى حققتها قواته أكثر دهاء، حيث أدرك أن الاستمرار فى التقدم العسكرى واحتلال مزيد من الأرض سيؤدى إلى خسائر كبيرة على أيدى اليمنيين، كما أنه سيسمح للقوى الدولية بالتدخل لفرض شروطها تحت ستار وقف القتال بين كل من السعوديين واليمنيين.

وفى مباحثات الطائف (١٩٣٤) توصل الطرفان السعودى واليمنى إلى اتفاقية حدود بين البلدين. وبهذه الاتفاقية سيطرت السعودية على منطقتى نجران وجيزان. ومن قبلها كانت قد ضمت كل من الإحساء وعسير.

ويقول عبدالعزيز آل سعود: «كثيرون فى بلدى وفى غيرها من بلادالعرب والمسلمين، أشاروا على بمتابعة العمل العسكرى فى اليمن وضمه إلى المملكة لإقامة دولة عربية موحدة فى شبه الجزيرة العربية، لكننى لم أصغ لكل هذه

المشورات والنصائح لأننى عندما كنت أجيل النظر بين شواطىء شبه الجزيرة فى الجنوب العربى، كنت أرى أن بريطانيا قد احتلت كل هذه المناطق عسكريًا وفرضت حمايتها عليها، فى حين أنها لم تجرب احتلال اليمن عسكريًا لتفرض حمايتها عليه».

« .. ومن الواضح أن الحكومة البريطانية لم تعف عن اليمن زهدًا فيه، وإنما فعلت ذلك لأنها تعرف اليمنيين معرفتها لليمن وطبيعته، ولذلك قد كان من خطل الرأى أن أقدم على إنجاز خطوة ابتعدت عنها بريطانيا، وهى فى أوج قوتها العسكرية والسياسية والمالية، وأن أعرض نفسى وبلدى الناشىء لمغامرة تهيبتها بريطانيا وهى إمبراطورية عظمى، بالإضافة إلى الخلاف الأساسى بين الأهداف العربية الإسلامية والأهداف البريطانية».

ولو قرأت القيادة السياسية المصرية سطورا من تاريخ اليمن وما لاقاه الغزاة من مقاومة وما تكبدوه من خسائر أعجزتهم عن الاستمرار فى محاولة البقاء فى اليمن لما أقدمت على هذا التورط.

لكن الاندفاع والجهل وعدم الدراسة الكافية والعميقة والارتجال والانفعال والشخصانية كانت سمة القرارت فى هذه المرحلة.

وتحركت القوات العسكرية، واختارت القيادة أفضل القوات والعناصر، وتقرر تخصيص مجهود جوى وبحرى. وانقسم الأسطول بعضه فى البحر المتوسط والبعض الآخر فى البحر الأحمر.

ويومًا بعد يوم وأسبوعًا بعد أسبوع وشهرًا بعد شهر تكتشف القيادة أنها فى حاجة إلى إرسال مزيد من القوات، وهكذا حتى أصبح بالمسرح اليمنى ما يقرب من ثلاث فرق مشاة ومدرعات ومشاة ميكانيكية وقوة دعم ومساندة من المدفعية، وباقى أسلحة القوات المسلحة، بالإضافة إلى وحدات من الصاعقة البرية والمظلات، وبجانب كل ذلك كانت هناك ٦٥ سفينة تجارية تعمل على الخطوط ما بين السويس والحديدة لنقل القوات والأسلحة والذخائر والتعيينات والوقود والأسفلت أيضًا لرصف الطرق وإنشاء المطارات، بخلاف الأسطول الجوى المدنى والعسكرى، الذى كان فى خدمة مسرح العمليات اليمنى.

وتحركت مجموعة الصاعقة البحرية لتنفيذ الأمر الذى صدر لها بالإنزال البحرى على الساحل السعودى عند منطقة جيزان (مركز تجمع قوات الإمام)، وذلك بعد قصفها بواسطة الطائرات والمدمرات، وكان الإبرار البحرى جزءًا من خطة واسعة النطاق لاحتلال منطقتى نجران وجيزان. وفشلت العملية وأصدر المشير عامر تعليماته بعودة المجموعة إلى مصر للتأهيل والعودة مرة أخرى. فى هذا الوقت كان يجرى توزيع خريجى الدفعة ١٣ من الكلية البحرية على الوحدات المختلفة والتشكيلات بعد انتهاء التدريب الأولى، فتم توزيع معظمهم على الصاعقة البحرية لدعم هذه المجموعة التى لم توفق فى إنجاز المهمة المكلفة بها لكى يكون للقوات البحرية وجود وحضور باليمن، وذلك فى نهاية عام ١٩٦٣.

وعادت الصاعقة البحرية إلى اليمن. وبدأ التفكير فى التوسع الأفقى بزيادة عدد سرايا الصاعقة البحرية. وتتحول سرايا الصاعقة إلى أول كتيبة مشاة أسطول، وتتوجه الكتيبة إلى شرم الشيخ وتندلع الحرب وتعود الكتيبة فى آخر الأمر إلى الإسكندرية، وتتغير قيادة القوات البحرية مثلما تغيرت كل قيادات القوات المسلحة.

وفوجىء النقيب إسلام باستدعائه لمكتب قائد القوات البحرية برأس التين، ويلتقى باللواء محمود فهمى الرئيس الجديد لشعبة عمليات القوات البحرية ليخبره أنه تم اختياره قائدًا لسرية الصاعقة البحرية التى ستكلف بتنفيذ العمليات الخاصة وطلب منه التالى:

١- اختيار الضباط والصف والأفراد الذى يرى أنهم الأكفأ للانضمام للسرية. ومن بين ٧٠٠ فرد قوة كتيبة مشاة الأسطول التى تقرر حلها، اختار إسلام ١٠٠ فرد، ٥ ضباط.

٢- تحديد أنواع الأسلحة والمعدات المطلوبة.

٣- إعداد خطة تدريب.

على أن يتم ذلك بصفة فورية. وفى غرفة ملحقة بمكتب رئيس شعبة العمليات جلس ليكتب التقارير المطلوبة منه، وعندما عرضها على اللواء محمود فهمى صدق عليها جميعًا.

وبعدها تم تسريح كتيبة مشاة الأسطول وبدأ تشكيل سرية الصاعقة البحرية وتم إخضاع كل أفرادها لبرنامج تدريب شاق وعنيف اقتناعًا بأن من يعزم على بذل الروح وتقديم الدم فداء لمصر، فعليه أن يبذل الجهد في التدريب ورفع كفاءته القتالية والتضحية بالوقت المخصص لرعاية الأسرة والوقت المخصص للترفيه الشخصي ولقاء الأصدقاء وخلافه.

وتضمنت خطة التدريب العناصر الأساسية لمقاتل الصاعقة ومنها:

١-رفع روح الشجاعة والاستعداد للبذل، وتنمية القدرة على المبادرة وسرعة الفعل ورد الفعل عند مواجهة العدو وحسن تقدير الموقف والسيطرة الكاملة على النفس.

٢- رفع مستوى اللياقة البدنية.

٣- رفع مستوى استخدام الأسلحة المختلفة.

٤- التعامل مع وسائل المواصلات العسكرية البرية والبحرية المختلفة.

٥- رفع مستوى الأداء العسكري تخطيطًا وتنفيذًا.

٦- إجادة أعمال النسف والتدمير وإعداد وزرع الألغام بأنواعها.

٧- التدريب على قيادة القوارب المطاطية والمناورة بها.

واقتضى ذلك التردد على مدرسة المشاة للتدريب على الأسلحة الصغيرة بأنواعها، ومدرسة المهندسين العسكريين، للتدريب على بث الألغام و النسف والتدمير، والتشكيلات البحرية المختلفة (مدمرات - غواصات - لنشات طوربيد) لإجادة التعاون أثناء العمليات.

كما اقتضى برنامج التدريب التوجه إلى مدرسة الصاعقة بإنشاص لقضاء فترة تدريبية محددة تعد نهاية البرنامج التدريبي لإجادة عمليات الكمائن والإغارات والطبوغرافيا والإشارة والسيطرة على القوات في أثناء تنفيذ العمليات المختلفة، وذلك بالتسيق مع مدرسة الصاعقة بإنشاص وبالتعاون مع كتائب الصاعقة.

الفصل الثانى
ميلاد المجموعة ٣٩ قتال

خلال فترة الخمسينيات شهدت شوارع حى مصر الجديدة تكوين مجموعات من الشباب كأصدقاء وزملاء، وجرى إطلاق وصف شلل مصر الجديدة على هذه المجموعات، وحملت كل شلة اسم المنطقة التى تقيم بها.

ومن بين هذه الشلل «شلة الكوربة» التى ضـمـت كل من الملازم أول إبراهيم الرفاعى وإسلام توفيق الطالب بالمرحلة الثانوية ومن بعدها بالكلية البحرية، وكان انضمام إسلام لهذه الشلة التى تضم من هو أكبر منه سنًا يرجع إلى وجود أشقائه الأكبر منه سنا بهذه الشلة.

هذه الصداقة أو هذه العلاقة كانت وراء العرض الذى قدمه إبراهيم الرفاعى لإسلام للانضمام والسرية البحرية للعمل تحت قيادته بإدارة المخابرات الحربية.

وبينما السرية فى إنشاص لاستكمال المرحلة النهائية للتدريب، كان فى إجازة فى القاهرة حيث مقر الأسرة فى مصر الجديدة، التقى فى الشارع عند جروبى بالمقدم إبراهيم الرفاعى الذى سأله عن أخباره العامة ثم سأله عما إذا كان يقود قوة تضم جنودًا وضباطًا يمكنهم تنفيذ عمليات خاصة، فأجابه قائلاً: نعم.. وهم موجودون فى إنشاص الآن لاستكمال المرحلة النهائية للتدريب.

وما أن سمع ذلك حتى اصطحبه لمقابلة اللواء محمد أحمد صادق مدير إدارة المخابرات الحربية بعد أن أخبره أنه توجه إلى إنشاص لاختيار بعض الأفراد

والضباط للقيام بعمليات عن طريق الإدارة، إلا أن اللواء سعد الشاذلى قائد الصاعقة والمظلات قام بالاتصال بجمال عبدالناصر، وأخبره أن إبراهيم الرفاعى يقوم بجمع الجنود والضباط لقلب نظام الحكم، وطلب ألا يحضر إبراهيم الرفاعى إلى إنشاص مرة أخرى للمحافظة على النظام وحفظ الأمن وعدم تعرض الدولة للضرر. وقد رفض سعد الشاذلى تزويد أو توفير الفرصة أمام الرفاعى لاختيار عناصر للانضمام للمجموعة الفدائية التى تشكلت بعد الهزيمة مباشرة، ونفذت عدة عمليات رئيسية خلف خطوط العدو، وذلك لحسابات خاصة. فهذه المجموعة الجديدة ستتبع إدارة المخابرات الحربية، وأى زيادة فى حجمها تعنى زيادة فى إمكاناتها وقدرتها على العمل خلف خطوط العدو، مما يعطى محمد صادق نفوذا وحجما على حساب باقى القادة خاصة هو كقائد للصاعقة والمظلات أى للقوات الخاصة.

وكان يرى أن قواته هى المؤهلة لأداء هذا الدور، وبما أنها لم تستعد حتى هذه اللحظة لتحمل هذه المسئولية فليمنع الآخرين من العمل حتى لا يبدو عجزه، وعجز قواته واضحًا أمام الرئيس القائد الأعلى والقيادة العامة للقوات المسلحة. كما أن إبراهيم الرفاعى كقائد كتيبة صاعقة سابق عليه أن يعود للعمل تحت قيادته للاستفادة من خبرته وجرأته. وكانت زيادة حجم المجموعة التى يقودها تحت قيادة المخابرات الحربية، تعنى أن يظل فى العمل تحت قيادة اللواء محمد صادق وأن يبقى بعيدًا عن قوات الصاعقة.

ومثل هذا الابتعاد بالإضافة إلى العمليات التى يمكن أن ينفذها خلف خطوط العدو، قد يفتح أمامه الباب لتحمل مسئوليات عسكرية أكبر. وبما أن الأمن هو هاجس النظام وبما أن شقيق زوجته الفريق سعد الدين متولى كبير الياوران، فلينقل للرئيس عبدالناصر أن إبراهيم الرفاعى يهدد أمن النظام ويعمل على تشكيل قوة يمكن أن يعتمد عليها فى تهديد أمن النظام واستقراره.

ومن المعروف أن عدة محاولات انقلابية سابقة تورط فيها عدد من قادة الصاعقة آخرها تلك المحاولة التى حاول المشير عامر تنفيذها فى أعقاب الهزيمة وإقصائه عن كل مواقع المسئولية هو والمجموعة التابعة له.

ووصلت الرسالة إلى عبدالناصر الذى وضعها فى الاعتبار. وهكذا أغلق الشاذلى الطريق أمام إبراهيم الرفاعى ومحمد صادق لزيادة حجم المجموعة الفدائية التى كان عليها أن تنشب أظافر هافى لحم العدو لتحطيم أسطورته التى اكتسبها نتيجة انتصار يونيه ١٩٦٧ .

وكان تحطيم الأسطورة هو المقدمة الضرورية فى خطة إعادة بناء القوات المسلحة وتأهيلها للقتال لتحرير الأرض المحتلة فى سيناء.

ولاشك أن الرفاعى قد أصيب بالإحباط من موقف سعد الشاذلى، لكنه لم يعلم بالدسيسة التى قام بها سعد الشاذلى عند عبدالناصر التى صوره فيها كضابط انقلابى إلا متأخرًا، وعن طريق حسن التهامى شقيق زوجته نادية التهامى.

وذهب إسلام مع المقدم إبراهيم الرفاعى لمقابلة اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية عصر أحد الأيام وهو بالملابس المدنية، وكانت المرة الأولى التى يلتقى فيها مع مدير المخابرات الحربية، وأخبر الرفاعى مدير المخابرت أن إسلام يقود سرية الصاعقة البحرية، وأن هذه السرية مدربة ومستعدة وقادرة على تنفيذ العمليات المطلوبة.

وسأل اللواء صادق إسلام، أنت عندك ناس فعلاً وجاهزين للعمل؟ فأجابه بنعم، وأن كل السرية موجودة حاليًا بمدرسة الصاعقة فى إنشاص، وبالسؤال والإجابة انفتح الباب لزيادة قوة وحجم المجموعة التى يقودها إبراهيم الرفاعى.

وهذه المجموعة بدأت تتشكل عقب نكبة يونيه ١٩٦٧، وإن كانت البدايات الحقيقية لها ترجع إلى أيام المعركة وإلى نجاح الرفاعى فى تنفيذ مهمة تعطيل قوات العدو المتقدمة على الطريق الساحلى حتى تتاح الفرصة لانسحاب أكبر عدد ممكن من القوات المنسحبة و الوصول إلى غرب القناة. وتشكلت المجموعة أساسا من المقدم أركان حرب إبراهيم الرفاعى من فرع الاستطلاع بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع والملازمين الأول رأفت محمد جمعة وبهجت خضير وحسنى صلاح الدين يسرى من قوات الصاعقة.

وعقب تشكيلها أسندت إليها مهمة تفجير تشوينات الذخيرة التى قام العدو بجمعها من سيناء بعد أن تركت القوات المصرية المنسحبة وراءها أسلحتها وذخائرها ومخازن الذخيرة والتعيينات. وقد تمكنت هذه المجموعة من عبور القناة عند منطقة جنيفة مساء يوم ٤ يوليو ١٩٦٧، أى بعد مرور حوالى أربعة أسابيع على وقف إطلاق النار، وشقت طريقها إلى أن وصلت إلى مناطق تكديس الذخيرة. وكان تقدير المسئولين لكميات الذخيرة التى تمكن العدو من جمعها وتشوينها أنها تبلغ حوالى مليون صندوق ذخيرة. وعندما عادت المجموعة فى الساعات الأولى من صباح يوم ٥ يوليو ١٩٦٧، كانت أصوات الانفجارات تسمع من مسافات بعيدة جدا، أما النيران التى اشتعلت فقد رآها من كان على مسافة ما يقرب من ١٠٠ كيلو متر من موقع التفجير. وسقط كل أفراد سرية المظلات الإسرائيلية التى كانت تحرس الموقع قتلى نتيجة الانفجار الهائل والفجائى. وتم تدمير كل العربات المدرعة والدبابات واللوارى والمعدات الموجودة بالموقع أو بالقرب منه.

وقد أتت هذه العملية بعد نجاح قوات رأس العش فى وقف تقدم طابور العدو المدرع يوم أول يوليو الذى كان يتقدم من القنطرة شرق باتجاه الشمال لاحتلال بور فؤاد حتى تستكمل القوات الإسرائيلية سيطرتها على كل سيناء.

هذان النجاحان المتتاليان كانا جزءا من صورة العمل ضد قوات لعدو التى خطط لها اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية وأقرها عبدالناصر بعد أن تمكن صادق من إقناعه. وكانت وسيلة الإقناع غاية فى البساطة، فقد أوضح اللواء صادق للرئيس عبدالناصر أن صورة القائد والضابط والجندى الإسرائيلى فى مخيلة القوات المصرية على ضوء نتيجة يونيه ١٩٦٧، هى صورة المقاتل «السوبر» (المقاتل الذى لا يقهر)، ولو تم ترك هذه الصورة لتترسخ لأصبح من المتعذر على القوات المصرية أن تواجه الجيش الإسرائيلى فى أى صراع عسكرى مقبل، وإذا كانت مصر ستخوض معركة مقبلة لتحرير أرضها و استعادة كبريائها، فإن الخطوة الأولى هى تحطيم صورة المقاتل الإسرائيلى السوبر قبل أن تترسخ فى عقول المقاتلين المصريين. ولتحقيق هذا الهدف فإنه ومن الضرورى أن تبدأ

عمليات فدائية ضد القوات الإسرائيلية. وسقوط قتلى وجرحى فى صفوف القوات الإسرائيلية وسقوط أسرى سيؤدى إلى نزع هذه الهالة التى اكتسبوها فى يونيه ١٩٦٧ .

وعلى الجانب الآخر فإن نجاح القوات المصرية فى العمل خلف خطوط العدو وانتشار أنباء هذه العمليات وما تحققه من نجاح سيكون الوجه الآخر لعملية القضاء على أسطورة المقاتل الإسرائيلى. وبهذه الصورة تم وضع هدف إنشاء المجموعة ٣٩ قتال، وعلى هذه الخلفية تم التخطيط لعملياتها.

وعندما ووجه الرفاعى بالعقبات التى وضعها سعد الشاذلى فى طريقه لتشكيل المجموعة وزيادة حجمها من رجال الصاعقة، استدار ليلتقى بالنقيب بحرى إسلام توفيق وليبدأ الاعتماد على الصاعقة البحرية. وكان لقاء اللواء صادق وكل من الرفاعى وإسلام هو بداية زيادة حجم ووزن المجموعة ٣٩ قتال، وقبل أن يخرج الرفاعى وإسلام من مكتب مدير المخابرات الحربية، كانا قد تلقيا أمرا بالعمل لكشف حقيقة هذا السلاح الذى تمتلكه إسرائيل و الموجود فى مواجهة الجبهة المصرية. وعندما أمر مدير المخابرات إبراهيم الرفاعى بالبدء فى تنفيذ العملية الخاصة بالحصول على نموذج أو أكثر من هذا السلاح الجديد أو المعدة التى نشرها العدو على امتداد قناة السويس، بدأت العجلة تدور لتنفيذ هذا الأمر.

وكان نشر العدو لهذا السلاح الجديد أو هذه المعدة الجديدة بهذه الصورة المكثفة على امتداد خط المواجهة، قد شكل قلقًا لكل من القوات الموجودة بالجبهة وللقيادة العامة للقوات المسلحة، و بالتالى لإدارة المخابرات الحربية، ولم تتمكن عناصر الإدارة أو عناصر الاستطلاع أو الجيوش الموجودة بالجبهة من تحديد ماهية ونوع هذا السلاح أو هذه المعدة. وحاولت القوات الجوية عن طريق طائرات الاستطلاع اكتشاف الحقيقة، إلا أن كل الصور لم تكشف سر هذا السلاح أو هذه المعدة.

وقامت القوات الموجودة بالجبهة بمراقبة هذه المعدة أو السلاح بالنظر وصورته مئات الصور بالمواجهة، ولم يضف ذلك أى جديد. واستعانت القيادة

العامة بالمستشارين والخبراء السوفييت، إلا أنهم فشلوا فى التعرف على هذا السلاح. وبذل السوفييت المزيد من الجهد، وسألوا مخابراتهم إلا أن الأمر لم يتغير. وأمام القلق الشديد المتزايد يوما بعد يوم، والحرص على معرفة معلومات واضحة ومحددة وكافية عن هذا السلاح، تمت دراسة الأمر من كل الوجوه، وكان هناك اختياران: الأول الاستعانة بالجواسيس وإمكاناتهم فى الحصول على نموذج من هذه النماذج المنتشرة على خط المواجهة، والثانى الحصول على هذا النموذج بواسطة عملية خاصة خلف خطوط العدو.

وطرقت إدارة المخابرات الحربية باب الاختيار الأول، وعثرت فعلاً على جاسوس كان مستعدًا لإحضار نموذج من هذا السلاح أو هذه المعدة، بشرط الحصول على مليون جنيه كدفعة أولى، ثم يحصل على مليون جنيه أخرى بعد إحضاره النموذج المطلوب. وأمام الشك فى قدرة الجاسوس على إحضار النموذج المطلوب والثقة فى أنه جاد وصادق فى عرضه تخلت الإدارة عن هذا الاختيار ولم يعد أمامها سوى اللجوء إلى الاختيار الثانى.

العملية - ٥٠٣ -
الاستيلاء على أحد صواريخ العدو الجديدة

كان لقاء إسلام وإبراهيم الرفاعى وتوجههما معًا للقاء مدير المخابرات الحربية نقطة البداية لوضع الاختيار الثانى موضع التنفيذ، وتوجها فى نفس اليوم إلى الإسماعيلية، وهناك قاما بجولة استطلاعية أتاحت لهما تحديد موقع تنفيذ العملية بالقرب من كوبرى الفردان، حيث يضيق عرض القناة إلى حوالى ١٠٠ متر فى هذه المنطقة. وواصلا استطلاع المنطقة وتصويرها بعد أن حددا منطقة وموقع عبور القناة ومنطقة الهدف على الضفة الشرقية، وشارك فى وضع الخطة مع إبراهيم الرفاعى اللواء مصطفى كمال، الذى نصح بمراعاة استخدام قصافة كهربائية لقطع الأسلاك عن السلاح أو المعدة والحرص على عدم توصيل أى تيار كهربائى لهذا السلاح أو المعدة، وتعبئته فى كيس حتى لا تتسرب إليه المياه ، أى فى كيس تتوافر به خاصية عدم نفاذية المياه، وأن يكون هذا الكيس مربوطًا على الضفة الغربية بونش تحت سيطرة إبراهيم الرفاعى.

وكان المطلوب من المنفذين قطع الأسلاك وفصل السلاح عن أى مصدر كهربائى ثم وضعه فى هذا الكيس وجذبه بعد ذلك بالونش لسحبه إلى الضفة الغربية للقناة، وذلك حرصا على وصول هذا السلاح ولتجنيب المنفذين مشكلة الحمل وعبور القناة به خلال رحلة العودة. وقد تم الانتهاء من وضع الخطة والتلقين خلال نفس اليوم.

أما التحرك فقد بدأ من القاهرة إلى الإسماعيلية فى اليوم التالى، وفى منتصف ليلة اليوم الثانى واليوم الثالث عبر قناة السويس سباحة كل من إسلام توفيق والرقيب عبدالمنعم غلوش من سرية الصاعقة البحرية، وفى آخر لحظة قرر النقيب طبيب بحرى عالى نصر الانضمام إلى المجموعة، وبعد العبور دخلت المجموعة الموقع الإسرائيلى، فوجدت أن الأفراد نائمين. الكل كان فى حالة اطمئنان ولا يتوقعون أن تقدم مصر على مثل هذا العمل. ولم يكن هناك مراقبة للموقع. ونجحت المجموعة فى الحصول على النموذج الأول بعدها تمكنت من وضع النموذج الثانى فى الكيس المخصص له، ثم رأت الحصول على نموذج ثالث.

فى هذه اللحظة سمع رجال المجموعة صوت محرك دبابة بدأ طاقمها فى تشغيله لتسخينه، فقامت المجموعة بإنهاء مهمتها والعودة بسرعة إلى الضفة الغربية، ولم تكن لدى المجموعة تعليمات بالاشتباك مع الموقع أو الأفراد الموجودين به بالرغم من السهولة التى كانت متوافرة أمامهم للقضاء على كثير من جنود العدو الموجودين به.

وفور العودة إلى القاهرة توجه اللواء مصطفى كمال مع إبراهيم الرفاعى إلى منطقة تجارب الصواريخ فى الفيوم لإجراء التجارب الخاصة بهذا السلاح الذى عرف الجميع لأول مرة أنه قاذف صواريخ مضاد للدبابات والمركبات المدرعة، وأن الصاروخ والقاذف صناعة إسرائيلية.

وخلال مرحلة التعرف على خصائص الصاروخ تبين أن مداه يبلغ خمسة كيلومترات، وعلى ضوء هذه المعلومات أدركت القيادة العامة السبب وراء نشر هذه القواذف والصواريخ على امتداد خط المواجهة، فقد كان العدو يخطط لتدمير الدبابات والمدرعات وقطع المدفعية المنتشرة على امتداد القناة وحتى عمق خمسة كيلومترات، وقررت القيادة بناء على هذه المعلومات سحب الأسلحة والمعدات المعرضة للتدمير لمسافة أكثر من خمسة كيلومترات، أى إبعادها عن مدى تأثير هذه الصواريخ، كما قررت إقامة جدار من شبكة من الأسلاك الصلبة على امتداد خط المواجهة حتى تصطدم به الصواريخ الإسرائيلية وتنفجر قبل أن تصل إلى أهدافها. المهم أن القيادة الإسرائيلية قررت سحب هذه الصواريخ

نتيجة للإجراءات التى اتخذتها القيادة المصرية بعد أن تبينت عدم جدواها بعد أن اكتشف المصريون أمرها.

ومن جانب آخر تم إرسال القواذف والصواريخ إلى المصانع الحربية لصناعة القواذف، أما الصواريخ فقد كانت متوافرة بالمخازن، لكن من الصناعة الروسية، بعدها تم تزويد المقاتلين الفلسطينيين بهذا السلاح الذى عرف فيما بعد باسم «صواريخ «الكاتيوشا».

أما إسرائيل فلم تجد بدًا من استخدام هذا السلاح ضد كل من المصريين والفلسطينيين.

وقد اشترك إسلام توفيق فى هذه العملية ـ أى عملية الحصول على نموذج من هذه الصواريخ - فى الوقت الذى كان مازال فيه تحت قيادة القوات البحرية.

وتلقت قيادة القوات البحرية خطاب شكر من وزير الحربية تقديرًا لنجاح سرية الصاعقة البحرية فى تنفيذ مهمة الحصول على نموذج من السلاح السرى الذى نشره العدو على امتداد خط المواجهة، وكان رد فعل قيادة القوات البحرية تعيين قائد جديد للسرية بدلاً من إسلام توفيق.

والقائد الجديد كان فى إجازة طويلة بلغت سنة تقريبًا، ولم يكن يعلم عن السرية شيئًا، فخلال هذه الإجازة كان النقيب إسلام هو الذى تحمل مسئولية اختيار عناصر السرية وتدريبها وإعدادها للقتال. وقد توجت هذه المرحلة بنجاح أول عملية نفذتها السرية خلف خطوط العدو فى سيناء. فما كان من إسلام توفيق القائد المعزول إلا أن امتنع عن العمل، وكتب تظلمًا لقائد القوات البحرية يطلب فيه النظر فى وضعه وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه حرصًا على الصالح العام واستمرارًا للنجاح الذى أعقب اختيار الأفراد وتدريبهم وإعدادهم. ولم تلتفت القيادة لهذا التظلم.

وفى هذه الفترة فوجىء إسلام بزيارة قام بها اللواء مصطفى كمال رئيس فرع البحوث بإدارة المخابرات والمقدم إبراهيم الرفاعى له فى منزله فى رشدى

بالإسكندرية، وقال له اللواء مصطفى كمال: «إحنا عاوزينك تسيب حياة الأرستقراطية دي وتيجي تعيش معانا في مصر».

فرحب بالفكرة وانتهى اللقاء عند هذا الحد وانصرفا واستمرت الأوضاع كما هي ما يقرب من شهر تقريبًا، بعدها فوجيء إسلام باستدعائه لقيادة لواء الوحدات الخاصة برأس التين، حيث قام قائد اللواء بإخباره أن هناك مناورة ستبدأ بعد يومين، وطلب منه الاشتراك في المناورة، وأن اللواء سيكون له دور كبير في المناورة، خاصة الصاعقة البحرية. وفي نفس اليوم فوجيء باستدعائه للقاء قائد مكتب المخابرات الحربية. وفي أثناء اللقاء اتصل العقيد بحرى حسين عاصم قائد مكتب المخابرات باللواء محمد صادق مدير المخابرات البحرية، وأخبره بنتيجة التحريات التي أجراها لمعرفة أسباب تعيين قائد جديد لسرية الصاعقة البحرية، وامتناع النقيب بحرى إسلام توفيق قائدها السابق عن العمل، وقال له إن الأمر لا يخرج عن أنه حقد على النقيب الذي نجح في إنجاز هذه المهمة التي استحقت خطاب شكر من الفريق أول فوزي وزير الحربية، وأن القيادة البحرية تخشى من أن يكون لإسلام توفيق اتصالاً مباشرًا بالقيادات العسكرية بالقاهرة.

فأمر اللواء محمد صادق بسفره إلى القاهرة صباح اليوم التالي للقائه، وفعلاً تم اللقاء بحضور العميد مصطفى كمال رئيس فرع البحوث الفنية بإدارة المخابرات الحربية. وبأبوة فائقة خاطب اللواء صادق النقيب إسلام وسأله: «أنت بتتخانق في إسكندرية؟ ثم التفت إلى العميد مصطفى وقال له: إذا اتخانق هنا حطه في السجن. ثم قال لإسلام: أنت ماتعرفش تاخذ حقك من الناس دول، إنما إحنا نعرف ناخذلك حقك، ولما يكون في حاجة تيجي تقول لي، أنا أبوك هنا وأنا أعرف آخذلك حقك».

فرد عليه قائلاً: أنا تعبت في اختيار عناصر سرية الصاعقة وتدريبها وتجهيزها وإعدادها للعمل خلف خطوط العدو، وبعد ذلك وبعد النجاح في أول عملية بيجو ياخدوها، فقال اللواء صادق لإسلام: اقعد في هذه الحجرة المجاورة واكتب كل طلباتك.

وفعلاً جلس فى الحجرة المجاورة وكتب أسماء الضباط والصف والجنود والأسلحة والمعدات المطلوبة لتنفيذ المهام التى يمكن أن تكلف بها السرية، ثم كتب قائمة الطلبات، بعدها توجه إلى مدير المخابرات وسلمه القائمتين، فأمره ألا يعد إلى الإسكندرية، فمنذ هذه اللحظة أصبح ملحقًا بالإدارة. وصباح اليوم التالى فوجىء بوصول كل أفراد السرية وكل الأسلحة والمعدات التى تضمنتها قائمة الطلبات التى سلمها لمدير إدارة المخابرات الحربية بالأمس، أى خلال وقت لا يتجاوز الـ ٨ ساعات. وبوصول السرية بأسلحتها ومعداتها، أمر اللواء صادق بوضعها تحت قيادة المقدم إبراهيم الرفاعى، الذى كان يعمل تحت قيادة اللواء صادق للاستطلاع وتنفيذ العمليات التى يكلف بها خلف خطوط العدو.

وتقرر أن تتمركز السرية بمعسكرات الحلمية للإعاشة والتدريب وسرية التحركات. ومنذ هذه اللحظة أصبحت هناك مجموعة قتال يقودها إبراهيم الرفاعى تحت القيادة المباشرة لمدير المخابرات الحربية، الأمر الذى لم يكن فى صلب تنظيم الإدارة، وبذلك تم إحباط مخطط سعد الشاذلى والقوات البحرية، فالأول حال دون إبراهيم الرفاعى واختيار عناصر من الصاعقة بإنشاص للعمل تحت قيادته خلف خطوط العدو، والثانية أرادت منع إسلام من مواصلة العمل خلف خطوط العدو، وبعيدًا عن إشرافها.

وبدأت السرية برنامجًا تدريبيًا استعدادًا لأية عملية مرتقبة. وبعد تمركز السرية بالحلمية انفتح الباب أمام إبراهيم الرفاعى لإبراز موهبته فى تنفيذ العمليات الخاصة وإظهار خبرته وكفاءته العملية والعلمية فى هذا المجال.

كما انفتح الباب لضم عناصر جديدة من خلال الإدارة، ومن بين هذه العناصر الرائد عصام الدالى، الذى كان يعمل فى استطلاع مؤخرة العدو بالإدارة والرائد أحمد رجائى عطية، وكان مدرسًا بمدرسة الصاعقة بإنشاص، ومن الضباط المتميزين، أما سلاحه الذى كان يعمل به قبل التحاقه بالصاعقة فهو سلاح المدفعية.

وبما أنه كان زميلاً طوال مرحلة الدراسة الثانوية لإسلام توفيق، حيث درسا معًا بمدرسة مصر الجديدة الثانوية، فقد رشحه لإبراهيم الرفاعى لضمه

«للعصابة»، للاستعانة بخبرته كضابط صاعقة ومدفعية فى عمليات الإغارة بالنيران على مواقع العدو شرق القناة، وفى عمق سيناء، وكذلك للاستفادة من خبرته كضابط صاعقة متميز خاصة فى عملية استطلاع مؤخرة العدو، والاشتراك فى العمليات التصادمية مع العدو والنقيب طبيب عالى نصر، الذى سبق إلحاقه بالإدارة، والنقيب حنفى محمود، وكان يعمل بالإدارة فى استطلاع مؤخرة العدو، وكان له دور رئيسى فى المساعدة على إنقاذ مجموعات كبيرة وصل عددها إلى حوالى ٣٠ ألفًا من القوات المنسحبة والشاردة فى سيناء فى يونية ١٩٦٧، وكان من ضباط الصاعقة المتميزين الذين لهم سابقة خبرة، حيث عمل فى الجزائر واليمن فى مجال العمليات الخاصة. وأصبحت القوة الموجودة بالحلمية تحت قيادة إبراهيم الرفاعى تضم:

١- المقدم إبراهيم الرفاعى.

٢- الرائد عصام الدالى.

٣- الرائد أحمد رجائى عطية.

٤- النقيب طبيب محمد عالى نصر.

٥- النقيب حنفى محمود.

٦- النقيب بحرى إسلام توفيق قائد سرية الصاعقة البحرية.

٧- ملازم أول بحرى ـ وسام عباس حافظ ـ قائد فصيلة.

٨- ملازم أول بحرى ـ ماجد ناشد ـ قائد فصيلة.

٩- ملازم أول بحرى ـ مجدى مجاهد ـ قائد فصيلة.

بالإضافة إلى عدد ٣٠ صف ضابط بحرى وجندى بحرى من قوة سرية الصاعقة البحرية مدعمة بأفراد من الضفادع البحرية. هذه القوة لم تكن قد صدر أمر بتشكيلها كمجموعة قتال تحت قيادة مدير المخابرات الحربية؛ لأن الهيكل التنظيمى لأية مخابرات حربية لا يتضمن مجموعات قتال أو مجموعات تنفذ عمليات قتالية خلف خطوط العدو أو أية مناطق أو مسارح عمليا ت أخرى.

ولهذا أطلق بعض أفراد المخابرات الحربية على هذه القوة وصف العصابة أو عصابة إبراهيم الرفاعى. ونفس هذا الوصف استخدمه الرائد بحرى خليفة جودت قائد لواء الوحدات الخاصة بالإسكندرية لوصف سرية الصاعقة البحرية التى الحقت على المخابرات الحربية. ومما يذكر أن قيادة القوات المسلحة الموجودة بمنطقة صمدة قد استخدمت هذا الوصف أيضًا وأطلقته على سرية الصاعقة البحرية التى كانت تعمل كاحتياطى للقيادة بالمنطقة «مع اختلاف الزمن والمكان والشخصيات»، إلا أن هذا الوصف ظل يلاحق سرية الصاعقة البحرية.

أما اليمنيون فقد كانوا على يقين أن هذه السرية ليست مصرية بل مجوعة من الخبراء العسكريين البلجيك وكانوا يسمونها العصابة البلجيكية، ولم يأت هذا الوصف من فراغ، فمعظم أفراد السرية كانوا من أصحاب البشرة الفاتحة المشربة بالحمرة والأجسام الفارعة القوية بجانب حسن الهندام والمستوى العالى فى الانضباط والكفاءة القتالية.

وكانت التعليمات تصدر من مدير إدارة المخابرات اللواء محمد صادق إلى إبراهيم الرفاعى مباشرة، الذى كان له ميزة لقاء مديرالخابرات فى أى وقت بعد أن تمكن من نيل ثقته التامة بعد نجاحه فى تنفيذ كمين الطريق الساحلى الذى عرقل تقدم العدو خلال يونيو ١٩٦٧، ونجاحه فى عمليتى نسف مناطق تكديس الذخيرة الخاصة بالقوات المنسحبة للحيلولة دون استخدام العدو لها ضد قواتنا وتلغيم خط سكك حديد القنطرة شرق - غزة لتدمير القطار الذى كان مخصصًا لنقل صواريخ الظافر والقاهر، ثم تبين فيما بعد أنه قطار لنقل العناصر الإسرائيلية العائدة من الجبهة فى إجازة ميدانية. وأخيرًا نجاحه فى قيادة المجموعة التى حصلت على نماذج من الصواريخ والقواذف الإسرائيلية. واغتنم إبراهيم الرفاعى وجود العصابة تحت قيادته بأسلحتها ومعداتها وامتلاكها لإمكانات قتالية عالية، وبدأ فى الإعداد لعمليات خلف خطوط العدو.

وبدا أسلوبه المتميز فى الإعداد والتخطيط يظهر بوضوح، وهذا الأسلوب يتمثل فى تنفيذ عمليات استطلاع مستمرة سواء بالنظر أو التصوير أو الاستطلاع الجوى، بالإضافة إلى عبور القناة للاستطلاع المباشر لمواقع العدو.

وتحركاته وأساليبه فى تأمين المواقع والتحركات. كل هذا بالإضافة إلى الاطلاع على تقارير الاستطلاع والمعلومات التى تعدها الأفرع المختلفة بالإدارة.

وكانت هذه العمليات الاستطلاعية تعطيه صورة واضحة للعدو شرق القناة، مما ينير له الطريق للتخطيط الجيد لعمليات منتقاة ومختلفة الأنواع والأهداف، وعلى ضوء العملية والخطة يجرى تدريب الأفراد وإعدادهم لتنفيذها بمستوى عال ودون أن يتيح لهم فرصة اكتشاف حقيقة نواياه.

وهذه السياسة فى عدم الإفصاح، كان يلتزمها مع الجميع، حتى فى أثناء التحرك من القاهرة إلى المنطقة الإدارية القريبة من العدو استعدادًا لتنفيذ العمليات. هذه العمليات التى خطط لها ودرب الأفراد عليها كان يحتفظ بوثائقها فى خزينته الخاصة إلى أن يحين الموعد الذى يراه مناسبًا لتنفيذ أى منها.

وبجانب هذه العمليات التى يخطط لها، كانت الإدارة تكلفه بتنفيذ عمليات خلف خطوط العدو للقتال أو للاستطلاع وفقا للظروف المختلفة والموقف العام، وكان عليه أن يكون مستعدًا هو وباقى الرجال لتنفيذ هذه المهام، وكانت أولى العمليات التى خطط لها بعد تشكيل العصابة هى عملية كمين لعربتى جيب حربى شرق القناة، وكانت الأسباب الرئيسية لاختيار الرفاعى هذا الهدف كالتالى:

١- كان أسلوب العدو فى الدفاع عن وجوده فى سيناء يعتمد على:

(أ) المواقع القوية المتباعدة شرق القناة مباشرة.

(ب) ربط هذه المواقع بواسطة دوريات نهارية وليلية كل منها يتكون من عربتى جيب وكلب مدرب لاكتشاف الكمائن والألغام.

(جـ) خط الدفاع الثانى على عمق من ٢٠ إلى ٣٠ كيلومترًا، ويضم قوات الاحتياطى القريب.

(د) خط الدفاع الثالث على عمق من ٤٥ إلى ٥٠ كيلومترًا، ويضم قوات الاحتياطى التعبوى.

(هـ) دوريات استطلاع جوى مستمرة مع نقط ملاحظة بالنظر متصلة بالاستطلاع الجوى.

٢- كانت الدوريات التى تربط بين هذه المواقع القوية الثابتة على القناة مباشرة تلجأ باستمرار لاستفزاز القوات المصرية على الجانب القريب للقناة فى محاولة لخفض روحها المعنوية، وفى نفس الوقت تحول دون تسلل أى عناصر مصرية إلى شرق القناة من الثغرات بين المواقع المتباعدة.

٣- نجاح الكمين وتدمير الهدف المعادى سيؤدى إلى رفع الروح المعنوية للقوات المصرية، أما تكبيد العدو خسارة فسيدفعه إلى زيادة إجراءات تأمين المنطقة، مما يؤدى إلى زيادة أعباء احتلال سيناء.

٤- إثارة فزع القيادة الإسرائيلية وإفقادها عنصر الاطمئنان وبما يدفعها إلى زيادة حجم القوات الموجودة على امتداد الجبهة المصرية.

٥- إعادة الثقة للمقاتل المصرى ومواصلة تدمير أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر وبما يساعد ويؤهل القوات المصرية لقتال العدو فى المعركة المقبلة.

٦- إثبات أن الجيش المصرى أصبح قادرًا على المواجهة وتوجيه الضربات المختلفة، و أنه ليس الجيش الذى هزم فى معارك ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ .

الفصل الثالث
استخدام القوارب والهليكوبتر فى العمليات

بعد نجاح عمليات الإغارة بالنيران على مواقع العدو شرق قناة السويس والإغارة بالأفراد والكمائن وعمليات زرع الألغام المختلفة على امتداد الطرق والمدقات، مما كبد العدو حجمًا كبيرًا من الخسائر فى الأرواح والمعدات بصورة لم يكن يتوقعها، بدأ فى تطوير دفاعاته شرق القناة ودعم مواقعه بالمدرعات والعربات النصف جنزير، وزيادة كثافة وقوة مصادر النيران، وتطوير دورياته البرية والجوية. وبالنسبة للدوريات البرية بدأ يستخدم العربات المدرعة بدلاً من العربات الجيب، ثم بدأ يستخدم العربات المدرعة والدبابات ثم الدبابات والدقاقات بالإضافة إلى دوريات المهندسين العسكريين المدعمة بكلاب الحرب المخصصة لاكتشاف الألغام والمفرقعات والكمائن وإبطال مفعولها.

وأمام ارتفاع نسبة الخسائر البشرية بين الجنود والضباط بدأ التململ ورفض العمل أو الخدمة بالجبهة المصرية.

وأمام طبيعة سيناء الجغرافية كشبه جزيرة مساحتها أكثر قليلاً من ٦٠ ألف كيلومتر مربع وباعتبارها أرض محصورة بين القناة وخليج السويس غربًا وخليج العقبة شرقًا وساحل البحر الأبيض المتوسط من اتجاه الشمال والشمال الغربى ابتداء من بورسعيد حتى غزة، بدأ التفكير بنقل النشاط إلى منطقة جنوب سيناء ومواقع العدو شرق خليج السويس، بالإضافة إلى الساحل الممتد على البحر المتوسط من بورسعيد إلى غزة. وفى البداية كانت مشكلة نقل القوات والمعدات

والأسلحة عبر خليج السويس تتطلب حلاً يوفر سرعة الحركة والمناورة وتأمين سرية تحركات هذه الوحدات حتى لا تكتشف وجودها دوريات العدو البحرية بالمنطقة التى تستخدم وحدات بحرية سريعة ومسلحة تسليحًا جيدًا بالإضافة إلى كفاءتها القتالية، وكانت هذه الدوريات على اتصال وتنسيق مع القوات الجوية خاصة أسراب الهليكوبتر.

وفى البداية اجتمع اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية بقادة القوات البحرية لمناقشة توفير وسيلة نقل بحرية تتوافر فيها هذه المواصفات. وعندما نوقشت فكرة استخدام القوارب المطاطية المزودة بمحرك خارجى فى البحار المفتوحة كانت وجهة نظر القادة البحريين أن مثل هذه القوارب لا تستخدم إلا داخل الموانىء المغلقة وفى حالة هدوء البحر فقط، وإلا ستكون عرضة للانقلاب والغرق، وفقد الأفراد والمعدات. ولم يقتنع اللواء صادق بهذه الإجابة فاستدعى النقيب بحرى إسلام توفيق وسأله عما إذا كانت هذه القوارب يمكن استخدامها فى خليج السويس وشرق البحر المتوسط، فأجابه بأنه من الممكن استخدامها. فقال له إن الجنرالات فى الإسكندرية قالوا غير ذلك، فرد عليه قائلاً الذى يستخدم هذه القوارب نحن لا الجنرالات، فسأله هل آمر بشراء هذه القوارب على أن تبدءوا فى استخدامها فور وصولها ضد أهداف العدو على الشاطىء الشرقى لخليج السويس وبمنطقة جنوب سيناء، فأجابه قائلاً سنبدأ فى العمل إن شاء الله بمجرد وصول القوارب ، أما الأهداف فقد تم وضع الخطط المناسبة لها والتدريب عليها.

فما كان من اللواء صادق إلا أن أمر بشراء عدة قوارب زودياك، فرنسية الصنع من طراز مارك ـ ٣ المزودة بمحرك قوته ٤٠ حصانًا وسعة خزان الوقود ٢٠ لترًا.

وبعد نجاح العملية الأولى بدون خسائر تقرر شراء قوارب جديدة أكبر حجمًا من طراز مارك-٥ مزودة بمحرك قوته فى البداية ٨٥ حصانًا ثم ١٠٠ حصان.

وكانت الخطوة التالية استخدام قوارب مزودة بمحركين قوة كل منهما ١٠٠ حصان بالإضافة إلى المساعدات الملاحية، ومن أهمها وجود بوصلة بحرية

وعدادات لقياس المسافة والسرعة، بالإضافة إلى الاستغناء عن تلك المحركات التى تدار يدويًا وبدء استخدام محركات تدور كهربائيًا.

كما طلبت المجموعة ٣٩ قتال من مصانع زودياك العمل على تصنيع خزان وقود سعته ٢٠٠ لتر بنزين بشرط أن يكون مكانه فى الماء تحت سطح القارب لتأمين الوقود. وفى مرحلة تالية طلبت المجموعة تسليح القوارب بقواعد للرشاشات الثقيلة. ولتطوير العمليات فى منطقة الساحل الشرقى لخليج السويس ولمواجهة العدو، أجرت المجموعة، مجموعة من التجارب لتحميل عربة جيب ومنصة لإطلاق الصواريخ.

وفعلاً تمكنت المجموعة من إنجاز هذا التطوير علاوة على استخدام الألغام البحرية وقد وفرت لهم العربات الجيب الخاصة القادرة على السير فى مناطق الرمال الناعمة قدرة على الحركة السريعة والمناورة للوصول إلى أهداف مختلفة فى عمق سيناء. أما منصات إطلاق الصواريخ المحملة على القوارب بالمقطورة الخاصة بها فقد وفرت للمهاجمين قوة نيران عالية لضرب الأهداف البحرية والبرية الموجودة على الساحل وفى العمق فى أثناء السير فى البحر.

كما تم استخدام المدافع الصاروخية من عيار ٥٧ ملليمترًا ضد أهداف برية وبحرية بنجاح وعندما نوقشت عملية أو فكرة الهجوم على ميناء الطور، تبين لقادة المجموعة أن العملية تتطلب استخدام الألغام البحرية كبيرة الحجم وثقيلة الوزن.

وبما أن القوارب الزودياك غير معدة لنقل مثل هذه الألغام، بدأ التفكير فى وسائل تساعد على نقل هذه الألغام إلى منطقة الهدف. وتوصل العنصر البحرى بالمجموعة إلى فكرة استخدام مقطورة عائمة تحمل عليها الألغام وعند الوصول إلى منطقة الهدف يمكن للمهاجمين إنزالها بسهولة.

وكان من الضرورى أن تتوافر بهذه المقطورات بعض المواصفات الفنية التى تساعد على التحميل بأمان وإنزال الألغام بسهولة ويسر فى الأماكن المحددة. وهذه الفكرة تم تطبيقها بعد نجاحها خلال معركة أكتوبر ١٩٧٣، وقد أسهمت فى إغراق قطعة بحرية إسرائيلية فى ميناء الطور.

وهذه القوارب تتميز بصغر الحجم والارتفاع المحدود لجسم القارب فوق سطح الماء مما يحول دون اكتشاف وجوده نهائيًا لا بواسطة الرادارات أو الأجهزة المختلفة المخصصة لاكتشاف الوحدات البحرية كما أن لون القوارب الأسود والسرعة العالية التى يتمتع بها توفر له القدرة على الاقتراب من مواقع وأهداف العدو إلى أقل مسافة ممكنة فى سرية تامة بما يساعد على تحقيق المفاجأة، والانسحاب من المكان بسرعة عالية بعد الانتهاء من المهمة مع توافر قوة نيران مناسبة للموقف.

وفى المراحل الأخيرة من العمليات وقبل البدء بتنفيذ وقف إطلاق النار على جبهة القناة يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠، استخدمت المجموعة صواريخ موجهة مضادة للدبابات ضد وحدات العدو العائمة. وقد استفاد العدو من تجربة المجموعة ٣٩ قتال فى استخدام القوارب المطاطية، فقام بإنشاء وحدات بحرية تستخدم هذا النوع من القوارب المطاطية.

وفى مرحلة تالية قررت المجموعة استخدام الطائرات العمودية «الهليكوبتر» وذلك بالتنسيق مع قيادة القوات الجوية وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

١- قصف المواقع الإسرائيلية خاصة المناطق البترولية بالصواريخ والرشاشات.

٢- إبرار الأفراد والمعدات خلف خطوط العدو للقيام بأعمال الكمائن والإغارات ومهاجمة الموانى والمطارات.

٣- مساندة العمليات البحرية والتقاط الأفراد والقوارب من المياه فى حالة الضرورة.

٤- بث الألغام على الطرق والمدقات الموجودة فى عمق العدو وتنفيذ مهام عمليات النسف والتدمير للأهداف العسكرية الموجودة بالعمق.

وكانت قيادة المجموعة حريصة على تطوير أسلحتها ومعداتها باستمرار للتواؤم مع تطور العمليات وتلبية احتياجات المهام المتنوعة، وشمل التطوير استخدام أنواع أفضل من القوارب وإدخال التحسينات عليها، ومن التحسينات التى أدخلها أفراد المجموعة على القوارب:

١- استخدام خزانات وقود سعة ٢٠٠ لتر بدلا من الخزانات سعة عشرون لترًا، ومراعاة تثبيت هذه الخزانات أسفل قاع القارب تحت خط المياه لتجنب خطر اشتعالها، وأسهم ذلك فى زيادة مدى القارب بشكل كبير.

٢- ابتكار قواعد للرشاشات الثقيلة يمكن تثبيتها بالقوارب لتوفير قوة نيران كبيرة للمجموعة وإتاحة فرصة أكبر للمناورة بالنيران.

٣- تركيب عدادات للسرعة والمسافة وبوصلات لتحديد الاتجاه، ومن المعدات الحديثة التى اهتمت المجموعة باستخدامها أجهزة الرؤية الليلية.

ويمكن القول إن المجموعة أول من استخدم هذه المعدة بالقوات المسلحة وللاستفادة منها بشكل كبير تم تثبيت بعضها بالقوارب. وإذا كانت هذه الأجهزة قد انتشرت الآن بشكل واسع النطاق وبجميع أسلحة القوات المسلحة، إلا أنها فى ذلك الوقت لم تكن على هذا القدر من الانتشار، كما حصلت المجموعة على جهاز لاسلكى بعيد المدى لتحسين قدرتها على الاتصال والسيطرة أينما كانت.

٤- عمل مصطبة لتثبيت قاعدة صواريخ لقذف الصواريخ من البحر.

٥- عمل مصطبة تصلح لحمل سيارة للعمل فى عمق العدو.

الفصل الرابع
التدريب فى المجموعة

نهجت المجموعة نهجًا متميزًا فى اختيار وتدريب أفرادها وبالصورة التى تتفق وكونها مجموعة فدائية خاصة مهمتها الأساسية العمل خلف خطوط العدو. وبما أن المجموعة ظهرت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، فقد تحملت مسئولية خاصة لا تتمثل فى الوصول إلى مواقع العدو فى العمق وتدميرها بل أيضًا فى إعادة التماسك إلى صفوف القوات المسلحة وإعادة الثقة إليها فى أعقاب هزيمة قاسية وغير متوقعة بالنسبة للعسكريين المصريين.

ولاشك أن الصورة التى بدأت وسارت وانتهت بها المعركة كان يمكن أن تترك انطباعًا قويًا لدى العسكريين المصريين بأن القائد والضابط والجندى الإسرائيلى مقاتل لا يقهر. حتى لا تصبح هذه الصورة عائقًا يحول دون القوات المصرية ومواجهة هذا العدو. وكان لابد للمجموعة أن تنشب أظافرها فى لحم العدو، وتلحق به خسائر ملموسة يمكن للقوات الموجودة بالجبهة أن تراها حتى تتأكد من أن المقاتل الإسرائيلى ليس أسطورة وأن مقاتلين مصريين يمكنهم أن يلحقوا به قدرًا موجعًا من الخسائر. ونجاح المجموعة فى العمل خلف خطوط العدو أدى إلى تطلع الكثيرين لنيل شرف الانضمام إليها.

ومثل هذا الإقبال كان مؤشرًا رئيسيًا على خروج المقاتلين المصريين من حالة الفزع والانهيار التى أصابتهم خلال أيام يونيه الحزينة واستعادتهم لثقتهم بأنفسهم وبقادتهم. وعلى جانب آخر ازداد تطلع الوحدات الموجودة بالجبهة من

مختلف أفرع القوات المسلحة للقيام بعمليات مماثلة للعمليات التى تقوم بها المجموعة ٣٩ قتال.

ومع بدء حرب الاستنزاف أتيحت الفرصة لهذه القوات للمشاركة فعلاً فى القيام بالاشتباك مع العدو فى عمليات محدودة. وأمام الإقبال للانضمام إلى المجموعة ٣٩ قتال حددت المجموعة أسس الاختيار لانتقاء الأفضل من بين الراغبين حفاظًا على المستوى الرفيع للمجموعة وتمثلت الشروط فى الآتى:

١- الرغبة.

٢- المهارة فى ضرب النار.

٣- مستوى عال من اللياقة البدنية.

٤- إجادة تامة للسباحة.

والذين يقع عليهم الاختيار يخضعون لبرنامج تدريب قاسى. وكان اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية، قد أوصى بذلك. وعندما عرض عليه الرفاعى خطة وبرنامج التدريب أشر عليها بالتالى:

«مقدم أركان حرب إبراهيم الرفاعى أوصى بالتدريب القاسى، وكما هو معروف فإن العرق فى التدريب يوفر الدماء فى أثناء القتال»

وكانت الموضوعات التدريبية تتضمن:

اللياقة البدنية ـ السباحة ـ الاشتباك ـ ضرب نار بالأسلحة المختلفة بما فى ذلك قذف القنابل اليدوية واستخدام الصواريخ المضادة للدبابات بالإضافة إلى النسف والتدريب على القوارب ـ الطبوغرافيا ـ الدوريات ـ زرع واستخدام الألغام ـ إعداد الكمائن والإغارات بأنواعها، واستخدام الصواريخ من طرازى كاتيوشا وجراد. وهذه العناصر تمثل البرنامج التدريبى الأول. أما البرنامج الثانى فيتضمن:

تكتيك ـ دوريات ـ أسلحة صغيرة ـ تمييز أسلحة العدو ـ معلومات عن العدو ـ نسف وتدمير الألغام ـ اللغة العبرية ـ التدريب المشترك مع الهليكوبترات ـ التدريب البحرى بالقوارب وصيانة المحركات ـ لياقة بدنية ـ اشتباك ـ استخدام

السونكى ـ طوابير سير ـ ضرب نار بالأسلحة الصغيرة ـ الملاحظة ـ التنصت واستطلاع مؤخرة العدو ـ التدريب على الكمائن والإغارة ليلاً واستخدام أجهزة اللاسلكى المختلفة.

ويتضمن البرنامج التدريبى الثالث:

محاضرات ومعلومات عن أنواع الخدمة العسكرية فى جيش الدفاع الإسرائيلى والمنظمات شبه العسكرية، وتدريب القوات العسكرية وأساليب قتال جيش الدفاع الإسرائيلى وقواته البحرية والقوات المدرعة والقوات الجوية وتنظيم الجماعة والفصيلة وسرية المشاة الإسرائيلية وتنظيم الكتيبة واللواء المشاة وتنظيم اللواء المدرع واللواء المظلى.

برنامج تدريب الصاعقة البحرية بإدارة المخابرات الحربية
فرع العمليات الخاصة
عن المدة من ١٢/٤/١٩٦٩إلى ١٣/٥/ ١٩٦٩

موضوعات التدريب:

لياقة بدنية

سباحة

اشتباك

ضرب نار (بندقية آلية ـ رشاش جرينوف ـ قذف قنابل يدوية ـ ضرب RBG7)

نسف وتدمير

تدريب على القوارب

طبوغرافيا

دوريات

عمليت تلغيم

عمليات ضرب صواريخ

عدد الأيام:

٢٨ يوما	دقيقة	ساعة
عدد ساعات التدريب الليلى	-	٦
عدد ساعات التدريب النهارى	٣٥	١١١

عدد الأفراد القائمين بالتدريب:

٢ ضابط

٢٤ صف ضابط

ومنذ البداية راعى القائد ومعاونوه وهم يضعون البرامج التدريبية أن تتناسب ومتطلبات العمل خلف خطوط العدو بكل ما تتطلبه من قدرة عالية على المبادرة وحسن التصرف وكفاءة التنفيذ تحت ضغط نيران العدو والتلاحم معه.

فاختراق مواقع العدو الدفاعية وخطوطه ومهاجمة الأهداف الموجودة بالعمق لا يمكن أن يتم دون أن يوضع فى الاعتبار أن هذه العمليات لا يمكن أن تتم دون الاشتباك مع العدو عن قرب والاشتباك مع العدو يعنى أن كل جانب حريص وبقوة على تدمير الجانب الآخر.

وبعد يونيو ٦٧ مباشرة كان العدو فى قمة الانتصار وقادته يتربعون على قمة الثقة بالنفس والثقة فى قدرتهم على هزيمة وسحق القوات المصرية فى أى مكان وزمان، فى حين كان المقاتل المصرى يدرك يقينًا أنه قادر على مواجهة العدو والانتصار عليه إذا توافر ت له القيادة المسئولة والظروف المادية التى تتيح له فرصة إظهار إمكاناته الحقيقية.

وإذا كان من أهداف المجموعة أساسًا تحطيم صورة المقاتل الإسرائيلى المنتصر فى معارك ٤٨، ٥٦، ٦٧ قبل أن تستقر فى فكر ووجدان القوات المصرية.

فمن الضرورى أن يكون أفراد هذه المجموعة على المستوى الذى يؤهلهم لذلك، ولن يصلوا إلى هذا المستوى إلا بالتدريب القاسى والموضوعى.

ولم يكن الهدف استنزاف جهد مقاتلى المجموعة بساعات التدريب الطويلة، بل كان صقل شخصيتهم ومهاراتهم والارتقاء بمستوى كفاءاتهم القتالية والعلمية والمعلوماتية. وكانت خطط التدريب مقسمة على خطط أسبوعية وشهرية وربع سنوية ونصف سنوية، وسنوية، بالإضافة إلى المناورات العامة للقوات المسلحة.

وبما أن المجموعة انغمست فى العمل خلف خطوط العدو ونيران معركة ٦٧ لم تهدأ بعد، فقد كان ذلك يعنى أن التدريب والعمليات لا ينفصلان، فكفاءة التدريب تنعكس على تصرفات الأفراد فى العمليات، كما أن العمليات تكشف المجالات التدريبية التى تحتاج إلى تركيز أكثر. وانقسم التدريب إلى تدريب ليلى وتدريب نهارى، وإلى تدريب داخل المعسكرات وخارج المعسكرات، وتدريب برى وبحرى وجوى.

أى أن برنامج التدريب كان يتضمن الخروج إلى البحر للتدريب على المهارات البحرية والتكتيك والقتال فى أثناء الإبحار، وأساليب الاشتباك مع أهداف ثابتة ومتحركة برية كانت أم بحرية أم جوية باستخدام الأسلحة المختلفة، وكما هو معروف كان للبحر طبيعة خاصة ومختلفة عن البر تماما، فالفرد العادى يصاب بدوار البحر فى كثير من الأحيان، ولم يكن هذا مسموحًا به لمقاتلى المجموعة. لأن العمليات ضد العدو تقتضى ركوب البحر فى معظم الأحيان للوصول إلى أهدافه الموجودة بالعمق، أو للتعامل مع أهدافه البحرية قبل الوصول إلى الأهداف الموجودة بالعمق خلف خطوطه الدفاعية؛ لذا حرصت قيادة المجموعة على معايشة الأفراد للبحر لاكتساب الألفة معه وفى سبيل الوصول إلى ذلك تضمنت خطط التدريب البقاء فى البحر لساعات طويلة، سواء للتدريب أم للترفيه. وكان صيد السمك أحد أهم برامج الترفيه؛ لأنه الوسيلة اليسيرة والبسيطة للبقاء لساعات طويلة فى البحر دون شعور بالملل أو الإجهاد، وبجانب التدريب البحرى كان هناك برنامج للتدريب الجوى بالتعاون مع الهليكوبتر للاستفادة من إمكانيات الهليكوبتر فى تنفيذ العمليات التى تتطلب ذلك. وكان

التدريب يتضمن عمليات الإنزال فى المواقع المختلفة سواء للتأمين أو للإغارة وبث الألغام بجانب التدريب على قصف الأهداف المختلفة بالصواريخ من الهليكوبتر. ومن ضمن برامج هذا التدريب إسقاط المجموعات سواء بالقفز أم باستخدام سلالم حبال، والالتقاط بعد تنفيذ المهام باستخدام الحبال والأوناش برًا وبحرًا.

الفصل الخامس
قصة الصاعقة البرية

برزت الحاجة إلى مقاتلين يتمتعون بكفاءة قتالية عالية ولياقة بدنية متميزة وقدرة على اتخاذ القرارات ومواجهة المواقف الطارئة خلال معارك الفدائيين التى أطلقتها القيادة المصرية من عقالها للضغط على قوات الاحتلال الإنجليزى بمنطقة القناة خلال الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ وقد استهدفت هذه المعارك الضغط على المفاوض الإنجليزى طوال مرحلة المفاوضات المصرية البريطانية لإنهاء الاحتلال الإنجليزى لمصر الذى بدأ عام ١٨٨٢ .

وقبل أن تتجه القيادة العامة لتنفيذ هذه الفكرة كانت قد استدعت عددًا من قادة المظلات الألمان بقيادة سكور زونى قائد المظلات الألمانى الشهير للعمل على إنشاء وحدات مظلات مصرية لأول مرة فى تاريخ القوات المسلحة المصرية.

وقد ولدت وحدات المظلات على يد هذه المجموعة من الضباط الألمان وفى يوليو ٥٣ بمناسبة الاحتفال بالعيد الأول لثورة ٢٣ يوليو تم أول إسقاط علنى لمجموعة المظليين بمصر الجديدة .

وفى أواخر عام ٥٥ سافرت أول مجموعة من الضباط إلى الولايات المتحدة للحصول على فرقة راينجرز وهذا النوع من التدريب لم يكن معروفًا فى مصر.

أما كلمة راينجرز فهى تعنى حارس الغابة، ولكن هذه الترجمة لا تعطى المعنى الحقيقى لمهام هذه المجموعة التى تتخصص فى أعمال القتال الخاصة «فدائيين». واعتمد اختيار المجموعة الأولى المسافرة على إجراء اختبارات فى

اللياقة البدنية فقط لأن أحدًا بالقيادة العامة لم يدرس المواصفات المطلوبة فيمن يحصل على هذه الفرقة ولا على مواد وبرامج الدراسة .

ومن الذين اجتازوا هذا الامتحان للسفر إلى الولايات المتحدة ممدوح إسماعيل وحسن عبد العزيز المجموعة الأولى وضمت المجموعة الثانية جلال هريدى ونبيل شكرى، أما المجموعة الثالثة فضمت حسن عبد الغنى وسيد شافعى أبو العلا.

وقبل أن يقع الاختيار على هذه المجموعات الثلاثة كان كلاً من جلال هريدى وحسن عبد الغنى وسيد شافعى أبو العلا يستذكرون استعدادًا للسفر إلى إنجلترا للحصول على دورة فى الأسلحة الصغيرة وذلك أثناء وجودهم بقسم الأسلحة الصغيرة بمدرسة المشاة .

وعندما وصلوا إلى الولايات المتحدة، تضمن برنامج التدريب إجادة استخدام البندقية النصف آلية المستخدمة فى الجيش الأمريكى والتدريب على الرماية للوصول إلى مرتبة الضابط الضارب الماهر بالإضافة إلى باقى البرامج لرفع الكفاءة القتالية لتنفيذ عمليات خاصة .

وكان الضابط المصريون يتصورون أن الضباط الأمريكيين فئة ناعمة ليس لها فى الحياة الشاقة وعندما انتظموا فى الفرقة ثبت لهم خلاف ذلك، فالتدريب جاد وشاق وواقعى، وتضمن ثلاث مراحل:

١- تدريب أساسى يتضمن رفع اللياقة البدنية ودروس للاشتباك والقتال باستخدام السونكى ودروس فى التكتيك وتدريب على الإغارات والكمائن ودراسة طبوغرافية وهندسة ميدان والتدريب على استخدام المفرقعات والألغام واستخدام أجهزة اللاسلكى والإعاشة ومدتها ثلاثة أسابيع .

٢- تدريب فى المستنقعات والغابات، ويتم هذا التدريب على شكل دوريات لهذه المناطق وأساليب التعامل مع العدو تحت هذه الظروف .

٣- تدريب فى المناطق الجبلية، ويعتمد أيضا على دوريات بالجبال تتضمن مهارات تسلق الجبال بما فى ذلك العمل تحت ضغوط من العدو وأساليب اشتباك خلال المعارك الجبلية .

وكانت الدورة للمصريين من خلال دورة تضمن متدربين عسكريين أمريكيين، أى أن المصريين كانوا يحصلون على نفس المستوى التدريبى والبرامج المخصصة لإعداد لضباط والمقاتلين الأمريكيين وكانت الفرقة تضم عددًا كبيرًا من الضباط لا تزيد رتبتهم على رتبة النقيب. والانضمام لهذه الفرقة بالاختيار وليس بالإجبار. ومع بداية كل فرقة يخلع الضابط علامات الرتب لمنع الحساسية سواء بين أعضاء الدورة أو بينهم وبين المدربين ويتحول اسم كلا منهم إلى الرانيجر فلان أو الفدائى فلان ومما لفت نظر الضباط المصريين الطاعة العمياء للأفراد من الجنود والضباط. وكان من ضمن برامج التدريب إسناد قيادة الدوريات إلى عدد كبير من المتدربين أيا كانت رتبتهم وأيا كانت رتبة القائد قائد الدورية فإن الجميع يطيعون بما فيهم من هم أعلى رتبة أوامر هذا القائد طوال فترة الدورية.

ودورة الرانيجرز تتشكل من دورتين منفصلتين وليس بالضرورة أن يحصل الرانيجرز الأمريكى على فرقتين ويكفى الحصول على إحداهما أما بالنسبة للمبعوثين المصريين فقد تقرر أن يحصلوا على فرقتين وبعد عودة هؤلاء المبعوثين من أمريكا بدأ التفكير فى عقد فرقة بمصر لعدد من الضباط لتأهيلهم على نفس المستوى الذى تم التدريب عليه فى أمريكا ولم تبدى هيئة التدريب بالقوات المسلحة أو أى جهة أخرى اهتمامًا بهذا الاقتراح وتحت الإلحاح أرسلت هذه المجموعة إلى قيادة المنطقة الشرقية وهناك رحب بهم اللواء على عامر قائد المنطقة ووفر لهم الإمكانيات المطلوبة وتم اختيار منطقة أبو عجيلة بسيناء كمنطقة لتدريب أول عناصر الصاعقة لان طبيعة هذه المنطقة مماثلة للمنطقة التى تدربوا بها فى الولايات المتحدة وكان عليهم وهم يضعون أول برامج التدريب للفدائيين المصريين مراعاة طبيعة الأرض فى مصر التى لا تتوافر بها الغابات والمستنقعات، ورأوا الاستفادة من أراضى مصر الصحراوية والجبلية والزراعية. وكانت منطقة أبو عجيلة أول منطقة لتدريب الصاعقة تتميز بوجود المناطق الصحراوية والجبلية وفيما بعد تم إدخال عدة تعديلات على برامج التدريب بالأراضى الزراعية والتدريب على العمليات البرمائية وعمليات الإنزال .

وتضمن التدريب الأساسى:

لياقة بدنية اشتباك قتال بالسونكى دروس التكتيك إغارات كمائن تعليم أساليب العيش استنادًا إلى الموارد المجودة بالمنطقة دون حاجة إلى إمداد وتموين

- طبوغرافيا - هندسة ميدان - مفرقعات وزراعة ألغام .

وهى نفس المواد التى درسوها فى الولايات المتحدة وكانت مدة الدورة ثلاثة أسابيع وكانت هذه هى المرحلة الأولى للتدريب وعقبتها مرحلة تدريب فى المستنقعات والغابات ومرحلة ثالثة بالجبال وهى المراحل الثلاثة بفرقة الرانجرز.

وبمنطقة (أبو عجيلة) تم عقد ثلاث دورات تدريبية وقد أشرف جلال هريدى على تدريب الدورة الأولى بمفرده وكان من بين خريجيها أحمد عبد الله - حمدى شلبى - محمود عادل .

خلال هذه الفترة تم تشكيل أول جناح صاعقة بمدرسة المشاة ضم

النقيب حسن عبد الغنى قائد جناح، النقيب جلال هريدى كبير المعلمين، ملازم أول سيد شافعى أبو العلا مساعد كبير المعلمين، ولم يكن لهذا الجناح مكاتب كما أنه لم يكن ضمن تنظيم مدرسة المشاة .

ولم تكن مدرسة المشاة بموقعها وطبيعتها صالحة كمقر لإنشاء جناح كامل للصاعقة .

وبدأت المجموعة تستطلع عدة مواقع لاختيار أحدها لإنشاء مدرسة صاعقة .

وأثناء استطلاع منطقة إنشاص التى كانت تضم استراحة وحدائق مملوكة للملك فاروق وتضم أيضًا إسطبلاً للخيول الملكية، استقر الرأى على إنشاء أول مدرسة صاعقة هناك .

وعندما نشبت معركة ١٩٥٦ لم يكن للصاعقة دور، فاتصل حسن عبد الغنى بقائد مدرسة المشاة التى كانت تتحمل مسئولية الدفاع عن القاهرة فى إطار خطة بالتعاون مع وحدات أخرى، وطلب منه اشتراك أفراد الصاعقة فى خطة الدفاع عن القاهرة .

وفعلاً شاركت الصاعقة فى الدفاع عن مطار ألماظة وأسندت إليها مهمة مواجهة أى إسقاط جوى فى المنطقة الفاصلة بين مطارى القاهرة وألماظة لمنع العدو من الوصول إلى القاهرة .

وفى اليوم الرابع من الحرب طلب قائد مدرسة المشاة من حسن عبد الغنى ترشيح ضابطين لاستطلاع كوبرى الرسوة ببور سعيد ومعرفة ما إذا كانت القوات البريطانية قد احتلته أم لا . فرشح نفسه للمهمة بالإضافة إلى الملازم أول جلال هريدى، وباعتباره قائد جناح الصاعقة، رفضت هيئة العمليات اشتراكه فى داورية الاستطلاع. وانتهى الحوار بترشيح الملازم ثانى حسين مختار ونفذ كل من جلال هريدى، وحسين مختار داورية استطلاع الكوبرى باستخدام قارب خشبى ولم تكن القوات البريطانية قد احتلته بعد .وفى الاستطلاع الثانى فى اليوم التالى اكتشفوا أن القوات الإنجليزية قد احتلت الكوبرى، فصدرت لهم الأوامر بالبقاء فى مدينة المطرية ومحاولة تجميع الضباط والجنود الحاصلين على فرقة صاعقة بالمدينة. وفى نفس اليوم كلف رئيس هيئة العمليات بالقوات المسلحة حسن عبد الغنى بالقيام بتنفيذ دورة صاعقة عاجلة لسرية مظلات كاملة بضباطها باعتبار أن أفراد الصاعقة بالقوات المسلحة قليلاً ولا يفى باحتياجات العمليات .

وفى مدرسة ابتدائية بمنطقة كوبرى القبة عقدت فرقة الصاعقة لسرية المظلات وقد أشرف على هذه الفرقة حسن عبد الغنى نبيل شكرى سمير الطناوى وبالرغم من قلة الإمكانيات وضيق الوقت نجحت الفرقة، وأثناء انعقاد الفرقة كلفت الصاعقة بالتسلل إلى بور سعيد مرتدية ملابس الصيادين وبعد نجاح عدد من أفراد الصاعقة فى التسلل إلى المدينة التى كانت تحتلها قوات إنجليزية وفرنسية تمكنت من تنفيذ عمليتين :

الأول: كمين لدورية إنجليزية مترجلة فى أحد شوارع بور سعيد نفذه ضابطى صف .

الثانية: قادها إبراهيم الرفاعى وقد هاجمت إحدى مناطق تجمع الدبابات الإنجليزية ونجحت العملية نجاحًا كبيرًا، وتعد أكبر عملية تمت خلال فترة

الاحتلال وبانسحاب القوات الفرنسية والإنجليزية من بورسعيد وانطواء صفحة العدوان الثلاثى كانت الصاعقة قد حفرت اسمها بالقيادة العامة للقوات المسلحة واكتسبت سمعة طيبة عند الرأى العام .

وشهدت الصاعقة فترة ازدهار بعد معركة ١٩٥٦، وقد أمر المشير عبد الحكيم عامر بإنشاء مدرسة الصاعقة بإنشاص ووفر لها الدعم المطلوب وأسند قيادتها إلى النقيب جلال هريدى، وصدر قرار بنقل حسن عبد الغنى إلى الكلية الحربية .

وقام جلال هريدى بدعم من المشير عبد الحكيم عامر باختبار الضباط والجنود الذين يتميزون بالكفاءة واللياقة البدنية العالية والثقة بالنفس من بين صفوف القوات المسلحة.

وتم عقد دورتين تدريبيتين الأولى لمعلمى الصاعقة، والثانية لأفراد الصاعقة ومن معلمى الصاعقة تشكلت مدرسة الصاعقة على هيئة كتيبة صاعقة أى أن تنظيم مدرسة الصاعقة أخذ شكل تنظيم كتيبة صاعقة لتكون مؤهلة للعمل خلال فترات العمليات الحربية ومن أفراد الصاعقة والمعلمين بدأت تتشكل أول كتيبة صاعقة وهى الكتيبة رقم ١٣ .

وكانت هذه الكتيبة هى الكتيبة النموذج للصاعقة نتيجة حسن الاختيار للضباط والأفراد والتدريب المتميز والتسليح الجيد وقلة العدد .

وفى هذه البداية كان قائد الكتيبة برتبة النقيب وفى ظل احتضان المشير عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة لوحدات الصاعقة، حصل قيادة الصاعقة على ميزانيات كبيرة استخدمتها فى إنشاء ميادين التدريب الخاصة بمدرسة الصاعقة والمبانى وأماكن الإعاشة وقاعات التدريب وقاعات النماذج المختلفة لمسارح العمليات وشراء المعدات والسيارات المختلفة وأسهم ذلك فى سرعة توفير احتياجات الصاعقة .

أما التسليح والأجهزة فقد استجابت القيادة العامة لكل مطالب قيادة الصاعقة، وأمر المشير بمنح علاوة للصاعقة أسوة بعلاوة المظلات وأمر بحصول

أفراد الصاعقة على وجبات مشابهة لوجبات الكليات العسكرية بالإضافة إلى رصد مبلغ خمسة قروش لكل فرد لتحسين الطعام، وبذلك يتحقق لكل فرد فى الصاعقة تناول وجبات طعام أفضل من الوجبات التى يتناولها طلبة الكليات العسكرية وهذا الوضع يعد الأفضل بين صفوف القوات المسلحة، مما أسهم فى رفع معنويات وحدات الصاعقة وزيادة ارتباطهم بالمشير عامر شخصيًا .

أما جلال هريدى قائد مدرسة الصاعقة فقد ارتبط بالمشير عامر وبمدير مكتبه شمس بدران ارتباطا قويا وكان على اتصال دائم بهما لحل المشاكل الشخصية للأفراد وللحصول على طلبات خاصة للصاعقة. وبمرور الأيام توثقت العلاقة بين المشير وجلال هريدى، بل أصبح المشير يعتبره واحدًا من رجاله المخلصين. وطبقًا لتعليمات المشير عامر تقرر التوسع فى إنشاء كتائب الصاعقة، وبالرغم من الجوانب السلبية لمثل هذا التوسع، ومن أهمها انخفاض مستوى الأفراد والقيادة، لأنه كما هو معروف فإن التوسع فى الكم يكون على حساب الكيف، ومع ذلك فإن قيادة الصاعقة مضت فى زيادة حجم وحدات الصاعقة من كتيبة إلى ثلاث كتائب. وكان واضحًا للجميع أن هذا التوسع يتم لاعتبارات أمنية، ووفقا لرؤية المشير للصراع الدائر على القمة .

وفى عام ١٩٥٨ سافر جلال هريدى إلى الاتحاد السوفيتى فى بعثة عسكرية للحصول على فرقة أركان حرب بكلية فرونز العسكرية، وذلك ضمن أول مجموعة تسافر للحصول عل هذه الفرقة .وخلال وجوده بالاتحاد السوفييتى أعيد حسن عبد الغنى لتولى قيادة الصاعقة. وبعد أقل من شهرين عاد جلال هريدى إلى القاهرة لعدم قدرته على تحمل المناخ الروسى. ومن جديد يصدر له الأمر بتول قيادة الصاعقة وعودة حسن عبد الغنى إلى الكلية الحربية. فما كان من حسن عبد الغنى إلا أن أرسل خطاب استقالة إلى اللواء محمد فوزى مدير الكلية الحربية وقتذاك. وبعد أن قرأ اللواء فوزى طلب الاستقالة بعث برسالة إلى حسن عبد الغنى نصها «عزيزى حسن بحق لقمة العيش والملح لا تتصرف فى مستقبلك قبل أن تمر على فى أقرب وقت ممكن». وخلال اللقاء الذى جمع بينهما تمكن فوزى من إقناع حسن عبد الغنى بأن الاستقالة لن تفيده، وأصدر

قرارًا بتعيينه مساعدًا لكبير المعلمين، وكان يشغل منصب كبير المعلمين آنذاك أحمد إسماعيل على مشير فيما بعد ومنذ تلك اللحظة توثقت العلاقة بين حسن عبد الغنى وكل من محمد فوزى وأحمد إسماعيل، وظل يحفظ الجميل لكليهما لما أحاطاه به من محبة وتقدير. وتمكن حسن عبد الغنى من إدخال فرقة الصاعقة ضمن مناهج وبرامج التدريب بالكلية الحربية. وفى عام ١٩٦٠ صدر قرار بنقل حسن عبد الغنى إلى إدارة المخابرات الحربية حيث عين قائدًا لمكتب مخابرات القناة وشرق الدلتا.

وعندما حدث الانفصال المصرى السورى فى سبتمبر ١٩٦١ ، قررت القيادة العامة للقوات المسلحة بناء على أوامر من الرئيس عبد الناصر إرسال مجموعات من الصاعقة والمظلات للتدخل ضد القوات الانفصالية والتمسك بمواقعها إلى أن تصلها القوات المرسلة بحرًا. وبعد أن تم إسقاط هذه المجموعات فوق سوريا، قرر عبد الناصر التراجع عن فكرة التدخل العسكرى وانتهى الأمر بسقوط جلال هريدى وباقى القوة أسرى فى أيدى السوريين. ومن الإذاعة والتليفزيون السورى هاجم الرائد جلال هريدى الأوضاع فى مصر .وبعد عودته تقرر إحالته إلى الاستيداع وفى اليوم التالى وبناء على أوامر من المشير عامر توجه إلى إيطاليا مع أسرته، وبقى بها طوال ١٢ شهرًا يتقاضى راتبًا شهريًا من القوات المسلحة بالرغم من أنه فى الاستيداع .

وبعد نهاية العام انتهت فترة الاستيداع، وصدر أمر تعيينه مساعدًا للملحق العسكرى بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان يشغل هذا المنصب العميد عبد الرحمن عبد العال. وعندما نشب خلاف بين الملحق والمساعد أمر المشير عبد الحكيم عامر بتعيينه ملحقًا حربيًا فى الأرجنتين ثم ملحقًا حربيًا فى أسبانيا وبعد بذلك أول ملحق حربى فى تاريخ مصر يعين فى ثلاث دول خلال فترة عمله كملحق .

وبعد الانفصال وإحالة جلال هريدى للاستيداع استدعى اللواء أحمد فتحى عبد الغنى مدير المخابرات الحربية الرائد حسن عبد الغنى لمقابلته. بعدها استقبله المشير عامر وكانت تلك هى المرة الأولى التى يستقبل فيها المشير حسن

عبد الغنى. وخلال هذا اللقاء استمع المشير عامر إلى قصة الصاعقة كاملة. وفى اليوم التالى صدر قرار تعيينه قائدًا للصاعقة ومنحه سلطات واسعة للسيطرة على الصاعقة التى كانت على وشك الانفجار .

وكان الحل المتاح أمام حسن عبد الغنى هو شغل الصاعقة ببرامج التدريب والاستطلاع والداوريات الجادة وإجراء المسابقات والامتحانات والاشتراك فى مناورات القوات المسلحة، كل ذلك بهدف الحيلولة دون الأفراد ووجود الوقت الذى يسمح لهم بالحديث أو تداول الشائعات .

ونجحت هذه السياسة فى إعادة الصاعقة إلى طريقها الأساسى. وبعد عدة أشهر استدعى شمس بدران قائد الصاعقة وأخبره أن لديه معلومات كبيرة عن وجود تنظيم انقلابى بالقوات المسلحة يتزعمه العقيد عبد القادر عيد سكرتير المشير عامر، ومن بين أفراده من ضباط الصاعقة كل من:

أحمد عبد الله حسين مختار وضابط ثالث قريب لزعيم الانقلاب .وفى نهاية اللقاء طلب منه متابعة تحركات هؤلاء الضباط .وانتهت فترة المتابعة بإلقاء القبض على ضباط الصاعقة الثلاثة .

وبعدها ووفقًا لتعليمات المشير كان على حسن عبد الغنى أن يتوجه إلى مقر الصاعقة بإنشاص لكى يبقى وسط رجاله لتأمينهم .

وصباح اليوم التالى اجتمع بأفراد الصاعقة وأخبرهم بالحقيقة وزن عبد القادر عيد كان يسعى لتنفيذ الانقلاب وتغيير نظام الحكم .

وكانت تلك أول محاولة انقلابية يتورط فيها عدد من ضباط الصاعقة .

أما أحمد عبد الله الذى كان برتبة ملازم أول آنذاك فقد اعترف للمشير عامر اعترافًا تفصيليًا بالانقلاب وكان هذا الاعتراف وبهذه الصراحة شفيعًا له لدى المشير، فأخرجه من القضية وبعد تورط مصر فى اليمن عسكريًا أعاده للصاعقة كقائد للكتيبة ٣٣.

وكان للصاعقة دور فى معارك اليمن بدءًا من سبتمبر أكتوبر ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٦٧- فبعد نجاح الانقلاب العسكرى الذى قاده عبد الله السلال أرسل القائم

بالأعمال بالسفارة المصرية باليمن تقريرًا أكد فيه نجاح الثورة اليمنية وتأييد القبائل لها كما أشار إلى عدم وجود أية قلاقل فيما عدا مقاومة بسيطة ومحدودة فى منطقة مأرب. وفى نهاية التقرير أوضح أن قائد الانقلاب يطلب مساندة عسكرية مصرية ودعمًا اقتصاديًا. ثم ذكر فى تقريره أن الأمر لا يحتاج إلا إلى مظاهرة عسكرية مصرية بسيطة كنوع من التأييد للثورة .

ولأن مصر كانت متورطة فى الإعداد لهذا الانقلاب العسكرى فقد رأت الاستجابة لطلب المساندة العسكرية .

وكانت هناك قوى يمنية مدنية وعسكرية تطالب بتدخل عسكرى مصرى لدعم نجاح الانقلاب وفى البداية كلف المشير عامر بعض أفراد الصاعقة من بينهم الضباط أحمد حلمى ونبيل الوقاد وأحمد عبدالله بالتوجه إلى اليمن . ومن صنعاء توجهت قوات الصاعقة إلى صرواح بالمحور الشرقى ومنها إلى مأرب للقضاء على المقاومة الموجودة هناك وفى ذلك الوقت كانت مفاهيم القيادة العامة والقيادة السياسية عن معارك اليمن لا علاقة لها بالواقع .

ومن الأمور المضحكة أن هيئة العمليات قد طلبت من القوات المسافرة إلى اليمن أن تأخذ معها طلقات فشنك ومحدثات صوت لأن الأمر لا يتطلب أكثر من ذلك لتخويف اليمنيين.

وفى القاهرة استدعى المشير عامر الرائد حسن عبد الغنى قائد الصاعقة وعدد من قادة الكتائب إلى منزله بالجيزة حيث شرح لهم الموقف مستخدمًا خريطة بدائية لليمن والذى لخصه فى أن اليمن كله مؤمن عدا مقاومة بسيطة فى مأرب وهناك احتمال قيام مقاومة بسيطة فى المستقبل فى ميدى على ساحل البحر الأحمر. ولم تحدث أى مقاومة على الإطلاق فى ميدى .

وعندما استفسر ضباط الصاعقة عن المدة التى ستستغرقها هذه المهمة أجاب المشير بأنها لن تزيد بأى حال من الأحوال عن ٤٥ يومًا .

وقبل سفر حسن عبد الغنى وعدد من قادة الكتائب مع رجالها إلى اليمن اصطحبوا معهم مواد تموينية وسجائر تكفى لمدة ٤٥ يومًا فقط .

وفجر اليوم التالى لاجتماعهم مع المشير توجهوا إلى العاصمة اليمنية صنعاء بطائرة سوفيتية الصنع من طراز انتونوف كان يقودها طاقم روسى بالكامل .

وأثناء الهبوط فى مطار صنعاء لم يتبينوا أية دلائل تشير إلى وجود مطار مما دفعهم إلى التصور أن الطائرة هبطت هبوطًا اضطراريًا . وبعد مغادرة الطائرة تأكدوا أنهم فى مطار صنعاء الرئيسى الذى لم يكن أكثر من أرض هبوط رملية بجانب غرفتين هما كل مبانى المطار وكان بالطائرة وفد عسكرى يضم العمداء عبد المنعم خليل وسعد نجيب وعلى عبدالخبير .

وكانت مهمة الوفد إجراء دراسة على الطبيعة للموقف فى اليمن. وكلفت اللجنة قائد الصاعقة بإجراء استطلاع للمحور الشمالى فى اليوم التالى .

وكانت قوات الكتيبة ٢٣ بقيادة أحمد عبد الله قد وصلت فعلاً إلى صرواح، وهناك دار نقاش حول مغادرتها صرواح باتجاه مأرب لتنفيذ المهمة المكلفة بها على ضوء وجود معلومات تشير إلى احتمال انضمام صرواح للقوات الملكية بمجرد مغادرة القوات المصرية لها .

وحسم قائد الصاعقة هذا النقاش حيث أمر أحمد عبد الله بالبقاء فى صرواح حتى تتمكن قوة جديدة من الوصول إلى المدينة واستلامها منه قبل المغادرة إلى مأرب حتى لا تنقلب المدينة وتنضم إلى صفوف القوات الملكية المناوئة للانقلاب، وتقطع الطريق عليه وتطوقه من الخلف .

ولم تنفذ الكتيبة أوامر حسن عبد الغنى، واتجه أحمد عبدالله إلى مأرب تنفيذا للمهمة التى كلفه المشير عامر بها قبل مغادرته للقاهرة .

وبعد تركه صرواح بعدة كيلو مترات، وقعت القوة فى كمين وسقط أول شهيد فى اليمن الملازم أول نبيل الوقاد كما أصيب عدد من الضباط والجنود بإصابات خطيرة ومن بينهم الملازم صلاح مصطفى الذى إصرارهم فى عينيه. وطلبت القوة إرسال طائرة هليكوبتر لنقل الجرحى والقتلى، ولم تكن لدى القوات المصرية مثل هذه الطائرة، ولم يكن باليمن سوى طائرة واحدة خاصة بالإمام، يقودها طاقم روسى، ولا يمكن إقلاع هذه الطائرة إلا بتعليمات من موسكو،

وتمكنت القيادة العامة من الحصول على هذا التصديق وفعلاً أقلعت الطائرة وتمكنت من إخلاء القتلى والجرحى. وأصدرت القيادة تعليمات لسرية مظلات للإسقاط فوق صرواح واحتلالها، وفى نفس الوقت تم دفع سريتين من الصاعقة للوصول إلى صرواح بقيادة حسن عبد الغنى .

وكانت المعلومات أن طريق صنعاء صرواح آمن بنسبة ١٠٠٪ . ولعدم وجود خرائط كانت كل القوات التى تتحرك على الطرق تعتمد على أدلة من اليمنيين وكان بصحبة حسن عبد الغنى دليل يمنى. وبعد فترة من السير شعر قائد الصاعقة أنه يسير فى اتجاه لا يمت بأية صلة الى المحور الشرقى فتوقف وسأل الدليل عما إذا كان سبق له السير على الطريق الشرقى فأجاب بالنفى .فعادت القوة إلى صنعاء واستبدلت الدليل، وفى اليوم التالى أخذت القوى طريقها إلى صرواح مع الدليل الجديد إلى أن وصلت إلى منطقة الجبل الأسود قبل رأس العرقوب. وتعرضت القوة المتحركة لنيران محدودة انطلقت من مواقع بالجبل الأسود. وكان ذلك مجرد إنذار للقوات المصرية التى واصلت التحرك حتى وصلت إلى منطقة رأس العرقوب وهى أعلى منطقة مسطحة فى هذه البقعة وبعدها ينزل الطريق منحدرًا ثم مرتفعًا وعلى امتداد هذه المسافة لا يتسع الطريق لأكثر من سيارة واحدة فى اتجاه واحد .

ولتبين حقيقة الموقف بالمنطقة، ولتجنب الكمائن أرسل مجموعة استطلاع بقيادة الرائد عصام إبراهيم وما أن قطع مسافة ٥٠٠ متر على الطريق حتى تعرض لنيران معادية من المناطق المحيطة فرد عليها بالنيران ثم خفت حدة النيران ولم يعد فى إمكانه لا التقدم ولا العودة. وخشى القائد أن يتم عزل مجموعة الاستطلاع فاندفع بكل القوة ليلاً لتنضم للمجموعة. وما أن تحركت هذه القوة حتى تعرضت للنيران من الجانبين، واستمر الكمين طوال المسافة من رأس العرقوب حتى منطقة الوقدة وهى مسافة لا تقل عن عشرين كيلو مترًا . وفيما بعد عرف القائد أن قبائل هذه المنطقة تتبع الشيخ على ناجى الغادر الذى انضم للملكيين وأنه يسيطر على القبائل الموجودة بالمحور الشرقى حتى مأرب .

وللحفـاظ على أرواح القـوة ونتـيجـة النقص الواضح فى الذخـيـرة والمياه والتعيينات والوقود، قرر القائد العودة مرة أخرى إلى صنعاء مستندًا إلى عامل المفاجأة فالعدو يتوقع أنه سيواصل التقدم مثلما فعل من قبل وسيحاول نصب عدة كمائن فى طريق تقدمه وفعلاً عاد إلى صنعاء دون أن تتعرض القوة لطلقة واحدة .

وفى مبنى القيادة العامة بصنعاء فوجئ بأن اللواء أنور القاضى قد تم تعيينه قائدًا للقوات الموجودة باليمن وعندما استقبله طلب منه تولى قيادة الكتيبة ٢٣ صاعقة والتوجه بها لاحتلال جيحانة وفعلاً تمكن من احتلال جيحانة صباح اليوم التالى ومن هذا يبدو واضحًا :

١- نقص معلومات القيادة العامة عن اليمن والقبائل والقوات المعادية للانقلاب .

٢- عدم وجود خرائط لمسرح العمليات والاعتماد على أدلة ومرشدين يمنيين .

٣- التورط فى عمليات بالمسرح اليمنى دون الاستعداد لمثل هذا العمل .

٤- افتقاد القدرة على إجراء تقييم صحيح أو قريب من الصحة للموقف .

٥- الاستهانة بقوة العدو .

٦- عجز القيادة عن تحمل مسئولياتها .

مثال:

كانت القيادة تدفع بفصيلة لفتح طريق أغلقه العدو فتقع الفصيلة فى كمين ويسقط أفرادها شهداء، فتأمر القيادة بدفع سرية فتعجز السرية عن إنجاز المهمة، فتأمر القيادة من جديد بدفع كتيبة، وعندما تفشل الكتيبة فى تنفيذ الأمر الصادر إليها تقرر القيادة دفع لواء مدعم بالمدفعية والصواريخ (مجموعة قتال).

وطوال الفترة الأولى من وجود القوات المصرية بالمسرح اليمنى كانت كتائب الصاعقة تذهب وتعود إلى اليمن بالتبادل ونتيجة لاعتماد القيادة على كتائب

الصاعقة فى تنفيذ الكثير من العمليات فقد رأت القيادة العامة التوسع فى إنشاء كتائب الصاعقة وقررت إنشاء ٨ كتائب وبسرعة حتى تتمكن من دفعها إلى المسرح باليمن .

واستند مخطط إنشاء هذه الكتائب على سحب مجموعة من الضباط لا يزيد عددها عن أربع وعدد من ضباط الصف القدامى لتشكل منهم الهيكل الرئيسى للكتيبة أما باقى الضباط والصف والجنود فمن العناصر الجديدة والمستجدة .

وقد ظهر ضعف مستوى هذه الكتائب عند مقارنتها بمستوى الكتائب الثلاث التى كانت تشكل منها الصاعقة من قبل .

وعندما أنهى جلال هريدى فترة عمله كمساعد ملحق حربى فى أمريكا وملحق حربى فى كل من الأرجنتين وأسبانيا عاد إلى مصر. ولما كانت الأضواء مسلطة على اليمن فقد عينه المشير عامر بقيادة القوات المصرية فى اليمن بلا مسئوليات. وكان يتحمل مسئولية قيادة القوات المصرية فى اليمن آنذاك الفريق عبد المحسن مرتجى، ولم يمانع فى الاستجابة لطلب المشير لاستطلاع الفرصة لجلال هريدى للاشتراك فى عمل يعود به إلى الأضواء لكى يكسب عطف الرئيس عبد الناصر، ويساعد عل محو الإهانة التى ألحقها به من خلال التليفزيون السورى بعد وقوعه أسيرًا فى اللاذقية وتم التخطيط لعملية على الحدود اليمنية السعودية وأسندت قيادة القوة المكلفة بالعملية إلى جلال هريدى ووفرت له القيادة كل الإمكانيات المطلوبة من أسلحة وعربات جديدة ووجبات خاصة وملابس جديدة، كما أتيحت الفرصة لجلال هريدى لانتقاء أفراد القوة التى ستشارك من بين ضباط وجنود الصاعقة. وتضمنت الخطة تقديم دعم جوى مناسب قبل الهجوم البرى على منطقة بويع. وبالرغم من كل ذلك لم تتمكن القوة من الاقتراب من بويع وفشلت المهمة وعاد حسن عبد الغنى قائد الصاعقة إلى القاهرة عام ١٩٦٦ وهو يضع نصب عينيه إعادة تدريب الأفراد والوحدات بصورة ملائمة وصحيحة لا للقتال بالمسرح اليمنى ولكن استعدادًا لملاقاة القوات الإسرائيلية .

وفعلا نجح فى تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير، وبدأ هذا واضحًا عند تنفيذ الصاعقة لواحد من أكبر مشروعاتها التدريبية. وكانت فكرة المشروع التدريبى مبنية على ساس نقل بحرى من الإسكندرية. وإنزال بحرى بالقرب من مرسى مطروح وتنفيذ دورية إغارة على قوة معادية فى منخفض القطارة أى أن القوة المهاجمة ستتحرك برا من مرسى مطروح حتى منخفض القطارة. وخلال تحركها سيتم إسقاط وإمداد جوى. وبعد تنفيذ الإغارة على قوات ومواقع العدو يتم التقاط القوة المهاجمة بطائرات هليكوبتر وإعادتها إلى مواقعها بإنشاص. وبعد تنفيذ هذا المشروع صدر قرار بنقل الرائد صلاح عبد الحليم قائد مدرسة الصاعقة للعمل بمكتب المشير عبد الحكيم عامر .

ثم أصدرت القيادة العامة قرارًا بإعادة تشكيل الصاعقة فى ثلاث مجموعات منفصلة تتبع قيادة القوات البرية التى تم تشكيلها حديثًا بقيادة الفريق مرتجى.

وصدر قراران منفصلان الأول يقضى بتعيين حسن عبد الغنى ملحقًا حربيًا بإندونيسيا وبعدها تم تعديله ليعمل ملحقًا حربيًا بالجزائر، والثانى يقضى بتعيين جلال هريدى قائدًا لقوات الصاعقة.

ولم تمض أيام حتى ثبت فشل فكرة تقسيم الصاعقة إلى ثلاث مجموعات منفصلة فعادت إلى تشكيلها السابق تحت قيادة جلال هريدى .

وعندما انفجرت أزمة ١٩٦٧ وقررت القيادة حشد القوات المصرية فى سيناء دفعت بعدد من كتائب الصاعقة إلى الأردن بقيادة جلال هريدى لتنفيذ عدة عمليات داخل إسرائيل. وعندما نشبت الحرب كانت إحدى الكتائب بقيادة الزفتاوى قد تمكنت من الوصول إلى أسوار القاعدة الجوية باللد، إلا أن الأوامر صدرت للجميع بالانسحاب والعودة. وعاد جلال هريدى بالباخرة إلى مصر .
وفى مصر يتطور الصراع بين عبد الناصر وعامر بعد النكبة التى لحقت بالقوات المسلحة فى يونيو ٦٧ إلى حد محاولة المشير الانقلاب على الرئيس عبد الناصر. ويتورط جلال هريدى وعدد من قادة الصاعقة فى هذه المحاولة الانقلابية التى تنتهى بنحر المشير ومحاكمة المتورطين فى الانقلاب .

الفصل السادس
الموقف بالجبهة بعد يونية ١٩٦٧

١- استمرار الصراع:

التزمت الأطراف العربية وإسرائيل بوضع قرار وقف إطلاق النار موضع التنفيذ بعد أن تمكنت القوات المسلحة الإسرائيلية من إلحاق هزيمة غير مسبوقة وشديدة البشاعة بكل من القوات المسلحة المصرية والسورية والأردنية،

وبهذا الانتصار العسكرى أضافت هزيمة جديدة لسجل الهزائم العربية بوجه عام والمصرية بوجه خاص خلال الصراع العسكرى العربى - الإسرائيلى الذى بدأ فى مايو ١٩٤٨ .

توقف إطلاق النار ولم تنته الحرب لا بالنسبة لإسرائيل ولا بالنسبة لمصر .

كانت إسرائيل تسعى لاستغلال النصر لفرض إرادتها وسلامها على العالم العربى خاصة دول المواجهة. وكانت مصر ترفض ما انتهت إليه معركة يونيه وبدأت تدرك أن الهزيمة هى حصاد سياسات نظام وليست هزيمة للقوات المسلحة التى لم تتح لها فرصة متكافئة للقتال.ولم تنتظر إسرائيل طويلاً فقد عادت لإطلاق النار ومواصلة عملياتها العسكرية اعتبارًا من أول يوليو ١٩٦٧ فى هذا اليوم دفعت إسرائيل سرية مشاه ميكانيكية مدعمة بمدافع هاون وعدد من الدبابات على الطريق الموجود شرق القناة شمال مدينة القنطرة شرق باتجاه مدينة بورفؤاد.

كانت تريد كل سيناء ولم تقبل بوجود هذا الجيب المصرى،وأتيحت الفرصة للقوات المصرية المحدودة الموجودة بمنطقة راس العش لكى تقاتل العدو المتقدم وتوقف تقدمه تمامًا وتحول بينه وبين تدمير الدفاعات والتقدم إلى بور فؤاد. وبالرغم من تفوق الطابور الإسرائيلى المدرع وقوة نيرانه ومن الروح المعنوية العالية التى عاشها القادة والضباط والجنود الإسرائيليون بعد انتصار يونية ٦٧ فإن القوة المصرية العارية من الدرع أحبطت محاولته وألحقت به خسائر كبيرة، وفشلت محاولة التقدم إلى بور فؤاد .

وطوال يومى ١٤ و ١٥ يوليو ١٩٦٧ شهدت الجبهة نشاطًا عسكريًا مصريًا أصاب قوات العدو الموجودة بسيناء بالصدمة والذهول، فلم تكن هذه القوات تتوقع أن تتعرض لأية نيران من الجانب المصرى خلال هذه الفترة القصيرة التى أعقبت هزيمة يونية ١٩٦٧. وكانت هذه القوات تعيش تحت تأثير تقارير الخبراء العسكريين الإسرائيليين الذين أكدوا أن القوات المصرية لن تقوم لها قائمة قبل ١٠ سنوات.

وفى هذين اليومين نفذت وحدات المدفعية بالجبهة قصفات نيرانية قوية ومؤثرة، أما المفاجأة الحقيقية فكانت من نصيب القوات الجوية التى نفذت عمليات إغارة جوية على امتداد الجبهة وفى عمق سيناء. واشتركت فى هذه العمليات أسراب من القاذفات والمقاتلات القاذفة وأدت هذه العمليات إلى فرار وحدات إسرائيلية فى اتجاه الحدود المصرية الإسرائيلية. وكانت القيادة الإسرائيلية يمكن أن تتوقع أى شىء إلا أن تعود القوات الجوية المصرية إلى سماء مسرح العمليات فى هذا التوقيت،وما ذلك إلا لأنها كانت على يقين أنها أخرجت القوات الجوية المصرية من المعركة فى الساعات الأولى من صباح ٥ يونيه ١٩٦٧. وأدت هذه العمليات التى شاركت فيها القوات الجوية والمدفعية إلى إسكات مدفعية العدو ومنعه من إنزال قوارب فى القناة لإتمام الاستيلاء على منطقة ومدينة بور فؤاد التى ظلت فى حوزة مصر.

وبعد ذلك بأربعة أيام تسللت مجموعة إسرائيلية إلى الغرب وتمكنت من نسف خط السكك الحديدية الواصل بين الإسماعيلية وبورسعيد فيما بين علامتى الكيلومتر ٥١ و٦٠ وتمت هذه العملية ليلة ٤/٥يوليو ١٩٦٧ .

أما الغارة التى نفذتها القوات الجوية المصرية يوم ١٤ يوليو، فقد كانت مؤثرة على كل المستويات، كما أدت الى تدمير ٨٨ دبابة و ١٥ عربة نصف جنزير و ٦ سيارات نقل ثقيل وتدمير طابور مدفعية من عيار ١٥٥ مم وإسقاط ٣ مقاتلات ميراج وتدمير ٣ قوارب بحرية .

وقد ردت إسرائيل يوم ١٥ يوليو ١٩٦٧ بالإغارة جوًا على مستودعات البترول بالزيتية ـ مصنع تكرير البترول بالسويس ـ وأصابت حوالى ٦ فناطيس .

وردًا على إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات يوم ١٩٦٧/١٠/٢١ صبت المدفعية والدبابات الإسرائيلية نيرانها على مصنع تكرير البترول بالسويس «الزيتية» وصاحب ذلك إطلاق مجموعة صواريخ أرض -أرض يوم ١٩٦٧/١٠/٢٤، وظلت النيران مشتعلة به لمدة أربعة أيام متواصلة. وألحق القصف المعادى أضرارًا كبيرة بالمصنع، فتقرر نقله أو نقل ما تبقى منه إلى خارج منطقة القناة وفى نفس الوقت تقرر تهجير المدنيين من منطقة القناة حتى لا يتحولوا إلى رهينة تحت رحمة النيران الإسرائيلية .

وفى يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ فتحت جميع وحدات المدفعية ومدافع الهاون على امتداد القناة نيرانها على مواقع العدو شرق القناة للرد على قصف مدفعيته لمدن القناة، واستهدفت العملية إسكات مدفعية العدو وتدمير صواريخه وأسفرت عمليات القصف عن تدمير عدد ١٤ دبابة و ٦ عربات نصف جنزير و ٦ سيارات نقل ثقيل و٢٨ برج مراقبة بالإضافة إلى إسقاط ١٩ بطارية مدفعية وإلحاق أضرار بدشم العدو الأمامية .

يوم ٢٦ أكتوبر١٩٦٨ قصفت وحدات المدفعية والصواريخ مواقع العدو المواجهة لمدن القناة لتدمير قواعد صواريخ فى إطار الانتقال إلى مرحلة الدفاع الوقائى وأسفرت العملية عن تدمير ١٠ مواقع صواريخ و١٠ دبابات و ١٤ عربة نصف جنزير و ٢٨ دشمة و ٦ مخازن ذخيرة و ٣ مدافع عيار ١٠٦ مم .

وليلة ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ - ١ نوفمبر ١٩٦٨ تمكنت طائرتان عموديتان «هليكوبتر» إسرائيليتان من الوصول إلى منطقة قريبة من قناطر نجع حمادى وبعد هبوطهما

اندفعت مجموعة من القوات المحمولة جوًا الى محطة محولات الكهرباء وقناطر نجع حمادى وكوبرى قنا وأسفرت العملية عن نسف ٦ محولات كهربائية وتدمير جزء بسيط من القناطر والكوبرى، وأعادت إسرائيل الكرة يوم ٢٩ إبريل ١٩٦٩ حيث أسقطت طائرة هليكوبتر ٨ عبوات عائمة، أربعة منها استهدفت قناطر نجع حمادى واستهدفت العائمات الأربع الأخرى كوبرى إدفو وكان الهدف من محاولة نسف القناطر إغراق مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية والتلويح بإمكانية إغراق مساحات أكبر وتدمير مئات القرى وتشريد مئات الألوف من المواطنين، بتدمير المزيد من القناطر إذا ما واصلت مصر معارك الاستنزاف. وفشلت المحاولة ولم تصب القناطر بأى أذى ولحق التدمير بجزء من الكوبرى وفى اليوم التالى مباشرة أى يوم ٣٠ إبريل ١٩٦٩ تم إبرار مجموعة محمولة جوًا من هليوكوبتر جنوب محطة محولات نجع حمادى وأسفرت العملية عن نسف برجى ضغط عالى وكان الهدف قطع تيار كهرباء السد العالى.

وتمكنت قوات الصاعقة التابعة للجيش الثالث الميدانى من تنفيذ إغارة قوية على موقع للعدو جنوب البحيرات مما أدى الى تدمير موقع فصيلة مشاة للعدو وقتل ٦ أفراد وأسر جندى إسرائيلى وعندما حاولت ثلاثة قوارب إسرائيل عبور القناة يوم ١٣ مايو ١٩٦٩ وهى تحمل فصيلة مشاه لمهاجمة بعض المواقع المصرية غرب القناة تعرضت لنيران القوات المصرية مما أدى إلى إحباط المحاولة وإغراق قارب إسرائيلى.

وإذا كانت القيادة الإسرائيلية قد وسعت من نطاق عملياتها وبدأت تهاجم أهداف فى العمق فى صعيد مصر مثل قناطر نجع حمادى ومحطة محولات نجع حمادى وكل من كوبرى قنا وأدفو فإنها أرادت بذلك الضغط على القيادتين السياسية والعسكرية لمصر وإحراج القيادة السياسية أمام الشعب المصرى وإشعارها أنها تستطيع أن تصل وتضرب فى أى مكان .

وخلال هذه المرحلة لم تكن مصر تملك وحدات كافية من أسلحة الدفاع الجوى خاصة الصواريخ المضادة للطائرات للدفاع عن العمق المصرى كما كانت القيادة الإسرائيلية تستهدف تشتيت انتباه القيادتين السياسية والعسكرية ودفعها

إلى بعثرة قواها ولم تكتف القيادة الإسرائيلية بذلك بل بدأت تتجه إلى الساحل الغربى لخليج السويس والبحر الأحمر وكان حجم القوات المسلحة المنتشرة بهذه المنطقة محدودًا وكانت أولى العمليات الإسرائيلية فى هذه المنطقة ليلة ١-٢ يوليو ١٩٦٩، حيث أغارت مجموعات محمولة جوًا بعد إبرارها من طائرات عمودية «هليكوبتر» على نقطة مراقبة جوية بالنظر ونقط هجانة فى المنطقة بين الزعفرانة ورأس غارب وأسفرت العملية عن سقوط عدد ١١ شهيدًا و ٣ جرحى بالإضافة إلى تدمير المعدات والأسلحة واشتعال الحرائق فى الخيام .

وفى ليلة ٢٣-٢٤ يونيه ١٩٦٩، أغارت عناصر من وحدات المشاة المصرية على النقطة ١٤٦ شرق القناة وتمكنت من تدمير موقع العدو وقتل وإصابة ١٥ فردًا.

وفى يوم ٧ يوليو ١٩٦٩ تمكنت عناصر من المشاة تابعة للجيش الثانى الميدانى من تدمير دفاعات العدو فى موقع لسان التمساح .وفى اليوم التالى أغارت مجموعة من قوات الصاعقة بالجيش الثانى على موقع صواريخ للعدو أمام الإسماعيلية وتمكنت من تدميره .

أما يوم ١٠ يوليو ١٩٦٩ فقد شهد عملية إغارة قوية على موقع العدو بلسان بور توفيق قامت بتنفيذها عناصر من الصاعقة وتمكنت القوات المصرية من تدمير ٤ دبابات وقتل ٣٠ فردا والحصول على أسير .

وليلة ١٩-٢٠ يوليو ١٩٦٩ أغارت قوات برمائية إسرائيلية على الجزيرة الخضراء التى تقع فى نهاية خليج السويس وفى مواجهة مدينة السويس، أى فى مدخل قناة السويس من الجنوب (وتشكلت القوى البرمائية من مائة فرد كوماندوز، وثلاثين ضفدعًا بشريًا حملتهم ٤ قوارب فى حماية مجموعة من اللنشات المسلحة الإسرائيلية وأتت هذه العملية ردًا على عملية لسان بور توفيق وقد تمكنت القوة المهاجمة من تدمير الأسلحة والمعدات ولم يتمكن العدو من تحقيق أهدافه بالكامل. ويمكن اعتبار ما تحقق من نجاح جزئى فشلاً للعملية، وما يضاعف من حجم الفشل ارتفاع رقم خسائره البشرية الذى بلغ ثلاثين فردًا بالإضافة إلى إغراق ٣ قوارب .

أما القوات الجوية الإسرائيلية فقد نفذت هجمات جوية مركزة على كتيبتى الصواريخ المضادة للطائرات فى بورسعيد والعين السخنة وتمكنت من إلحاق تدمير جزئى بالكتيبتين.

كما شهد يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٩ مجموعة من الهجمات الجوية المركزة نفذها كل من السلاح الجوى المصرى والإسرائيلى واستهدفت الهجمات الجوية الإسرائيلية كتائب الصواريخ المضادة للطائرات فى المحسمة و (أبو سلطان) وجنيفة والسويس.وقد خصصت القوات الجوية الإسرائيلية ٦ طائرات لكل كتيبة صواريخ وذلك لإحداث ثغرة فى نظام الدفاع الجوى المصرى، أما القوات الجوية المصرية فقد قامت بالهجوم على مواقع صواريخ مضادة للطائرات من طراز هوك وموقع كتيبة مدفعية ميدان على الطريق الأوسط ومراكز قيادة العدو وتجمعاته فى منطقة أم خشيب.وقامت بهذه المهمة أربعة أسراب قاذفات مقاتلة.

وعاودت القوات الجوية المصرية مهاجمة قوات العدو شرق القناة يوم ٢٧ يوليو ٦٩ للرد على هجمات العدو الجوية. وشهدت أيام ٢٠و٢٢و٢٤و٢٥و٢٧و٢٨ يوليو ١٩٦٩ إغارات جوية متتالية استهدفت مجموعة من المواقع المصرية غرب القناة والمقاتلات المصرية التى تتدخل أو يمكن أن تتدخل للحيلولة بينها وبين الوصول لأهدافها .

وتركزت الهجمات الجوية فى هذه الفترة على مواقع القوات المصرية فى الكاب والتينة والكيلومتر ١٠ شرق وغرب القناة شمالاً ولسان بورتوفيق جنوبًا، ومن أهداف هذه الإغارات الجوية قطع الترعة الحلوة عن بورسعيد وضرب الروح المعنوية للقوات المصرية بالضغط المتواصل عليها، هذا بالاضافة إلى الخسائر المادية المستهدفة فى البشر والمعدات.وأسفرت هذه الهجمات الجوية عن تدمير جزئى ببعض مواقع كتائب المشاة والصاعقة وقطع طريق القنطرة - بورسعيد، وقطع الجسور الموجودة على الترعة فى المسافة الممتدة جنوب بورسعيد، وقطع الأنابيب الموصلة للمياه الى بورسعيد .

٢- المدمرات تهاجم منطقتى رمانة وبالوظة ليلة ٨و٩ نوفمبر ١٩٦٩

تقرر خروج القطع البحرية المصرية لضرب مواقع العدو ومنشآته فى الأرض المحتلة بمنطقتى رمانة وبالوظة على الساحل ٤٠كيلو مترًا شمال شرقى بور فؤاد ... كانت منطقة رمانة آنذاك منطقة شئون إدارية ومخازن وقود وذخيرة ووحدات مدرعات ومدفعية ومشاة وقوات ناحال فى مستعمرة شبة عسكرية .. ووحدة رادار .

أما منطقة بالوظة فكانت تضم مطارًا وبطارية صواريخ هوك، ومركز قيادة القطاع الشمالى ووحدات مدرعات ومدفعية ومخازن وقود وذخيرة.

وبدأت قيادة القوات البحرية تخطط للعملية .. كجزء من معارك الاستنزاف وكان واضحًا ومفهومًا منذ البداية أن نجاح العملية يتوقف على تنفيذها بسرعة وكفاءة لتحقيق أكبر قدر من النتائج وعودة القطع المشتركة فى العملية سالمة الى قواعدها ..

ولكى يمكن تحقيق ذلك فى تقدير قيادة القوات البحرية .. لم يكن هناك بدأ من مفاجأة العدو..والمفاجأة تتحقق بالسرية المطلقة ... أعلى درجات السرية .. مع اختيار مكان للعملية لا يتوقع العدو فيه أية عمليات.واختيار توقيت لا يتطرق إلى العدو شك فى احتمال تنفيذ أية عمليات خلاله خاصة هذه العملية.

وبالتأكيد كان العدو خلال هذه الفترة يتوقع أن يتعرض للهجوم باستمرار.ولكن كانت كل توقعاته عن العمليات المصرية أنها تأتى من الجو أو من دوريات العبور .أو من الفدائيين التابعين لمنظمة سيناء.وكان العدو فى الوقت نفسه يظن أن هذه المنطقة فى مأمن من النيران المصرية .

ولتحقيق المفاجأة رأت القيادة البحرية أن تبدأ العملية فى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل خلافًا للمتعارف عليه فى العلوم العسكرية التقليدية، وهو أن تبدأ العمليات مع أول ضوء أو آخر ضوء .

ولتحقيق سرية التخطيط والتنفيذ، راعت القيادات المختلفة المشتركة فى العملية ألا تكون هناك اتصالات تليفونية أو لاسلكية بل يتم تبادل رسائل مكتوبة بالأوامر المختلفة وبأيدى القادة أنفسهم ويسلمها بعضهم الى بعض مباشرة .

ولم تكن هناك أدنى فرصة لتسرب المعلومات نتيجة لهذا التخطيط فقائد لواء المدمرات يحتفظ فى مكتبة بالأمر الصادر إليه من قائد القوات البحرية بتنفيذ العملية وتوقيتها مكتوبًا فى ورقة صغيرة بخطه وقد تسلمها منه شخصيًا إمعانًا فى السرية. يقول الأمر الكتابى:

«من قائد القوات البحرية إلى قائد لواء المدمرات شعبان ٨ بالتوفيق بإذن الله»

«محمود فهمى»

وشعبان هو الاسم الشفرى للعملية.. و ٨ هو تاريخ تنفيذها... أما قائدا المدمرتين اللتين تقرر أن تنفذا العملية فلم يكونا على علم بها خلال هذه المرحلة وخلال اجتماعات قيادة القوات البحرية تقرر أن تقوم المدمرات بتنفيذ مهمتها محاطة بحراسة بوحدات بحرية .

ويرجع اختيار المدمرات دون القطع البحرية الأخرى إلى أنه يمكنها العمل منفردة أو ضمن تشكيل.كما أنها تستطيع أن تصب على العدو نيرانًا هائلة .

واختيرت المدمرات من طراز سكورى الروسية الصنع وكل مدمرة منها مسلحة بأربعة مدافع ثقيلة عيار ١٣٠ مم كما أنها تمتاز بأنها تملك إمكانية كبيرة للدفاع عن نفسها ضد الهجوم البحرى أو الهجوم الجوى ...أما اختيار قطع الحراسة فكان لتوفير الوقت الكافى للمدمرات لتحقيق أهداف العملية.وحتى لا يضيع وقتها فى العمل ضد أى تدخل بحرى.ففى استطاعة قطع الحراسة قطع الطريق على أى تدخل .

وزيادة فى السرية فقد استمرت المدمرات فى أداء تدريباتها الروتينية.وفى هذه اللحظة تلقى رجال المدمرتين أمرًا بالاستعداد لرحلة تدريبية يقوم فيها قائد القوات البحرية بالتفتيش عليها، وعندما اقترب موعد التحرك ومغادرة الميناء. تلقى رجال المدمرات من قائد القوات البحرية أنه لن يتمكن من التفتيش عليهم بنفسه. وسينوب عنه فى ذلك قائد المدمرات، وأبحرت المدمرات، ولا أحد من رجالها يعلم شيئًا عن المهمة الحقيقية أو أهدافها.

وكان على ظهر كل من القطعتين البحريتين خبير روسى. وقد طلب اللواء بحرى محمود فهمى عبد الرحمن قائد القوات البحرية خلال التخطيط للعملية

إنزالهما إلا أن الفريق محمد صادق رئيس أركان القوات المسلحة رفض الأخذ بهذا الرأى موضحًا أن مثل هذه الخطوة قد تكشف لهما أو لغيرهما أن خلف خطة الإبحار سببًا ما أو عملية جرى التخطيط لها غير ما هو معلن.

ولم يكن لدى أى من القائدين أو الضباط بالطاقمين فكرة عن خطة ضرب بالوظة.. وكان الجميع يتصورون أنها عملية دورية الى بورسعيد ..

وكان لدى القائدين أوامر بفتح المظاريف المسلمة لهما أمام دمياط ولم يكن أحدهما يتصور ما تحتويه هذه المظاريف وعندما مرَّ أمام دمياط فتحا المظاريف وعرف كل منهما بالعملية لأول مرة .

وفى أعالى البحر المتوسط وفى موضع بين الساحل المصرى والساحل المحتل تحدث قادة المدمرات الى رجالهم مصرحين لهم - لأول مرة - بأنهم فى الطريق لتنفيذ مهمة قتالية .

وخلال الإبحار كانت الخطة تستهدف أن تبدو القطع البحرية وكأنها فى دورية حراسة عادية. ووصلت المدمرتان الى قرب المنطقة التى سيبدأ منها الاشتباك. وفى هذه اللحظة تحدث القادة الى رجالهم للمرة الثانية محددين لهم المهمة ومتى تبدأ .

وواصلت القطع البحرية طريقها طبقًا لخط السير المحدد حتى اقتربت ساعة بدء المهمة.. أو «ساعة س» بالاصطلاح العسكرى البحرى.. فغيرت طريقها للمرة الأخيرة فى اتجاه الهدف مطفأة الأنوار تمامًا ...

وعندما حانت ساعة «س».. أصدر القائد أمره بالاشتباك.. وكانت الخطة تقضى ببدء القصف فى الساعة العاشرة مساء ... وفعلاً جرى القصف وفقًا للخطة.. ولمدة ١٨ دقيقة كما هو محدد..

فى هذا اليوم كانت القاهرة تشهد اجتماعًا لمجلس الدفاع العربى. وكانت مناقشات كثيرة تدور حول موعد بدء الصيام: السعودية أعلنت الصيام ومفتى الجمهورية يعلن أن رؤية هلال شهر الصوم لم تثبت .

وكانت شوارع القاهرة مزدحمة كالعادة بحياتها اليومية..

وبدأت المدافع الثقيلة فى المدمرات تصب نيرانها وبأعلى معدل لها ورجالها لا يفكرون فى شىء الا أداء واجبهم بكفاءة وإخلاص وكان هناك تنسيق مع رجال المدفعية فى الجبهة بالقطاع الشمالى وكان للمفاجأة أثر بالغ فى إنزال أكبر قدر من الخسائر بالعدو.. معدات وأجهزة وأفراد .

واستمر القصف دون تدخل من العدو وعلى مسافة حوالى ٣٠ ميلاً بحريًا شاهد رجال المدمرات ألسنة اللهب ترتفع من مواقع العدو واستمرت هذه النيران ساعات بعد انتهاء القصف ..

إن المنطقة التى قصفتها المدمرات فى رمانة وبالوظة سبق أن قصفتها لنشات الصواريخ المصرية يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ لتقطع طريق التقدم على المدرعات الإسرائيلية، وهى منطقة وسط طريق ضيق يحدد شرقًا سهلاً من الرمال الناعمة المتشربة للمياه والتى لا يمكن التحرك عليها. ويحده غربًا البحر المتوسط. وقد أدت عملية لنشات الصواريخ فى ذلك اليوم إلى اكتشاف الإسرائيليين لسفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» وقصفها جوًا وبحرًا، مما أشاع نبأ وجود سفينة تجسس أمريكية فى ميدان الصراع بالشرق الأوسط .

وبانتهاء عملية القصف طبقًا للخطة بدأت المدمرات تستدير فى طريقها للعودة مراعية الإظلام التام والانتشار والتمويه والسير فى خط يختلف عن التقديرات المنتظرة من العدو .

وقد ظن العدو فى البداية أن بالوظة تعرضت لقصف جوى، وبدأ مسح المنطقة بحثا عن طائرات الهجوم الجوى، وخسر العدو وقتًا ثمينًا جدًا، وعندما اكتشف أن بالوظة تعرضت لقصف بحرى، كانت القطعتان قد ابتعدتا عن المنطقة كثيرًا.. وأرسل العدو ٨٥ طائرة للبحث عن القطعتين وإغراقهما انتقامًا لما حدث .....

وفعلاً أكتشفت الطائرات وجود قطعة من القطعتين بعد أن أضاءت مساحة هائلة من البحر المتوسط بالمئات من المشاعل المضيئة وبدأ الهجوم الجوى عليها بمعدل طلعة كل ١٥ دقيقة .

وهنا.. جاء دور الدفاع الجوى فوق سطح المدمرة للاشتباك مع العدو ...

وخلال هذه الهجمات التى استمرت ٥٠ دقيقة تمكنت نيران المدفعية المضادة للطائرات من إصـابة طائرتين من طراز سكاى هوك .شـوهدت إحداهمـا وهى تنفجر فى الجو وتسقط فى المياه .

ثم تمكنت الطائرات الإسرائيلية نتيجة لإضاءة المنطقة والبحث المستمر من الاهتداء إلى المدمرة المصرية الثانية بعد أن اقتربت جدًا من المياه الإقليمية ولم تتعرض هذه المدمرة لأية خسائر .

وكان الفريق محمد صادق رئيس الأركان يدخر مفاجأة أخرى للعدو، فقد أرسل طائرة قتال ليلى من طراز ميج ٢١ .. اشتبكت مع الطائرات المهاجمة وأطلقت صواريخها عليها ولم يتصور العدو الجوى أنها طائرة واحدة. فكيف لطائرة أن تهاجم قوة هجوم جوى تضم ٨٥ طائرة.. وفقدت قوة الهجوم الجوى الأسر إيقاع الهجوم حتى تتمكن من طرد هذه الطائرات المصرية من سماء المنطقة ...

وعادت الطائرة المصرية الوحيدة .

خلال هذه الفترة القصيرة، أخذت كل من القطعتين اتجاها فى إبحارها للتخلص من الهجوم الجوى، إحداهما فى اتجاه الشرق والأخرى فى اتجاه الشمال الشرقى ...

وفى الوقت نفسه أمر محمد صادق بإضاءة مدينة بورسعيد إضاءة كاملة ...

وللمرة الثالثة يبتلع العدو الطعم ويتوقع أن تتجه القطعتان إلى قاعدة بورسعيد البحرية.. وهذا بالتحديد ما استهدفه محمد صادق.. واتجهت الطائرات للبحث عن القطعتين فى هذا الاتجاه .

كل هذا كان يحدث فوق مسرح العمليات ولم يكن أحد بقادر على أن يتصور نهاية هذه العملية.. وفى الساعة الرابعة صباحًا وصل بلاغ من نقطة ملاحظة عند الطابية بمنطقة رشيد يفيد مرور قطعتين بحريتين معاديتين فى اتجاه الإسكندرية ..

وطلب محمد صادق التأكد..قطعة واحدة أم قطعتين.. وجاء تأكيد البلاغ عن قطعتين فحمد الله.. إلا أنه لم يتصل برئيس الجمهورية حتى يتأكد تمامًا أنهما القطعتان المعنيتان ...

وفى الساعة الخامسة أفادت قاعدة أبى قير عن اتجاه قطعتين بحريتين مصريتين إلى قاعدة الإسكندرية.. فتأكد محمد صادق من عودة القطعتين سالمتين. فاتصل برئيس الجمهورية وأبلغه بنجاح العملية تمامًا ..

واستأذن فى استقبالها باحتفال كبير فوافق.. وأن طلب إخباره بالخسائر فاتصل محمد صادق بقائد البحرية وطلب منه أن يخرج إلى البحر لاستقبال القطعتين وأن يشترك فى الاستقبال أكبر عدد من القطع البحرية الموجودة، وأن يعد استقبالاً كبيرًا لحظة وصولهما إلى الشاطئ، وأن تضاء الإسكندرية، وأن يجرى إبلاغه بالخسائر.. باصطلاحات كودية ...

واتصل محمود فهمى بمحمد صادق ليخبره أن الخسائر جرح جندى واحد من رجال الدفاع الجوى على سطح المدمرة نتيجة إصابة السطح بصاروخ واحد كان هو كل ما نجحت القوى الجوية المعادية فى تحقيقه..كل هذا كان يجرى والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية يتوقع فشل العملية، لذلك ابتعد تمامًا عن المسرح تاركًا المسئولية كاملة ليتحملها محمد صادق ..

وصدر أول بيان إسرائيلى عن الهجوم البحرى المصرى فى الساعة الرابعة صباحًا بعد خمس ساعات من بدء الهجوم .

وصدر أول بيان مصرى فى الساعة السابعة من صباح يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٩ ، وقبل أن تصل القطع البحرية إلى الميناء بساعة وخمس وعشرين دقيقة .

ووصفت السلطات والصحافة الإسرائيلية العملية البحرية المصرية بحادث الليلة الخطيرة جدًا . وتعقيبًا على الهجوم قال موشى ديان للصحفيين: «من المستحيل إغلاق جبهة وشاطئ طويلين جدًا إغلاقًا محكمًا» .

والعنصر الأهم فى هذه العملية هو الجسارة سواء من جانب رئيس الأركان أو قائد القوات البحرية أو قائد لواء المدمرات أو قادة المدمرات فالكل كان يعلم أن المدمرات ستتجه بعيدًا عن مظلة الدفاع الجوى المصرى، وأن وسائل الدفاع الجوى بالمدمرتين لا تكفى وحدها لمواجهة هجوم جوى معادى خاصة خلال رحلة العودة التى تستغرق وقتًا ليس بالقصير، ومع ذلك أقدموا على تنفيذ هذه العملية الجسورة وكان اعتمادهم على شجاعتهم وكفاءتهم بالإضافة إلى عنصر المفاجأة.

٣- أغنية سام

كانت الطائرة الفانتوم أحدث طائرة قتال أمريكية فى ذلك الوقت تتمتع بتسليح ممتاز وحمولة كبيرة من القنابل والصواريخ وذات سرعة عالية ومدى كبير وقدرة على المناورة غير مسبوقة. أما تجهيزاتها الإلكترونية فكانت شيئًا جديدًا تمامًا فهى تشمل أجهزة إعاقة الكترونية متطورة ولم يكن ذلك هو المهم ولكن الأمر الخطير هو منظومة التحذير من الدفاع الجوى المعادى وكانت هذه المنظومة تحتوى على أجهزة استقبال وحواسب إلكترونية وبمجرد أن تدخل الطائرة الفانتوم فى مجال الكشف الرادارى المصرى يلتقط جهاز الاستقبال الطاقة التى تشعها أجهزة الرادار ويخطر الطيار بذلك، وعندما يتم إطلاق صاروخ يقوم جهاز الاستقبال بالتقاط الأوامر التى توجه هذا الصاروخ وينذر الطيار بذلك، ويبدأ الكمبيوتر فى إجراء مجموعة من الحسابات تشمل مكان الصاروخ والطائرة وسرعة كل منهما وقدرتهما على المناورة ومجموعة أخرى من العوامل، وفى اللحظة المناسبة يصدر أزيزًا معينًا أسموه «أغنية سام» كما تظهر على الشاشة الإليكترونية أمام الطيار التعليمات اللازمة للمناورة ولتفادى الصاروخ المصرى.وفى أثناء المعركة الكبرى التى جرت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩، كانت الصواريخ تنطلق فى الوقت المناسب وتوجه بدقة، ومع ذلك لم تكن تصيب طائرات الفانتوم .

وبعد المعركة مباشرة عكف المسئولون على دراسة تفاصيل التجهيزات الإليكترونية لهذه الطائرة فتبينوا وجود منظومة التحذير، وكانت هذه المرة الأولى التى تجهز فيها الطائرات بمعدات تحذيرًا وتمكن عدد من الضباط من ابتكار أسلوب لخداع هذا الجهاز الجديد.. وفى أول اشتباك جرى بعد ذلك تم إسقاط أول طائرة فانتوم.. وعند استجواب الطيار الأسير قال: «لقد سمعت أغنية سام ونفذت ما أمر به الكمبيوتر بدقة ولكنى فوجئت بالصاروخ يتجه نحو الطائرة مما اضطرنى إلى القفز بالمظلة» .

وبدأت القيادة فى استثمار هذا النجاح والذى لاشك فيه أن عام١٩٦٩ رغم قسوته كان للقاعدة التى انطلق منها فكر مصرى كان أساسًا لمدرسة دفاع جوى

حديثة ظهرت فى حرب أكتوبر وشهدت بكفاءتها معاهد الدراسات الاستراتيجية فى العالم أجمع. ولكن الجبهة كانت مازالت بلا غطاء وكان من المهم بناء حائط صواريخ أى منظومة كاملة للدفاع الجوى بالجبهة .

وبمجرد أن بدأ العمل فى بناء المواقع انهالت تصريحات قادة إسرائيل معبرة عن إصرارهم على منع مصر من إدخال صواريخها إلى الجبهة أو السماح بإنشاء أى تجهيزات هندسية لاستقبال هذه الأسلحة.

ففى٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح حاييم بارليف لمجلة تايم الأمريكية بقوله إن صواريخ سام ليست دفاعية وأن مجرد إقامة هذه الصواريخ سيعطى مصر قوة هجومية وسيخلق لديها شعورًا بالحرية لفعل ما تريد .

وفى اليوم التالى مباشرة قال إيجال ألون: «إن إسرائيل تنوى القيام بأقصى مجهود للحيلولة دون إقامة شبكة الدفاع الجوى المصرية. وإن السيطرة الإسرائيلية فوق منطقة القناة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها وأن خطتنا هى متابعة القصف الجوى لمنع إقامة شبكة دفاعية جديدة أو ترميم الشبكة القديمة» وفى ١٠ مايو صرح موشى ديان قائلاً: « إن إسرائيل لن تسمح بإقامة شبكة صواريخ مضادة للطائرات فى منطقة القناة ».

وأصبحت الصورة واضحة كالشمس فى منتصف شهر يوليو ..فالقادة فى كل من مصر وإسرائيل يعلمون علم اليقين أن القوات المسلحة المصرية لا يمكن أن تعبر القناة وتهاجم المواقع الإسرائيلية فى سيناء دون حماية من الصواريخ، ولهذا فهو أمر حتمى بالنسبة لمصر وعلى العكس بالنسبة لإسرائيل.وتحول الموضوع إلى صراع سافر وعنيف بين إرادتين .

وكانت الكمائن فكرة جيدة بلا شك.. إذا نجحت.. غير أن هذا النجاح يتوقف على مجموعة من الشروط كان من الصعب تحقيقها، لقد نجحت بالفعل فى فيتنام عندما توفرت هذه الشروط وخاصة وجود الغابات التى تساعد على إخفاء المعدات، أما فى مصر فإن مسرح العمليات يختلف .

وكانت العقبة الرئيسية أمام تنفيذ هذه الكمائن بنجاح تتمثل فى حجم وعدد مكونات كتيبة الصواريخ سام -٢، فقد صممت هذه النوعية للدفاع عن المدن

والأهداف الحيوية الثابتة وتتكون من مجموعة ضخمة من الأجهزة والمقطورات والهوائيات كبيرة الحجم ثقيلة الوزن يصلها ببعض مجموعة كبيرة من الكوابل ويحتاج فك هذه المعدات والهوائيات وتجهيزها للتحرك إلى ساعات وساعات، ويلى عملية التحرك تركيب الهوائيات ونشر المعدات وفرد الكوابل وتوصيلها وأخيرًا فحص واختبار مئات الدوائر الإليكترونية التى لا بد أن تختل بسبب التحرك على طرق وعرة والمشكلة ليست فى إمكان تنفيذ هذه الإجراءات ... ولكن فى الوقت..إذ كان من المحتم أن تتم العملية كلها فى الظلام وفى ليلة واحدة. وبحساب الأزمنة القياسية الموضوعة فى الكتب الخاصة بهذه الكتائب وإضافة الوقت اللازم للتحرك، اتضح أن ليلة واحدة لا تكفى وهناك أيضًا شروط يجب توافرها عند اختيار موقع الكمين، من أهمها أن يكون الطريق المحتمل لاقتراب الطائرات المعادية، وعدم توافر هذا الشرط يعنى فشل الكمين لأن الكتيبة لن تظل فى هذا المكان الجديد فى العراء إلا فترة بسيطة ثم عليها أن تنسحب وإلا فإنها سوف تكتشف بواسطة الطائرات المعادية ..فإذا لم تمر الطائرة فى منطقة النيران المؤثرة للكمين فإن العملية بالكامل تصبح بلا جدوى .

قد يكون من السهل أن ننفذ الكمين بوحدات صواريخ ذاتية الحركة ولكن بمثل وحدات سام-٢ فالأمر مشكوك فى نجاحه.. ولكن مصر لم تكن تملك هذه الوحدات الخفيفة ولم يكن هناك بديل آخر .

واتخذ قرار الكمائن بعد منتصف ليلة ١٦ إبريل وخلال أقل من أسبوع تم الإعداد للكمين الأول. وكان من المدهش حقًا أن ينجح الضباط والصف والجنود فى تقليل زمن تجهيز الكتيبة للتحرك والاشتباك إلى أقل من نصف الزمن القياسى المحدد فى كتب التعليم والموضوع للأطقم ذات الكفاءة العالية. وكان هذا يعنى أنهم استطاعوا أن يحولوا الصواريخ سام-٢ الثابتة إلى صواريخ خفيفة الحركة خلال أيام قليلة.وكان التدريب يتم ليلا فقط ونتيجة الاهتمام بكفاءة العربات والجرارات والسائقين وجميع التفاصيل الخاصة بالتحرك، أصبح من الممكن إتمام العملية بالكامل فى ليلة واحدة. وخلال هذه الأيام الأولى تم اختيار الموقع، واتخذت كافة الإجراءات اللازمة وتم كل ذلك فى سرية مطلقة.

وبعد آخر ضوء يوم 23 إبريل بدأت كتيبتان فى التجهيز للتحرك ثم بدأ التحرك ووصلتا إلى مواقعهما الجديدة، وبدأ الإعداد للاشتباك وعند الخيوط الأولى من الفجر كان قد تم ضبط كل المعدات بنجاح وتركزت عيون المقاتلين على الشاشات فى انتظار رؤية تلك النقطة المضيئة الصغيرة التى تدل على وجود الطائرة المعادية، وبعد فترة انتظار لم تستمر طويلاً ظهرت طائرة إسرائيلية شرق القناة وأطلقت كل كتيبة صاروخًا ضدها وتم تدمير الطائرة الإسرائيلية بواسطة الصاروخ الأول ولم تكن الطائرة سوى طائرة الاستطلاع الإليكترونية من طراز ستراتوكروزر. ومثل هذه الطائرة تجهز بكبائن داخلية وبأجهزة استطلاع إلكترونى حديثة وأجهزة تصوير وتصنت لاسلكى وأجهزة إعاقة إلكترونية للصواريخ والتشويش على شبكة الاتصالات. وطاقم هذه الطائرة من المهندسين أصحاب الكفاءة والخبرة فى هذا المجال .

وخلال تنفيذ طائرات الاستطلاع لمهامها اليومية يمكنها اكتشاف أى تطور جديد بالجبهة خاصة فى مجال الدفاع الجوى بالصواريخ وكان إسقاط هذه الطائرة خسارة كبيرة ومفاجأة لإسرائيل خاصة بالنسبة للعنصر البشرى حيث كانت إسرائيل تعتقد أنه لا يمكن إسقاط مثل هذه الطائرة.

ومواصفات هذه الطائرة كالتالى:

١- طائرة نقل استراتيجية أمريكية الصنع .

٢- تعمل بأربعة محركات .

٣- السرعة ٥٠٠ كم/ساعة .

٤-تحمل من ٧٠-٨٠ فردًا .

وهى مصممة للعمل فى مجال الإعاقة والشوشرة.

الفصل السابع
من الهزيمة إلى الاستنزاف

عندما أعلنت مصر التعبئة العامة يوم ١٥ مايو ١٩٦٩ لمواجهة الأخطار المحدقة بسوريا ودفعت بقواتها المسلحة إلى مسرح العمليات بسيناء فى عملية استعراضية بدا واضحًا للمراقبين أن القيادة السياسية المصرية تدفع بمصر على طريق الكارثة .

وكانت أسباب ذلك باختصار تتمثل فى :

١- اختلال التوازن الإستراتيجى للقوات المسلحة نتيجة التورط فى المستنقع اليمنى منذ خريف عام ١٩٦٢، ووجود أكثر من ثلاث فرق هناك بالإضافة إلى أسراب من القوات الجوية وعدد من قطع الأسطول البحرى المصرى .

٢- كان ميزان التوازن العسكرى بين مصر وإسرائيل يميل بقوة لصالح إسرائيل كما وكيفا بل وكانت إمكانيات إسرائيل العسكرية تتفوق بشكل واضح على الإمكانيات العسكرية للدول العربية .

٣- كانت الخطة الاستراتيجية العسكرية «قاهر» التى أقرتها القيادة العامة للقوات المسلحة وصدق عليها الرئيس عبد الناصر بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة فى نوفمبر عام ١٩٦٧ خطة دفاعية بل إن القيادة العامة تحفظت فى ديباجة الخطة وذكرت أن هناك نقصًا فى الإمكانيات يجب استكماله حتى يمكن الوفاء بمتطلبات العمل وفقًا لهذه الخطة .

٤- أكدت كل المعلومات أن المعلومات التى ذكرتها القيادة السورية عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية غير صحيحة على الإطلاق.

والمثير للدهشة أن القيادة السوفيتية أكدت صحة هذه المعلومات وبما يخالف الواقع. وعندما توجه الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى سوريا لاستجلاء الموقف بنفسه وتبين عدم وجود حشود إسرائيلية على الحدود أو حتى وجود ما يشير إلى أن حشودًا من أى نوع كانت موجودة من قبل .

وكان اندفاع الرئيس عبد الناصر لحشد القوات المسلحة فى سيناء وإصراره على صحة المعلومات الخاصة بالحشود الإسرائيلية على الحدود السورية بالرغم من كل التأكيدات التى تنفى وتكذب كل المعلومات المتعلقة بهذه الحشود يحمل أكثر من علامة استفهام .

والأخطر أنه أقدم على ذلك وهو يعلم يقينا حقيقة الموقف العسكرى سواء نتيجة تورط القوات المسلحة فى اليمن أو نتيجة اختلال ميزان القوى لصالح إسرائيل .

وفى ظل حالة الارتباك التى سادت عملية التعبئة والحشد وانتشار الفوضى عل امتداد مناطق الحشد أقدم الرئيس المصرى على إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية اعتبارًا من يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ وبما يعنى تغييره لأمر واقع بالقوة بالإضافة الى أنه يعد عملاً من أعمال الحرب ومثل هذا التغيير لا يمكن أن تقبل به إسرائيل كما أنها لن تقبل بخطوة مصرية على طريق الحرب دون رد مناسب. ومن سير العمليات وما تحقق من انتصار إسرائيلى كاسح وغير مسبوق بدا واضحًا أن إسرائيل كانت تنتظر وتعمل من أجل هذه اللحظة .

وقد أهداها الرئيس عبد الناصر ما كانت تتمناه وتعمل من أجله، أهداها هذا القرار والذى استعدت تمامًا لاستغلاله، فى حين لم يكن هناك أى استعداد على الجانب المصرى لمواجهة ما سيترتب على هذا القرار من نتائج. أى أن الاستعداد الإسرائيلى الذى بدأ بعد نهاية معركة ١٩٥٦ ، كان يقابله تراخ وإهمال واستمرار

سياسة أهل الثقة، والأخطر استمرار الصراع الضارى بين القيادتين السياسية والعسكرية .ومثل هذا الصراع كان يفرض على أطرافه الاهتمام بما يخدم هذا الصراع وتقديمه على أى شىء آخر. وكان النظام ككل يولى قضية أمن النظام كل الاهتمام على حسب أى شىء آخر .

كانت مصر فى الطريق إلى الكارثة فى حين كانت القوات المسلحة والرأى العام المصرى والعربى على يقين من أن الأوان قد آن لدحر إسرائيل وتحقيق انتصار عسكرى كامل يعيد للامة كبريائها وكرامتها التى تمرغت فى الوحل خلال معركتى ٤٨و ٥٦ ، ومن شدة ثقة بعض أفراد القوات المسلحة فى أنهم سيدخلون تل أبيب وحيفا وإيلات وغيرها من المدن الإسرائيلية، حرصوا على الحصول على عناوين محلات المجوهرات لينال كل منهم نصيبه من غنائم الحرب. وأسهم المذيع أحمد سعيد بإذاعة صوت العرب فى تكريس هذا الانطباع ببياناته وأسلوبه فى إذاعة مجريات الأمور بمسرح العمليات .

ولم يكن هناك أدنى شك فى أن سياسة النظام الإعلامية والحرص على إخفاء الحقائق واعتبارها من الأسرار كان العامل الرئيسى فى هذه الأوهام التى سكنت عقول المواطنين. ونتيجة لكل العوامل السابقة ولفشل القيادة المصرية فى إدارة الأزمة على جميع المستويات فضلاً عن عدم وضوح الرؤية أو تحديد الهدف الحقيقى من وراء هذا الحشد وهذه التحركات العسكرية التى لم تتوقف على مسرح سيناء منذ منتصف مايو وحتى صباح الخامس من يونيو ٦٧، أنجزت إسرائيل انتصارها الكبير وألحقت العار بجيوش كل من مصر وسوريا والأردن، وتمكنت من احتلال سيناء والوصول الى الضفة الشرقية لقناة السويس والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة ومرتفعات الجولان. أى أن إسرائيل التى تبلغ مساحتها حوالى ٢٠ ألف كيلو متر مربع قبل يونيو ١٩٦٧ قد تمكنت من احتلال أكثر من ثلاثة أمثال مساحتها .وكما هو معروف فإن مساحة سيناء تبلغ أكثر من ٦٠٠٠٠ كم٢ أى أنها تمثل وحدها ثلاثة أمثال مساحة إسرائيل وفى أعقاب هذا الانتصار أعلن قادة إسرائيل أن معركة يونيو هى المعركة التى أنهت كل المعارك

بين العرب وإسرائيل وأن الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر قد حسم الموقف حاليًا ولعشرات السنين المقبلة .

أما الجنرال موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى خلال تلك الفترة فقد أعلن عن رقم تليفونه بتل أبيب لكى يتصل به من يريد أن يطلب الاستسلام من الزعماء العرب .

وقد عم الفرح الشارع الإسرائيلى بعد أن وصلت قواته المسلحة إلى حافة قناة السويس وضفاف نهر الأردن وإلى مرتفعات الجولان ودفعت بالقوات المصرية والسورية والأردنية بعيدًا عن حدودها مما ترتب عليه إحساس إسرائيل بالأمن التام من أى هجمات أو تهديدات عربية .

أما على الجانب العربى بصفة عامة والمصرى بصفة خاصة، فكانت الصدمة قاسية والإحساس بالنكبة مريرًا وعند مقارنة موقف الشارع العربى والمصرى قبل النكبة وموقفه بعدها يمكن تبين كم الإحساس بالعار والسخط والغضب والامتهان بعد أن تبين حقيقة الأوهام التى كان يعيشها وحقيقة الأكاذيب التى عاش تحت وطأتها .

وبالطبع حرصت القيادة المصرية على تكتم حقيقة نتائج المعركة ولم يعرف أى مواطن أن القوات المسلحة خسرت أكثر من ١٥٠٠٠ ما بين شهيد وأسير ومفقود بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى والمصابين أما الخسائر فى الأسلحة والمعدات فقد بلغت ما يوازى ٨٠٪من حجم أسلحة ومعدات القوات التى انسحبت من سيناء وما يوازى ٥٥٪ من الحجم العام لأسلحة ومعدات القوات المسلحة هذا بالإضافة إلى عدم توافر طائرات يمكنها حماية سماء مصر ومن الجدير بالذكر أن القوات التى انسحبت من سيناء تركت وراءها ما يقرب من ٢٥٠٠٠ قطعة بمحرك بالإضافة إلى عشرات المخازن من الذخيرة وقطع الغيار والأطعمة والمواد الطبية . وهذا الحجم من الخسائر الذى دفعته مصر خلال ساعات، وهى الساعات ما بين لحظة إطلاق الحرب من عقالها ولحظة الانسحاب من سيناء، لم تتحمله القيادة التى دفعت مصر على طريق الكارثة، بل دفعه الشعب من دمه

وقوته حاضرًا ومستقبلاً. فهذه الأسلحة والمعدات تم شراؤها بأموال مصرية دفعها الشعب أو بقروض تحملها ويتحمل عبئها الأجيال الحاضرة والمستقبلية من أبناء مصر.أى أن ثمن الهزيمة فى المجال الاقتصادى لم يكن ثمنًا هينًا أو مؤقتًا وهذا ما لم يتوقف أمامه أى من المراقبين أو المؤرخين .

ولم تكن خسائر النكبة مقصورة على الأسلحة والمعدات والذخائر والأفراد بل امتدت لتشمل كل التشكيلات والوحدات التى تفككت وتبعثرت مما تطلب إعادة تنظيم هياكلها من جديد بكل ما اقتضاه ذلك من جهود خاصة فى مجال المعنويات وإعادة الانضباط. وعندما ألقى الرئيس عبد الناصر خطاب التنحى مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧، لم تكن مصر تملك قوة مسلحة بالمعنى المعروف، أى قوة قادرة على الهجوم أو حتى الدفاع .

كما أن خسارة مصر لسيناء بما فيها من خطوط دفاعية خاصة خط المضايق الذى يعد خط الدفاع الرئيسى عن مصر كان يعنى أن مصر فقدت منطقة الدرع الشرقى الذى يحميها من عدوان الآخرين .

وفرض الموقف على القيادة أن تتحرك بسرعة لإعادة بناء القوات المسلحة والأهم بناء خط دفاعى على القناة فى مواجهة الحضور الإسرائيلى القوى على الضفة الشرقية للقناة .

والذى لا شك فيه أن الفريق أول فوزى كان الشخصية الرئيسية التى أعادت جمع القوات التى تبعثرت ليبدأ بها عملية إعادة بناء القوات المسلحة.كما أنه بشخصيته الصارمة قد تمكن من إعادة الانضباط إلى هذه القوات وتواصل العمل على مجموعة محاور لإنجاز هذه المهمة الصعبة مهمة إعادة بناء القوات المسلحة فى ظل هذه الظروف.

وخلال الفترة الأولى التى أعقبت نكبة يونيو ١٩٦٧، تعرضت القوات الموجودة بالجبهة لضغوط نفسية قاسية وهى ترى القوات الإسرائيلية تتيه زهوًا وغطرسة على الجانب الآخر من القناة ولم تتوان القوات الإسرائيلية عن استفزاز القوات المصرية غرب القناة بكل الأساليب الممكنة .

وقد واجه القادة والضباط والجنود هذه المواقف الاستفزازية بصبر هو الصبر على المكاره. ولكن كثيرًا ما أفلتت أعصاب البعض وواجهوا الموقف بإطلاق النيران على قوات العدو .

وبالرغم من كل العقبات كان من الضرورى ومصر ترفض نتائج نكبة يونيو أن تتواصل عملية إعادة بناء القوات المسلحة ولم يكن هذا البناء ممكنًا فى مجال التسليح إلا بالاعتماد على الاتحاد السوفيتى لاستعواض الخسائر الهائلة فى الأسلحة والمعدات. وفى ٢١ يونيو ٦٧ وصل الرئيس السوفيتى بودجورنى على رأس وفد يضم زاخاروف مارشال الاتحاد السوفيتى ورئيس هيئة أركان حرب القوات السوفيتية لإجراء مباحثات مع مصر ولدراسة أسباب هذه الهزيمة .

وفعلاً قرر الاتحاد السوفيتى مواصلة دعم مصر عسكريًا أما بالنسبة لدراسة أسباب الهزيمة فقد كرث المارشال زاخاروف والوفد العسكرى المصاحب له جهودهم للتوصل إلى الأسباب التى أدت إلى هزيمة يونيو ٦٧. وقد كتب المارشال زاخاروف تقريرًا عما توصل إليه سلم منه نسختين الأولى للرئيس عبد الناصر والثانية لوزير الحربية المصرى .

وتمكنت مصر من بناء أول خط دفاعى بالجبهة قبل نهاية عام ١٩٦٧ وعلى الجانب السياسى، حاولت مصر وباقى دول المواجهة التحرك لاستعادة الأراضى المحتلة وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، الذى قبلته إسرائيل وقبلته مصر وسوريا والاردن. وكان قبول الدول الثلاث للقرار يعنى بدء مسيرة استعادة الأراضى المحتلة بالتفاوض وما يقتضيه ذلك من ضغوط وإشراف دولى خاصة من جانب المنظمة الدولية .

وقد جاءت صياغة القرار ٢٤٢ مرنة وغير محددة تحديدًا دقيقًا حتى يمكن للأطراف المختلفة القبول به وكان اللورد كارينجتون الإنجليزى الجنسية هو الذى صاغ القرار ٢٤٢ مستخدمًا كل خبرته ودهائه وبحيث يمكن لكل طرف أن يجد به من العناصر ما يشجعه على قبوله وتفسيره فيما بعد وفقًا لرؤيته ومطالبه وأهدافه ولكن ما جرى فى سيناء والجولان والضفة الغربية خلال أيام يونيو

١٩٦٧ كان يلقى بظلاله على الجميع، ومع ذلك كان هدف الدول الثلاث مصر وسوريا والأردن تحجيم نتائج الهزيمة والخروج بأقل الخسائر، أما هدف إسرائيل فكان استسلام هذه الدول استسلامًا كاملاً والاعتراف بوجودها لا كدولة بل كقوة إقليمية لها دور وحضور فى شئون المنطقة .

وبالرغم من عدالة المطالب العربية إلا أن المنطق العملى لا يقبل إلا بحقائق الواقع وتوازن القوى. وكانت الجهود الدولية التى بدأت تشق طريقها للتوصل إلى حل لتصفية الصراع العربى الإسرائيلى تضع فى اعتبارها أن السلام بين إسرائيل والعرب لا يمكن أن يتحقق فى ظل احتلال اسرائيل لكل هذه الأراضى العربية وانه لا بد أن تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية أى الانسحاب من معظم الأراضى التى احتلتها مع التسليم بحقها فى الاحتفاظ بمساحة تضمن لها الأمن وذلك تطبيقًا لأهم ما ورد فى القرار ٢٤٢ ألا وهو عدم الاعتداد باحتلال أراضى الغير بالقوة وكان منطقيًا ان ترتفع أصوات عربية تطالب بعقد قمة عربية لمواجهة نتائج يونيو ١٩٦٧ .

وفعلاً انعقدت هذه القمة بالعاصمة السودانية الخرطوم فى أغسطس عام ١٩٦٧ التى انتهت إلى لاءات ثلاثة. ولم يكن لهذه اللاءات من معنى سوى إدارة الظهر للجهود السلمية. ولم تتنبه القيادات العربية بما فى ذلك مصر إلى ما فى هذه اللاءات من تناقض مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

وهذه الازدواجية فى المواقف السياسية لا يمكن أن تجد أى ترحيب من القوى الدولية الرئيسية بل وتدفعها للشك فى نوايا الرئيس المصرى وباقى الرؤساء العرب المعنيين. ولم تكتف مصر بذلك بل قد أقدم الرئيس عبد الناصر على خطوة غير مسبوقة حيث فوض الاتحاد السوفيتى فى القيام بكل ما يراه مناسبًا على طريق الحل السلمى وأن يجرى اتصالاته مع كل الأطراف مفوضًا من مصر.

وكان الرئيس عبد الناصر وهو يتخذ هذا القرار بمفرده ودون استشارة أى من معاونيه أو رجال البلاط، كان يعلم يقينًا أن مثل هذا التفويض سيقرؤه المسئولون فى الولايات المتحدة وباقى دول أوروبا الغربية على أن مصر قد

تحولت إلى واحدة من الدول التى تدور فى الفلك السوفيتى، وأنها لم تعد دولة ذات سيادة تملك قرارها .

وهذه القراءة لا يمكن أن تساعد على أى موقف إيجابى غربى، ومقضع مصر فى دائرة الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية والحرب الباردة الدائرة بينهما والمدهش أن السوفييت كانوا من القوى التى تضغط على مصر لتقديم تنازلات لإسرائيل إذا ما أرادت التوصل إلى حل سلمى وبالطبع فإن ضغوط الاتحاد السوفيتى تكتسب ثقلها من أنها الدولة الرئيسية التى تزود مصر باحتياجاتها من الأسلحة والذخائر والمعدات هذا فى الوقت الذى خسرت فيه مصر أكثر من ٥٥٪من أسلحتها ومعداتها فى معركة ١٩٦٧ .

وكان واضحًا أن الاتحاد السوفيتى يتجنب أى مواجهة مع الولايات المتحدة فى المنطقة، كما أنه كان يؤيد وجود دولة إسرائيل، ودون أن ننسى أن السوفييت كانوا الدولة الثانية التى اعترفت بإسرائيل بعد الولايات المتحدة عام ٤٨ .

وفى نفس الوقت كانت علامات الاستفهام مازالت تحيط بدور الاتحاد السوفيتى فى دفع مصر إلى الانزلاق لمعركة يونيو ١٩٦٧ فى إطار رؤيته لمصالحه الإستراتيجية فى المنطقة، وذلك بعد أن أسهم فى دفع مصر للانزلاق والتورط فى المستنقع اليمنى عام١٩٦٢ .

وإذا كانت الضغوط السوفييتية على مصر لتقديم تنازلات لإسرائيل يتعذر على المصريين فهمها، فإن ضغوط الولايات المتحدة لتقديم تنازلات كانت مفهومة تمامًا نتيجة سياسة الرئيس عبد الناصر وانحيازه بشكل كامل للكتلة الشيوعية.

ومن بين ثنايا النشاط المصرى فى مجال إعادة بناء القوات المسلحة، ولدت معارك الاستنزاف التى استمرت منذ وقف إطلاق النار فى يونيو ٦٧ وحتى وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ وفقًا لمبادرة روجرز - وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت - التى أعلن عبد الناصر قبول مصر لها .



عدد من أفراد المجموعة أثناء التدريب على الرماية.



الرئيس عبدالناصر يتابع نشاط تدريبى للمجموعة فى حضور المقدم إبراهيم الرفاعى.



مقدم إبراهيم الرفاعى ـ رائد أحمد رجائى عطيه ـ رائد عصام الدالى ـ نقيب بحرى إسلام توفيق ـ نقيب يحيى نوح ـ نقيب بحرى وسام عباس حافظ ـ نقيب طبيب عالى نصر ـ ملازم أول بحرى ماجد ناشد ـ ملازم أول رأفت جمعه ـ ملازم أول بهجت خضر ـ ملازم أول محسن طه.

الفصل الثامن
من سجل عمليات الأستنزاف
١ - عملية تفجير تشوينات الذخيرة المصرية بسيناء

كانت نقطة البداية للنشاط العسكرى المصرى خلف خطوط العدو فى سيناء التفكير فى حرمان العدو من الاستفادة من مخزون الذخيرة المصرية الهائل الذى أفادت التقارير أنه يبلغ أكثر من مليون صندوق ذخيرة من أعيرة مختلفة والذى خلفته القوات وهى تنسحب فى فوضى غير مسبوقة تنفيذاً لأمر الانسحاب الصادر من المشير عبد الحكيم عامر شفويًا تنفيذاً لما طلبه منه عبد الناصر بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة. وهذا الأمر الشفوى لم يوثق كتابة، أى ليس هناك أمر انسحاب مكتوب وقد حاولت كل لجان التحقيق فى نكبة يونيو ١٩٦٧ أن تعثر على مثل هذا الأمر دون جدوى. كما أن أحدًا لم يستطع أن يحدد بدقة مسار الأمر الشفوى من القيادات الأعلى إلى المستويات الأدنى .

المهم أن الأمر تم تناقله بصورة عشوائية. والمدهش أن الفريق أول عبد المحسن مرتجى قائد القوات البرية والذى كان يتحمل مسئولياته بمقر قيادته بالجبهة لم يعلم بأمر الانسحاب ولا ببدء انسحاب القوات إلا بعد أن أخبره فرد شرطة عسكرية بمقر هذه القيادة، وبعد أن انسحبت فعلاً معظم القوات التى تعمل تحت قيادته، وقد تجاهل من أصدروا الأمر كل القواعد العسكرية، ولم يهتموا بوضع خطة للانسحاب وفقاً لهذه القواعد ووفقًا لما تضمنته مراجع وكتب العلوم العسكرية .

وكانت القيادة الإسرائيلية قد بدأت فى تجميع الذخائر وقطع الغيار من مخازنها الضخمة وتشوينها تمهيدًا لنقلها إلى إسرائيل. وللحيلولة دون استخدام

إسرائيل لهذه الذخيرة وقطع الغيار ضد القوات المصرية، رأى اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية ضرورة تدميرها خاصة وأن القوات المنسحبة تركت أسلحتها خاصة الدبابات والمدافع سليمة وصالحة للاستخدام، ولو تمكنت إسرائيل من نقل هذه الذخيرة لتوفرت لها الفرصة لاستخدام الأسلحة المصرية ضد القوات المصرية. وقد عرض اللواء صادق اقتراحه على الرئيس عبد الناصر مباشرة، وفى البداية أبدى الرئيس مخاوفه من تنفيذ مثل هذه العملية خاصة وأن مصر أعلنت عن قبولها لوقف إطلاق النار وما يمكن أن تثيره مثل هذه العملية من مشاكل، وقد رد اللواء صادق على كل مخاوف وتساؤلات عبد الناصر موضحا أن من سينفذون العملية سيتم الإعلان أنهم من أبناء سيناء المحتلة الذين لهم الحق فى المقاومة وقال للرئيس إن هناك منظمة تحمل اسم منظمة سيناء العربية قد تشكلت فعلاً وأنها ستتحمل مسئولية هذه العملية .

ولأهمية بل ولضرورة حرمان إسرائيل من استخدام هذه الكميات الهائلة من الذخيرة وافق الرئيس عبد الناصر على تنفيذها .

وسرعان ما أصدر اللواء صادق أوامره للمقدم إبراهيم الرفاعى لتنفيذ عملية تفجير تشوينات الذخيرة شرق القناة.وقد سبق للواء صادق أن استعان بالمقدم إبراهيم الرفاعى لعرقلة تقدم القوات الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلى خلال معركة يونيو ١٩٦٧ لإتاحة الفرصة للقوات المنسحبة لإتمام انسحابها قبل أن تتمكن الطوابير الاسرائيلية المدرعة المتقدمة على الطريق الساحلى من تنفيذ خطة بإغلاق مداخل مضايق سيناء من ناحية الغرب وبالتالى إغلاق طريق الانسحاب أمام القوات المصرية، وقد نجح المقدم الرفاعى فى تنفيذ هذه المهمة وأبدى شجاعة وكفاءة وروحًا معنوية عالية هو ومن كان معه من ضباط وصف وجنود .

وبعد نجاح عملية تفجير تشوينات الذخيرة التى تم تنفيذها والدماء لم تجف بعد على رمال سيناء بدأ التفكير فى عملية أخرى.

وهكذا كانت تلك نقطة البداية لمعارك الاستنزاف ولمولد المجموعة ٣٩ قتال.

بل ويمكن القـول إن عـمليـة عـرقلة الطابور الإسـرائيلى المدرع على الطريق الساحلى خلال معركة يونيو كانت البداية التى تسبق البداية لأنها النقطة التى بدأ بها العمل ضد القوات الإسرائيلية بشكل إيجابى، وهى النقطة التى كشفت عن تميز المقدم إبراهيم الرفاعى وأهليته لتحمل مسئولية تنفيذ مثل هذه النوع من العمليات .

٢- الفكرة ....والهدف:

إن معارك الاستنزاف تعنى سعى القيادات المستمر لإيقاع الخسائر فى قوات الخصم سواء فى أفراده أو معداته أو بنيته الإدارية والفنية وأيضًا فى جبهته الداخلية والتأثير على معنوياته بهدف الوصول إلى مرحلة تفوق كمى ومعنوى عليه تمهيدًا لدحره فى معركة حاسمة تالية.

وغالبًا ما يكون النصر فى حروب الاستنزاف للطرف الأطول نفسًا والأقدر على إجهاد خصمه لأن أى حرب استنزاف ستدفع الطرف الآخر إلى خوض حرب استنزاف مضادة. وهنا يتطلب الصراع صبرًا ونفسًا طويلاً وقدرة على تحمل الخسائر ودفع الثمن من الدمار والقدرات الاقتصادية للدولة ككل لا فى مجال الأسلحة والمعدات فقط .

وتمثل معارك الاستنزاف فرصة جيدة لرفع مستويات الكفاءة القتالية للقادة والضباط والجنود مع مراعاة الاستمرار فى برامج التدريب التى تؤهل القوات لخوض المعركة الرئيسية المتوقعة، أى ألا يؤثر الانشغال أو الانغماس فى معارك الاستنزاف على التخطيط والاستعداد للمعركة المقبلة المتوقعة.

وهناك نوعان من معارك الاستنزاف:

النوع الأول:

وفيه يخطط أحد الأطراف أعمال القتال ويديرها فى إطار إدارة الأزمة لكى يحقق هدفًا سياسيًا وعسكريًا محددًا .

النوع الثانى:

وفيه تتداعى الأحداث بمسرح العمليات نتيجة الظروف الآنية والسابقة بحيث تؤدى فى النهاية إلى تبادل الطرفين للاستنزاف والاستنزاف المضاد .

وفى هذا النوع يراعى الطرفان عدم الانزلاق إلى معركة لم يتم الاستعداد لها بعد.أى أن كل طرف يراعى فى أعماله القتالية عدم التصاعد بها إلى الحد الذى يدفع الطرف الآخر إلى الدخول فى معركة واسعة النطاق لم يستعد لها بعد بشكل كامل أو حتى قريب من الاكتمال .

وقد خاضت مصر وإسرائيل هذا النوع الثانى من معارك الاستنزاف.ومن المعروف أن جبهة القناة فقط هى التى شهدت هذا النوع من المعارك فى حين ظلت جبهتى الجولان فى سوريا والضفة الغربية فى الأردن هادئتين .

وكان إصرار مصر على خوض معركة الاستنزاف يحمل رؤية اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية فى ذلك الوقت الذى أقدم على إقناع عبد الناصر بالعمل خلف خطوط العدو فى سيناء.

وكانت رؤية اللواء محمد صادق كما شرحها للرئيس عبد الناصر، أن معركة يونيو قد انتهت بانتصار إسرائيلى عسكرى واضح ولا يمكن التشكيك فيه أيا كانت أوجه القصور المصرية أو الأسباب التى أدت الى ذلك .

هذا النصر وما صاحبه من انسحاب للقوات الموجودة فى سيناء وما جرى للقوات المنسحبة على أيدى القوات الإسرائيلية سيساعد على تكريس صورة للقائد والضابط الجندى الإسرائيلى على أنه مقاتل «سوبر» فى فكر ووجدان أفراد القوات المصرية المسلحة وأن هذا المقاتل الذى حقق هذا الانتصار من الصعب إلحاق الهزيمة به .

ولو تركت هذه الصورة لأصبح من الصعب أن تخوض مصر أية معركة مقبلة ضد الجيش الإسرائيلى. وقد واجه مونتجمرى مثل هذا الموقف عندما تحمل مسئولياته كقائد للجيش الثامن الإنجليزى خلال الحرب العالمية الثانية، فقد اكتشف أن قواته تحمل إعجابًا شديدًا بالقائد الألمانى روميل الذى ألحق الهزيمة

بكل القادة الذين سبقوا مونتجمرى فى قيادة الجيش الثامن فى معارك شمال إفريقيا حتى وصل إلى مشارف مدينة العلمين المصرية. وكانت المهمة الأولى له هى القضاء على هذا الإعجاب بروميل بين صفوف قواته. وعندما نجح فى ذلك وضع قدمه على بداية طريق الانتصار. ونحن هنا فى مصر، ونحن نواجه هذا الموقف لا طريق لنا إلا أن نعمل على القضاء على هذه الصورة فى فكر ووجدان المقاتلين المصريين، ولن يتحقق ذلك إلا إذا نشبنا أظافرنا بقوة وقسوة فى لحم القوات الإسرائيلية، ولن يتحقق هذا إلا بالعمل خلف خطوط العدو.ومثل هذا العمل لا يمكن أن يقوم به إلا وحدة خاصة يتميز كل أفرادها بالكفاءة القتالية العالية والروح المعنوية المرتفعة والإيمان العميق بالله والوطن.

وفى توضيحه للرئيس عبد الناصر لأهمية العمل خلف خطوط العدو، قال إنه من الضرورى أن يدرك القائد والضابط والجندى الإسرائيلى أن بمصر مقاتلين قادرين على النيل منهم والوصول إليهم حيثما كانوا. كما أن مثل هذه العمليات هى التعبير الواضح والقوى عن رفض مصر والقوات المسلحة للهزيمة. وفعلاً تمكن اللواء محمد صادق من إقناع عبد الناصر بفكرة العمل خلف خطوط العدو.وكان تسخين الجبهة عقب توقف إطلاق النار مباشرة هو التجسيد الحى لرفض الهزيمة.

ولما لم تكن القوات المسلحة قد استعدت بعد لخوض معركة جديدة فقد حرصت على خوض معارك استنزاف محدودة النطاق، أى حرصت على عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية .

ومن المعروف أن معارك الاستنزاف تدار بأسلوب متراوح الحدة، حيث ترتفع وتيرة العمل أحياناً وتهبط أحياناً أخرى، وفى نفس الوقت يمكن أن يتسع أو ينكمش مجالها الجغرافى، ويمكن أن تتضخم أو تتضاءل أهدافها فى ظل الحرص على ألا يفلت الزمام وألا يتجمد القتال.وذلك فى إطار متابعة إنهاك العدو بشريًا ومعنويًا واقتصاديًا. ومن الجدير بالذكر أن الخسارة البشرية هى الخسارة التى تؤثر على إسرائيل بشكل فادح قيادة وشعبًا.

وبعد أن وافق الرئيس عبد الناصر على اقتراح اللواء محمد صادق وأقر رؤيته فى ضرورة أن ينشب المقاتل المصرى أظافره فى لحم عدوه على مرأى ومسمع من المقاتلين الموجودين على امتداد خط وقف إطلاق النار، بدأ الرجل من فوره فى العمل لتنفيذ مخططه .

وبعد أن نفذ إبراهيم الرفاعى عملية تفجير تشوينات الذخيرة فى الرابع من يوليو عام ١٩٦٧ ، أسند إليه مهمة تشكيل مجموعة للعمل خلف خطوط العدو تعمل تحت قيادته شخصيًا أى تتبع المخابرات الحربية .

وكان اللواء صادق يرى أن تبعية هذه المجموعة للمخابرات الحربية توفر لها القدرة على العمل بعيدًا عن تعقيدات جهاز القيادة العامة، وتوفر لها فرصًا أفضل للتدريب والتسليح والإمكانيات التى تتطلبها خطط وبرامج العمل .

ومن العوامل الرئيسية لهذه التبعية الحرص على سرية المعلومات وخطط العمليات والتحركات والقدرة على التنسيق مباشرة مع مكاتب المخابرات الحربية المنتشرة فى أنحاء الجبهة وإمكانية الحصول على المعلومات عن العدو وعن مناطق العمليات سواء من عناصر الاستطلاع أو عناصر المخابرات الحربية أو الاستطلاع اللاسلكى أو الإلكترونى والحصول على الصور الجوية التى تحتاجها.

وفى بداية عام ١٩٦٩ أصبحت هذه المجموعة تحمل اسم المجموعة ٣٩ قتال. وخلال الفترة من ١٩٦٧حتى بداية عام ١٩٦٩ كانت المجموعة تتكون من عدد محدود من الضباط والصف والجنود، ولكن بعد أن حملت اسم المجموعة ٣٩ قتال زاد حجمها لمواجهة زيادة حجم النشاط .

وبجانب الهدفين الرئيسيين اللذين ذكرهما اللواء محمد صادق للرئيس عبد الناصر، كانت هناك عدة أهداف أخرى لمعارك الاستنزاف وللعمليات خلف خطوط العدو منها:

١- إرهاق العدو وإيقاع أشد الخسائر بقواته وأسلحته ومعداته والسعى للحصول على أسرى وعلى الوثائق ونماذج من الأسلحة والمعدات التى يستخدمها.

٢- تطعيم القوات المسلحة المصرية للمعركة المقبلة من واقع الخبرات المكتسبة خلال معارك الاستنزاف .

٣- إنهاك القوات المسلحة الإسرائيلية وإنهاك إسرائيل اقتصاديًا وبشريًا ومعنويًا.

٤- العمل على أن تدفع إسرائيل ثمن احتلالها لسيناء والضغط عليها بالعمل التعرضى المستمر.وإذا كانت إسرائيل تضغط على مصر باستمرار احتلالها لسيناء وتهديدها لمدن منطقة القناة، فإن مصر حاولت أن تجعل من هذا الاحتلال عنصر ضغط على إسرائيل بتكبيدها أكبر قدر من الخسائر البشرية والخسائر التى يمكن أن تلحق بالأسلحة والذخائر والمعدات.كما أن عمليات الاستنزاف ستعمل على أن تستدعى إسرائيل جزءا من قواتها الاحتياطية لدعم قواتها الموجودة فى سيناء ودعم خطوطها الدفاعية بما يشكل عبئًا اقتصاديًا على الخزانة الإسرائيلية وعلى حركة الاقتصاد الإسرائيلى .

٥- خفض معدل النمو الاقتصادى الإسرائيلى وزيادة العبء الذى يتحمله المواطن الإسرائيلى نتيجه للأعباء العسكرية والخسائر فى الأسلحة والمعدات ومن المعروف أن تكاليف طلقة طائرة واحدة تبلغ حوالى ٣٧٠٠ دولار فى المتوسط، كما أن تكاليف عمرة كاملة للطائرة تبلغ 3 مليون دولار، كما أن كل قنبلة أو قذيفة تستخدمها القوات المسلحة الإسرائيلية تشكل عبئًا على موارد الخزانة الإسرائيلية.

٦- معالجة الاستفزازات التى تقوم بها القوات الإسرائيلية الموجودة على خط المواجهة بأسلوب عملى وفعال، لوقفها أولا، وللحد من الآثار التى تركتها فى نفوس المقاتلين المصريين .

٧- التخفيف من آلام الهزيمة المفجعة فى يونيو ٦٧ والعمل على امتصاص نتائج التجارب السيئة التى مر بها المقاتلون المصريون خلال انسحابهم من سيناء .

٨- مواجهة الحرب النفسية التى أطلقتها إسرائيل وركزت عليها للنيل من معنويات المقاتل المصرى بصفة خاصة والعرب بصفة عامة .

٩- رفع معنويات القوات المسلحة ككل .

وكان هناك هدف غير معلن وغير مطروح للنقاش أو للحوار لمعارك الاستنزاف يتمثل فى شغل القوات المسلحة بهذه المعارك وبالتدريب للاستعداد للمعركة المقبلة حتى لا تتجه إلى الانقلاب على نظام الحكم المسئول مسئولية كاملة عن النكبة فالهزيمة ليست هزيمة عسكرية أو سياسية ولكنها حصاد لكل سياسات النظام ـ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. وإذا كانت عملية تفجير تشوينات الذخيرة هى نقطة البداية فى العمل خلف خطوط العدو، فقد أعقبتها عمليات متوالية لم تعرف التوقف حتى بعد توقف حرب الاستنزاف فى أغسطس ١٩٧٠. وقد تحملت المجموعة ٣٩ قتال عبء العمل وحدها خلف خطوط العدو إلا من عمليات رد فعل محدودة على امتداد جبهة القناة حتى يوم ٨ سبتمبر٦٨. ففى هذا اليوم الذى يعد نقطة رئيسية أو محورية فى تاريخ معارك الاستنزاف بدأت مرحلة من العمليات النشطة على امتداد الجبهة كان من أهمها عمليات التراشق بنيران المدفعية من الجانبين وفى عمليات ٨ سبتمبر اشتركت ٣٨ كتيبة مدفعية من مختلف الأعيرة فى قصف مواقع العدو على امتداد ثلاث ساعات.وقد عاونتها الأسلحة المضادة للدبابات على امتداد الجبهة فى قصف أهداف العدو قصفًا مباشرًا، وسقطت فوق مواقع خط بالريف مئات الصواريخ أرض أرض من عيار ٢١٦ مم ٢٤٠ مم، وخسر العدو فى هذا اليوم ١٩ دبابة وثمانية مواقع صواريخ وعشرات الدشم ومناطق الشئون الإدارية ومناطق التمركز، كما تم إسكات مواقع ١٧ بطارية مدفعية إسرائيلية، وسقط للعدو ٢٨ فردًا ما بين قتيل وجريح .

وتكررت قصفات نيران المدفعية المركزة يوم ٢٦ أكتوبر، وظلت الجبهة تشهد مثل هذا النوع من قصفات نيران المدفعية حتى يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠.ولم تكن معارك الاستنزاف تمضى على وتيرة واحدة وكانت هناك فترات تصاعدت فيها حدة المعارك من كلا الجانبين، ففى الوقت الذى نفذ الجانب الإسرائيلى خمسة إغارات استهدفت مواقع منعزلة على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر منها الإغارة على الجزيرة الخضراء شمال الخليج والتى قادها الجنرال رفائيل إيتان،

فقد شن الجانب المصرى ستة إغارات على نقط العدو القوية منها الإغارة على نقطتى شمال البلاح والشط بالإضافة إلى نقطة لسان التمساح.أما الإغارة على نقطة لسان بور توفيق ليلة ١١/١٠ يوليو ١٩٦٩ فقد أسفرت عن قتل وجرح أربعين فردًا وتدمير خمس دبابات وأربع دشم بالإضافة إلى الحصول على أسير وقد أنهت هذه العملية كل الجدل الذى دار داخل أروقة القيادة الإسرائيلية حول حتمية تدخل الطيران الإسرائيلى فى المعركة ومنذ تلك اللحظة بدأت القيادة الإسرائيلية فى استخدام القوات الجوية بكثافة وعلى اتساع مجالات المواجهة بما فى ذلك مناطق العمق .

وطوال الفترة وحتى نهاية عام ١٩٦٩ نفذت إسرائيل الخطة «بوكسير» التى تضمنت تنفيذ خمسمائة طلعة طائرة لقصف الأهداف المصرية باستخدام ٢٥٠٠ قنبلة طيران وذلك خلال عشرة أيام، ومن الأهداف التى تتم الإغارة عليها مواقع الدفاع الجوى ـ الرادارات مواقع المدفعية والقوات الموجودة بالجبهة. وعندما اكتشفت القوات المصرية أن أفراد العدو يخلون بعض النقط القوية ليلاً قررت احتلال بعضها لساعات طويلة مع نسف المنشآت التى يمكن نسفها خاصة مخازن الذخيرة والوقود .

وفى ليلة ١١/١٠ أغسطس ١٩٦٩ نفذت القوات الموجودة بالجبهة إغارتين على نقطتى الدفرسوار والفردان فى وقت واحد، وألحقت خسائر بالعدو الموجود بالنقطتين. وشهد شهر ديسمبر ١٩٦٩ تطوير الأعمال القتالية، حيث تمت إغارة مشتركة على نقطتى شمال وجنوب جزيرة البلاح وفى وقت واحد يوم ٦ ديسمبر. وقامت القوة التى تقارب مجموعة كتيبة مشاة باحتلال الضفة الشرقية للقناة وتمسكت بالأرض، وطلب منها قائد الجيش الثانى الاستمرار فى مواقعها على أن يتولى الجيش تأمين أعمال قتالها ولكن الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية أمر بعودة القوات مبررًا ذلك بضرورة عدم الخروج على أهداف وأسلوب معارك الاستنزاف. وفعلا عادت القوة بعد آخر ضوء يوم ٧ ديسمبر بعد ان ثبتت العلم المصرى على الضفة الشرقية.

وأمام التصاعد المستمر لمعارك الاستنزاف من الجانب المصرى، رأت القيادة الإسرائيلية أن توجه رسالة مباشرة إلى القيادة السياسية المصرية.ووضعت لذلك خطة أطلقت عليها اسم «بريما». وفجر السابع من يناير ١٩٧٠ وضعت الخطة موضع التنفيذ.حيث حلقت طلعة جوية فوق سماء القاهرة واخترقت حاجز الصوت فوق منشية البكرى فأحدثت فرقعة شديدة بالإضافة إلى التسبب فى كسر زجاج النوافذ فى عدد كبير من المنازل بالمنطقة ومنها منزل الرئيس عبد الناصر وعندما تسلم عبد الناصر الرسالة واكتشف عدم كفاءة منظومة الدفاع الجوى وبما يسمح بتحليق طائرات إسرائيلية فوق العاصمة والعودة سالمة إلى قواعدها بإسرائيل وبما يسمح أيضًا بحرية الحركة فى سماء صعيد مصر ومناطق أخرى، كبيرة قرر التوجه إلى الاتحاد السوفيتى فى زيارة سرية خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ يناير ١٩٧٠. وخلال هذه الزيارة طلب من القادة السوفييت حماية سماء مصر بشكل مباشر وبقوات سوفيتية وفورًا. ومنذ ذلك التاريخ تحولت مصر إلى مستعمرة سوفيتية حيث استقبلت مصر قوات سوفيتية باستمرار حتى وصل حجم هذه القوات عام ١٩٧٢ إلى أكثر من ٢٤ ألف جندى روسى .

ومن المعروف أن الرئيس عبد الناصر بعد نكبة يونيو ١٩٦٧ فوَّض الاتحاد السوفيتى فى الحديث باسم مصر فيما يتعلق بقضية الشرق الأوسط وتحديدًا قضية الصراع مع إسرائيل.

وفى إطار معارك الاستنزاف توسعت القيادة المصرية فى أعمال القتال البرية للانتقام من غارات العمق الجوية الإسرائيلية وإحداث حجم كبير من الخسائر فى قوات العدو وشهدت منطقة الجبهة ست عشرة إغارة وكمين بالإضافة إلى ثلاث إغارات فى العمق .

وكان من أهم الكمائن كمين نهارى نفذته تشكيلات المشاة فى المنطقة شمال الشط يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ ، وتمكنت من تدمير دبابة وثلاث عربات وقتل ١٨ فردًا وأسر فردين، يليه كمين شرق الدفرسوار ونفذته أيضًا وحدات المشاة يوم ٢٥ مارس وأسفر عن تدمير دبابة وعربتين نصف جنزير وقتل وجرح ١٥ فردًا .

واعتبر الإسرائيليون يوم السبت ٣٠ مايو ١٩٧٠ سبتًا حزينًا. ففى هذا اليوم نفذت وحدات من المشاة بالتعاون مع وحدات من الصاعقة كمينًا امتد من شمال القنطرة حتى جنوب بورسعيد وتمكن الكمين من اصطياد القوات الإسرائيلية المتوجهة لقضاء إجازاتها والتى تحرسها عادة قوات مقاتلة من الدبابات والعربات المدرعة، وتكشف التقارير أن العدو خسر فى ذلك اليوم دبابتين وعربة مدرعة وأتوبيس إجازات، أما رقم القتلى والجرحى فقد بلغ ٣٥ إسرائيليًا، ويعتبر هذا الرقم رقمًا غير مألوف بالنسبة لمعارك الاستنزاف.

وتوضح المعلومات أن إسرائيل اضطرت إلى الاحتفاظ بنحو عشرين لواء خلال ذروة معارك الاستنزاف. ويعادل هذا الرقم ٥٠٪من جملة وعاء التعبئة البرية هذا بجانب ما استدعته من الاحتياط للخدمة بالقوات الجوية.أما بالنسبة لمصر وبالرغم من كل خسائر معارك الاستنزاف وهى كبيرة فقد حققت القيادة الهدف الذى وضعته منذ البداية لإطلاق هذه الحرب من عقالها . فقد تمكنت من تحطيم صورة المقاتل الإسرائيلى «السوبر» الذى لا يهزم والتى كانت إحدى نتائج نكبة يونيو ١٩٦٧ وكان هذا الهدف هو الدافع الرئيسى لميلاد فكرة معارك الاستنزاف، والتى تحولت إلى واقع.

ويمكن اعتبار معارك الاستنزاف أول صراع مسلح تضطر فيه إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية أى باستدعاء نسبة من قوات الاحتياط للخدمة لمدة طويلة، وهو ما ترك آثاره السلبية على معنويات الشعب الإسرائيلى وأثر على اقتصاد الدولة بصورة غير مسبوقة فى معارك الصراع العربى الإسرائيلى السابقة .

ويجب أن نضع فى الاعتبار أن قادة إسرائيل قد أعلنوا فى أعقاب انتصارهم الساحق على جيوش ثلاث دول عربية فى يونيو ١٩٦٧ أن هذه المعركة هى آخر الحروب وإذا بمعارك الاستنزاف تؤدى إلى استنزاف إسرائيل بشريًا واقتصاديًا وعسكريًا وسياسيًا.

بالرغم من كل المحاذير التى كانت قائمة سواء فيما يتعلق بتوازن القوى بين مصر وإسرائيل فى ذلك الوقت والذى كان مختلاً لصالح إسرائيل التى كانت تتفوق فى مجال السلاح كمًا وكيفًا على مصر أو فيما يتعلق بقبول مصر لقرار وقف إطلاق النار فإن نجاح اللواء محمد صادق فى إقناع عبد الناصر بفكرة حرب الاستنزاف والهدف منها قد أدى إلى تغيير جذرى فى الموقف بعد يونيو ١٩٦٧ .فقد كان من المفترض أن تتكفئ مصر داخليًا وتتفرغ لمواجهة آثار هذه النكبة بما فيها الصراع على قمة السلطة وإعادة بناء القوات المسلحة وعلاج الأسباب التى أدت إلى الهزيمة ومواجهة أوجه القصور فى الأداء العسكرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى والذى قاد لهذه الهزيمة المروعة.وأتت معارك الاستنزاف لتعكس إرادة مصر فى رفض الاحتلال الإسرائيلى لسيناء ورفض النتائج التى أسفرت عنها الحرب ورفض كل ما أدى إلى الهزيمة.أى أنها أتت كقوة للتغيير داخليًا وإعلانًا عن استمرار الصراع مع إسرائيل .

أما الهدف الثانى لمعارك الاستنزاف فقد كان العمل على تحويل احتلال سيناء إلى عامل ضغط على إسرائيل بدلاً من أن تستخدمه إسرائيل كعامل ضغط على مصر. وفعلاً تمكنت مصر بالخسائر التى ألحقتها بالقوات الإسرائيلية الموجودة على امتداد خط المواجهة عبر قناة السويس وفى عمق سيناء - سواء فى الأفراد أو المعدات وخاصة الأفراد من تحويل الاحتلال إلى عنصر ضغط على إسرائيل، وإذا أضيف إلى ذلك عبء استدعاء نسبة لا بأس بها من قوات الاحتياط لتأمين سيناء لأدركنا كم نجحت مصر فى تحقيق أهدافها من معارك الاستنزاف.ومن المنطقى أن نؤكد أن مصر دفعت ثمنًا هائلاً من أجل تحقيق هذه الأهداف.

٣- عمليات الاستطلاع:

قائمة بالعمليات التى تمت

العملية	التاريخ
العملية ٥٠٣ (أ) استطلاع موقف العدو على المحور الشمالى وعرقلة تقدمه عند جلبانة	١٩٦٧/٦/٧
٥٠٣ (ب) استطلاع شرق ممر متلا	١٩٦٧/٧/١١
٥٠٣ (ج) استطلاع الطور	١٩٦٧/٧/٢
٥٠٣ (د) استطلاع ابورديس	١٩٦٧/٨/٥
استطلاع رأس مسلة من البحر	١٩٦٨/١/١ و ١٩٦٨/١/٥
استطلاع رأس مسلة وعيون موسى	١٩٦٨/١/٩
استطلاع رأس سدر	١٩٦٨/١١/٢٧
استطلاع الجبهة من بورسعيد إلى السويس	٧-١٩٦٨/١٢/١٠
العملية رجائي - استطلاع مطار راس نصرانى	١٩٦٨/١٢/٢٨وحتى ١٩٦٩/١/٣
استطلاع رأس مسلة	١٩٦٩/٣/٢١
استطلاع أبو زنيمة	١٩٦٩/١٠/٥
العملية عصام (٩) - استطلاع رأس محمد	١٩٧٠/٨/١١
استطلاع تل سلام	١٩٧٠/٩/١٩
استطلاع عيوس موسى	١٩٧٠/٩/٢٢
استطلاع عيون موسى ولسان بور توفيق	١٩٧٠/١٠/٢

العملية	التاريخ
استطلاع شرق بور فؤاد وتل سلام	١٩٧١/١١/١٩
استطلاع بور سعيد	١٩٧١/١/٢٤
استطلاع شرق الشلوفة	١٩٧١/٣/٢
استطلاع عيون موسى ورأس مسلة	١٩٧١/٣/١٠
استطلاع شرق كبريت	١٩٧١/٣/١٥
استطلاع شرق بور فؤاه	١٩٧١/٣/٢٠
استطلاع المنطقة من رأس مسلة حتى بلاعيم	١٩٧١/١١/٣
استطلاع الطور	١٩٧١/١١/١٨
استطلاع حقول المرجان بخليج السويس	١٩٧١/٤/٢٩
استطلاع حقول المرجان	٩/٢٨ حتى ١٩٧٢/١٠/١
استطلاع حقول المرجان	من ١٠/٨ إلى ١٩٧٢/١٠/١٥
استطلاع مطار الطور وميناء الطور	١٩٧٢/١٢/١١
استطلاع صنافير وتيران	ممن ٥/٩ حتى حتى ١٩٧٣/٥/٢٢
استطلاع خليج السويس بالكامل	١٩٧٣/٩/١٣

العملية ٥٠٣ (أ) - ١٩٦٧/٦/٧
استطلاع موقف العدو على المحور الشمال وعرقلة تقدمه عند جلبانة

الاهتمام بالاستطلاع وتوفير المعلومات والصور الحديثة للأهداف والمواقع المعادية يشكل القاعدة الأساسية للتخطيط الجيد والتنفيذ الدقيق للعمليات التى تستهدف هذه الأهداف والمواقع .

وبدون الاستطلاع والمعلومات التى يوفرها يتخبط التخطيط ويعجز المنفذون عن أداء المهام المكلفون بها؛ لذا اهتمت أجهزة القيادة فى الجيوش المختلفة بالاستطلاع وشكلت له قوات خاصة ووضعت فى تنظيمه التشكيلات والوحدات الصغرى، أى فى تشكيل الفرق واللواءات والكتائب عناصر استطلاع خاصة بها هذا بالإضافة لمهام الاستطلاع التى تقوم بها أجهزة المخابرات المختلفة كواجب رئيسى بجانب واجباتها الأخرى .

ولم تختلف القيادة العامة المصرية فى هذا المجال. وبالنسبة للقادة على مختلف المستويات، فإن القائد الذى يهتم بالاستطلاع هو القائد الذى يحقق افضل النتائج فى العمليات التى يخطط لها أو ينفذها .

فمع توفر تقارير الاستطلاع من مصادر مختلفة، فإن القائد الذى يحرص على الاستطلاع بنفسه ومعاينة مسرح العملية التى يخطط لها أو يستعد لتنفيذها والتعرف على مواقع العدو وتحركاته وقوة نيرانه وأساليب الدفاع التى يتبعها، يفتح بذلك لنفسه أبواب النجاح خاصة إذا ما قام بالاستطلاع قبل تنفيذ العملية بوقت قصير.وكان إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة ٣٩ قتال واحدًا من

هؤلاء القادة الذين يحرصون على استطلاع وتجميع المعلومات عن الأهداف المعادية التى يخطط للهجوم عليها .

وباختصار فقد كان الرجل وباقى قادة وضباط المجموعة فى حالة استطلاع مستمر فيما بين العمليات. وكان التدريب على الاستطلاع جزءًا من برنامج التدريب بالنسبة للمجموعة ككل .

وتعد عملية الاستطلاع الذى نفذها يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ هى العملية الأولى فى تاريخ المجموعة التى لم تكن قد تشكلت رسميًا بعد. ففى هذا اليوم قاد المقدم أ.ح .إبراهيم الرفاعى مجموعة مكونة من أربعة ضباط وسرية استطلاع وعدد ٩ عربات مدرعة ٤×٤ . وتحركت القوة من القاهرة متجهة إلى سيناء لاستطلاع قوة العدو المتقدم على طريق العريش القنطرة شرق تنفيذًا لأوامر اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية نتيجة لانهيار القيادة العسكرية مع بداية معركة يونيو ١٩٦٧، وعجزها عن إدارة المعركة وفقًا للأساليب العلمية والعسكرية الصحيحة وإقدامها على إصدار أمر انسحاب شفهى للقوات الموجودة فى سيناء استجابة لنصيحة القيادة السياسية. وبسبب هذا الأمر فقدت القوات المحتشدة فى سيناء تماسكها ولم يعد أحد فى مبنى القيادة العامة بالقاهرة يعلم حقيقة موقف العدو أو موقف القوات المصرية .

ولقد كان واضحًا أن القوات الإسرائيلية التى تتقدم عبر سيناء تستهدف وضع القوات المسلحة المصرية بين المطرقة والسندان، وتمثلت المطرقة فى ثلاثة مجموعات مدرعة إسرائيلية تتحرك بسرعة على ثلاثة محاور لدفع القوات إلى مضايق سيناء الثلاثة الرئيسية .

أما السندان فتمثل فى القوة الإسرائيلية التى تتقدم على الطريق الساحلى بسرعة لكى تغلق المضايق من ناحية القناة. وباكتمال وصول القوة السندان وإغلاق المضايق من ناحية القناة تحصر القوات المصرية فيما بين القوات المتقدمة من الشمال والوسط والجنوب والقوات التى تغلق الممرات من ناحية الغرب فيسهل القضاء عليها خاصة فيما لو انحصرت داخل مضايق سيناء .

وفى محاولة لمعرفة حجم القوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلى وعرقلة تقدمها، وقع اختيار اللواء صادق على المقدم إبراهيم الرفاعى لتنفيذ مهمة الاستطلاع وعرقلة تقدم هذه القوة لأطول فترة ممكنة .

وعبرت القوة القناة وتقدمت على الطريق الساحلى حتى منطقة جلبانة ـ ١٥ كم من القنطرة شرق ـ مجتازة بحرًا من القوات المصرية المنسحبة غربًا تحت ضغط العدو، وكتلاً من الحديد المنصهر أو الملتهب أو المعطوب كان من قبل قطع أسلحة مصرية ثقيلة تمكن العدو من إصابتها جوًا .

وعندما وصل إلى منطقة رمانة أدرك أنه على اتصال بعناصر العدو الأمامية، فنشر قواته على شكل ستارة دفاعية،وبدأ فى إعداد أول كمين مستخدمًا الألغام لإيقاف تقدم العدو.وعندما اصطدم العدو بالكمين بادرت القوة بالاشتباك معه وأجبرته على التوقف .

ومع أول اشتباك تمكنت السرية المصرية من تنفيذ مهمة استطلاع بقوة، وأبلغت مدير المخابرات بموقف العدو على المحور الساحلى وأن قواته المتقدمة تضم لواء مشاه ميكانيكى وكتيبة دبابات. وفى الساعة الواحدة من ظهر يوم ٧ يونيو دعم العدو هذه القوة بباقى اللواء المدرع .

وعندما توقف العدو بعد اصطدامه بحقل الألغام والستارة الدفاعية كان يحاول معرفة حجم هذه القوة المصرية وقوة نيرانها قبل أن يواصل التقدم وحتى تتاح له فرصة لاستدعاء القوات الجوية للتدخل وفتح الطريق .

وبعد توقف استمر لفترة طويلة نسبيًا عاود التقدم مستخدمًا نيرانًا كثيفة دون أن يعلم أن الستارة الدفاعية قد انسحبت إلى الخلف وبدأت فى إعداد كمين جديد فى منطقة رأتها مناسبة وأكثر ملائمة لمواجهة جديدة مع العدو .

وعاود العدو تقدمه بعد أن تصور أن القوة قد انسحبت أو تم القضاء عليها، ولكنه يصطدم بالكمين الثانى، فيسارع بالفتح فى تشكيل قتال. وتستبسل القوة المصرية فى الدفاع عن مواقعها لمنع تقدم العدو، فيتوقف العدو من جديد وهو يدرك أن المقاومة تزداد شدة كلما اقترب من القناة، ولأن قائد القوة الإسرائيلية

لم يكن يريد التورط فى اصطدام جديد بموقع دفاعى مصرى فقد أمر قواته باحتلال مواقع دفاعية فى انتظار تدخل القوات الجوية وينجح إبراهيم الرفاعى فى وقف تقدم العدو على الطريق الساحلى محققًا بذلك المهمة الثانية التى كلفه بها مدير المخابرات وتغتنم القوات المصرية المنسحبة فرصة توقف القوات الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلى لكى تصل إلى الضفة الغربية للقناة.

أى أن هذه القوة المحدودة العدد استطاعت أن توفر للقيادة العامة وقتًا ثمينًا أتاح الفرصة لانسحاب الآلاف من الجنود والضباط، وبعد أن نجح إبراهيم الرفاعى فى تحقيق هدف الاستطلاع وعرقلة تقدم العدو تخلص من الاشتباك وانسحب بما بقى من قواته إلى غرب القناة.

وقد فقد من القوة أحد الضباط شهيدًا بالإضافة الى ثمانية عشر من الصف والجنود .

أما خسائر العدو فكانت تدمير دبابتين وعربتين نصف جنزير، أما الخسارة الرئيسية فهى عرقلة تقدمه على الطريق الساحلى،وكان الوقت كافيًا لانسحاب عشرات الآلاف من القوات المصرية .

العملية ٥٠٣ (ب ج د)
استطلاع شرق ممر متلا والطور وأبورديس
١٩٦٧/٨/٥-٧/٢٥-٧/١١

ودماء الشهداء فى سيناء لم تجف بعد، وبالرغم من ظروف هزيمة يونيو ١٩٦٧ الشديدة البشاعة والقسوة وفى ظل صراع سياسى وعسكرى على قمة النظام فى مصر، كان لابد من العمل من أجل الحاضر والمستقبل والسعى لتجاوز آثار الهزيمة .

ونقطة البداية فى أى عمل هى توفير المعلومات ولمعرفة موقف العدو فى سيناء قررت إدارة المخابرات الحربية تنفيذ عمليات استطلاع بصفة مستمرة داخل سيناء تقوم بها عناصر المخابرات الحربية من العسكريين والمدنيين. وكان لقوات المجموعة ٣٩ قتال دور رئيسى فى هذه المهام .

وخلال أقل من شهر أسندت إدارة المخابرات الحربية للمجموعة تنفيذ ثلاث عمليات استطلاع الأولى لاستطلاع شرق ممر متلا والثانية لاستطلاع منطقة الطور والثالثة لاستطلاع منطقة (أبورديس) .

وتعد عملية استطلاع شرق ممر متلا التى قام بها الملازمان الأولان (أبو العينين) محمد مختار وحسنى صلاح الدين يسرى يوم ١١ يوليو ١٩٦٧ أول عملية استطلاع خلف خطوط العدو وهى ما يطلق عليها استطلاع مؤخرة العدو. ومن ميناء الأدبية جنوب السويس انطلق الرجلان على ظهر بلنص صيد لتنفيذ هذه المهمة .

وبعد وصولهما إلى سقالة الكرتينة على الضفة الشرقية لخليج السويس، تحركا باتجاه عيون موسى ومنه إلى جبل الراحة حتى وصلا إلى منطقة سدر الحيطان شرق ممر متلا .

ومن منطقة مرتفعة وبعيدة عن أنظار العدو قاما بتصوير المنطقة ومواقع العدو بها ودورياته المتحركة ثم عادا مرة أخرى إلى عيون موسى بعد قضاء عشرة أيام خلف خطوط العدو ومنها إلى الكرنتينة حيث تم التقاطهم. وفى يوم ١٩٦٩/٧/٢٥ نفذ الملازم أول بهجت خضير عملية استطلاع لمنطقة الطور، وقد تمكن من تصوير المطار ومواقع العدو فى المنطقة وطرق تحركاته وأماكن تجمعاته.

ويعود الملازم أول بهجت خضير بصحبة الملازم أول رأفت جمعة يوم ١٩٦٩/٨/٥إلى منطقة جنوب سيناء لاستطلاع منطقة (أبورديس) .

وقد استقل الرجلان بلنص صيد من ميناء رأس غارب الوصول إلى الطور ثم تحركا برًا إلى (أبورديس). وتمكن العدو من أسر رأفت جمعة فى (أبورديس) وفى الطور وقع ملازم أول بهجت خضير فى الأسر .

استطلاع رأس مسلة وعيون موسى -١/١-١/٥-١/٩/١٩٦٨

اكتفى المقدم إبراهيم الرفاعى والنقيب طبيب عالى نصر باستطلاع منطقة رأس مسلة بالنظر من البحر فى أول عملية استطلاع بحرية وذلك يوم ١٩٦٨/١/١ ، فقد استقلا لنشًا صغيرًا من ميناء الأدبية وأبحرا به حتى منطقة رأس مسلة حيث نفذا المهمة .

ويوم ٥ يناير ١٩٦٨ أى بعد أربعة أيام من العملية الأولى عاد الرجلان لاستطلاع رأس مسلة بواسطة لنش صغير أبحرا به من ميناء الأدبية فى مياه خليج السويس وعلى مسافة ٥٠٠ م من رأس مسلة قاما بتصويرها لأول مرة ثم عادا إلى الأدبية مرة أخرى .

وفى يوم ٩ يناير ١٩٦٨ أى قبل مرور أربعة أيام على العملية السابقة عاد ابراهيم الرفاعى ومعه النقيب طبيب عالى نصر والملازم أول فؤاد عبد الغفار

إلى الأدبية لتنفيذ عملية استطلاع جديدة لمنطقة رأس مسلة بالإضافة إلى منطقة عيون موسى فى أول عملية استطلاع بحرى مسلح، وحملت العملية اسمًا سريا ٣٠٥- (ز) وبواسطة لنش فولجا موتور داخلى أبحرا من ميناء الأدبية إلى فنار (أبو زنيمة) ومن فوق الفنار تم تصوير منطقة عيون موسى والكرنتينة ثم عادت الداورية إلى اللنش وأبحرت باتجاه رأس مسلة حيث تم الاقتراب إلى مسافة ٨٠٠م. ومن موقعهم على هذه المسافة تم تصوير المنطقة وأمكن تمييز الآتى :

- وجود ٦ حفر كبيرة للمدفعية احتمال أنها لمدافع من طراز (هاوتزر ١٥٥مم)
- وجود خيمتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة
- وجود موقع رادار بجوار الخيمة الكبيرة .
- وجود جهاز لاسلكى ذى تردد عالٍ جدا .
- وجود ما يتراوح بين أربع إلى ست حفر صغيرة إما أنها للذخيرة أو لمدفع هاون ٨١مم .

ولاحظت الدورية أن العدو أقام نقطة ملاحظة على تبة مرتفعة تبعد حوالى ٥٠٠م شرق موقع عيون موسى وبجوار النقطة عربة جيب مزودة بجهاز لاسلكى.

استطلاع رأس سدر - ١٩٦٨/١١/٢٧

تشكلت دورية استطلاع رأس سدر من إبراهيم الرفاعى وعصام الدالى عالى نصر إسلام توفيق. بالإضافة إلى ١٤ من ضباط الصف والجنود. وقد استخدمت الدورية قاربى اقتحام من طراز زودياك ماركة ٥ ماركة ٣ قوة محرك القارب الأول ٨٥ حصانًا وقوة محرك القارب الثانى ٥٥ حصانًا للوصول إلى الضفة الشرقية للخليج .

وكانت المجموعة ٣٩ قتال قد حصلت على قوارب اقتحام جديدة أكثر تطورًا مما كانت تستخدمه من قبل، ففى البداية استخدمت المجموعة قوارب اقتحام ماركة ٣ قوة الموتور ٤٠ حصانًا ويدار المحرك يدويًا .

وأمام النجاح الذى حققته المجموعة، عرض عليها اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات تزويدها بقوارب اقتحام أكثر تطورًا لتحقيق المزيد من النجاح لتوفير إمكانيات أفضل. وفعلاً حصلت المجموعة لأول مرة على قوارب اقتحام ماركة ٣ المزودة بمحرك قوة ٥٥ حصانًا، ويدار المحرك بدائرة كهربائية، وقوارب اقتحام ماركة ٥ المزودة بمحرك قوته ٨٥ حصانًا، يدار بدائرة كهربائية أيضًا.

واستخدمت المجموعة ولأول مرة هذه القوارب فى عملية رأس سدر. والطريف أنه بعد الانتهاء من عملية الاستطلاع وتصوير المنطقة، أى بعد تنفيذ المهمة بالكامل تعطل القاربان بالضفة الشرقية .

وعندما اكتشف العدو وجود الدورية وبدأ فى إضاءة المنقطة بطلقات الهاون المضيئة كان لابد من الابتعاد عن الشاطئ بأسرع ما يمكن، وبواسطة أسلوب دفع القوارب سباحة وبالتجديف ابتعدت القوارب عن الشاطئ وبإعادة محاولة إدارة المحركين، دار محرك القارب ماركة ٣ وبما يسر مهمة عودة المجموعة بعد ربط القارب المعطل بالقارب الذى دار محركه. وفى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالى وصلت المجموعة إلى الضفة الغربية للخليج.

استطلاع الجبهة من بورسعيد إلى السويس
من ١٢/٧ الى ١٩٦٨/١٢/١٠

استطلعت المجموعة الجبهة خلال هذه الفترة من السويس وبور توفيق جنوبًا حتى بورسعيد شمالاً، وأعدت تقريرًا عن نتائج هذه المهمة قدمته إلى مدير المخابرات الحربية، ومما جاء فى التقرير :

تتكون منطقة بورتوفيق من لسان بورتوفيق والجباسات وامتدادها حتى منطقة الكرنتينة. وتقدر قوة العدو بلسان بور توفيق بفصيلة مشاه مدعمة

وفصيلة دبابات سنتوريان ٧ و٣ مدافع هاون ٨٠ مم. وقام العدو بإنشاء ساتر ترابى عالى لحماية قواته وإخفاء تحركاته عن نظر نقط الملاحظة المصرية .كما أنشأ ملاجىء خرسانية لوقاية الأفراد وكذلك مخازن خرسانية للذخيرة، وتتحرك دورية مكونة من أربعة أفراد على سور اللسان، ويعد العدو كمينا ليليا فى طرفى اللسان .

وفى منطقة الجباسات تقدر قوة العدو بفصيلتين من المشاة وفصيلة دبابات وسرية مدافع هاوتزر ١٠٥مم ذاتية الحركة، ويوجد بالجباسات مركز قيادة منطقة بور توفيق .

ووفقًا لهذا النهج سجل التقرير نتائج الاستطلاع على امتداد الجبهة فى مناطق الشط وجنوب البحيرات والمعدية رقم ٦ الفردان ومنطقة البلاح والقنطرة شرق والكاب، وأرفق بالتقرير بانوراما مصورة لكل منطقة .

وفى نهاية التقرير اقترح على القيادة العمليات التى يمكن للمجموعة أن تنفذها.

العملية رجائى

استطلاع مطار رأس نصرانى من ١٩٦٨/١٢/٢٨إلى ١٩٦٩/١/٣

أطلق إبراهيم الرفاعى اسم الرائد أحمد رجائى عطية على عملية الاستطلاع تقديرًا منه لشجاعته وقدرته على تنفيذ هذه المهمة الصعبة فى واحدة من أبعد مواقع العدو فى سيناء والتى لم يسبق للقوات المسلحة استطلاعها أو الحصول على أية معلومات عنها .

وبعد احتلال إسرائيل لسيناء بما فيها من قواعد جوية وأراضى هبوط قررت القيادة الإسرائيلية إنشاء قاعدة جوية رئيسية وحديثة ومجهزة لعمليات جوية كثيفة وواسعة النطاق بعد أن تبينت أن كل القواعد الجوية والمطارات الموجودة بسيناء ومن أهمها قاعدة المليز الجوية لا توفر لها إمكانيات العمل المطلوبة .

ولم تتمكن القيادة العامة المصرية من رصد عملية الإنشاء، إلا أن عمليات التصنت الإلكترونى واللاسلكى كشفت عن وجود نشاط معادٍ بمنطقة رأس نصرانى، وبالمتابعة استنتجت القيادة العامة أن الموقع قاعدة جوية. ولأنها فى العمق، ولوجود إجراءات أمن غير عادية من حولها وعلى طرق الاقتراب منها لم يتمكن أى عنصر مصرى من الاقتراب منها .

وقد فشلت عدة محاولات لاستطلاع هذه القاعدة ووقع كثيرون فى الأسر لمجرد الاقتراب منها.ولأن إبراهيم الرفاعى قائد من قادة كتائب الصاعقة، فقد كان يعلم أن أحمد رجائى من القلائل الذين يعرفون منطقة جنوب سيناء معرفة جيدة بكل تفاصيلها، وأن ينظر إليها كأنما ينظر إلى كتاب مفتوح قرأه أكثر من مرة .

وقد اكتسب رجائى هذه الخبرة لكثرة الداوريات التى قادها هناك باعتباره معلمًا بمدرسة الصاعقة ومسئولاً عن دوريات الجبال .

بدأ رجائى مهمته يوم السبت ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ من منطقة (أبو الشعر) شمال الغردقة بحوالى ٢٠ كم على رأس داورية مكونة من دليلين وثلاثة من الصيادين. والدليلان هما سليمان عبد الله وسالم جبلى من أبناء سيناء .

أما الصيادون فهم حسن عتيق ودرويش ومحمد الزمر وتحمل مسئولية الإبحار بالداورية من (أبو الشعر) إلى رأس الملانة مرورًا بجزيرتى شدوان وجوبل وقبل الوصول إلى رأس الملانة بنصف ساعة تقريبًا شاهدت المجموعة داورية إسرائيلية مكونة من ثلاث عربات تتحرك على المدق الرملى الموازى للشاطئ.وفجأة توقفت الداورية وأطفأت أنوارها وظلت فى مواقعها ما يقرب من ساعة.ثم عاودت التحرك فى الساعة التاسعة مساء .

واضطرت المجموعة إلى إيقاف اللنش والحفاظ على حالة الإظلام التام داخل البلنص حتى لا يكتشف العدو وجودهم.وكانت أمواج الخليج تتلاعب بالبلنص وقد كانت الرياح سريعة والأمواج عالية ودرجة الحرارة شديدة الانخفاض وأسهمت السحب الكثيفة السوداء فى زيادة ظلمة الخليج.وبعد أن تحركت داورية

العدو وغادرت المنطقة واصلت المجموعة الإبحار ونزل رجائى وأفراد الداورية إلى الشاطئ الساعة العاشرة والربع مساء. وقبل أن يخرج رجائى من غرب الخليج خلع ملابس العسكرية وارتدى جلبابًا رماديًا الصوف وبالطو من تلك البلاطى التى يرتديها بدو سيناء .

وتحت المعطف أخفى رشاش سريع الطلقات وعدد من القنابل اليدوية بالإضافة إلى قليل من الطعام وزمزامية مياه والكاميرا وتليفوتو ومجموعة أفلام.

ومن منطقة رأس الملانة تحرك برًا حتى وصل إلى وادى تعالب فى الثالثة والنصف من صباح يوم الأحد وخوفًا من اكتشافهم قرر رجائى المبيت بمنطقة فى جبل العاط الغربى.وعندما استيقظوا فى الصباح اختفت المجموعة فى الخيران الموجودة بالجبل وبدأت فى مراقبة طرق الاقتراب الموجودة بالمنطقة .

وحتى الساعة الخامسة مساء لم يكن هناك من لاحظ وجودهم أو اكتشف آثار أقدامهم .

وفى الساعة العاشرة والربع صباحًا مرت طائرة هليكوبتر على طريق الطور شرم الشيخ وفى الخامسة مساء هبطت المجموعة من وادى العاط الغربى وشقت طريقها فى وادى ملق ثم وادى العاط الشرقى. وفى مدخل الوادى وجدوا ثلاثة خيام للعدو فتفادوها وواصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى غرب مطار نصرانى. وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا من يوم الاثنين، وقضوا ما تبقى من الليل بالجبل.ومن الخامسة والنصف صباحًا حتى الساعة الثانية ظهرًا قاموا بمراقبة المناطق التى يتم استطلاع القاعدة الجوية منها وطرق الاقتراب وقع الاختيار على منطقة بجبل الوعر لمواصلة الاستطلاع والمبيت.وطوال هذه الفترة أى من الخامسة والنصف صباحًا حتى الثالثة والربع التقطوا عشرات الصور لمطار رأس نصرانى وباق المواقع بالمنطقة وفى الثالثة والربع ظهرًا تركوا جبل الوعرة إلى مدق جبلى داخل جبل العاط الشرقى حيث قضوا ليلتهم.وقد شاهدوا يوم الاثنين طائرة نقل من طراز ستراتوكروزر وطائرة ركاب من نفس الطراز وهبطت بالقاعدة أربع طائرات من طراز سوبر مستير ورصدوا الأتوبيسات والسيارات التى تدخل وتغادر القاعدة الجوية .

ويوم الثلاثاء استطلعوا المنطقة بحثًا عن المياه حتى وصلوا إلى بير فى وادى صحراء ومنه حصلوا على الماء. واعتبارًا من الساعة السادسة من صباح يوم الأربعاء وحتى الساعة الخامسة مساء، رصدوا طائرة استطلاع مروحية وطائرتى ركاب وطائرة هليكوبتر من طراز سيكوروسكى، وهذه الطائرة كلها كانت تتحرك ما بين الطور إلى شرم الشيخ.وقضت المجموعة ليلتها بمنطقة الرويسات ومن السادسة صباح يوم الخميس حتى الخامسة مساء استطلعت المجموعة نقطة الالتقاط برأس كنيسة واستمروا فى مراقبتها ومراقبة طريق شرم الشيخ - الطور ولم يكن للعدو أى نشاط فى المنطقة بخلاف مرور عدد ٦ حاملات دبابات وتحليق طائرتى هليوكوبتر وطائرة ركاب.واستمرت عملية الرصد والاستطلاع طوال يوم الخميس، وبلغ عدد الطائرات التى أقلعت أو هبطت فى هذا اليوم حوالى ١٦ طائرة.

ومن الخامسة والربع حتى السابعة والنصف أخذت المجموعة طريقها إلى رأس كنيسة حيث وجدت لنش الالتقاط فى انتظارهم ومن رأس كنيسة عادوا إلى الغردقة حيث وصلوها فى الساعة السادسة إلا ربع من صباح يوم الجمعة ٣ يناير ١٩٦٩ .

أى أن الداورية استمرت ما يقرب من أسبوع حصلت خلالها على أول مجموعة صور لقاعدة ومطار رأس نصرانى وعلى معلومات عن المطار والقاعدة والطائرات ومواقع العدو بالمنطقة.وتعد هذه الداورية واحدة من أنجح داوريات الاستطلاع .

استطلاع رأس مسلة - ١٩٦٩/٣/٢١

نفذت المجموعة عملية جديدة لاستطلاع رأس مسلة حيث عبرت القوة المشكلة من إبراهيم الرفاعى وعصام الدالى وعالى نصر ورجائى عطية وإسلام توفيق وحنفى إبراهيم ومحيى نوح ووسام حافظ ووئام سالم ، بالإضافة إلى عدد ١٥ صف وجندى الخليج من منطقة الأدبية باستخدام ثلاثة قوارب اقتحام حتى وصلت إلى منطقة قريبة من عيون موسى، وتوجهت المجموعة لاستطلاع المنطقة

والمدقات الموصلة إليها وجمع معلومات عن مواقع العدو وتحركاته، ثم انتقلت إلى منطقة رأس مسلة لاستطلاعها وبعدها عادت مرة أخرى إلى الأدبية .

استطلاع ابوزنيمة - ١٩٦٩/١٠/٢٥

من أجل استطلاع منطقة (أبوزنيمة) يوم ١٩٦٩/١٠/٢٥ استخدمت داورية الاستطلاع المكونة من إبرهيم الرفاعى رجائى عطية بالإضافة إلى عدد ٨ أفراد طائرتى هليكوبتر من طراز مى ٨ للوصول إلى بنى سويف ومنها إلى الزعفرانة ثم إلى (أبوزنيمة) شرق خليج السويس حيث تم استطلاع المنطقة وتصوير أهداف ومواقع العدو بالمنطقة .

وكان من المخطط قصف (أبوزنيمة) بالصواريخ إلا أن القيادة العامة رأت الاكتفاء بالاستطلاع وأمرت بإلغاء عملية القصف .

العملية عصام (٩) - استطلاع رأس محمد - ١٩٦٩/٨/١١

بعد سريان وقف إطلاق النار فى بداية شهر أغسطس ١٩٧٠ وفقا لمبادرة وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى لم تتوقف المجموعة ٣٩ قتال عن مواصلة نشاطها فى ثلاثة مجالات الأول.. الاستطلاع والثانى.. التركيز على برامج التدريب والثالث.. تطوير استخدام المعدات الحديثة.

وفى يوم ١١ اغسطس ١٩٧٠ تحركت دورية استطلاع مكونة من إبراهيم الرفاعى، عالى نصر، محسن طه، وسام حافظ، ماجد ناشد، وعبده مباشر و٨ صف وجندى من القاهرة باتجاه الفردقة حيث وصلتها فى الساعة الثامنة مساء وفى العاشرة مساء أى بعد مرور ساعتين وبدون استراحة للأفراد تم إنزال ثلاثة قوارب فايبر جلاس إلى الماء وأبحرت الداورية إلى جزيرة شدوان وبعد ١٥ دقيقة من التحرك تعطل محرك أحد القوارب فأمر القائد بعودته وبه كل من وسام حافظ وماجد ناشد .

وفى الساعة الحادية عشرة مساء شحط قارب فوق إحدى الشعب المرجانية وتم إنزال الأفراد حتى يمكن إعادة القارب إلى الممر الملاحى.

وفى الساعة الثانية عشرة إلا ربع وصلت الدورية إلى شدوان حيث ـ أنزلت الملازم أول محسن طة وكلفته بملاحظة موقف العدو وإفادة الدورية أثناء إبحارها الى رأس محمد عما إذا كان العدو قد اكتشف الدورية أم لا وذلك بواسطة الرادار الموجود فى جزيرة شدوان. وهذه المعرفة تتحقق فيما إذا تم رصد تحرك قطع بحرية إسرائيلية من شرم الشيخ فى اتجاه الدورية .

وواصلت الدورية إبحارها باتجاه رأس محمد وفى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ١٩٦٩/٨/١٢ وصلت الدورية إلى رأس محمد ونفذت مهمة الاستطلاع وحصلت على المعلومات والصور التى تحتاجها .

استطلاع تل سلام- ١٩٧٠/٩/١٩

أبحرت داورية مكونة من إبراهيم الرفاعى ، عالى نصر وإسلام توفيق يوم ١٩٧٠/٩/١٩ من الضفة الغربية للبحيرات ببلنص صيد، حتى وصلت إلى السفينة الأمريكية المحجوزة بالبحيرات المرة الكبرى منذ يونيو ١٩٦٧ والموجودة غرب موقع تل سلام بحوالى ثلاثة كيلو مترات . ومن فوق ظهر السفينة استطلعت الدورية موقع تل سلام وصورته وحصلت بذلك على أول مجموعة صور للموقع الإسرائيلى منذ يونيو٦٧.

وأظهرت الصور أن بالموقع أربع دشم كبيرة يحيط بها سلك شائك، وشمال موقع تل سلام بحوالى ٣٠٠م يوجد موقع بطارية صواريخ هوك المضادة للطائرات.

استطلاع وتصوير عيون موسى - ١٩٧٠/١٠/٢٢

وصلت دورية مكونة من إبراهيم الرفاعى وعالى نصر وحسنى يسرى إلى فنار زنوبيا بوسط مياه خليج السويس يوم ١٩٧٠/٩/٢٢ ثم أبحرت شرقًا حتى منطقة عيون موسى. ومن هناك تم تصوير المنطقة بالإضافة إلى منطقة

الكرنتينة واستمرت الداورية فى العمل لاستطلاع الساحل الشرقى للخليج حتى رأس مسلة.

استطلاع وتصوير عيون موسى ولسان بور توفيق - ١٩٧٠/١٠/٢٤

استطلعت داورية مكونة من إبراهيم الرفاعى وعالى نصر ورائد طيار جلال النادى

ونقيب محمد سعيد المليجى من فرع الخدمة الخاصة بالمخابرات الحربية منطقتى عيون موسى ولسان بور توفيق طوال يوم ١٩٧٠/١٠/٢٤.

وأوضحت المعلومات والصور أن العدو يبنى دشمة جديدة بلسان بورتوفيق ويضيف المزيد من موانع الأسلاك الشائكة فى منطقة لسان بور توفيق. كما قام العدو ببناء موقع جديد جنوب رأس مسلة.

عمليات الاستطلاع خلال الفترة من ٧١/١/١ حتى ١٩٧٣/١٠/٦

بتاريخ ١٩ يناير ١٩٧١ استطلعت المجموعة رادار العدو البحرى شرق بور فؤاد وحصلت على أول صور بهذة المنطقة وفى اليوم التالى اتجهت جنوبًا حيث استطلعت وصورت موقع تل سلام، ويوم ٢٤ فبراير ١٩٧١ وصلت دورية استطلاع إلى بورسعيد ولأول مرة تستخدم المنطاد لتصوير مواقع العدو من ارتفاع ٣٠٠ م

وبتاريخ ٢ مارس ١٩٧١ خرجت دورية باتجاه السويس ومنها إلى مطار الشلوفة حيث تم إطلاق منطاد ومن ارتفاع ٤٢٥ مترًا صورت مواقع العدو شرق الشلوفة

وعادت المجموعة يوم ١٠ مارس ١٩٧١ لاستطلاع مواقع العدو فى عيون موسى ورأس مسلة باستخدام المنطاد من ارتفاع ٤٢٥ م.

وتستخدم المنطاد من جديد يوم ١٥ مارس ١٩٧١ لتصوير مواقع العدو شرق كبريت وتتدخل طائرة فانتوم إسرائيلية لمحاولة إحراق المنطاد ومنع المجموعة من

مواصلة مهمتها .وكانت خطة الطيار الإسرائيلى تعتمد على الاقتراب من المنطاد ثم فتح الحارق الإضافى لزيادة السرعة .وهذه العملية ينتج عنها خروج لسان من اللهب القوى والسريع .ولو وصل هذا الشريط من اللهب إلى بالونة المنطاد الممتلئة بغاز قابل للاشتعال فستنفجر البالونة وتقضى على ركاب المنطاد إلا أن المحاولة فشلت نتيجة عدم دقة التوقيت فقد مر شريط اللهب بعيدًا عن المنطاد وأدى إلى احتراق بعض أطرافه ودون أن يؤثر ذلك على المنطاد وما به من غاز .

أما لماذا لم يطلق العدو النيران على المنطاد فالسبب يرجع إلى سريان وقف إطلاق النار ،كما أن المنطاد فوق أرض مصرية وإن كانت قريبة من الأرض المحتلة فى سيناء. وأثناء تصوير مواقع العدو شرق الكيلو ١٣٧ شرق السويس باستخدام المنطاد يوم ٢٠ مارس ١٩٧١ أعد أفراد الدورية كمينا يعتمد على ٦ صواريخ سام ٦ المضادة للطائرات(ستريلا) لاصطياد أى طائرة معادية تقترب من المنطاد.. وطالت فترة التصوير دون أن يحاول العدو التدخل مثلما تدخل فى المرة الماضية. ومن جديد تعود الداورية لتصوير مواقع العدو شرق بور فؤاد يوم ٣١ مارس ١٩٧١ باستخدام المنطاد. وتعد من جديد كمينا لطائرات العدو باستخدام ٦ قواذف صواريخ مضادة للطائرات موزعة على قاربى اقتحام من طراز زودياك تم إنزالهما إلى البحر المتوسط فى موقعين شمال شرق بور فؤاد. وتنجز المجموعة مهام الاستطلاع ولا يتمكن الكمين من إنجاز هدفه لعدم تدخل طيران العدو .

يوم ١٠ إبريل ١٩٧١ تعود المجموعة لاستطلاع مواقع العدو شرق بور فؤاد. وتستمر عملية الاستطلاع طوال يومى ١٠ و ١١ إبرايل ١٩٧١ .

وأثناء تنفيذ المهمة وجهت إحدى الدبابات الإسرائيلية مدفعها باتجاه الداورية المصرية إلا أنها لم تطلق النيران .

وتنشط داورية من المجموعة تضم :الرفاعى وعالى نصر يوم ٣ نوفمبر ١٩٧١ لتصوير مواقع العدو على امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ابتداء من رأس مسلة وحتى بلاعيم. ويوم ١٨ نوفمبر ١٩٧١ تخرج داورية لاستطلاع مواقع العدو فى الخليج مرة أخرى .

ويوم ٦ إبريل ١٩٧٢ تخرج دورية لاستطلاع وتصوير منطقة الطور ومراقبة تحركات العدو البحرية .

ويوم ٢٩ إبريل ١٩٧٢ استطلعت دورية مواقع العدو فى منطقة حقول بترول المرجان بالخليج. وطوال الفترة من ١٩٧٢/٩/٢٨ حتى ١٩٧٢/١٠/١ نشطت دورية فى العمل لاستطلاع منطقة المرجان للمرة الثانية .

وللمرة الثالثة تعود المجموعة لاستطلاع موقف العدو فى منطقة المرجان طوال الفترة من ١٩٧٢/١٠/٨ وحتى ١٩٧٢/١٠/١٥.

ويوم ١٩٧٢/١٢/١١ تستطلع دورية من المجموعة مطار وميناء الطور .وقامت الداورية بتصوير مواقع العدو بالمنطقة باستخدام طائرة هليكوبتر. وخلال الفترة من ١٩٧٣/٥/٩ وحتى ١٩٧٣/٥/٢٢ استطلعت دورية مكونة من إبراهيم الرفاعى وعالى نصر مضيقى صنافير وتيران عند مدخل خليج العقبة، ثم اتجهت شمالا لاستطلاع وتصوير شاطئ خليج العقبة. ويوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ استطلعت دورية من المجموعة منطقة خليج السويس بالكامل .

العملية عصام - ٢٨
استطلاع وتصوير منطقة الطور يوم١٩٧٨/١٢/١١
باستخدام الهليكوبتر

بالرغم من الالتزام بقرار وقف إطلاق النار الذى بدأ يوم ٨ أغسطس ٧٠، واصلت المجموعة ٣٩ قتال نشاطها فى مجال الاستطلاع وجمع المعلومات التى تخدم خطط العمليات المستقبلية .

وكانت هناك مصادر متعددة للمعلومات إلا أن المجموعة كانت تستكمل المعلومات التى تحتاجها وتستوثق مما لديها من معلومات عن العدو.

ولمزيد من المعلومات عن العدو فى المنطقة شرق خليج السويس قامت المجموعة بتنفيذ مهمة استطلاع وتصوير منطقة الطور بقيادة إبراهيم الرفاعى

والعقيد طبيب محمد عالى نصر والجندى شريف بيومى وتمكنت من الحصول على المعلومات التالية :

١- عدم وجود قطع بحرية بميناء الطور .

٢- وجود أربعة خزانات بترول شرق المدينة بحوالى ٥٠٠ م .

٣- وجود بعض الطائرات الهيكلية بالمطار .

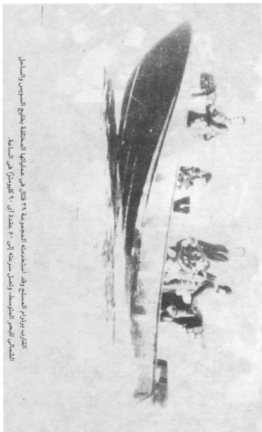
٤- خلو المنطقة من جبل حمام موسى حتى (أبو درية) من قوات العدو.



الصورة تجمع بين إبراهيم الرفاعى ويوسف عشيرى وفاروق بشير وإسلام توفيق وفاروق رستم وأسفل الصورة كل من الصف ضابط عبدالمنعم غلوش والطبيب عالى نصر وكان كل من الرفاعى ونصر وإسلام وغلوش قد أتموا تنفيذ عملية الاستيلاء كل أحد صواريخ العدو أرض - أرض الجديدة فى ذلك الوقت بمنطقة كوبرى الدفرسوار.



المجموعة التى نفذت عملية استطلاع بقوة شمال رأس سدر، وكانت تضم الرفاعى وإسلام واللواء مصطفى كمال والصف ضابط هنيدى مهدى والشهيد الشامى وعصام الدالى وأسفل الصورة الفيل وغلوش.



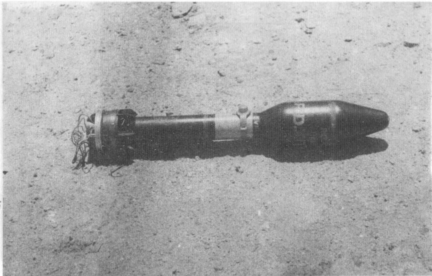
القارب برترام المسلح وقد استخدمته المجموعة ٣٩ قتال فى عملياتها المختلفة بخليج السويس والساحل الشمالى للبحر المتوسط، وتصل سرعته إلى ٥٠ عقدة أى ٩٠ كليومترًا فى الساعة.



من اليمين النقيب حنفى محمود والرائد عصام الدالى والمقدم إبراهيم الرفاعى وكل من الصف ضابط الشامى وعبدالمنعم غلوش واللواء مصطفى كمال الأب الروحى للمجموعة والنقيب بحرى إسلام توفيق ومن يمين الصف الثانى المساعد البجاوى.



اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية أثناء متابعة تجارب تصنيع واستخدام أول قاذف للصواريخ أرض - أرض من طراز كاتيوشا.



صورة للصاروخ الإسرائيلى التى استولت عليه المجموعة فى إحدى عملياتها المبكرة خلف خطوط العدو.

الفصل التاسع

الكمائن

أول كمين ...وأول أسير

العملية رقم ١٦ - ردع ٢

كمين للعدو شرق منطقة جبل مريم جنوب الإسماعيلية

اعتمدت خطة العدو الدفاعية على إنشاء مواقع حصينة شرق القناة وعلى امتداد حافة القناة مباشرة.ولما كانت المسافة بين نقاط ومواقع هذا الخط الدفاعي المعروف بخط بارليف تبلغ فى بعض الأحيان خاصة فى منطقة البحيرات إلى ما يتراوح بين ١٥و٢٠ كيلو مترا؛ لذا كان يعتمد على الدوريات الراكبة والمكونة من عدة عربات جيب مسلحة فى إطار استكمال المنظومة الدفاعية عن خط بارليف فى مراحله الأولى كخط دفاعى شرق القناة. وقد رصدت عمليات الاستطلاع أسلوب ومناطق مرور هذه الدوريات باستمرار .

وقد لاحظت المواقع المصرية على الحد الأمامى للقوات أن الدورية التى تعمل شرق بحيرة التمساح وجنوب المنطقة المواجهة للاسماعيلية تتعمد استفزاز القوات الموجودة غرب القناة .

وتوجهت عناصر من المجموعة ٣٩ قتال إلى هذة المنطقة لرصد عمليات الاستفزاز التى تقوم بها الدوريات الإسرائيلية، وقررت قيادة المجموعة التعرض لدورية من هذه الدوريات بعمل كمين لها فى منطقة جنوب جبل مريم، ووضعت خطة العملية وحددت التوقيتات المناسبة لتنفيذها، بعدها تم عرض الخطة على اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية الذى عرضها بدوره على الرئيس عبد الناصر الذى أقرها.

وقبل تنفيذ العملية طلب الخبير الروسى الخاص بإدارة المخابرات الحربية مرافقة المجموعة لمتابعة تنفيذ العملية على أن يكون فى موقع غرب القناة يسمح له بمراقبة خطوات التنفيذ ولم يمانع مدير المخابرات .

وصباح يوم ٢٦ أغسطس ١٩٦٨ ، وذلك بعد الانتهاء من مراحل التدريب والإعداد للعملية تحركت عناصر المجموعة التى ضمت ثمانية ضباط بقيادة الرفاعى و٢٣ صف وجندى من الصاعقة البحرية إلى مكتب المخابرات الحربية بالإسماعيلية .

وفى الساعة السادسة مساء عبر الملازم بحرى ماجد ناشد ومعه فردين، القناة سباحة للعمل كمجموعة تأمين للمجموعة الرئيسية.

وبعد وصولهم واحتلالهم لمواقعهم أخذت المجموعة الرئيسية فى العبور بواسطة قوارب مطاطية ، حيث بدأ الجميع فى إعداد المنطقة للعمل وفقًا للخطة.

وتضمن إعداد المنطقة زرع ألغام على الطريق وإخفاء الأفراد بحفر وقائية وتوزيع النيران.

أما فى غرب القناة فقد نشطت المجموعة الساترة التى ستحمى الموجودين شرق القناة بالنيران فى اختيار أنسب المواقع للمدافع الصاروخية .

واختار الخبير الروسى أن يكون بجوار القائد الذى يقود ويراقب العملية من فوق خزان للمياة بالضفة الغربية فى مواجهة منطقة الكمين مباشرة .

ووصلت دورية العدو المكونة من عربتين جيب صناعة أمريكية إلى منطقة الكمين فى الساعة العاشرة وخمس دقائق مساء .

ولم تمنع الكشافات القوية الإضاءة للعربتين من وقوع العربة الثانية فى حقل الألغام أما الأولى فقد أفلتت من هذا الحقل .

وأمر الرائد عصام الدالى بالاشتباك مع العربة التى أفلتت من حقل الألغام .

فما كان من قائدها إلا الاندفاع بسرعة عالية للابتعاد عن مجال ومدى النيران.

أما العربة الثانية التى وقعت فى حقل الألغام فتم الاشتباك معها مباشرة، مما أدى إلى قتل ٣ أفراد وكلب الحرب الذى يكتشف الكمائن وحقول الألغام وأسر العريف يعقوب رونيه .

ومن بين القتلى نائب مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية ورئيس أركان القوات البحرية وكانت مصادفة جيدة أن يسقط هذين القائدين قتلى .

وقد تصور العدو أن الجانب المصرى كان على علم بمرور هذين القائدين؛ لذا أعد لهما هذا الكمين، مع أن هذا لا علاقة له بالواقع، وقد عاد أفراد الدورية المصرية فى الساعة السابعة صباح يوم ٢٧ أغسطس بدون خسائر. وأفاد الاستطلاع اللاسلكى إلى اعتراف العدو بوقوع دورية القطاع الأوسط فى كمين جنوب بحيرة التمساح فى الساعة العاشرة مساء وإصابة عربة فى مؤخرتها نتيجة إطلاق النار عليها. وإصابة ٣ أفراد منهم فرد مفقود بالإضافة إلى جهاز لاسلكى .

وكان اعتقاد القوات الإسرائيلية أن إطلاق النار على الدورية قد حدث من الضفة الغربية للقناة وليس من كمين بالضفة الشرقية وذلك حتى إبلاغهم برؤية آثار أقدام متجهة ناحية القناة .

وقد رفض قائد الدورية الذى أفلت بسيارتة من حقل الألغام العودة إلى منطقة الكمين بدون دعم، واستمرت حالة الخوف ورفض تنفيذ أمر العودة إلى المنطقة لمدة نصف ساعة، ولم يتحرك إلا بعد وصول دبابة لمرافقته ولمزيد من الحرص أصر على عدم إضاءة أنوار عربته .

ولاحظت القوات المصرية غرب القناة أن العدو يحرص على عدم تصعيد الموقف حيث صدرت للقوات الإسرائيلية أوامر بعدم إطلاق النار .

وقد كشفت الوقائع عن عدم تحرك قائد القطاع الأوسط إلى منطقة الكمين الذى اكتفى بمتابعة تقارير الكمين فى مقر قيادتة.

وقد وصل قائد جبهة القناة الإسرائيلى إلى قيادة القطاع الأوسط بعد ساعتين ونصف الساعة بعدها انتقل إلى الوحدة الفرعية الصغرى شرق بحيرة التمساح للإشراف على التحقيق ورفع الروح المعنوية .

اعتراف إسرائيلى

وفى نفس اليوم أعلن متحدث عسكرى إسرائيلى فى تل أبيب أن اثنين من الجنود الإسرائيليين قتلا واختطف ثالث فى كمين نصب لسيارة عسكرية على الضفة التى تحتلها إسرائيل لقناة السويس. ولم يحدد المتحدث ما إذا كان فريق الكمين يتألف من جنود مصريين نظاميين أو من رجال المقاومة وقال إن السيارة الجيب مرت فوق لغمين زرعا فى طريق غير مرصوف تجاه الإسماعيلية وأضاف المتحدث أنه عندما انفجر اللغمان تعرضت سيارة جيب لوابل من الرصاص من رجال منبطحين على جانب الطريق .

ومضى المتحدث العسكرى يقول إن جنديين قتلا وفقد ثالث يبدو أنه سحب نحو الضفة الغربية للقناة التى تبعد بضعة أمتار .

وقالت مصادر عسكرية إن هناك أدلة على أن فريق الكمين قد عبر القناة فى قوارب.وقال المراقبون فى تل أبيب إن هذا الحادث يعتبر أول حادث خطير فى منطقة قناة السويس خلال عدة أسابيع . وقالت وكالة «أسوشيتدبرس» من تل أبيب إن الإسرائيليين قالوا إن سيارة جيب اصطدمت باللغمين وتعرضت للنيران عبر القناة من الإسماعيلية.كما قالت وكالة يونيتدبرس إن البحث فى منطقة الحادث أدى إلى الكشف عن لغم ثالث لم ينفجر ومسدس مع طلقاتة.وقد دعا الجنرال موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى الجنرال أودبول كبير المراقبين الدوليين إلى الاجتماع به حيث سلمه احتجاجًا شديدًا على حادث اختطاف الجندى الإسرائيلى الذى قال إن الفدائيين المصريين قاموا به .وأعلنت وزارة الدفاع الإسرائيلية أن ديان وأدبول وحاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى عقدوا اجتماعا عاجلاً تحدث فيه ديان عن خطورة الموقف التامة .

وقال أودبول ردا على ذلك إنه سيغادر تل أبيب غدا الأربعاء إلى القاهرة كما كان مقررًا ووعد بأن يبلغ ديان شخصيًا بنتائج محادثاته فى القاهرة .

تقرير سكرتير عام الأمم المتحدة

ويوم ٣٠ أغسطس بعث الجنرال أودبول كبير مراقبى الأمم المتحدة بتقرير ليوثانت عن نتائج التحقيق الذى أجراه المراقبون الدوليون فى حادث الدورية العسكرية الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة والذى قتل فية جنديان إسرائيليان واختفى جندى ثالث .

وقال التقرير إن الأدلة المادية تشير إلى أن الدورية ـ وكانت مكونة من سيارتين - قد تعرضت لكمين، ولكنه لم يحدد من الذى نصب هذا الكمين، وإن كانت وكالة رويتر قد قالت إن التقرير ذكر أن الأدلة المادية تشير إلى أن المصريين هم الذين دبروه.وأضاف التقرير أنه من المحتمل أن تكون الآثار التى وجدت على الرمال لشخص جر جسده. وقال أودبول فى تقريرة إن الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلى ينظر إلى الحادث بخطورة شديدة.

وجاء فى تقرير الأمم المتحدة أن الحادث لفت انتباههم على إثر ثلاثة انفجارات صاحبتها ومضات نيران. ثم زار المراقبون المنطقة حيث شاهدوا سيارة جيب مدمرة وعددًا من المخابىء المحفورة على ضفة القناة .

وكشف الفحص عن إصابة الجزء الخلفى للسيارة الجيب بأضرار جسيمة

يحتمل أن تكون نتيجة لانفجار لغم ووجود حفرتين فى الرمال يبدو أنهما من فعل انفجار اللغمين وكان المحور الخلفى للسيارة الجيب فى إحدى الحفرتين، كما شوهدت بقعتان من الدماء تغطيان الرمال على مقربة من السيارة الجيب .

ويقول المراقبون إنهم وجدوا رصاصات مسدس وبعض قنابل يدوية لم تنفجر، كما عثروا على بعض مسامير أمان خاصة بالقنابل اليدوية وعلبتى كرتون للإشارات الضوئية .

وصباح يوم ٣١ اغسطس ١٩٦٨ صدرت جريدة «الأهرام» بعناوين رئيسية تعكس حقيقة رد الفعل الأسرائيلى والتهديدات الساخرة لمصر ردًا على الكمين الناجح الذى نفذتة المجموعة وكانت العناوين كالتالى:

تهديد إسرائيلى سافر

ديان يوجه تهديدات خطيرة إلينا ومجلس وزراء اسرائيل يتلقى منه تقريرًا عن -حادث قتل جنديين واختفاء ثالث على الضفة الشرقية لقناة السويس

الموقف شديد التوتر على طول خط وقف إطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل .

مصادر تل أبيب تقول إن منطقة الغليان فى الشرق الأوسط انتقلت من وادى نهر الأردن إلى منطقة قناة السويس .

أما النص فقد جاء فيه:

وجهت إسرائيل تهديدًا سافرًا للجمهورية العربية المتحدة وورد هذا التهديد الخطير فى تصريحات أدلى بها موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى الذى قدم تقريرًا إلى مجلس وزراء إسرائيل عن الحادث الذى وقع على الضفة الشرقية لقناة السويس وقتل فيه جنديان إسرائيليان واختفى جندى ثالث .

وقد أصبح الموقف شديد التوتر على طول خط وقف إطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل وعبرت عنه مصادر تل ابيب نفسها بقولها: إن منطقة الغليان فى الشرق الأوسط قد انتقلت من وادى الأردن إلى منطقة قناة السويس .

كما انعكس هذا التوتر على الأمم المتحدة التى توافرت لديها أخيرًا معلومات عن خطط إسرائيلية لإشعال التوتر على خطوط وقف القتال .

وقد اجتمع أمس موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى مع الجنرال النرويجى أودبول كبير المراقبين الدوليين فى الشرق الأوسط ليبحث مسألة حادث قتل الجنديين الإسرائيليين واختفاء الثالث على الضفة الغربية لقناة السويس .

وكان أودبول قد اجتمع مع ديان يوم الثلاثاء الماضى بناء على طلبه حيث قدم إليه احتجاجًا على الحادث كما ادعى بأن الجندى الثالث المفقود قد اختطف إلى الضفة الشرقية للقناة .

وقد بحث أودبول هذا الموضوع عند زيارته للقاهرة يوم الأربعاء الماضى - وكانت مقررة من قبل - ثم عاد إلى مقر عمله فى القدس مساء الخميس واجتمع بديان حيث أبلغه أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها أية معلومات عن هذا الحادث على الاطلاق .

وقالت بعض مصادر وزارة الدفاع إن ديان أبلغ اودبول أن رد مصر قد يعنى أن الهجوم قامت به قوات غير نظامية.

وبعد الاجتماع أدلى وزير الدفاع الإسرائيلى بتصريحات للإذاعة الإسرائيلية قال فيها إن رد مصر غير مرضى وأضاف انه سيقدم تقريره إلى مجلس الوزراء عن الحادث الذى قتل فيه جنديان إسرائيليان أثناء إغارة جريئة. وكرر ادعاؤه بأن الغارة تمت عبر القناة فى المنطقة المحتلة مساء الاثنين الماضى، كما كرر الادعاء بأن الآثار المتخلفة عن الحادث تشير إلى أن الجندى الإسرائيلى الثالث سحب فى اتجاه القناة إلى الضفة الغربية قرب منطقة الإسماعيلية .

وقال ديان إن إسرائيل تريد عودة الجندى المخطوف ياكوف رونيه وأضاف أنها طلبت إلى الصليب الأحمر الدولى أن يتولى التحقيق فى حادث الجندى المفقود .

ثم قال إن إسرائيل تستخلص لنفسها النتائج بعد أن رفضت مصر أية مسئولية عن الحادث .

كذلك صرحت مصادر عسكرية إسرائيلية بأنها تتوقع أن يحدث أى شىء فى أى وقت وقال أحد هذه المصادر إن ما سيحدث يتوقف أولاً وأخيرًا على القرار الذى ستتخذه الوزارة الإسرائيلية .

وقال مصدر آخر مكررًا التهديدات الإسرائيلية السافرة: إن بيانات ديان من هذا النوع غالبًا ما تكون تمهيدًا لإجراء ما .

ويوم ٢٨ اغسطس ١٩٦٨ أرسلت هيئة الصليب الأحمر لمكتب بمصر رسالة تحمل رقم ٢٠٢ موجهة للعقيد عدلى الشريف ضابط الاتصال المصرى جاء فيها أن المركز الرئيسى بجنيف يرجو موافاته بأية معلومات عن الأومباشى - العريف

ـ يعقوب ـ ياكوف رونيه الإسرائيلى رقم ٢٠٢٩٦٣٧ والذى تدعى إسرائيل أنه تم أسره بواسطة قوات مسلحة مصرية خلال الهجوم الذى تم فى الساعة العاشرة مساء ٢٦ اغسطس ١٩٦٨ .

وسنكون ممتنين إذا ما أكدتم لنا أنه أسير وفى هذه الحال فإننا نتطلع للحصول على معلومات عنه حتى يمكن اتخاذ ترتيبات ليزوره وفد من مكتب هيئة الصليب الأحمر بمصر.ونشكركم مقدمًا على تعاونكم .

وأرسل ضابط الاتصال المصرى العقيد عدلى الشريف ردًا موجها للسيد بواساره بمكتب هيئة الصليب الأحمر بالقاهرة يوم ٢٩ أغسطس قال فيه فيما يتعلق بالجندى الإسرائيلى يعقوب رونيه فإننى أود أن أخبرك أن مصر لا تعرف شيئا عن هذا الموضوع .

٢.كمين لطائرة هليكوبتر إسرائيلية - ١٩٧٠/٧/١٨

من ملاحظة ومتابعة أسلوب القيادة الإسرائيلية فى التعامل مع أطقم الطائرات المقاتلة والقاذفة التى تتمكن وسائل الدفاع الجوى المصرى من إسقاطها تعرفت القيادات المصرية على نمط الأداء الإسرائيلى فى هذه المواقف.

ومن أهم النتائج التى أسفرت عنها هذه المتابعة حرصت القيادة الإسرائيلية على استعادة الأحياء والجرحى والقتلى من أطقم هذه الطائرات.ومن أجل ذلك يتم تزويد الطيارين بأجهزة بيكون لتحديد الموقع، حتى يمكن للقيادة التعرف على مكان الطيار بعد سقوط الطائرة، وأجهزة اتصال حديثة للاتصال من أى موقع . إذا ما كانت صالحة للاستخدام أو أن استخدامها لا يشكل خطورة على الطيار، لأن استخدام مثل هذه الأجهزة يساعد على معرفة موقعه، وذلك بالإضافة إلى رشاش خفيف الوزن شديد الفاعلية صغير الحجم.وهذا الرشاش يمكن استخدامه للدفاع عن النفس ضد الأفراد والحيوانات المفترسة بالإضافة إلى كميات من المواد الغذائية التى تكفى لفترة محدودة وبمجرد سقوط أية طائرة عسكرية ترسل القيادة طائرة هليكوبتر أو أكثر حسب الاحتياج والموقف لالتقاط الأحياء ونقل الجرحى وجثث القتلى .

وهذه العملية أصبحت نمطية ومتكررة. أما الطائرة الهليكوبتر فتزود بجهاز لالتقاط الإشارة التى يرسلها جهاز «البيكون» حتى يمكن تحديد موقع الطيار. أى أن الهليكوبتر تحلق فى خط ملاحى تحدده الإشارات المرسلة .

وأراد قائد المجموعة ٣٩ قتال الاستفادة من هذا الأسلوب الإسرائيلى.وكانت خطته شديدة البساطة وتتمثل فى إعداد كمين لاصطياد الطائرة الهليكوتبر، وذلك فى أعقاب إسقاط أية طائرة إسرائيلية على امتداد الجبهة .

وعندما علم بإسقاط طائرة فانتوم يوم ١٩٧٠/٨/١١ توجه إلى الإسماعيلية وقام بالتنسيق مع بعض قوات الجيش الثانى من أجل إعداد كمين جيد لاصطياد الهليكوبتر. واستمر أفراد الكمين فى انتظار وصول الهليكوبتر إلا أن الانتظار لم يسفر عن شىء .

وفى نفس الوقت كانت هناك مجموعات أخرى تنشط للبحث عن طيار الفانتوم للعثور عليه قبل أن يعثر عليه العدو .ولم يؤد البحث إلى نتيجة، وانتهى الكمين دون أن يحقق الهدف منه.



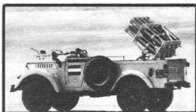
التدريب على استخدام الهليكوبتر فى الإبرار الجوى وعمليات الإنقاذ.



تمكنت المجموعة من تحميل عربة عسكرية للسير فوق الرمال على قارب مطاطى من طراز زودياك مارك ٥ باستخدام مسطح خشبى.



من اليمين الرائد أحمد رجائى عطية والمقدم إبراهيم الرفاعى والنقيب محمود حنفى والنقيب بحرى إسلام توفيق والملازم أول بحرى ماجد ناشد والنقيب يحيى نوح.



عربة جيب محملة بقاذف صواريخ ١٢٠ مم أرض - أرض «جراد».

الفصل العاشر

الإغـارات

(١) العملية رقم ٣١ ـ رياض

اقتحام مواقع العدو الحصينة فى لسان التمساح ـ ١٩٦٩/٤/٢٠

سقط الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة شهيدا بنيران العدو وهو يتفقد المواقع الأمامية للجبهة غرب القناة صباح يوم ٩ مارس ١٩٦٩.

والشهيد لم يكن قائدا عسكريا بارزا ومرموقا بل كان يمثل الأمل فى استرداد العسكرية المصرية لكبريائها المهدر على رمال سيناء فى يونيو١٩٦٧ وفى الثأر للكرامة المصرية التى أريقت خلال هذه النكبة.

ولأن الرجل كان كفئا، بل بالغ الكفاءة، ولأنه لم يتعلم الانحناء أو الانطواء تحت مظلة النفاق والفساد على القمة، فقد حرصت القيادتان السياسية والعسكرية على إبعاده عن مواقع القيادة والمسئولية إلى أن حدثت النكبة، وقتها لم تجد القيادة من يمسك بدفة القيادة وتحمل مسئولية إعادة بناء القوات المسلحة سواه ، فاستدعته من موقع نفيه بالقيادة العربية الموحدة الذى سبق أن نفته إليه ليتحمل مسئولية منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة .

وبدأ الرجل العمل بكل طاقته وسط ركام من الفساد والانهيار وبوجوده فى هذا المنصب بدأت القوات المسلحة تقتنع أن الصواب والمنطق قد عادا إلى مكانهما بالقيادة العامة. كان الطريق شاقا ولكنه أضاءه بالأمل والعمل .

وتحول الرجل إلى قدوة خاصة لهذه المجموعة التى كانت تقاتل خلف خطوط العدو منذ وقف إطلاق النار. ورأى المقدم إبراهيم الرفاعى أن تثأر المجموعة من الموقع الذى أطلق النار على رئيس الأركان المصرى.

وكان قائد الموقع الإسرائيلى شرق القناة قد لاحظ مجموعة سيارات جيب تتجه إلى الموقع المصرى بالقرب من حافة القناة، فاستنتج أن هذه زيارة يقوم بها عدد من كبار القادة، فأصدر أوامره للمدفعية بتوجيه نيرانها إلى هذه السيارات بدلا من المواقع التى كانت مستهدفة من قبل. وأسفر القصف عن إصابة الشهيد عبد المنعم رياض بشظية قنبلة مدفعية بأسفل الجانب الأيمن من البطن أدت إلى استشهاده أثناء نقله للعلاج .

وعلى ضوء عمليات استطلاع متوالية وتقارير الاستطلاع السابقة وخرائط الموقع الإسرائيلى الموجودة لدى المجموعة والخرائط الجديدة التى تم الحصول عليها وضع إبراهيم الرفاعى خطة الهجوم على الموقع رقم ٦ على ورقة بيضاء من أوراق فرع العمليات الخاصة بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع . وعلى الوجه الأول للورقة رسم كروكى للموقع بالكامل ثم حدد أسلوب تحرك المجموعات وخطة الاقتراب والهجوم والحماية ثم كتب ثمانيه نقاط حدد فيها عناصر الخطة هى :

١- تشكيل الدوريات رأس سهم .

٢- يعطى تمام باحتلال فتحات الدشم .

٣- إلقاء قنابل الدخان ويستحسن فى الفتحات .

٤- إلقاء عبوات الحريق .

٥- إحضار أى قتلى أو جرحى (من الطرفين)

٦- يستحسن الاشتباك مع الرشاشات بواسطة R.B.J7 والقنابل اليدوية .

٧- كلمة سر الليل (بالنسبة لنا) عصام .

٨ - يراعى الفواصل بين الأفراد .

وعلى الوجه الآخر أجرى عملية حسابية حول حجم القوة المطلوبة وحدد قادة المجموعات وعدد أفراد كل مجموعة وتسليحها وكانت كالتالى :

مج١- (المجموعة الأولى) محسن + ١٢ فردا .

مج٢- محيى + ١١ فردا

مج٣- رجائى + ١٢ فردا من الصاعقة البحرية .

مج٤- وئام + ١٠أفراد

مج٥- قيادة ٦ صاعقة بحرية

مج ٧- إسلام وعالى ووسام + ٣ أفراد صاعقة بحرية .

وكانت هناك مجموعة سادسة بقيادة العميد مصطفى كمال بمرافقة ضابط مخابرات يجيد اللغة العبرية ومعه جهاز تصنت لاسلكى للتصنت على الموقع الإسرائيلى وتوفير المعلومات للقوات المهاجمة أولا بأول .

والموقع الإسرائيلى يتكون من ٤ دشم مقامة على اللسان الموجود ببحيرة التمساح .

وكانت المسافة التى تفصل بين النقطة التى ستنطلق منها القوة المهاجمة والموقع مسافة طويلة وهى عرض بحيرة التمساح كلها، (١) وتحصينات الموقع توفر له الحماية من القصف الجوى بالقنابل حتى زنة ٩ أطنان، كما يوجد موقعان حصينان مقامان على ربوتين تبعدان عن الدشم بحوالى كيلومتر واحد لحماية الموقع الموجود باللسان .

ولم يكن فى حسبان القادة الإسرائيليين إمكان مهاجمة هذا الموقع لاعتبارات كثيرة من أهمها أن الموقع على حافة البحيرة مباشرة وتحميه مسافة طويلة من المانع المائى كما أن تحصين الموقع وقوة النيران الموجودة به وأسلوب الحماية ووجود موقعين يشكلان مع الموقع رقم ٦ مثلثا قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل وبما يوفر له قوة دفاعية كبيرة .

وأمام هذه الاعتبارات لم تتخذ القيادة باقى الأشكال والوسائل الدفاعية مثل الأسلاك الشائكة وحقول الألغام وأجهزة الإنذار المختلفة ونتيجة لعدم وجود موانع من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للأفراد أو المركبات وأجهزة الإنذار المختلفة توفرت لخطة الاقتراب من الموقع والهجوم عليه الفرصة لمفاجأة العدو والاحتفاظ بعامل المبادأة وهما من أهم عوامل تحقيق النجاح.

---

(١) يبلغ عرض التمساح حوالى ١٣ كيلو مترا.

وأسهمت الخطة والتنسيق بين قيادة المجموعة ٣٩ قتال وقيادة الجيش الثانى ومدفعية هذا الجيش فى إكمال كل العناصر التى جعلت من الهجوم مفاجأة كاملة .

فقد تضمنت الخطة قصف مواقع العدو المواجهة للجيش الثانى بنيران مدفعية الميدان قبل وأثناء عبور مجموعات الهجوم للبحيرة والاقتراب من الموقع الإسرائيلى .

وقد بدأ القصف قبل بدء التحرك بحوالى ٢٠ دقيقة، واستمر طوال فترة عبور القوارب الحاملة للأفراد المهاجمين لبحيرة التمساح والذى استغرق ١٤ دقيقة.

وكان قائد المجموعة المهاجمة على اتصال بقيادة الجيش وقائد المدفعية لتنسيق توجيه النيران حتى لا تؤثر على أفراد المجموعة وكان هذا يعنى استمرار القصف ولكن على مسافة آمنة من مناطق اقتراب القوارب .

وكانت تعليمات القيادة الإسرائيلية للقوات الموجودة بمواقع خط بارليف تقضى باللجوء إلى داخل الدشم والاحتماء بها من نيران المدفعية المصرية عندما تبدأ فى قصف أى من مناطق هذا الخط .

وكان الهدف من نيران المدفعية المصرية وفقا لخطة الهجوم ستر تقدم القوات المهاجمة حتى لحظة الاقتراب من الموقع، فوجود القوات الموجودة داخل الدشم سيحول بينها وبين اكتشاف محاولة الهجوم على الموقع .

وشمل القصف الموقع رقم ٦ (لسان التمساح) وموقعى العدو أمام جبل مريم باعتبار أنهما يؤثران على مهمة الإغارة تأثيرا كبيرا .

وكانت قوة العدو بالموقع تتكون من :

١- فصيلة مشاه .

٢- قوة لإدارة نيران موقع الصواريخ .

٣- عربة نصف جنزير + لورى.

٤- مخزن ذخيرة وصواريخ .

٥- نقطة ملاحظة .

تحركت المجموعة تحت ستر نيران المدفعية التى بدأت تقصف مواقع العدو الساعة السابعة والنصف مساء .

وفور وصول القوة المهاجمة إلى الشاطئ بجوار الموقع بدأت المجموعات الخمس فى اتخاذ تشكيل قتالى كالتالى :

١- المجموعة الأولى بقيادة المقدم إبراهيم الرفاعى ومعه ٦ أفراد من الصاعقة البحرية، ومهمتها قيادة باقى المجموعات والسيطرة عليها والهجوم على الدشمة رقم ١ .

٢-المجموعة الثانية بقيادة النقيب أحمد رجائى ومعه ١٢ فردا من الصاعقة البحرية ومهمتها الهجوم على الدشمة رقم ١

٣-المجموعة الثالثة بقيادة النقيب محيى إبراهيم ومعه ١٢ فردا من الصاعقة ومهمتها مهاجمة الدشمة رقم ٢ .

٤-المجموعة الرابعة بقيادة الملازم أول وئام سالم ومعه ١١ فردا من الصاعقة ومهمتها مهاجمة الدشمة رقم ٣ .

٥-المجموعة الخامسة بقيادة الملازم محسن طه ومعه ١١ فردا من الصاعقة ومهمتها تدمير الدشمة رقم ٤ وكشك الذخيرة وبث ألغام مضادة للدبابات على مدقات العدو .

٦- المجموعة السادسة بقيادة الرائد طبيب محمد عالى نصر ومعه النقيب بحرى إسلام توفيق والملازم أول بحرى وسام حافظ و٣ أفراد من الصاعقة البحرية ومهمتها تأمين منطقة النزول ومنع العدو من تطويق منطقة الإغارة .

وتم الهجوم على الموقع كالتالى :

تقدمت المجموعات حتى مسافة ١٠٠ متر من الدشم تحت ستر نيران المدفعية بعد طلب القائد رفع ضرب المدفعية، وبدأت فى إلقاء مولدات الدخان وعبوات

الحريق من فتحات التهوية فأخذ أفراد العدو فى الصراخ وانطلقت النيران من الرشاشات من المزاغل .

وفى الوقت الذى تم فيه إلقاء مولدات الدخان وعبوات الحريق والقنابل اليدوية إلى داخل الدشم، كانت هناك مجموعات تقف بالقرب من أبواب الخروج فى انتظار كل من يحاول الخروج، وبمجرد بدء محاولات الخروج بدأ أفراد المجموعات فى التعامل مع أفراد العدو بالأسلحة الصغيرة والقنابل اليدوية .

وهاجم البعض العربة نصف الجنزير وسيارة النقل بقواذف الآر - بى - جى. وتمكن المهاجمون من الحصول على المدفع الرشاش الخاص بالعربة النصف جنزير.

أما فتحات الدشم التى صدرت منها النيران فقد تمت مهاجمتها بالقواذف آر - بى - جى من أجل تدمير الرشاشات الموجودة بها .

كما تم نسف مخزنين للذخيرة وأصيب خلال الهجوم النقيب محيى وفردان آخران ومن أجل الجرحى تحرك القارب الاحتياطى لنقلهم إلى الضفة الغربية .

وفى الساعة التاسعة مساء كانت الدشم مشتعلة بالنيران والانفجارات العنيفة تهز الموقع كما سكتت أو توقفت تماما مقاومة العدو. وتلقى إبراهيم الرفاعى بلاغا من العميد مصطفى كمال قال له فيه إن الاستطلاع اللاسلكى يفيد بتحرك دبابات معادية باتجاه الموقع. وفعلا اقتربت هذه الدبابات من المدقات المؤدية للموقع وكان الملازم محسن قد قام ببث ألغام مضادة للدبابات، فانفجر أحدها ودمر دبابة اسرائيلية، ولكن بعد أن أطلقت أربع دانات على القوة المهاجمة طاشت كلها وسقطت فى مياه البحيرة .

ومن أجل هذه العملية قرر الرئيس السادات منح علم الوحدة أعلى وسام مصرى. وقام بنفسه بوضعه على العلم، وخلال نفس الوقت أهدته الوحدة المدفع الرشاش الذى حصلت عليه.

وفى الساعة التاسعة وخمس دقائق أصدر القائد أمره بالعودة إلى نقطة النزول تحت ستر المجموعات التى معه، وبعد خمس دقائق بدأت عودة القوة إلى

الضفة الغربية.وخلال ذلك طلب من المدفعية معاودة القصف لستر العودة وبعد ١٥ دقيقة وصل الجميع وتم نقل الجرحى إلى المستشفى .

ولطبيعة العملية وأهميتها وتأثيرها على اسرائيل اعترف المتحدث العسكرى المصرى بها وأصدر بيانا عنها، كما اهتمت الصحف الصادرة صباح يوم الإثنين ٢١ إبريل ١٩٦٩ بها.

فقد صدرت جريدة الأخبار بالعناوين التالية :

أجرأ عملية ...منذ حرب يونيو

قوة من الوحدات الفدائية الخاصة عبرت القناة واقتحمت موقعا إسرائيليا أمام بحيرة التمساح

القوة الفدائية قتلت وجرحت ٣٠ ضابطا وجنديا إسرائيليا.ونسفت تحصينات العدو واشتبكت مع دباباته

إسرائيل تعترف رسميا بالمعركة.. بعد إذاعة بيان المتحدث العسكرى المصرى.

القوات الفدائية المصرية.بدأت هجومها الساعة ٧,٣٠ مساء وسيطرت على الموقع الإسرائيلى ساعتين.ودمرته تماما

أما جريدة الأهرام فقد جاءت عناوينها الرئيسية كالتالى :

وحدة من القوات المصرية الخاصة تعبر القناة وتقتحم موقعا للعدو

الوحدة قامت بتدمير الموقع على كل من كانوا فيه

مقتل وإصابة ما لا يقل عن ٣٠ جنديا وضابطا للعدو ونسف مخزنين للذخيرة وعدد من السيارات المدرعة

الوحدة تشتبك فى طريق عودتها مع خمس دبابات وتحطم إحداها

عاد أفراد الوحدة سالمين بأسلحة من الموقع وعلمه

وعالجت جريدة «الأخبار» العملية كالتالى :

عبرت قوة فدائية مصرية قناة السويس.اقتحمت موقعا اسرائيليا عند بحيرة التمساح.هاجمت الضباط والجنود وهم داخل الدشم المحصنة.قتلت وجرحت٣٠ ضابطا وجنديا من قوات العدو.دمرت العربات المدرعة.نسفت مخازن الذخيرة..

اشتبكت مع مجموعة من دبابات العدو حاولت التدخل لمعاونة الموقع المدمر.دمرت إحدى الدبابات وظلت مسيطرة على موقع العدو منذ الساعة السابعة والنصف حتى التاسعة والنصف مساء.ثم بدأت فى الانسحاب. وعادت القوة سالمة .

أصيب إثنان من أفرادها إصابات طفيفة.حدث هذا الهجوم يوم السبت.. ويعتبر أجرأ هجوم على القوات الإسرائيلية منذ حرب يونيو . أعلن هذا النبأ الجرىء متحدث عسكرى من قواتنا المسلحة.. واضطرت إسرائيل إلى الاعتراف رسميا بالهجوم بعد إذاعة البيان الرسمى المصرى.وقال المتحدث الإسرائيلى إن القوة الفدائية المصرية عبرت القناة فى زوارق.وإنها تتألف من خمسة عشر رجلا وقال المتحدث الإسرائيلى إن الفدائيين قاموا بتطويق خط التحصينات الإسرائيلى وإنهم هاجموا موقعا إسرائيليا.

فيما يلى تفصيلات المعركة: أدلى متحدث عسكرى بالبيان التالى:

قامت وحدة خاصة من الوحدات الفدائية فى تمام الساعة السابعة والنصف من مساء أمس ١٩ إبريل باقتحام موقع العدو المقام على لسان التمساح المواجه لمدينة الإسماعيلية. وقتلت وأصابت ما لا يقل عن ٣٠ ضابطا وجنديا من جنود العدو داخل الدشم المحصنة.كما دمرت العربات المدرعة ومخازن الذخيرة الموجودة بالموقع المعادى.

أما الأهرام فقالت:

شهدت جبهة القتال عملية عسكرية من نوع جديد عبرت فيها وحدة من القوات الخاصة المصرية قناة السويس واقتحمت أحد المواقع الحصينة للعدو واشتبكت مع أفراده فى قتال مباشر .

وقد سيطرت القوة المصرية على هذا الموقع سيطرة كاملة لمدة ساعتين ولم تتركه إلا بعد أن نسفته وقتلت وأصابت كل من فيه من الضباط والجنود .

وعادت القوة سالمة إلى الخطوط المصرية وراء القناة ومعها علم الموقع وبعض الأسلحة الإسرائيلية الخفيفة وقد أصدر متحدث عسكرى مصرى بيانا مقتضبا عن هذه العملية الجريئة ـ التى تعتبر نقطة تحول بارزة فى المواجهة الطويلة والقاسية مع العدو ـ قال البيان :

«قامت وحدة خاصة من الوحدات الفدائية فى تمام الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ١٩٦٩/٤/١٩ باقتحام موقع العدو المقام على لسان التمساح المواجه لمدينة الإسماعيلية وقتلت وأصابت ما لا يقل عن ٣٠ ضابطا وجنديا من جنود العدو داخل الدشم المحصنة. كما دمرت العربات المدرعة ومخازن الذخيرة الموجودة بالموقع المعادى».

«واستمرت القوة مسيطرة على الموقع تماما حتى تم تطهيره فى الساعة التاسعة والنصف حيث بدأت فى العودة إلى قواعدها ».

«واشتبكت أثناء ذلك مع مجموعة من دبابات العدو حاولت التدخل فى الموقع المدمر ونجحت قواتنا فى تدمير إحدى الدبابات وعادت جميع القوة إلى قاعدتها سالمة وأصيب فردان إصابات خفيفة»

ويبعد هذا الموقع الذى اقتحمته القوة المصرية حوالى ٢٥٠ مترا إلى الشرق من شاطئ القناة وتحميه عدة دشم محصنة تحصينا قويا بالخرسانة المسلحة ويضم مخزنين للذخيرة ومركز احتشاد سيارات مدرعة وكان هذا الموقع يتخذ من المواقع المدنية فى الإسماعيلية أهدافا لنيرانه .

وقد شعرت قوات العدو فى الموقع بالوحدة المصرية المهاجمة فاشتبكت معها فى قتال قصير تمكنت بعده القوة الفدائية المصرية من اقتحام الموقع حيث حدث قتال مباشر وعنيف انتهى بتدمير الموقع ونسف مخزنى الذخيرة والمدرعات الموجودة فيه .

وقد أسفرت المعركة من مقتل وإصابة جميع أفراد العدو فى الموقع ولا يقل عددهم عن ثلاثين ضابطا وجنديا .

وظلت القوة الفدائية المصرية مسيطرة على الموقع طوال الوقت الذى جرى فيه الاشتباك ـ والذى دام حوالى ساعتين ـ ثم جمعت بعض الأسلحة الخفيفة من الموقع ونزعت العلم الإسرائيلى من فوقه وبدأت فى العودة إلى الخطوط المصرية .

وقد سارع العدو بإرسال نجدة من خمس دبابات الى الموقع المدمر فضربت القوة المصرية واحدة من هذه الدبابات ودمرتها .

وعادت القوة بعد ذلك بسلام إلى الخطوط المصرية وكان بين أفرادها اثنان من الجرحى حملهما رفاقهم فى السلاح طوال الطريق الحافل بالمخاطر .

وأمام غرابة البيان العسكرى الإسرائيلى عن العملية قالت الأخبار:

أغرب بلاغ عسكرى فى التاريخ

اضطربت البيانات الإسرائيلية الخاصة بالمعركة بين الوحدة الفدائية المصرية وبين القوات الإسرائيلية داخل مواقعها فى سيناء فقد أنكر الإسرائيليون أولاً كل شىء عن المعركة إلى أن أعلنها المتحدث العسكرى المصرى .وعندما تعرض المتحدث الإسرائيلى للحرج من المراسلين اعترف بالمعركة وحاول التقليل من الخسائر وعندما حاصرته الأسئلة تحولت تصريحات المتحدث الإسرائيلى إلى «نكتة» وإلى أغرب بلاغ عسكرى فى التاريخ مما أثار سخرية وكالات الأنباء نفسها فقد قال المتحدث الإسرائيلى إن « القوات الإسرائيلية سمحت للقوة الفدائية المصرية بالعودة إلى قواعدها»!!

واختارت الأهرام أسلوبا مختلفا لعرض البيان العسكرى الإسرائيلى والتعليق عليه وفى نفس الوقت لم تغفل تصريحات ديان وزير الدفاع الإسرائيلى وتوضيح دلالة هذه التصريحات :

بيان إسرائيل عن العملية

اعترفت القيادة الإسرائيلية بعملية القوات المصرية ولكن بعد أكثر من ٢٠ ساعة من حدوثها وأكثر من خمس ساعات من صدور البيان المصرى عنها فقد نقلت وكالات الأنباء من تل أبيب فى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر بيانًا عسكريًا إسرائيليًا يقول إن وحدة من ١٥جنديا من قوات الكوماندوز فى الجيش المصرى قد عبرت القناة فى الساعة ٨,٣٠ مساء يوم السبت لمهاجمة موقع إسرائيلى على القناة شمال بحيرة التمساح فى مواجهة الإسماعيلية. وأضاف البيان :ويعد معركة قصيرة أصيب فيها جندى إسرائيلى ودمرت سيارة مدرعة تمكنت القوات الإسرائيلية من رد القوة المصرية المهاجمة .

تعليق على بيان إسرائيل

كتب المحرر العسكرى للأهرام :

يلفت النظر فى البيان الذى أصدرته إسرائيل عن العملية التى قامت بها وحدة من القوات المصرية الخاصة - عدة نقط :

١- أن العملية بدأت فى الساعة السابعة والنصف وانتهت فى الساعة التاسعة من مساء أول أمس ولم تذكر إسرائيل عنها كلمة واحدة فى أى بيان رسمى أو غير رسمى حتى الساعة الخامسة من بعد ظهر أمس وفى هذا الوقت كان المتحدث الرسمى العسكرى قد أدلى ببيان عن العملية نشر وأذيع فى كل مكان. أى أن إسرائيل أشارت إلى العملية لأول مرة بعد أكثر من ثمانى عشرة ساعة من وقوعها وبعد عدة ساعات من بيان المتحدث العسكرى المصرى عنها.

٢-أن إسرائيل تقول ـ متأخرا جدا ـ إن الهجوم الذى قامت به وحدة القوات المصرية الخاصة ـ لم يحقق أهدافه ـ وإذا كان ذلك صحيحا فلماذا سكتت إسرائيل وهى القادرة على ملء الدنيا بالصخب والضجيج فى أى عملية فضلا عن عملية من هذا النوع بالذات يعترف فيها البيان الإسرائيلى نفسه بأن هناك وحدة من القوات الخاصة عبرت وهاجمت واشتبكت فى معركة مهما يكن الخلاف فى نتائجها .

٣-أن التفسير الوحيد لسكوت إسرائيل الطويل قبل إذاعة شيء عن العملية لا يمكن إلا أن يكون تفسيرا واحدا وهو أن إسرائيل ظنت أن الجمهورية العربية المتحدة لن تذيع شيئا عن هذه العملية باعتبار أنها تنطوى على اعتراف منها بعبور بعض قواتها إلى الضفة الشرقية والقتال عليها ولقد فعلت إسرائيل ذلك فى الماضى بالنسبة لعمليات عديدة تمت ولم تذكر عنها القاهرة شيئا ولكن إسرائيل فوجئت هذه المرة بإذاعة نبأ العملية وتبع ذلك أن أسرعت القيادة الإسرائيلية - متأخرا جدا - إلى إصدار بيان .

٤- أن ذلك كله تأكيد جديد لما ظهر قبل ذلك من أن العدو يخفى خسائره ويحيط بالكتمان الشديد معظم ما يلاقيه على الجبهة المصرية وهو يعتبر أن السرية المطلقة أو الإنكار الكامل لما يواجهه هو جزء من حربه النفسية ضد ثقة الأمة العربية فى نفسها وفى قوتها المتزايدة.

ديان يقدم بنفسه الدليل على أن إسرائيل تخفى خسائرها

الأمم المتحدة فى - وكالات الأنباء - لفتت تصريحات الجنرال ديان الأخيرة عن خسائر إسرائيل فى الاشتباكات المسلحة على خطوط وقف القتال أنظار المراقبين السياسيين فى المنظمة الدولية .

وكان أكثر ما لفت النظر فى هذه التصريحات ما ذكره وزير الدفاع الإسرائيلى عن خسائر إسرائيل فى الطيران منذ توقفت حرب يونيو حتى اليوم فقد قال ديان إن إسرائيل لم تخسر فى المعارك الجوية التى جرت بعد الحرب غير ٨ طائرات. وقد لاحظ المراقبون بعد الرجوع إلى البلاغات الرسمية التى أصدرتها إسرائيل عن خسائرها الجوية فى هذه الفترة أن البلاغات لم تذكر غير ٤ طائرات .

وهذا يؤكد أن إسرائيل تتعمد إخفاء خسائرها الحقيقية فى المعارك سواء كانت برية أو جوية .

ويؤكد هؤلاء المراقبون أن جميع الدلائل تقطع بأن خسائر إسرائيل فى الطيران - فى فترة ما بعد حرب يونيو - أضعاف الرقم الذى ذكره ديان.

ونشرت الأهرام بالصفحة الأولى صورتين الأولى للنيران التى اشتعلت بالموقع الإسرائيلى الذى اقتحمته وحدات الكوماندوز، والثانية لعلم الموقع وبعض الأسلحة والمعدات التى عاد بها الرجال بعد انتهاء العملية .

وأوردت الأخبار بصفحتها الأولى بيان المتحدث العسكرى المصرى عن وقوع اشتباكات بالمدفعية مع عدد من مواقع العدو.

(٢) العملية رقم ٣٧ - مجد
إغارة على موقع لسان التمساح - ١٩٦٩/٧/٨

درس العدو أسباب نجاح عملية الهجوم على الموقع الحصين بلسان التمساح يوم ١٩٦٩/٤/١٩ من أجل سد كل الثغرات التى أسهمت فى نجاح هجوم رجال الكوماندوز.

وتبين هؤلاء القادة أن عدم وجود الموانع من أسلاك شائكة وحقول ألغام وأجهزة إنذار كان من عوامل النجاح، كما أن قوة النيران لم تكن كافية وقدرة المزاغل على مواجهة الضرب المباشر كانت محدودة. وخلال أيام بدأ العدو فى دعم تحصينات الموقع وتجهيزاته وزيادة عدد وقوة مصادر النيران ودعم قدرة المزاغل على مواجهة القصف المباشر .

هذه السرعة فى الاستفادة من الفشل والأخطاء تحسب للعدو وتوضع فى خانة المزايا التى يتمتع بها .

ومع الحركة فى الموقع، زادت عمليات الرصد والاستطلاع من الجانب المصرى، وكان يتم تصوير مراحل إعادة تحصين وتجهيز الموقع أولا بأول بجانب عمليات الاستطلاع اللاسلكى والإلكترونى .

ومع انتهاء هذه العملية كانت قيادة المجموعة ٣٩ قتال تملك ما يكفى من المعلومات عن الموقع المعادى فى صورته الجديدة .

وكانت الرسالة، أن النجاح الذى حققتموه لم تحققوه نتيجة كفاءتكم بل نتيجة

عدم اهتمامنا بإعداد الموقع وخطأنا فى التقدير حيث لم نتوقع من المصريين أن يهاجموا هذا الموقع لأسباب ارتأيناها .

ولم يقبل إبراهيم الرفاعى مثل هذه الرسالة، وقرر تحدى تجهيزات العدو والهجوم على الموقع فى شكله الجديد، أى بعد أن أقام العدو ٢٨ مانعا من الأسلاك الشائكة من حول الموقع ككل من الخارج وبين هذه الموانع حقول ألغام مضادة للدبابات والأفراد. وتم قصر الدخول إلى الموقع من مدخل واحد له بوابة محروسة بقوة، كما جهز العدو مطالع الدشم بألغام فوسفورية وأخرى شراميل مضادة للأفراد وفى نفس الوقت أقام العدو نظاما للإنذار على كل طرق الاقتراب من الموقع تسمح له باكتشاف كل من يحاول الاقتراب وتسمح أيضا بسماع الأصوات بما فى ذلك الهامسة والخفيفة .

كما دعم قوة النيران الخاصة بالموقع وزاد من تحصين ودعم فتحات مصادر النيران «المزاغل» وجعلها ذات أبواب مصفحة مزدوجة .

ولإطلاق النيران يفتح الباب الأول ومن بعده الباب الثانى ثم يتم إطلاق النيران لفترات محدودة من الرشاشات الثقيلة بعدها يغلق البابين لمواجهة أية محاولة للتصدى لهذه النيران .

وتضمنت خطة الدفاع عن الموقع التنسيق مع الموقعين الآخرين، أى مع باقى أضلاع المثلث الدفاعى، والاستعانة بكتيبة مدفعية ميدان من عيار ١٥٥ مم قريبة من الموقع، مع القدرة على إضاءة المكان خلال أى اشتباك .

وكانت الخطة الأولى للهجوم تتضمن استعانة المجموعة بفصيلة دبابات برمائية مزودة بمدافع من عيار ٥٧ مم بالإضافة إلى الرشاشات وفصيلة ثانية من عربات الاستطلاع المدرعة من طراز بردم البرمائية المحملة برشاشات ثقيلة وذلك لنقل الأفراد ودعمهم بقوة نيرانية كافية. وكان تقدير القائد أن العنصر المدرع يوفر للمهاجمين حماية أفضل خلال مرحلة الاقتراب، مع استخدامها كسواتر فيما بعد، كما أن المدرعات ستتوفر لها القدرة على اختراق التحصينات والموانع الجديدة ومواجهة مصادر نيران العدو .

واختار القائد بحيرة قارون كمنطقة تدريب للأفراد على استخدام المدرعات والعربات المدرعة البرمائية .

كانت خطة التدريب تمضى بكفاءة وحماس، وفى نفس الوقت كانت عملية التصديق على الهجوم من مدير المخابرات ومن الرئيس عبد الناصر تمضى فى طريقها .

وكانت المجموعة فى انتظار تحديد ساعة الصفر الخاصة بهذه العملية.

وعندما تحددت ساعة الصفر وقبل الموعد بأسبوع قرر اللواء محمد الجمسى نائب مدير المخابرات للاستطلاع فى ذلك الوقت سحب الدبابات البرمائية والعربات المدرعة البرمائية من المجموعة وإرسالها إلى مدينة الغردقة ليقطع الطريق على إبراهيم الرفاعى ويحول بينه وبين تنفيذ هذه العملية التى رأى أنها أجرأ من اللازم وتوقع لها الفشل وخسارة الفصيليتين المدرعتين البرمائيتين. وخلال هذا الصدام غير المتوقع بين نائب مدير المخابرات للاستطلاع وقائد المجموعة ٣٩ قتال تسربت أنباء العملية إلى خبير روسى بإدارة المخابرات وما أن سمع بهذه الأنباء حتى بدأ يتقصى ليعرف حقيقة هذه العملية .

وأمام هذه العقبة الجديدة التى لم يتوقعها كان على الرفاعى أن يتخذ قرارا. وكان القرار تنفيذ العملية بدون عنصر المدرعات، وحصل على التصديقات اللازمة بالعملية فى صورتها وخطتها الجديدة.

وكانت الخطة الجديدة تعتمد على اقتحام الموقع من الباب الرئيسى لتجنب الموانع وحقول الألغام .

وانقسمت المجموعة إلى عدة مجموعات ،مجموعتان لقطع الطريق كل منها مسئولة عن قطع الطريق الواصل بين الموقع وأحد الموقعين الخلفيين وذلك بزرع ألغام وحراستها والاشتباك مع الدبابات التى تحاول التدخل فى المعركة ومجموعة ساترة للتعامل مع قوات الموقع من الخارج وحراسة مجموعة الاقتحام .

أما مجموعة الاقتحام فضمت أربع مجموعات كل منها مخصصة للهجوم على دشمة من دشم الموقع .

ولحماية ظهر كل المجموعات خصص القائد مجموعة تحمى القوارب وتحمى ظهر المجموعة ككل من أى تدخل أو إمداد من الخلف. وكان العدو يحتل موقعى المعدية رقم ٦ والتبة المستطيلة بقوة يبلغ عدد أفرادها أكثر من ٤٠ ضابط وصف وجندى تدعمهم دبابتين وعربة نصف جنزير .

وفى الساعة التاسعة والربع مساء بدأت تحضيرات المدفعية على التبة المستطيلة والموقع رقم (٦) على النقطة القوية بلسان التمساح باستخدام المدفعية من عيار٢٥ رطلا والهاون ١٢٠ مم من مواقعها بجزيرة الفرسان واستمر القصف لمدة ١٠ دقائق .

وفى نفس الوقت كانت القوة المهاجمة «قوة الإغارة» تعبر البحيرة فى سبعة قوارب اقتحام فى تشكيل قتالى مع دفع قارب استطلاع لتأمين نقطة النزول. ووصلت القوة إلى نقطة النزول بعد ١٥ دقيقة وبعد احتلال نقطة النزول على الضفة الشرقية وتأمينها وصلت القوة وبدأت فى التقدم فى شكل ٦ مجموعات دوريات.

الأولى: مجموعة بث ألغام شمال الموقع وعزله ومنع أى قوات للعدو من التدخل فى العملية .

الثانية والثالثة: لاقتحام الدشمتين الأولى والثانية بالموقع .

الرابعة: مجموعة القيادة .

الخامسة والسادسة : لاقتحام الدشمتين الثالثة والرابعة.

وعند الوصول إلى نقطة تبعد مائة متر جنوب الموقع تم طلب رفع نيران المدفعية المصرية.

فى تلك اللحظة أبلغ ضابط الاستطلاع قائد الهجوم بأن العدو قد عرف بوجودهم، وأنه يستعد لمواجهتهم، واستمر فى إحاطته علما بالبلاغات الإسرائيلية، ومنها:

١- أنهم وصلوا.

٢- يقتربون.

٣- ادخلوا الحصون وأغلقوا الأبواب.

وبالرغم من هذه المعلومات والحرمان من عنصر المفاجأة، قرر الرفاعى الاستمرار فى الهجوم.

ودخلت مجموعات الاقتحام الموقع من بابه، واتجهت مجموعات قطع الطريق إلى الطريقين الموصلين ما بين الموقعين العاليين والموقع المهاجم لوضع الألغام لمنع تدخل الدبابات وحراسة هذه الألغام والتعامل مع الدبابات فى حالة التدخل فى المعركة. والمجموعة الساترة أخذت موقعها بالقرب من الموقع، وبمجرد صعود مجموعات الاقتحام للتباب الثلاثة تم تفجير الألغام الفوسفورية المسيطر عليها من داخل الموقع، وقتل من جنودنا ثمانية داخل الموقع، ولم تستطع المجموعة سحبهم وانسحب باقى المهاجمين.

وبدأت الدبابات تتحرك من الموقعين للتدخل فى المعركة، فانفجرت دبابتين وانسحبت باقى الدبابات، وصدرت الأوامر للموقع بغلق البوابات لضرب الموقع بالمدفعية ١٥٥مم. وتم إضاءة المكان بالهاون المضىء من الموقعين، وبدأت عملية قصف المكان بنيران المدفعية، وبدأ الموقع بفتح البوابات، ويخرج الرشاشات للاشتباك مع المجموعة الساترة، لكن أفراد المجموعة ردوا بقوة وتمكنوا من تكبيد العدو خسائرا كبيرة فى الأرواح والمعدات، واستمرت المعركة حوالى أربع ساعات. المكان كله مضىء باستمرار، طلقة مضيئة من موقع يتبعها طلقة مضيئة من الموقع الثانى مع ضرب من المدفعية عيار ١٥٥مم، واستمرار اشتباك القوة الموجودة فى الموقع مع الأفراد، وتحت هذه الظروف أصدر القائد أمرا بالانسحاب من الموقع، وبالتمام على الأفراد تبين سقوط ٨ شهداء وشرود٢٤، وبعد الوصول إلى الضفة الغربية للقناة أصدر الفريق محمد صادق الأوامر بالنزول إلى المياه مرة أخرى لجمع الأفراد الشاردين.

وعادت القوة مرة أخرى ووصلت إلى الموقع، وبدأت فى جمع الأفراد من الأماكن المختلفة، واللافت للنظر أن القوات الإسرائيلية لم تتدخل طوال فترة جمع وانتشال الأفراد.

وفى القاهرة حاول اللواء محمد الجمسى تشكيل مجلس تحقيق لمحاكمة المجموعة من أجل الخسائر التى لحقت بها، ولما اعتبره فشلا فى تنفيذ العملية، إلا أن اللواء محمد صادق كان له موقف مختلف، فبالرغم من الخسائر التى لحقت بالمجموعة إلا أنه أوضح للجميع أن هذه العملية تعد أهم عملية نفذتها

المجموعة، بل القوات المسلحة ككل منذ زمن طويل، فلأول مرة يهاجم المصريون موقعا، ويسقط لهم شهداء داخل الموقع الإسرائيلى فى أثناء الهجوم.

وأكد أن هذه نقطة إيجابية ستضاف لرصيد العسكرية المصرية الحديثة والتى سبق أن اتهمت بالجبن وسرعة الفرار وعدم القدرة على مواجهة العدو.

وما قاله اللواء صادق هو نفس ما قالته الصحف الأجنبية وهى تنشر صور الشهداء المصريين داخل الموقع الإسرائيلى.

وقد استغرق الهجوم على الموقع عشر ساعات.

وتشكلت مجموعة الإغارة المصرية من:

- مقدم إبراهيم الرفاعى
- رائد طبيب محمد عالى نصر
- رائد أحمد رجائى عطية
- نقيب بحرى إسلام توفيق
- نقيب حنفى إبراهيم
- نقيب محيى نوح
- م.أول بحرى وسام عباس حافظ
- م .أول وئام سالم
- م .أول محمد الجبالى
- م.أول محمد البكرى
- الملازم محسن طه

وعبده مباشر الذى طلب منه إبراهيم الرفاعى أن يبقى بجواره طوال الوقت، بالإضافة إلى ٦٤ صف ضابط وجندى

أما مجموعة القيادة والسيطرة بالضفة الغربية فكانت بقيادة العميد مصطفى كمال.



المقدم بحرى إسلام توفيق قائد سرية الصاعقة البحرية بالمجموعة ٣٩ قتال.

الفصل الحادى العاشر
العملية رقم ٤٢
عملية نسف وإحراق سقالة الكرنتينة
بالضفة الشرقية لخليج السويس - ١٩٦٩/٨/٣٠

أخذت المنطقة اسمها من كونها المكان الذى كانت تتم فيه إجراءات الحجر الصحى على الحجاج العائدين للاطمئنان على خلوهم من أية أمراض وبائية أو معدية، ويوجد بالمنطقة مرسى كانت ترسو عليه سفن الحجاج .

وتقع المنطقة بين مدينة الشط شمالا ومنطقة عيون موسى جنوبا فى مواجهة مدينة السويس.

وبعد احتلال القوات الإسرائيلية لسيناء بدأت وحداتها البحرية فى استخدام المرسى والسقالة الموجودة به مما وفر لها قدرة على المناورة والعمل ضد القوات المصرية البرية والبحرية الموجودة بالقناة او بالضفة الغربية للقناة.

وقد تعرضت موانئ السويس والأدبية وبور توفيق لنيران الوحدات البحرية الإسرائيلية أكثر من مرة طوال الفترة التى أعقبت يونيو ١٩٦٧ . وقد نفذت قوات العدو عدة عمليات تضمنت مهاجمة الوحدات البحرية المصرية بميناء الأدبية والإغارة على مواقع تجمعات الجنود بلسان الأدبية بالإضافة إلى الدوريات البحرية بالخليج .

وقررت القيادة العامة إسناد مهمة نسف وإحراق المرسى ومنع العدو من استخدامه إلى المجموعة ٣٩ قتال. وكان على قيادة المجموعة وضع الخطة المناسبة بعد عمليات استطلاع كافية تسمح بتجميع المعلومات المطلوبة ثم عرضها على مدير إدارة المخابرات للتصديق عليها. وطبقا لمعلومات استطلاع الجيش

الثالث، يحتل العدو موقع عيون موسى بقوة سريتى مدفعية ميدان من عيار ١٥٥مم ذاتية الحركة وفصيلة دبابات مكونة من خمس دبابات أمريكية الصنع .

وبعد وضع الخطة والتصديق عليها، تم نقل الأفراد والمعدات إلى ميناء الأدبية .وتولى قائد المجموعة تنسيق عملية نيران المدفعية مع قائد الجيش الثالث وقائد مدفعيته وقيادة قاعدة الأدبية البحرية، كما نسق عملية تأمين عبور الأفراد بالقوارب ذهابا وإيابا مع قيادة القوة الموجودة بالجزيرة الخضراء .

وتضمنت الخطة أن يرافق ضابط مدفعية العميد مصطفى كمال ليتولى توجيه وتنسيق نيران المدفعية طوال الفترة التى تتطلبها العملية وصاحب العميد مصطفى كمال عنصر استطلاع لاسلكى .

وبعد وضع الخطة والتصديق عليها بدأ تدريب الرجال عليها . وفى اليوم السابق لتنفيذ العملية زار الرائد عصام الدالى وزوجته النقيب بحرى إسلام توفيق بمنزله، وأمضت الأسرتان وقتا طيبا شعر خلاله عصام الدالى بارتياح شديد حيث كانت تجمع بين الرجلين مودة عميقة واحترام متبادل، وقال الدالى فى نهاية الزيارة إننى أشعر أنها أجمل زيارة وأن الارتياح قد غمرنى طوالها، وبادله إسلام نفس المشاعر .

وفى اليوم التالى وهو يوم تنفيذ العملية، توجهت القوة بالكامل إلى مكتب مخابرات السويس للوقوف على آخر المعلومات عن العدو فى منطقة الهدف. وهناك تناول الجميع طعام الغذاء وخلال فترة الاستراحة لعب كل من الدالى وإسلام مباراة شطرنج أسفرت عن فوز إسلام، وكانت المرة الأولى التى يكسب فيها مباراة مع الدالى الذى كان متفوقا فى اللعبة وينتصر على منافسيه باستمرار.

وكان الفوز مفاجأة لإسلام كشفت عن قلة تركيز الدالى وحالته غير الطبيعية. وربط إسلام بين هذا الاستنتاج وزيارة الدالى له أمس بمنزله، فبدأ يشعر بالقلق. ومرت الساعات سريعة جرى خلالها تجهيز المفرقعات والأسلحة والذخائر والمعدات المختلفة من معدات عبور و أدوات طبية وفنية ثم تم التحرك إلى منطقة الأدبية فى مكان بعيد عن القاعدة البحرية لستر عملية الاستعداد

النهائى للنزول إلى الماء وللاحتفاظ بسرية العملية. ومع آخر ضوء بدأ التحرك بخمسة قوارب زودياك ٤ منها من طراز مارك ٥ وقارب من طراز مارك ٣. ووصل القارب الأول وهو من طراز مارك ٣ إلى الشاطئ الشرقى للخليج بجوار مرسى الكرنتينة وقام باستطلاع المكان وتأمينه وزرع مجموعة من الألغام على طرق الاقتراب، بعدها أعطى إشارة لدخول باقى القوارب وفى المقدمة قارب القيادة وبه الرفاعى وعالى نصر أما القارب الثانى فكان يستقله الدالى ووسام عباس وجندى، وكان إسلام يستقل القارب الثالث ومعه النقيب حنفى محمود والقارب الخامس وبه النقيب أحمد رجائى والملازم محسن طه مع بعض الأفراد.

وتوزعت الأسلحة والذخائر والمفرقعات والمعدات المختلفة على كل القوارب.

وعلى المرسى والسقالة عمل الكل لتنفيذ المهمة كفريق.كان المطلوب نقل حمولات القوارب وتلغيم السقالة لنسفها وحرقها حتى لا تصلح للاستخدام مرة أخرى وللحيلولة دون محاولة إنشاء مرسى أو سقالة أخرى .

وقام الرفاعى يعاونه عصام الدالى بتجهيز السقالة للنسف حيث تم وضع ١٠ عبوات شديدة الانفجار ،حول أعمدة السقالة و٤ جركن بنزين على مسافات متصلة بالعبوات الناسفة، كما تم بث مجموعة أخرى من الألغام المضادة للدبابات حول منطقة الكرنتينة وصدرت الأوامر للقوارب بالابتعاد عن المرسى. وقام إبراهيم الرفاعى والدالى بنزع فتيل الأمان للأقلام الزمنية للمفرقعات. ثم ابتعدا عن الرصيف وانضما إلى باقى المجموعة .

كانت مياه الخليج شديدة الاضطراب والأمواج عالية، و أراد الرفاعى الانتظار حتى يشاهد الانفجار بنفسه، ولسبب ما تأخر الانفجار .

وأثناء فترة الانتظار التى طالت بسبب تأخر عملية التفجير تلقى الرفاعى رسالة من العميد مصطفى كمال قال فيها: «إن أصحابك حموا بيك وقربوا منك» ولم يرد الرفاعى .

بعدها تلقى الرسالة الثانية «يا إبراهيم ثلاث بطات فى الاتجاه إليك» بما يعنى اقتراب ثلاث دبابات من منطقة العملية .

أما الإشارة الثالثة فكانت «البط أصبح على أول البحر» والإشارة الرابعة والأخيرة «ارجع يا إبراهيم» ورفض الرفاعى العودة وعاد إلى الرصيف ومن خلفه عالى نصر بالرغم من كل المتفجرات التى على السقالة ومن وجود العدو بالمنطقة ومن كل نداءات التنبيه والأمر بالعودة وأمر الرفاعى ثلاثة قوارب بالانتظار والعمل كمجموعة ساترة خلال عملية دخوله إلى السقالة مرة أخرى وكان هدفه أن يجرى عملية التفجير بنفسه .

فما كان من الرائد عصام الدالى والملازم أول وسام عباس إلا أن حاولا اللحاق بالرفاعى .

دخل الرفاعى لتفجير العبوات، فبدأت المعركة مع الدبابات الثلاثة.

كانت قوة الدبابات موجودة على حافة المياه وترى القوارب فى حين أن الموجودين بالقوارب لا يرونها .

وتوالى قصف الدبابات للقوارب الخمسة ورد الرجال الموجودون بالقوارب على القصف بقصف الدبابات بقواذف الآر - بى - جى .

وكان قارب الرفاعى قد وصل إلى أسفل السقالة أما قارب عصام الدالى فكان يقترب من السقالة مما يعنى أنه الأقرب لنيران الدبابات فانطلقت قذيفة من إحدى الدبابات قطعت يد الدالى وهو يتحدث بجهاز اللاسلكى و أصابته فى عنقه إصابات بالغة وهشمت رأس الجندى الموجود بجواره وأصيب وسام بجروح فى الوجه والرقبة من جراء تهشم رأس الجندى الشهيد .

ومن فوره عاد وسام بالقارب إلى الشاطئ الغربى للخليج لمحاولة إنقاذ حياة الدالى .

وأمر الرفاعى باقى القوارب بالانسحاب والخروج من أرض المعركة والعودة إلى قاعدة الأدبية البحرية.

واكتشف وسام عدم وجود دبلة الزواج فى يد الشهيد عصام الدالى فأبلغ الرفاعى الذى ذكرها للواء صادق مدير المخابرات وتلقى مدير مكتب مخابرات

السويس اتصالا تليفونيا من اللواء صادق أمره فيه بالعثور على الدبلة فورا وإنه يحمله هذه المسئولية وبعد أقل من ربع ساعة عثر مدير مكتب مخابرات السويس على الدبلة مع أحد جنود المكتب وسلمها للنقيب بحرى إسلام الذى تولى تسليمها لزوجته .

وبعد مضى فترة قصيرة من الزمن اشتعلت النيران بالسقالة نتيجة انفجار العبوات وتحقق الهدف من العملية .

الفصل الثانى العاشر
كمين الدقاقة

سقطت دورية إسرائيلية مكونة من سيارتين فى كمين مصرى شرق القناة بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦٨، وخسر العدو سيارة وقتيلين، بالإضافة إلى أسير ونتيجة لذلك قررت قيادة العدو استبدال عربات الجيب بالعربات المدرعة النصف جنزير.

وبدأت كل الدوريات الإسرائيلية فى سيناء المحتلة تتحرك بعربات مدرعة نصف جنزير حماية لها من الكمائن المصرية. وتغير أسلوب الكمائن للإيقاع بهذه الدوريات، وحققت المجموعة ٣٩ قتال نجاحا جديدا، فقرر العدو تشكيل كل دورية من دبابة وعربتين مدرعتين، وبسرعة تطورت الكمائن للإيقاع بهذا الصيد الجديد فما كان من العدو إلا أن أمر بتشكيل كل دورية من دبابتين، باعتبار أن الدبابة هى المنصر الأقدر على مواجهة عناصر الكمين المصرية لتوفر عنصر الدرع وقوة النيران، ومن جديد تنجح المجموعة ٣٩ فى الإيقاع بالدبابتين، فيلجأ العدو إلى إعادة النظر فى تشكيل الدوريات، ويقرر إضافة دقاقة إلى الدبابتين. والدقاقة هى دبابة تتقدم الدورية المدرعة لاكتشاف وتفجير حقول الألغام، وبذلك يتم تطهير طريق الدورية من الألغام المزروعة به. وطوال الفترة لم تتوقف عناصر المجموعة عن زرع الألغام المتنوعة على امتداد خط المواجهة شرق القناة. وكان الرجال مقتنعون أن الألغام من الأسلحة الفعالة ضد أفراد ومركبات العدو الذى يحرص على الوجود فى المنطقة باستمرار والقيام بدوريات مستمرة لتأمين

خطوطه الدفاعية التى اتسعت فجأة نتيجة احتلال سيناء، كما أن الألغام من الأسلحة غير المكلفة ولا يستغرق زرعها وقتا طويلا.

وفى مجال زرع الألغام يمكن تغطية مساحة كبيرة من الأرض بواسطة عدد محدود من الأفراد والضباط المدربين تدريبا جيدا. كما أن هذا المستوى من التدريب يساعد على ابتكار أساليب جديدة لخداع العدو وإلحاق أكبر قدر من الخسائر بين صفوفه خاصة بين الأفراد. وللحد من آثار هذه الألغام أمرت القيادة الإسرائيلية بخروج دورية مكونة من ضابط مهندس وصف ضابط ومعه كلب حرب مدرب على اكتشاف الألغام، وذلك صباح كل يوم، وعلى امتداد قناة السويس.

وقررت قيادة المجموعة ٣٩ قتال التى كانت تدير حوارا مع العدو طرفاه حقول الألغام والدوريات. المجموعة تصر على إزعاج العدو بالألغام وتكبيده خسائر معنوية وبشرية ومادية باستمرار، والعدو لا تتوقف جهوده ومحاولاته لإحباط المخططات المصرية.

وصدر الأمر للنقيب بحرى إسلام توفيق بالتعامل مع دورية اكتشاف ومكافحة الألغام. وبنى إسلام خطته على أساس زرع ألغام كالمعتاد ووضع عبوات ناسفة مسيطر عليها من الشاطئ الغربى للقناة حتى إذا مرت الدورية واكتشفت حقل الألغام، يجرى تفجير العبوات من الناحية الأخرى للإجهاز على الدورية. وعبرت دورية المجموعة ٣٩ بقيادة إسلام، وهى تحمل ٢٠ لغما مضادا للدبابات ومجموعة من الألغام المضادة للأفراد وأربع عبوات متفجرة زنة كل منها ٥٠ كيلوجراما، بالإضافة إلى أجهزة ومعدات تفجير ولفة أسلاك كهربائية بطول ٢٥٠ مترا تكفى لوصل المتفجرات بالمولد الكهربائى الذى سيستخدم لتفجير العبوات.

وفور الوصول إلى منطقة ناتج حفر قناة السويس انقطع السلك الكهربائى نتيجة قوة التيارات المائية بالقناة، وواجهت الدورية موقفا مفاجئا يفرض على قائدها اتخاذ قرار، فقد كان قطع السلك يعنى عدم القدرة على تفجير حقل الألغام من الجانب المصرى كما كان مخططا. واهتدى إسلام إلى حل بديل، وهو

التعامل مع الدقاقة بدلا من التعامل مع دورية اكتشاف وتفجير الألغام. ووفقا لحسابات جديدة على ضوء الهدف الجديد، بدأت المجموعة فى زرع حقل الغام يتناسب وهدف تفجير الدقاقة المخصصة أساسا لتفجير الألغام.

كانت الفكرة المبتكرة تعتمد على مجموعة أساسية من العناصر منها أن الدقاقة وهى دبابة ذات ذراعين طويلين يحملان برميلا ضخما مصفحا ومتصلا بعدة أثقال وبجنزير، ومهمة كل ثقل طرق الأرض بقوة كافية لتفجير الألغام المضادة للدبابات. ولو تم زرع ألغام وفقا للأسلوب التقليدى لتمكنت الدقاقة من تفجيرها.

فهداه التفكير إلى حقل ألغام ثلاثى، المجموعة الأولى مكونة من نسقين متجاورين وعميقين وبدون متفجرات، وهى المسئولة عن تفجير الألغام، وخلو اللغم من المفجر يعنى أنه لن ينفجر فيما لو تعرض لطرق أى ثقل من الأثقال المرتبطة ببرميل الدقاقة، وبعد النسقين بمسافة تساوى المسافة بين ذراعى الدقاقة ومنتصف الدبابة يتم زرع نسقين آخرين مشابهين للنسقين الأولين.

وفى هذا النسق زودت الألغام بالمفجرات، وعلى مسافة مساوية للمسافة السابقة زرع نسقين آخرين متشابهين من الألغام.

وأصبح حقل الألغام بذلك يتكون من ثلاثة خطوط، كل خط مكون من نسقين متجاورين، وكل نسق من هذين النسقين مكون من ٣ ألغام فوق بعضها، أى أن النسقين المتجاورين مكونان من ٦ ألغام، أى أن مجموع الألغام من الخطوط الثلاثة ١٨ لغما، وهذا التخطيط اقتضته ظروف العملية، فلم يكن القائد يعلم من أى اتجاه سوف تأتى الدقاقة، لذا واجه هذا الاحتمال بجعل النسقين المتوسطين هما القابلان للانفجار، والنسقان المتطرفان غير قابلين للانفجار إلا نتيجة انفجار الخط الأوسط. فالدقاقة ستكتشف الخط الأوسط وتطرقه بالأثقال المزودة بها فينفجر وينفجر معه باقى الحقل الذى يؤدى بدوره إلى تفجير الدقاقة.

وإذا علمنا أنه يكفى لغما وزنه ٨ كيلوجرامات لتفجير دبابة، فإننا يمكن أن نتصور ما حدث للدقاقة عندما دخلت فى هذا الحقل. ومن المعلوم أيضا أن تفجير الدبابة يؤدى إلى تفجير الذخيرة التى تحملها، فإن النتيجة تصبح شديدة الوضوح أمامنا.

ولم يكتف النقيب إسلام بذلك، بل قام بوضع ٢٠٠ كيلوجرام من المتفجرات فى مكانين بناتج حفر القناة ومرتبطين بحقل الألغام. وكان يستهدف من وراء تفجير ٣٤٤ كيلوجراما من المتفجرات فى كمين واحد ولدقاقة واحدة تلقين العدو درسا قاسيا. فالدقاقة التى مرت والتى كانوا يعتمدون عليها فى تأمين الدورية تحولت إلى شظايا، بل إن بعض هذه الشظايا تطاير فوق القناة، ووصل إلى الضفة الغربية من القناة. واكتشف إسلام وجود لغمين لم يستفد بهما فى الحقل العميق والكثيف الذى أعده، وقرر ألا يعود بهما، وعندما نظر من حوله اكتشف وجود مدق فرعى. فتوجه إليه وزرع اللغمين به. وبعد انفجار الدقاقة قرر قائد الموقع الإسرائيلى الموجود عند نقطة الكيلومتر ٤/١٣٩ على قناة السويس التوجه إلى منطقة الكمين لمعرفة ما جرى.

فاستقل دبابة وعندما اقترب من منطقة الكمين ورأى مظاهر الدمار، رأى أن يتوقف بالدبابة فى هذا المدق الفرعى بعيدا عن منطقة الكمين. وما أن دخل بدبابته فى هذا المدق حتى انفجرت الدبابة نتيجة انفجار اللغمين المزروعين به، وسقط القائد قتيلا.

الفصل الثالث العاشر
شـــدوان

تقع جـزيرة شـدوان «شـاكـر» فى المدخل الجنوبى لخليج السـويس، وتسـتـمد أهميتها من أنها تتحكم فى الخط الملاحى من وإلى الخليج. كما أن قربها من مدخل خليج العقبة يجعلها مؤثرة على طريق الملاحة من وإلى هذا الخليج.

ويمثل الفنار الموجود بها أهمية بالنسبة للإرشاد الملاحى، خاصة إذا عرفنا أن المنطقة غير آمنة ملاحيا بسبب طبيعة مدخل الخليج وضيق الممر الملاحى به وكثرة الشعاب المرجانية فيها.

ولوجود جـزيرتى الجفتون الكبرى والصغرى أمام الغردقة وعلى مسافات متقاربة من جـزيرة شـدوان، بالإضافة إلى جـزيرة الطويلة وجـزيرتى قـيسـون الشمالية والجنوبية، فإن الطريق الملاحى الوحيد لدخول خليج السويس يخضع لسيطرة القوات الموجودة بهذه الجزيرة. وإذا وضعنا فى الاعتبار وجود قاعدتى الغـردقـة الجـوية والبـحـرية، فـإن السـيطرة على مـدخل الخليج تصـبح كـاملة وميسرة. ولتحقيق هذه السيطرة كان من الضرورى توافر أسلحة تتناسب وتحقيق هذا الهدف. ويبلغ طول الجـزيرة ١٣ كـيلومـتـرا وعـرضـهـا يبلغ ٦ كـيلومـتـرات. ويتراوح ارتفاع الجبال الموجودة بها بين ٢١٣ قدما إلى ٣٠١ قدم.

ويوجد على شاطئ الجزيرة سقالة لدخول السفن الصغيرة وفقا للعلامات الملاحية الدولية. ولأهمية موقع الجزيرة قرر العدو الإغارة عليها صباح يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠وخلال هذا الهجوم كان كل من الرئيس عبدالناصر والفريق أول

محمد فوزى وزير الحربية فى زيارة سرية لموسكو استمرت لمدة ٤ أيام، ابتداء من ٢٠يناير ١٩٧٠، وكان يتحمل مسئولية القيادة بالقيادة العامة الفريق محمد صادق رئيس الأركان. وبدأ العدو فى تنفيذ عملية الإغارة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا. وكانت القوة المهاجمة تتشكل من الكتيبة ٢٠٢ مظلات وسرية استطلاع مظلات وأفراد من قوة الماتاكال، القوات الخاصة الإسرائيلية، بالتعاون مع الطائرات الهليكوبتر من طراز سوبر فريلون. وكانت القوة المصرية التى تدافع عن الجزيرة مكونة من سرية صاعقة من الكتيبة ٩٣صاعقة تضم ٦٢صف ضابط وجندى بقيادة اثنين من الضباط وقوة بحرية تضم ٢٦ صف ضابط وجندى بحرى تحت قيادة ضابط بحرى. وعناصر من المهندسين العسكريين وسبعة من المدنيين لتشغيل الفنار.

أى أن إجمالى القوات المصرية الموجودة بالجزيرة ١٠٦ أفراد. ويمكن القول إن تسليح هذه القوات لم يكن يؤهلها لصد الهجوم الإسرائيلى أو للصمود طويلا أمام القوات الإسرائيلية المهاجمة. وعندما بدأ الهجوم الإسرائيلى انقطع الاتصال بين القوات المدافعة وقيادة منطقة البحر الأحمر، وبالتالى لم تستطع القيادة معرفة أو متابعة ما كان يحدث.

كان العدو يعلم تماما حقيقة الموقف طوال الوقت، وكانت قيادة المنطقة لا تدرى شيئا عما يجرى بالجزيرة. وكانت خطة الدفاع تركز على الطرف الجنوبى للجزيرة حول منطقة وجود الفنار والرادار، بالإضافة إلى تكدس الذخيرة والتعيينات وأجهزة الاتصال بها. ونظرا لطبيعة الأرض الصخرية اقتصر التجهيز الهندسى على إعداد حفر للأفراد. ونتيجة لعدم إجراء أية دراسات جغرافية أو طبوغرافية للجزيرة، وأيضا تجاهل دراسة الاحتمالات المختلفة لنوايا أو أعمال العدو المتوقعة، لم يتم إعداد خطط واقعية للدفاع عن الجزيرة.

وقبل أن يبدأ العدو الهجوم، أجرى عدة عمليات استطلاع جوية كان آخرها فى الساعة ١١,٤٥ قبل منتصف ليلة٢٢/٢١ يناير، أى قبل بدء الهجوم بساعات. وبدأ العدو بقصف القوات المدافعة عن الجزيرة جوا، وفى نفس الوقت نشر مظلات جوية فى سماء كل من سفاجا والغردقة والجزر الموجودة بالخليج.

واستمرت المناورات الجوية حتى الساعة العاشرة والنصف صباحا، مع بدء الإبرار الجوى فى نفس التوقيت. ووجهت القوات المهاجمة نداءات باستخدام الميكروفونات للقوات المدافعة تطلب منها الاستسلام بعد أن تم حصارها برا وبحرا وجوا، إلا أن هذه القوات رفضت الاستسلام، واستمرت فى المقاومة، وواصل العدو هجومه، وجدد هجماته الجوية ضد المواقع الصامدة، وعندما حل الظلام، استخدم المشاعل المضيئة لتأمين قواته واكتشاف اقتراب أية قوات مصرية. وصباح يوم ٢٣ يناير قام العدو بتفتيش الجزيرة وواصل مطاردة القوات المصرية. وفى نفس الوقت استمر فى إخلاء القتلى والجرحى من بين قواته ونقل الأسرى من المصريين. وفى الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٣ يناير انسحب العدو من الجزيرة. وخلال الهجوم الإسرائيلى اشتبكت وحدات الدفاع الجوى بالغردقة مع طائرات العدو، وتمكنت من إسقاط طائرتين. وعندما لجأت قيادة منطقة البحر الأحمر إلى دفع لنشين من لنشات الطوربيد فى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق قبل ظهر يوم ٢٢ يناير للاقتراب من الجزيرة واستطلاع الموقف، وتحديد نوع الإبرار، هاجمتهما قوات العدو الجوية، وتم إغراقهما. وتمكنت دورية بحرية يوم ٢٣يناير من إنقاذ ضابطين و١١ فردا من طاقمى اللنشين. وفى الساعة الخامسة مساء يوم ٢٤ يناير وصل٥ أفراد من رجال اللنشين سباحة إلى جزيرة الجفتون التى تبعد عن الغرقة ١٩ كيلومترا. وقد استشهد ٤ أفراد من بينهم المقدم بحرى حسنى حماد، وتم إنقاذ الفرد الخامس. ولجأ مكتب مخابرات الغردقة إلى استخدام بلنصات الصيد للإنقاذ والنجدة، ولدفع دوريات ليلية للاقتراب من الجزيرة خلال ليلة ٢٢/٢٣ يناير. وعندما حاولت القيادة دفع بلنصى صيد وعلى ظهرهما دوريتى استطلاع من الكتيبة ٩٣صاعقة تضم كل منهما ضابط وأربعة أفراد، تمكنت قوات العدو من إغراق بلنص واشتبكت مع أفراد دورية من الدوريتين بعد نزولها على الشاطئ. وأسفر الاشتباك عن مقتل أفراد الدورية ما عدا فرد تم أسره ونجحت الدورية الثانية فى الانسحاب. ومساء ٢٢ يناير تمكنت دوريتان من النزول فى منطقة شمال الجزيرة التى تتميز بالوعورة. وفى الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٣ يناير بدأت

عناصر كل من الدوريتين فى تفتيش الجزيرة تحت ظروف الإضاءة المستمرة. ونجحت الدوريتان فى الوصول إلى منطقة الفنار. وأغارت طائرات القوات الجوية على منطقة الفنار مساء يوم ٢٣ يناير، وهى المنطقة التى تمركزت بها قوات العدو.

بعدها وصلت دوريتان لغيار الدوريتين السابقتين، وأفادت الدوريات عند عودتها عن اختفاء تكديسات الذخيرة والألغام بالموقع حول الفنار، وكثرة وجود الأشراك الخداعية. وأسفرت المعركة عن إسقاط طائرتين للعدو وسقوط ما يتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ قتيلا. أما الخسائر المصرية فشملت حوالى ١٢٩ فردا، بالإضافة إلى لنشى طوربيد ورادار بحرى. عندما علم إبراهيم الرفاعى بنبأ الهجوم الإسرائيلى على جزيرة شدوان، توقع أن تسند إليه القيادة العامة مهمة الهجوم المضاد، فأمر برفع درجة استعداد المجموعة وأصدر تعليمات بالاستعداد للتحرك إلى الغردقة نهارا، حتى يمكن تنفيذ العملية ابتداء من آخر ضوء يوم ٢٢ يناير. ونفذت المجموعة تعليمات القائد فجهزت المعدات المختلفة والأجهزة المطلوبة والذخائر والقوارب استعدادا للتحرك الفورى. وذهب الرفاعى لمقابلة اللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات الحربية بمكتبه بمبنى القيادة المشتركة. للحصول على التصديق بتنفيذ العملية، فتبين أن القيادة العامة قررت الاعتماد على القوات الموجودة بمنطقة البحر الأحمر، والقيام بغارات جوية ليلية لمفاجأة العدو، حيث إنه لا يتوقع نشاطا جويا مصريا ليلا، كما أن الإغارات الجوية الليلية تقررت لتجنب الاشتباك مع مظلات العدو الجوية التى انتشرت فى سماء المنطقة. ومن الواضح بعد انتهاء العملية الإسرائيلية أن العدو لم يكن يستهدف احتلال الجزيرة أو الاحتفاظ بها بقدر ما كان يستهدف التأثير النفسى والمعنوى والإعلامى على القوات المسلحة المصرية، والرأى العام المصرى والعربى. ولتحقيق هذا الهدف اصطحبت القوات الإسرائيلية المهاجمة مجموعة من مصورى السينما والتليفزيون. كما أراد العدو فى إطار معارك الاستنزاف ومخططه للاستنزاف المضاد، تكبيد القوات المصرية قدرا كبيرا من الخسائر، وإظهار قدرته على الردع وعدم قدرة القوات المصرية على مواجهته، وقد عمد العدو إلى

نشر مظلة جوية فوق سماء منطقة العمليات، لمنع القوات الجوية المصرية من التدخل، لإثبات سيطرته وعدم قدرة السلاح الجوى المصرى على التصدى له، أو تقديم العون للقوات البرية. وثبت من خطة العدو، الاستناد إلى معلومات جيدة وفرتها عمليات الاستطلاع المستمرة حتى ساعات من بدء تنفيذ العملية، وإلى دراسة دقيقة لطبيعة الجزيرة ومعرفة المواقع الدفاعية المصرية. لذا قرر بدء الهجوم والإبرار من اتجاه الشمال والشمال الغربى، حيث لا توجد حقول ألغام، وحيث المنطقة الصالحة للإبرار، وبدا واضحا من أسلوب الهجوم أن القيادة الإسرائيلية تتجنب الاشتباك المباشر مع المواقع المصرية، حتى لا تتعرض القوات المهاجمة لخسائر، لذا لجأ للغارات الجوية واستخدام الهليكوبترات فى مطاردة القوات المدافعة التى بدأت تحتمى بالخيران الموجودة بالجزيرة.

وبالرغم من المقاومة العنيفة للقوات المصرية الموجودة بالجزيرة، وإصرارها على عدم الاستسلام والخسائر الكبيرة التى لحقت بها، والتى حرمت العدو من تحقيق أهدافه بالكامل، حيث كبدته قدرا لا بأس به من الخسائر فى صفوف الأفراد، إلا أن العملية الإسرائيلية كشفت عن بعض أوجه القصور. ومن ذلك عدم القيام بدراسة دقيقة لطبيعة الجزيرة وسواحلها، وبالتالى الأسلوب المحتمل للهجوم عليها. ولو تم ذلك لكانت خطة الدفاع وأسلوب انتشار القوات أكثر كفاءة وفاعلية. كما أن تسليح القوات المدافعة كان محدودا، حيث لم يوضع فى الاعتبار احتمالات الهجوم الجوى. أو الإبرار الجوى، لذا افتقرت القوة المدافعة لأسلحة دفاع جوى.

وقد تقاعست القوات المدافعة عن تنفيذ خطة للمناورة بالأسلحة عندما بدأ العدو هجومه، وقررت البقاء فى مواقعها فى انتظار اكتمال عملية الإبرار وبدء الهجوم. وكان تركيز جميع وسائل الاتصال فى مكان واحد أثره السلبى، فقد نتج عن الهجوم على هذه المنطقة فقد الاتصال بالرئاسات، مما أدى إلى عدم وضوح الموقف بالجزيرة.



المجموعة التى قامت ببث ألغام بمنطقة الدفرسوار يوم أول يونيو ١٩٦٩ وتضم وسام عباس من اليمين ثم إبراهيم الرفاعى وعصام الدالى وهنيدى مهدى.

الفصل الرابع العاشر
الألغــام
خسائر العدو بسبب الألغام خلال ١٩٦٨

ألغام شمال رمانة - ١٩٦٨/٥/٥

١- أشارت التقارير الأولية عن الخسائر إلى تدمير عربتين نصف جنزير وسيارة جيب، بالإضافة إلى ١٢ فردا ما بين قتيل وجريح، ثم أكدت التقارير المختلفة تدمير ٧ عربات، أما إجمالى خسائر العدو فى الأفراد فبلغ ٣٠ فردا ما بين قتيل وجريح.

٢- بعد مضى شهرين على عملية شمال رمانة أى فى ليلة ٤-١٩٦٨/٧/٥ نفذت المجموعة عملية زرع ألغام جديدة شمال شرق بورفؤاد، نتج عنها انفجار لغم فى إحدى العربات وإصابة سائق السيارة.

٣- فى١٩٦٨/٧/٣٠ وصلت دورية من المجموعة إلى نقطة على الشاطئ الشرقى للبحيرات شرق موقع كبريت بحوالى ٦٠ مترا من اتجاه الجنوب، وتسللت إلى منطقة البلاح حيث زرعت ألغامًا مضادة للأفراد والدبابات. وقد أسفرت العملية عن انفجار عربة جيب ومصرع قائد فصيلة مدفعية العدو بالموقع.

٤- عادت المجموعة يوم ١٩٦٨/٨/٤ إلى منطقة شمال رمانة لبث ألغام على المدقات التى يستخدمها العدو وفى اليوم التالى اصطدمت دورية إسرائيلية بحقول الألغام، مما أدى إلى تدمير ٣ عربات وقتل وجرح ١٥ فردا.

٥- فى ١٩٦٨/٩/٢٤ اتجهت مجموعة إلى جنوب موقع شرق كبريت وزرعت عشرة ألغام مضادة للدبابات ولم تمض ٢٤ ساعة إلا واصطدمت بالألغام

دورية إسرائيلية مكونة من عربتين نصف جنزير، مما أدى إلى تدميرهما بكل ما بهما من أفراد. وفى نفس الليلة عبرت مجموعة أخرى القناة، حيث زرعت عشرة ألغام مزدوجة مضادة للدبابات، نتج عنها تدمير عربتين نصف جنزير وقتل وجرح أطقمهما.

إجمالى خسائر العدو من الألغام عام ١٩٦٨:

٦ عربات نصف جنزير

١٠ عربات مختلفة

عدد كبير من القتلى والجرحى من بينهم قائد فصيلة مدفعية

خسائر العدو بسبب الألغام خلال عام ١٩٦٩

أفادت تقارير المعلومات التى استندت إلى الاستطلاع اللاسلكى ومتابعة ما تنشره وسائل الإعلام الإسرائيلى وتقارير عناصر المخابرات والاستطلاع من العسكريين والمدنيين الموجودين فى سيناء للعمل كمؤخرة عدو عن الخسائر التى تعرض لها العدو نتيجة انفجار الألغام التى زرعتها المجموعة ٣٩ قتال خلال العمليات التى نفذتها على اتساع سيناء. ومما يذكر فى هذا المجال أن المجموعة ٣٩ قتال قد بدأت نشاطها خلال عام ٦٩ بإرسال أول مجموعة مؤخرة عدو للعمل فى جنوب سيناء بعد أن توفرت لها معلومات عن نشاط كبير للعدو فى منطقة شرم الشيخ، وقد تكونت هذه الجموعة من الرائد أحمد رجائى عطية ودليل من أهل المنطقة، وقد عادت هذه المجموعة يوم ٤ يناير بعد تصوير واستطلاع مطار رأس نصرانى بنجاح. وكانت هذه أول معلومات تصل للقوات المسلحة عن هذه المنطقة مدعمة بالصور، أما عن خسائر العدو من جراء بث الألغام خلال هذه الفترة، فمنها:

١- خسر العدو دبابة وسبع عربات متنوعة يوم ١٤ فبراير ١٩٦٩ من جراء الاصطدام بحقول الألغام التى بثتها المجموعة فى اليوم السابق فى ثلاثة قطاعات مختلفة على امتداد الجبهة. وقد تم التخطيط لهذه العملية بعد أن

لاحظت القيادة نشاطا ملحوظا لدوريات العدو على امتداد خط المواجهة، وللحد من هذا النشاط تم تقسيم الجبهة إلى ثلاثة قطاعات، وفى هذه القطاعات تمكنت المجموعة من زرع ثلاثين لغما مضادا للدبابات.

٢- خلال يومى ٤ و٥ مارس ١٩٦٩ نفذت المجموعة عمليات بث ألغام شرق القناة، فى العملية الأولى بثت عشرة ألغام مضادة للدبابات شرق البحيرات المرة الكبرى أدت إلى تدمير عربتين نصف جنزير فى نفس اليوم.

وفى العملية الثانية فى اليوم التالى بثت عشرة ألغام مضادة للدبابات عند علامة الكيلو ١٣٩ أدت إلى تدمير دبابتين فى اليوم التالى، أى يوم ٦ مارس ١٩٦٩ .

٣- خسر العدو ثلاث عربات من جراء الاصطدام بحقل ألغام بثته دورية استطلاع توجهت إلى منطقة عيون موسى ٢١ مارس ١٩٦٩ لاستطلاعها واكتشاف المدقات التى تستخدمها دوريات العدو وقبل أن تعود هذه الدورية بثت ١٢ لغما مضادا للدبابات على هذه المدقات.

٤- بعد أن نفذت دورية من المجموعة قصف موقع العدو ومنطقة شئونه الإدارية بتل سلام يوم ٣١ مارس ١٩٦٩ تمكنت من بث ستة ألغام مضادة للدبابات جنوب موقع تل سلام أدت إلى تدمير عربتين نصف جنزير فى نفس اليوم.

٥- نتيجة بث ثمانية ألغام مضادة للدبابات على طرق اقتراب العدو من موقع لسان التمساح الحصين يوم ١٩ إبريل ٦٩ تم تدمير إحدى الدبابات الإسرائيلية.

٦- خسر العدو عربتين نصف جنزير ١٩٦٩/٦/١١ فى منطقة شرق البحيرات المرة الكبرى من جراء الاصطدام بالألغام التى زرعها أفراد من المجموعة يوم ١١ يونيو ١٩٦٩ .

٧- زرعت إحدى دوريات المجموعة اثنى عشر لغما مضادا للدبابات شرق البحيرات المرة يوم ١٣ أغسطس ١٩٦٩ أسفرت عن تدمير دبابتين وعربتين نصف جنزير فى اليوم التالى.

٨- يوم ٣٠ أغسطس ١٩٦٩ وبعد الإغارة على منطقة الكرنتينا والسيطرة عليها لمدة ساعة، تم تلغيم رصيف المرسى الذى ترسو عليه لنشات العدو والتى تستخدم فى إمداد قواته، والتعرض لقواتنا البحرية الموجودة شمال خليج السويس، مما أدى إلى تدميرها. كما تم بث مجموعة من الألغام للدبابات على طرق اقتراب العدو من الرصيف، مما أدى إلى تدمير دبابتين وقتل عدد كبير من أفراد العدو.

٩- فى أول أكتوبر ١٩٦٩ بدأت العمليات المشتركة بين المجموعة وسرب الهليكوبتر من طراز مى٨ الموجودة بقاعدة الماظة الجوية، حيث عبرت دورية خليج السويس ووصلت إلى المنطقة ما بين رأس ملعب ومطارمة، وتمكنت من نسف الطريق وبث أربعة عشر لغما مضادا للدبابات نتج عنها تدمير ثلاث عربات للعدو فى اليوم التالى.

١٠- اصطدمت دورية للعدو صباح يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٩ بالألغام المزدوجة التى بثتها إحدى دوريات المجموعة يوم ١٩٦٩/١٠/١٣ جنوب موقع شرق كبريت، ما أدى إلى تدمير دبابة وعربة نصف جنزير ومصرع عدد من أفراد العدو من بينهم ضابط برتبة مقدم.

١١- خسر العدو عربتين نصف جنزير يوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٩ عندما دخلت إحدى دورياته فى حقل ألغام شرق البحيرات المرة الكبرى.

١٢- فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ خسر العدو عربة عندما اصطدمت بأحد الألغام على طريق الطور - شرم الشيخ.

وبلغ إجمالى خسائر العدو من جراء الاصطدام بحقول الألغام التى بثتها المجموعة خلال عام ١٩٦٩:

٩ دبابات، و٨ عربات نصف جنزير، و١٤ عربة متنوعة وعدد كبير من الأفراد من بينهم ضابط برتبة مقدم.

خسائر العدو بسبب الألغام خلال أكتوبر نوفمبر ١٩٧٠

١- خسر جيش الدفاع الإسرائيلي ضابطين هما الملازم أول مردخاى فيجال - ٢٢ عاما - من كيبوت عامير، والملازم أول مينا متيلوف - ٢٣ عاما - من حيفا ظهر يوم ٢ أكتوبر عام ١٩٧٠ عندما مرت عربة الدورية التى كانا يستقلانها فوق أحد الألغام بالقطاع الأوسط.

وقد شيعت جنازة الملازم أول مينا فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٩٧٠/١٠/٣من مستشفى رامبام بحيفا إلى مقابر المدينة، أما جنازة ملازم أول مردخاى فقد تمت بمستشفى عامير بنفس اليوم.

٢- انفجار لغم فى دبابة دورية بالقطاع الأوسط بمنطقة شمال الفردان فى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٠، وتم سحب الدبابة المصابة بدبابة أخرى فى الساعة الواحدة والربع من بعد ظهر نفس اليوم إلى موقع الفردان.

٣- اصطدمت عربة دورية بلغم فى الساعة الثانية والربع من بعد ظهر يوم ٥ أكتوبر ٧٠ بمنطقة شرق التمساح، وأصيب فردان من قوة الدورية.

٤- انفجر لغم فى عربة دورية مساء يوم ١٩٧٠/١٠/١٠ بالقطاع الأوسط بمنطقة الدفرسوار، وأسفر الانفجار عن مقتل قائد الدورية وإصابة فردين أحدهما كانت إصابته بالغة الخطورة.

٥- أدى انفجار أحد الألغام إلى تدمير عربة نصف جنزير بمنطقة شرق الدفرسوار صباح يوم ١٩٧٠/١٢/١٠

٦- فى أول نوفمبر ٧٠ انفجر لغم عند الكيلو ١٠ شرق قناة السويس، ما أدى إلى إصابة مركبة وعدد من الأفراد.

٧- بعد وقوع دورية إسرائيلية بحقل ألغام يوم١٩٧٠/١١/١٣ بمنطقة شمال التمساح قام أحد كبار قادة الجيش الإسرائيلي وبصحبته قائد سرية دبابات بالمرور على المنطقة، وذلك ليتبين حقيقة الموقف وكيفية مواجهة هذه العمليات، بالإضافة إلى رفع الروح المعنوية للقوات الموجودة فى المنطقة.

٨- أدى انفجار لغم بمنطقة شرق التمساح يوم ١٩٧٠/١١/١٧ إلى إصابة أحد الأفراد.

٩- أدى انفجار لغم إلى إصابة بلدوزر بالعطب، و إصابة بعض الأفراد فى منطقة شمال الشط بالقطاع الجنوبى. وقد تم إخلاء الجرحى بطائرة هليكوبتر، وخصص العدو دبابة دقاقة للبحث عن الألغام الموجودة فى المنطقة١٩٧٠/١١/٢٩.

١٠- انفجر لغمان من الألغام التى بثتها المجموعة جنوب منطقة الدفرسوار يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٠، مما أدى إلى تدمير عربة نصف جنزير وثلاثة أفراد من قوات العدو.

١١- يوم أول نوفمبر ١٩٧٠ انفجر لغم فى إحدى المركبات الإسرائيلية ما أدى إلى إصابة مابها من أفراد، وذلك شرق الكيلو ١٠ شرق القناة.

١٢- أصيبت عربة دورية إسرائيلية بلغم فى منطقة شمال القطاع الجنوبى يوم ١٩٧٠/١٢/٢٢ (منطقة الشط).

١٣- أصيبت دبابة وعدد من الأفراد عند مرورها فوق أحد الألغام يوم ١٩٧٠/١٢/٢٦ بمنطقة لسان التمساح.

وبلغت خسائر العدو من جراء الوقوع فى حقول الألغام التى بثتها المجموعة التى أمكن التوصل إليها دبابتين وعربتين نصف جنزير، وست عربات مختلفة وبلدوزر.

أما بالنسبة للأفراد، فقد خسر العدو عددا كبيرا من الأفراد من بينهم قائد دورية وضابطين برتبة ملازم أول.

العملية ردع (٤) - ١٩٦٨/٥/٥

بث ألغام مضادة للدبابات شمال رمانة

بعد حوالى أحد عشر شهرا من نكبة يونيو ١٩٦٧، وبعد أن اشتد ساعد المجموعة ٣٩ قتال، بدأ التطلع لمد نطاق العمليات إلى الساحل الشمالى للبحر الأبيض المتوسط (شرق بورفؤاد)، وبدأ هذا التطلع بعد عمليات ناجحة شرق

القناة وشرق خليج السويس، وفى نفس الوقت كان قد تم تزويد المجموعة بقوارب اقتحام متطورة وأجهزة ومعدات تساعد على هذا التطلع.

وتعد هذه العملية أول عملية فى المنطقة شمال رمانة.

وتكونت قوة الدورية من المقدم إبراهيم الرفاعى والرائد عصام الدالى والنقيب طبيب محمد عالى نصر، والعريف محمد عبدالعال بكر من الكتيبة ١٤١ فدائيين. وقد تحركت القوة بحرا بواسطة قارب اقتحام زودياك مارك ٣ باتجاه شمال رمانة لبث ألغام على المدق الذى تستخدمه دوريات العدو على الساحل شرق بورفؤاد. وكان للعدو نقطة ملاحظة على قطع بورفؤاد يحتلها ليلا أحيانا، كما تتحرك دورياته على المدق نهارا وليلا، وعندما استطلعت المجموعة الأرض الموجودة على مسافة ٣٠كم شرق بورفؤاد تبينت وجود ثلاثة مدقات تتحرك عليها دوريات العدو التى تتكون من عربات نصف جنزير وجيب، ويوجد المدق الأول على الشاطئ مباشرة، أما الثانى فيوجد جنوب المدق الأول بحوالى ٢٥م، ويبعد المدق الثالث عن المدق الثانى بحوالى ٢٥م أيضا، وقد تمكنت المجموعة من وضع سته مجاميع مزدوجة من الألغام على المدقات الثلاثة بإجمالى ١٢ لغما مضادا للدبابات، وعندما اصطدمت دوريات العدو بحقول الألغام سقط من أفراده ١٢ قتيلا وجريحا، بالإضافة إلى تدمير عربتين نصف جنزير وعربة جيب، وقد نشرت صحيفة «إسرائيل دايجست» – the israel digest – يوم ١٧ مايو ١٩٦٨ مقالا بعنوان «استمرار العدوان العربى» اعترفت فيه بمقتل ثلاثة جنود إسرائيليين فى شمال سيناء ٦ مايو ١٩٦٨ بواسطة حقول الألغام التى زرعها المصريون، كما أصيب فى نفس الحادث ٧ من الجنود الإسرائيليين، وقد توفى أحد الجرحى السبعة فيما بعد. وقد التقطت وحدات الاستطلاع بعض الإشارات اللاسلكية المتبادلة على شبكة قيادة منطقة شرق القنطرة يوم ٧ مايو ١٩٦٨ بعد انفجار لغمين من الألغام التى بثتها المجموعة شمال رمانة يوم ٥ مايو، أى بعد يومين من تنفيذ هذه العملية. وفى الإشارة الأولى المتبادلة فى الساعة الثامنة إلا عشر دقائق مساء، سأل المرسل: هل أخذت الطائرة الجريح؟ فيرد الموقع بقوله تمام. وفى الساعة الثامنة واثنين وثلاثين دقيقة يتساءل مرسل الإشارة هل يوجد

جثث؟ فيأتي الرد، يوجد كثير من الجثث. وبعد ثمان دقائق يُجرى اتصال آخر تطلب فيها القيادة تفاصيلا عن الجريح والجنود الثلاثة القتلى. وفي الساعة التاسعة إلا ثمان دقائق يرد الموقع بأن أسماء المقتولين هم زانكو دافيد ومحفوت شلوم وجيموفتش صمويل. أما الجريح فاسمه زخر هارون. وفي الساعة الحادية عشرة والربع يرسل الموقع إشارة يقول فيها: يوجد جرحى بسبب انفجار لغم، وكان الرد (تم إرسال معدات لفحص المنطقة).

وإشارة ثانية يقول فيها: توجد علامات على الطريق، ويبدو أنها منذ يوم أو يومين، ثم تتساءل القيادة: أهي من اتجاه الماء أم من الشرق أم من الغرب؟ فيكون الرد: الاتجاه من الشرق إلى الغرب، ثم تم الإبلاغ عن ثلاثة من الجرحى هم:

١- جرمان ورقمه ٩٨٧٦٩٨

٢- رقيب شزبلاك ورقمه ٩٦٦٢٨٠

٣- شيما بنيامين رقمه ٩٨٥٨٨٤

وتكشف الإشارة عن توجه قائد ثاني منطقة شرق القنطرة إلى منطقة شمال رمانة في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم ٧ مايو ١٩٦٧، كما بدأت دورية من المهندسين العسكريين وعدد من القادة والفنيين في التحقيق في انفجار لغم في إحدى العربات، وقد عثرت دورية أخرى على لغمين سليمين في الساعة السادسة من مساء يوم ٨ مايو ١٩٦٨ .

النص الذي نشرته جريدة إسرائيل دايجست يوم ١٧ مايو ١٩٦٨

● قتل تسعة إسرائيليين من الجنود والمدنيين وسبعة وثلاثين إرهابيا في سلسلة من الحوادث منذ وقت قريب. معظم الإرهابيين قدموا من أراض أردنية، وقد تلقوا تغطية نيرانية من وحدات الجيش الأردني في معظم الحالات، وفي واحدة من أقرب الحوادث قتل ثلاثة جنود إسرائيليين في شمال سيناء بواسطة لغم وضعه متسللون قادمون من مصر.

● قتل ستة من عصابة فتح عبروا الحدود إلى إسرائيل يوم ٢٥ إبريل في مواجهة مع وحدة دفاع إسرائيلية قرب بيرورا شمال إيلات. وقد حدث الاشتباك

مع المخربين الذين كانوا يرتدون أزياء عسكرية وأحذية مطاطية للتمويه فى العاشرة مساء وقتلوا بالأسلحة الأتوماتيكية، وقد حمل أعضاء العصابة معهم أسلحة تشيكوسلوفاكية وبنادق كلاشينكوف وبندقية واحدة سوفيتية علاوة على قذائف بازوكا ذات منظمات زمنية.

● قتل ثلاثة إرهابيين بالقرب من جيركو «أريحا».

● قتل ثلاثة عشر من رجال فتح فى اشتباك مع وحدات الدفاع الإسرائيلية فى وادى سوجا ـ وهو منحنى ضيق شمال جيريكو ـ يوم ٢٨ إبريل، وقد جرح العضو الرابع عشر وأسر، بينما هرب اثنان آخران. أما الضحايا الإسرائيليين فكانوا أثنين من القتلى وجريح ثالث، وكان القتلى يرتدون أزياء عسكرية مقلمة، وأحذية مطاطية للتمويه، كما يحملون أسلحة وأطعمة وذخيرة ومواد تخريبية.

● جرح اثنان من الجنود الإسرائيليين بنيران أردنية يوم ٥ مايو. وكان ذلك فى واحدة من حوادث القصف النيرانى التى نظمتها الأردن خلال الأسبوع. فقد فتح الأردنيون النيران على القوات الإسرائيلية يومى ٣٠ إبريل، والأول من مايو. وفى الثانى من مايو لجأ فلاحو كفر روبين إلى المخابئ فى الساعات الأولى من الصباح بعدما فتحت عليهم المدفعية الأردنية النيران. وقد سقطت اثنتا عشرة قذيفة فى حقول البلدة، لكنها لم تحدث خسائر، وقد ردت المدفعية الإسرائيلية بالنيران لإسكات المدفعية الأردنية.

وفى الثالث من مايو فتحت القوات الأردنية النيران على تجمعات الحصاد فى الحقول جنوب تيراث زفى فى وادى بيزان ـ ثم فتحوا النيران على وحدات إسرائيلية شمال كوبرى اللنبى.

● قتل ثمانية عشر من الإرهابيين والإسرائيليين فى مواجهات

فى ليلة الثانى من مايو تمت المواجهة مع عصابتين من فتح على طول نهر الأردن، وقد قتل أربعة من المخربين بالقرب من أبوتسوس وقتل خامس بالقرب من نازيه أور جنوب وادى الأردن، وقد قامت القوات الأردنية بتغطية انسحاب المخربين بالنيران، وجرح إسرائيليان جروحا طفيفة فى أبوتسوس، وقد قتل

جندى إسرائيلى وجرح آخر يوم ٢ مايو نتيجة عمليات عصابة مكونة من ١٢ من رجال فتح بالقرب من نوت هاكيكار جنوب البحر الميت، وقد قتل رجال العصابة الاثنى عشر، وقتل متسلل آخر يوم ٤ مايو جنوب وادى الأردن. وهرب ثلاثة آخرون عبر النهر، وقد تم الاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلحة والمعدات.

● قتل جندى إسرائيلى و اثنان من المدنيين بواسطة الألغام، كما قتل اثنان من كبار موظفى مصانع البحر الميت، وجرح مدنيان آخران وجندى إسرائيلى يوم ٣ مايو عندما اصطدمت مركباتهم بألغام وضعها مخربون من الأردن. وكان موظفو مصانع البحر الميت ينتقلون فى سيارتى جيب فى مهمة روتينية على ضفاف مبخرة المصنع الجنوبية شمال نوت هاكيكار. وعندما اصطدمت السيارة الأولى باللغم، هرعت السيارة الأخرى لمساعدتها. وقد أبطل مفعول لغم آخر بواسطة سيارة عسكرية أرسلت إلى المنطقة عندما سمعت الدوريات العسكرية أصوات الانفجارات.

● قتل ثلاثة من الجنود الإسرائيليين وجرح ٧ بالألغام فى شمال سيناء يوم ٦ مايو. وكان الجنود يركبون سيارة قيادة اصطدمت بحقل ألغام وضع حديثا، وقد جرح أحد ركاب العربة، أما الستة الآخرون فقد قتلوا عندما حاول أحد اللوريات مساعدة سيارة القيادة فاصطدم بلغم آخر.

وقد اعتبرت هذه الحادثة خطيرة ليس فقط بسبب عدد القتلى، لكن لأن هذه الحادثة لم تكن ممكنة الحدوث بدون علم أو حتى معاونة القيادة المصرية فى بورسعيد، ويعتقد أن المصريين متورطين فى هذا الحادث سواء قدم المخربون بالبحر أو بالطريق البرى الأكثر صعوبة.

إطلاق قذائف فى منطقة القدس والجليل الأعلى

انفجرت ٦ من قذائف الهاون فى منطقة كريت بن كيكا على بعد ميل شمال القدس وشمال شرق بت أكسا فى الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم ٨ مايو، إلا أنه لم تحدث خسائر، وقد بدأت قوات الأمن على الفور بتمشيط المنطقة. ومن المعتقد أن القذائف قد أطلقتها عصابة من المخربين كانت قد عبرت الحدود قبل يوم الاستقلال.

وفى الحادث الأول من نوعه منذ السنة الماضية أطلقت عشر قذائف على كيبوتز منارة فى الجليل الأعلى فى المنطقة المواجهة للبنان. وقد طاشت جميع القذائف وسقطت فى مزرعة تفاح على بعد ٣٠٠ ياردة من أقرب منزل، وقد استمر الهجوم ثلاث دقائق. وبعد فحص المنطقة يعتقد أن القذائف قد أطلقت من قرية لبنانية على بعد ميل واحد من المنارة.

قتل وأسر حوالى ألفين من الإرهابيين

فى تصريح لوزير الدفاع الإسرائيلى موشيه ديان فى الكنيست الإسرائيلى يوم ٨ مايو قال إن حوالى مائة من المخربين العرب قد قتلوا وهم يهاجمون أهدافا مدنية إسرائيلية فيما بين حرب الأيام الستة والثانى والعشرين من إبريل ١٩٦٨، وقد جرح أكثر من ٤٢ وتم أسر أكثر من ١٦٤٠ .

وقال ديان إن ٣٣٠ مخربا قد حوكموا أمام المحاكم ولايزال ٦٨٦ منهم فى السجون ينتظرون المحاكمة، بينما يوجد منهم ٢١٩ تحت الإيقاف الإدارى، وتم طرد أربعة آخرين بأمر إدارى، وقد تم الحصول من المخربين على حوالى ٥٠٠ قطعة سلاح و ٦٠٠,٠٠٠ ر صاصة وحوالى طن من المتفجرات.

مصر تعذب أسرى الحرب الإسرائيليين

اتهم وزير الدفاع الإسرائيلى مصر بانتهاكها معاهدة جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب الإسرائيليين فى أثناء الأسبوعين الأولين من احتجازهم بعد حرب الأيام الستة. فقد احتجزوا فى سجن انفرادى مع رداءة الطعام وسوء الأحوال الصحية، بينما قام المحققون بضربهم وتعذيبهم.

وقال ديان إنه بالنسبة للغارات الإسرائيلية على قواعد المخربين فى كارام وصافى يوم ٢١ مارس، فقد قدرت خسائر العرب بمائة جندى قتيل و جرح ٩٠ آخرين بعد أن تجاهلوا النداءات الإسرائيلية بعدم التدخل فى العمليات التى كانت موجهة إلى أوكار المخربين فقط، بالإضافة إلى أنه قد تم تدمير ٤٦ دبابة وعشرة مدافع وعشر مركبات وثلاث نقاط بوليس أردنية.

(٥) العملية انتقام ٤ - ١٩٦٨/٧/٥

بث ألغام على المدقات شرق بورفؤاد خلف خطوط العدو بـ ٣٥ كيلومترا

بعد مضى شهرين على العملية الأولى التى نفذتها مجموعة الكوماندوز التابعة لإدارة المخابرات الحربية شرق رمانة بتاريخ ١٩٦٨/٥/٥ عادت المجموعة مرة أخرى إلى منطقة الساحل الشمالى شرق بورفؤاد لزرع الألغام على الطرق التى تستخدمها دوريات العدو.

وكان العدو قد لجأ إلى تنشيط الدوريات ومراقبة المنطقة بعدد من نقاط الملاحظة للحيلولة دون وصول عناصر من مجموعة الكوماندوز إليها مرة أخرى.

وهذا النشاط المعادى وكثافة الدوريات كان واحدا من العوامل التى دفعت المجموعة للتفكير والتخطيط للعودة إلى المنطقة، لكن بصورة أكبر.

وفى الساعة ٢٠٤٥ أى التاسعة إلا ربع من مساء يوم ٤ يوليو ١٩٦٨، تحركت القوة المشكلة من إبراهيم رفاعى وعصام الدالى وعالى نصر، وإسلام توفيق من نقطة انطلاق شرق بورفؤاد بحرا باستخدام ثلاثة قوارب اقتحام زودياك مارك٣، وعلى مسافة ٣٥ كيلومترا شرق بورفؤاد رست القوارب على الشاطئ.

وفى نفس الوقت الذى تحركت فيه قيادة المجموعة من بورفؤاد، انطلق من قاعدة بورسعيد البحرية لنشى طوربيد تحت قيادة المقدم بحرى أركان حرب يسرى قنديل من إدارة المخابرات الحربية إلى منطقة الهدف للتدخل فى المعركة إذا ما اشتبكت قوات العدو البحرية مع المجموعة والعمل على ستر انسحابها بالاشتباك مع لنشات العدو.

وتحمل العميد مصطفى كمال من إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع مسئولية إدارة نيران المدفعية الساحلية من نقطة ملاحظة أمامية، بالإضافة إلى مدافع الهاون لستر انسحاب المجموعة فى حالة الاشتباك مع العدو.

وكان من المهم فى ظل نشاط العدو البرى والبحرى فى المنطقة بعد عملية زرع الألغام شمال رمانة اتخاذ كافة الاحتياطات لحماية المجموعة ومساعدتها على إنجاز مهمتها.

وتمكنت المجموعة من بث الألغام المزدوجة على مدقين من المدقات التى تتحرك عليها دوريات العدو، بواقع لغمين لكل مدق، وكان عدد الألغام ١٢ لغما.

وأفاد تقرير للاستطلاع اللاسلكى أن العدو أجرى عملية غيار لبعض الوحدات الفرعية شرق القنطرة يومى ٢٤ و٢٥ يوليو، وأجرى عملية غيار مماثلة للقوات الموجودة شرق بورفؤاد يوم ٢٧ يوليو ٦٨، وذلك نتيجة هبوط معنويات هذه القوات نتيجة لكثرة اصطدام الدوريات بحقول الألغام التى يزرعها المصريون فى هذه المناطق.

كما أفاد تقرير آخر للاستطلاع اللاسلكى عن انفجار لغم بإحدى العربات بمنطقة رمانة الساعة ١٨٢٠، أى السادسة والثلث من مساء يوم ١٩٦٨/٧/١٩، وإصابة سائق السيارة بإصابات بالغة، كما تم سحب السيارة المصابة، وصدرت الأوامر بتخفيض أنوار العربات التى تقوم بالعمل فى المنطقة ليلا، وبدأت مجموعات من المهندسين العسكريين فى البحث عن الألغام الموجودة فى المنطقة. كما تم رصد خروج ٦ دوريات من المهندسين العسكريين، وهى تجوب منطقة رمانة وشمال رمانة بصورة ملحوظة للبحث عن الألغام.

(٦) العملية انتقام (٢)

بث ألغام مضادة للدبابات على بلاج موقع شرق كبريت ١٩٦٨/٧/٣٠

أوضحت تقارير المعلومات والصور الملتقطة لموقع العدو فى شرق كبريت استخدام أفراد قوات العدو للشاطئ الموجود بالموقع كبلاج بعد عمل فتحة فى حقول الأسلاك والألغام المحيطة بالموقع.

وكان نزول الإسرائيليين لمياه القناة مصحوبا بجلبة وكأنهم يحاولون استفزاز القوات المصرية الموجودة غرب القناة. وكثيرا ما كان الجنود الإسرائيليون يداعبون المجندات الإسرائيليات اللاتى يشاركنهم السباحة واللهو والمرح. والتقطت المجموعة ٣٩ قتال فكرة العمل لحرمان الجنود الإسرائيليين من استخدام هذا الشاطئ (البلاج)، وخططت لزرع الألغام فى المنطقة.

ويوم ٣٠/٧/١٩٦٨ قاد الرائد طبيب محمد عالى نصر دورية استهدفت زرع ألغام على الشاطئ الشرقى للبحيرات المرة، وكان العدو يحتل موقع كبريت بقوة ٢ فصيلة مشاة، وفصيلة دبابات + عربة صواريخ + فصيلة هاون. كما أنشأ العدو برج ملاحظة بارتفاع عشرة أمتار لملاحظة الاقتراب من أى اتجاه وأحاط الموقع بـ ٣ موانع من السلك الشائك زرع فيما بينها حقول ألغام مضادة للدبابات والأفراد، وتمكنت الدورية من الوصول إلى نقطة على الشاطئ الشرقى تبعد عن الموقع حوالى ٦٠ مترا من اتجاه الجنوب، وتسللت الدورية إلى منطقة البلاج، وقامت بزرع ألغام مضادة للأفراد، وألغام مضادة للدبابات، وعادت الدورية فى نفس اليوم، وأفاد تقرير الاستطلاع عن انفجار سيارة جيب ومصرع قائد فصيلة مدفعية العدو بالموقع.

(٧) زرع ألغام على المدق الموجود شمال رمانة

٤/٨/١٩٦٨

وللمرة الثالثة تعود المجموعة ٣٩ قتال إلى منطقة شمال رمانة لزرع حقول الألغام على المدقات التى تستخدمها دوريات العدو، وتأتى هذه العودة بعد مرور شهر على العملية السابقة التى تمت يوم ٤/٧/١٩٦٨، وقاد الدورية إبراهيم الرفاعى، وكان تحت قيادته الرائد عصام الدالى، والرائد طبيب عالى نصر، وجندى من الكتيبة ١٤١ فدائيين، وتم التحرك من بورفؤاد باستخدام قارب اقتحام زودياك مارك٣، ووصلت القوات إلى منطقة الهدف الساعة الواحدة صباحا، حيث تم زرع ١٢ لغما مزدوجا مضادا للدبابات فى ست مناطق مختلفة على المدقات الساحلية. وفى اليوم التالى اصطدمت ٣ عربات دورية إسرائيلية بحقول الألغام، مما أدى إلى تدميرها، وقتل وجرح ١٥ فردا من أطقم هذه العربات.

(٨) تلغيم مدقات العدو شرق القناة

١٩٦٨/٩/٤

تم استدعاء مجموعة من سرية الصاعقة البحرية بقيادة نقيب بحرى إسلام توفيق فى أثناء وجودها بمدرسة الصاعقة بأنشاص لاستكمال تدريباتها النهائية بأوامر من اللواء محمد أحمد صادق للعمل تحت قيادة المقدم أركان حرب إبراهيم الرفاعى لتنفيذ عملية الحصول على صواريخ إسرائيلية من موقع العدو شرق القناة. وبعد تنفيذ العملية استدعيت نفس الجموعة للمساهمة فى تنفيذ عملية الكمين شرق منطقة جبل مريم. وبعد انتهاء أية عملية كانت المجموعة تعود إلى مدرسة الصاعقة لاستكمال برنامجها التدريبى مع باقى أفراد سرية الصاعقة البحرية.

وبانتهاء هذا البرنامج التدريبى عادت السرية بالكامل إلى مقر قيادة لواء الوحدات الخاصة بالإسكندرية، وهناك اقترح النقيب إسلام توفيق على قائد لواء الوحدات الخاصة تنفيذ عملية خلف خطوط العدو، لتلغيم المدقات الموجودة خلف ناتج الحفر بالضفة الشرقية لقناة السويس ما بين علامتى الكيلو ١٠ و٣٠

وصدقت أجهزة القيادة فى الإسكندرية والقاهرة على تنفيذ هذه العملية بتاريخ ١٩٦٨/٩/٤، وتحركت المجموعة التى ضمت ١٢ فردا من ضباط الصف من الإسكندرية بقيادة النقيب بحرى إسلام توفيق، وكانت الخطة تقضى بانقسام الأفراد إلى مجموعتين رئيسيتين:

المجموعة الأولى وتعمل عند علامة الكيلو ١٠

والمجموعة الثانية وتعمل عند علامة الكيلو ٣٠

ووصلت كل مجموعة إلى المنطقة التى ستعبر منها القناة وانقسمت كل مجموعة إلى جماعة استطلاع مكونة من فردين وجماعة حمل ألغام مكونة من ٤ أفراد، وجماعة ساترة مكونة من ٤ أفراد من الوحدات الموجودة غرب القناة. ومهمة جماعة الاستطلاع السباحة والوصول إلى الضفة الشرقية للقناة، وتفتيش

المنطقة واحتلالها لتأمين عبور جماعة حمل الألغام وإعطاء التمام بذلك. وتقوم جماعة حمل الألغام بعبور القناة سباحة وتوصيل الألغام لجماعة الاستطلاع التى تقوم بتثبيتها على الطرق والمدقات تحت ستر جماعة حمل الألغام، وبعد الانتهاء من زراعة الألغام تقوم جماعة الاستطلاع وجماعة حمل الألغام بالانسحاب والعودة سباحة تحت ستر الجماعة الساترة الموجودة غرب القناة، وتم تنفيذ العملية وفق الخطة الموضوعة.

(٩) العملية عصام

بث ألغام عند علامة الكيلو ١٩، ٣٠، ٤٠ شرق القناة

١٩٦٨/٩/١٥

تحركت من القاهرة ثلاث دوريات من المجموعة ٣٩ قتال باتجاه منطقة شمال قناة السويس.

المجموعة الأولى بقيادة نقيب بحرى إسلام توفيق لزرع لغمين عند علامة الكيلو ٤٠ فيما بين القنطرة والكاب.

الدورية الثانية بقيادة الرائد أركان حرب عصام الدالى ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ٣٠ فيما بين الكاب والتينة.

والدورية الثالثة بقيادة الرفاعى ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ١٩ فيما بين التينة ورأس العش، وتضمنت الخطة أن يعبر قادة الدوريات قناة السويس سباحة وتحت إمرة كل قائد أربعة أفراد من الصف والجنود. وقد تم التنسيق مع وحدات القوات المسلحة الفرعية الموجودة فى المنطقة غرب القناة، وهى الكتيبة ١٨ مشاة من اللواء ١١٦ مشاة، والكتيبة ٨٣ صاعقة، والكتيبة ١٣ صاعقة. وقد بدأ تنفيذ المهمة بالنسبة للدوريات الثلاث فى نفس التوقيت، أى الساعة السابعة والنصف مساء.

(١٠) زرع ألغام جنوب موقع شرق كبريت

١٩٦٨/٩/٢٤

فى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٦٨ عبرت مجموعة ضمت إبراهيم الرفاعى وإسلام توفيق وماجد ناشد علاوة على عشرة من الصف والجنود البحيرات المرة الكبرى بواسطة قاربى اقتحام للوصول إلى الضفة الشرقية جنوب موقع شرق كبريت، وبعد أن اختارت المواقع الملائمة بثت ١٠ ألغام مضادة للدبابات فى خمس مناطق مختلفة. وفى اليوم التالى اصطدمت عربتان جيب بالألغام المزروعة، مما أدى إلى تدمير العربتين وقتل وجرح ستة أفراد. وفى السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٦٨، تتجه دورية مكونة من عالى نصر وإسلام توفيق، علاوة على ٦ من الصف والجنود إلى شمال شرق موقع كبريت لزرع ١٠ ألغام مضادة للدبابات، واستكشاف حقول الألغام بالمنطقة. وتتبين الدورية وجود حقلين من الألغام يمر بينهما مدق لمرور المركبات الإسرائيلية، وبعد الحصول على عينات من الألغام التى يستخدمها العدو وتحديد مواقع الحقلين، قامت بزراعة الألغام على الطريق الرئيسى وعلى المدق المار بين حقلى الألغام الموصل إلى ساحل البحيرات المرة الكبرى، ولم تمض أربعة وعشرون ساعة إلا ومرت دورية إسرائيلية مكونة من عربتين نصف جنزير تمر على المدق لتواجه مصيرها، وتكون النتيجة تدمير العربتين بأفرادهما.

وفى نفس الليلة عبرت مجموعة تضم عالى نصر وإسلام توفيق ووئام سالم وعشرة أفراد إلى الضفة الشرقية للقناة، حيث زرعت عشرة ألغام مزدوجة مضادة للدبابات نتج عنها تدمير عربتين نصف جنزير، وسقوط حمولة السيارتين من الأفراد قتلى وجرحى.

(١١) زرع ألغام على مدقات وطرق العدو على امتداد الجبهة شرق قناة السويس

١٩٦٩/٢/١٣

تطلعت قيادة المجموعة ٣٩ لإنجاز مهمات كبيرة خلف خطوط العدو بعد بداية عام ١٩٦٩، وذلك باستخدام الإمكانات التى توافرت لها بفضل مجهود وفكر

اللواء محمد أحمد صادق مدير إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع على امتداد الفترة من يونيو ١٩٦٧ حتى نهاية ١٩٦٨، وكانت المجموعة ٣٩ قد أكدت حضورها القوى خلف خطوط العدو، وتحول رجالها إلى قدوة، وحاولت كل القوات المنتشرة على الجبهة الاقتداء بها، هذا إن لم تتمكن من نيل شرف الانضمام لها. وكانت هذه القوات المنتشرة على طول الجبهة تتابع أحيانا وتشاهد نتائج عمليات هذه المجموعة. أما بالنسبة للعدو فقد تمكنت المجموعة من إلحاق خسائر كبيرة به فى البشر والمعدات. وكان واضحا أن الخسائر البشرية تؤثر تأثيرا مباشرا على العدو، أما عمليات زرع الألغام والهجمات المباشرة، فكانت تتسبب فى خفض الروح المعنوية له، مما أدى إلى امتناعه عن تسيير الدوريات الليلية واستبدالها بالدوريات النهارية، وكان يسبق ذلك دوريات المهندسين العسكريين التى تستخدم كلاب الحرب، فى البحث عن الألغام، وكذلك بدأ يستخدم الدقاقات (نوع من الدبابات لاستكشاف وتدمير حقول الألغام)، واقترح قائد المجموعة على مدير المخابرات الحربية زرع ألغام على امتداد الجبهة فى ليلة واحدة فأقره على ذلك. وبدأ التخطيط للعملية وتمهيدا لتنفيذها شكل الرفاعى قوة من ٦ ضباط و٢٠ جندى صف من الصاعقة البحرية تحت قيادته وشكل من هذه القوة خمس مجموعات.

المجموعة الأولى بقيادته وتضم نقيب طبيب محمد عالى نصر وعبده مباشر + ٨ أفراد من الصاعقة البحرية، ومهمتها زرع ألغام عند علامة الكيلو ١٤٥، ١٤١، ١٤٠ على قناة السويس بمنطقة الشلوفة التابعة لقيادة الجيش الثالث الميدانى، وقد تمكنت من زرع ٦ ألغام خلف خطوط العدو شرق القناة، وتجنبت الاصطدام بالدوريات المعادية التى كانت تمر فى تلك المنطقة.

المجموعة الثانية بقيادة الملازم أول رأفت جمعة، وتضم الملازم أول محمد وئام سالم وأربعة أفراد من الصاعقة البحرية، ومهمتها زرع ألغام عند علامة الكيلو ٨٦و ٨٢ شرق القناة المواجهة لمنطقة طوسون التابعة لقيادة الجيش الثانى. وقد تمكنت من زرع أربعة ألغام.

المجموعة الثالثة بقيادة الرائد أ.ح عصام الدالي ومهمتها زرع لغمين في المنطقة بين القنطرة والكاب عند علامة الكيلو ٤٠ على قناة السويس.

المجموعة الرابعة بقيادة النقيب بحري إسلام توفيق ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ٣٠ شرق القناة المحصورة بين الكاب والتينة.

المجموعة الخامسة و تضم ٨ أفراد من الصاعقة البحرية ومهمتها زرع لغمين فيما بين التينة ورأس العش عند علامة الكيلو ١٩ شرق القناة. وراعت قيادة المجموعة أن يبدأ عمل هذه المجموعات جميعها في الساعة الثامنة والنصف مساء. وأن يتم تنسيق العملية مع قادة الكتائب الموجودة غرب القناة مباشرة وإبلاغ قائدى الجيش الثانى والثالث لتنظيم التعاون في نفس الوقت، وتم رفع درجة استعداد القوات المسلحة اعتبارا من الساعة الثامنة مساء.

ومساء يوم ١٣ فبراير عام ١٩٦٩ قامت المجموعة ٣٩ قتال بإعادة تلغيم طرق ومدقات العدو شرق القناة على طول خط المواجهة، وفي هذه المرة تم تقسيم القوات المهاجمة إلى ثلاث مجموعات للعمل في ثلاث مناطق، قاد مجموعة العمل في المنطقة الشمالية الرائد أ. ح عصام الدالي، وقاد العمل في المنطقة الوسطى نقيب طبيب محمد عالي نصر، وقاد مجموعة العمل في المنطقة الجنوبية المقدم أ. ح إبراهيم الرفاعي. وفي نفس التوقيت تمكنت المجموعة من زرع ٣٠ لغما مضادا للدبابات أسفر عن تدمير دبابة و٧ عربات مختلفة في نفس اليوم، واليوم التالي.

واشترك في هذه العملية ٧ من الضباط والقادة، و٤٢ من الصاعقة البحرية.

وللمرة الثالثة تقوم المجموعة ٣٩ بتلغيم الطرق والمدقات شرق القناة على امتداد المسافة من الكيلو ١٩ حتى الكيلو ١٥٢ شرق القناة، أي على مسافة طولها ١٣٣ كيلومترا. وتم تخصيص خمس مجموعات للعمل في خمس مناطق.

المجموعة الأولى، بقيادة الملازم أول بحري السيد محمد فرج وتتحمل مسئولية زرع لغمين عند علامة الكيلو ٤٠ ما بين القنطرة والكاب.

المجموعة الثانية، بقيادة الرائد أركان حرب عصام الدالى ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ٣٠ بين الكاب والتينة.

المجموعة الثالثة، بقيادة المقدم أركان حرب إبراهيم الرفاعى مهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ١٩ بين التينة ورأس العش.

وهذه المجموعات الثلاث عملت فى نطاق الجيش الثانى الميدانى، أما المجموعتان الرابعة والخامسة فكانت مهمتها فى نطاق الجيش الثالث الميدانى.

المجموعة الرابعة بقيادة ملازم أول بحرى مجدى مجاهد، ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ١٥٢ جنوب معبر الشط.

والمجموعة الخامسة بقيادة نقيب بحرى إسلام توفيق ومهمتها زرع لغمين عند علامة الكيلو ١٤١ شمال معبر الشط، وفى هذه العملية قضت الخطة بعبور كل الأفراد سباحة ومعهم الألغام تحت مراقبة القائدالمسئول وتحت ستر نيران مواقع القوات الموجودة غرب القناة. وقد اقتضى ذلك التنسيق مع قادة الكتائب ١٨ مشاة، و٨٣ صاعقة، و١٣ صاعقة، و٣٧ مشاة، و٢٠ مشاة، الموجودة غرب القناة.

(١٢) زرع ألغام مضادة للدبابات على الساحل الشرقى للبحيرات المرة فى المنطقة المواجهة لفايد

١٩٦٩/٣/٣

شهدت الجبهة المصرية على امتداد قناة السويس تصعيد العمليات العسكرية اعتبارًا من مارس ٦٩ فيما سمى بمعارك الاستنزاف، وكانت البداية استخدام سلاح المدفعية فى قصف مواقع العدو شرق القناة. وتطورت فيما بعد لتصبح هذه العمليات استنزافا للجانبين، وكانت مصر بذلك تنهى رسميا فترة وقف إطلاق النار التى ترتبت على قبول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وكان الهدف ألا يتحول خط وقف إطلاق النار إلى خط لحدود إسرائيل، وفى نفس الوقت الضغط على العدو لحرمانه من الاستقرار فى المنطقة. ولم تكن القيادة

الإسرائيلية لتقبل باستمرار تعرضها لخسائر عسكرية فى الجبهة، لذا قامت بتوسيع نطاق العمليات إلى عمق مصر غير المدافع عنه مستخدمة فى ذلك تفوقها الجوى، بالإضافة إلى عمليات الإغارة على مواقع خلف الخطوط المصرية، وفى ظل هذا التصعيد الذى شهدته الجبهة، خططت المجموعة ٣٩ قتال لزرع ألغام على الساحل الشرقى للبحيرات المرة الكبرى، وألغام مضادة للدبابات والأفراد فى المنطقة المواجهة لفايد.

وقاد إبراهيم الرفاعى القوة المخصصة لتنفيذ هذه المهمة، التى ضمت كل من الضباط رائد أ. ح عصام الدالى، ملازم أول رفعت الزعفرانى، رائد عالى نصر، رائد رجائى عطية، نقيب بحرى إسلام توفيق بالإضافة إلى ١٤ صف ضابط. وتمكنت المجموعات من زرع عشرة ألغام مزدوجة نتج عنها تدمير عربتين نصف جنزير فى اليوم التالى وسقوط عدد من القتلى والجرحى من أفراد الدوريات الإسرائيلية.

(١٣) العملية ردع (٨)

زرع ألغام عند علامة الكيلو ١٤١ وشرق البحيرات

١٩٦٩/٣/٥

بعد ٤٨ ساعة من عملية زرع الألغام يوم ١٩٦٩/٣/٣ نفذت المجموعة ٣٩ قتال عملية زرع ١٢ لغما مزدوجا مضاداً للدبابات شرق القناة عند علامة الكيلو ١٤١، وشرق البحيرات فى المنطقة المحصورة ما بين كبريت وتل سلام، وقامت بتنفيذ هذه المهمة قوة من المجموعة ٣٩ قتال بقيادة إبراهيم الرفاعى، يعاونه عصام الدالى، عالى نصر، إسلام توفيق، رجائى عطية، و١٦ صف ضابط وجندى من قوة الكتيبة ١٠٣ صاعقة التى كانت ملحقة بالمجموعة ٣٩ قتال. وانقسمت القوة إلى مجموعتين. كلفت كل مجموعة بالعمل فى منطقة من المنطقتين. ومن المعروف أن الشريط الساحلى فى هذه المنطقة يتكون من رمال ناعمة تصلح

لتحريك المركبات ذات الجنزير والعربات الخفيفة. ويقع شرق هذا الطريق الساحلى خط للسكك الحديدية على مسافة ٣٠٠ متر، ثم طريق أسفلتى.

وفى منطقة شرق الشلوفة عند علامة الكيلو ١٤١ اكتشفت المجموعة وجود حقل ألغام على مسافة ٣٠ مترا من الساحل وبعمق ٧٠ مترا تقريبا ومحاط بسلك شائك. وقد أقام العدو ممرات لعرباته داخل هذا الحقل وبجانب الدوريات التى تتحرك على مدقين فى المنطقة كان العدو يستخدم طائرة عمودية «هليكوبتر» تحلق موازية للساحل وعلى ارتفاع منخفض لرصد أية محاولات للتسلسل واكتشاف آثار أية دوريات مصرية على رمال المنطقة.

وقد قامت المجموعة بزرع الألغام على المدقين الموازيين للساحل وبالممرات التى أقامها العدو لقواته داخل حقل الألغام.

وكانت نتيجة هذه العملية تدمير دبابتين إسرائيليتين من طراز M48 أمريكية الصنع، وعدد من القتلى والجرحى.

(١٤) العملية نصر

بث ألغام شرق القناة مايو ١٩٦٩

وللمرة الرابعة تلجأ المجموعة ٣٩ قتال إلى بث ألغام مضادة للدبابات على مدقات العدو بامتداد الضفة الشرقية لقناة السويس.

وقد تم تنفيذ هذه المهمة بقيادة وضباط وجنود من المجموعة ٣٩ قتال بالتعاون مع أفراد من الصاعقة البحرية.

وتم تقسيم القوة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: بقطاع الجيش الثالث بقيادة مقدم أ.ح إبراهيم الرفاعى ويعاونه النقيب بحرى إسلام توفيق، و ١٢ فردا من الصاعقة البحرية، ونفذ هذا القسم عملية بث ٨ ألغام مزدوجة على ثلاثة مدقات للعدو عند علامة الكيلو ١٤١ شرق الشلوفة.

القسم الثاني: بمنطقة البحيرات بقطاع الجيش الثالث بقيادة الرائد طبيب محمد عالى نصر يعاونه النقيب رجائى عطية والملازم محسن طه، بالإضافة إلى ١٣ صف وجندى من الكتيبة ٩٣ صاعقة والملحقين على المجموعة ٣٩ قتال. وقد وصل أفراد هذا القسم إلى منطقة شرق البحيرات باستخدام ٣ قوارب اقتحام وتمكنوا من بث ١٠ ألغام مزدوجة مضادة للدبابات على مدقين للعدو بامتداد ٥ كيلو مترات فى المنطقة ما بين شمال موقع شرق كبريت وتل سلام شمالا.

القسم الثالث: فى قطاع الجيش الثانى بقيادة الرائد أ. ح عصام الدالى، يعاونه النقيب بحرى يوسف محمود، والملازم أول بحرى أشرف هندى، والملازم بحرى وسام حافظ، و١٥ صف وجندى من الصاعقة البحرية. وتمكن أفراد هذا القسم من بث ٤ ألغام مزدوجة مضادة للدبابات عند علامة الكيلو ٤٠ شرق القناة، و٦ ألغام مضادة للدبابات مزدوجة عند علامة الكيلو ٣٠ شرق القناة. وبعد تنفيذ المهمة، وقبل عودتهم إلى الضفة الغربية لاحظ المقدم إبراهيم الرفاعى وجود دورية من اللواء ١١مشاة من الجيش الثالث وهى لا تملك وسيلة للعودة إلى الضفة الغربية، فقام بإعادتها بقوارب المجموعة ٣٩ قتال، وأنقذها من الوقوع فى الأسر، وكانت المجموعة مكونة من ضابط و٥ جنود.

وأكدت تقارير نقاط الملاحظة والاستطلاع اللاسلكى نسف إحدى الدبابات بقطاع الجيش الثالث عند علامة الكيلو ١٤١ وعربة دورية فى منطقة شرق البحيرات، وأوضحت الشكوى التى تقدمت بها إسرائيل إلى مجلس الأمن نسف إحدى مركباتها شمال القنطرة نتيجة انفجار لغم بها.

(١٥) العملية هاشم

تلغيم الساحل الشرقى للبحيرات المرة الكبرى

١٩٦٩/٦/١١

تشكلت الدورية من عالى نصر وإسلام توفيق ووسام ومحسن طه واثنى عشر فردا من الصف والجنود.

ومن مكتب المخابرت فى فايد انطلقت الدورية لعبور البحيرات مستخدمة ثلاثة قوارب اقتحام، وبعد أن وصلت إلى الضفة الشرقية قامت بتلغيم أربعة مدقات تستخدمها دوريات العدو.

ووضعت الألغام فى ثلاث مجاميع:

الأولى بها ٣ ألغام مزدوجة

والثانية شمالها بحوالى ٥٠٠ متر، وبها ثلاثة ألغام أيضا.

والثالثة شمال الثانية بحوالى كيلو مترين وبها أربعة ألغام.

وأفادت تقارير الاستطلاع عن تدمير دبابة وثلاث عربات نصف جنزير وإصابة عدد كبير من الأفراد.

ويتمثل وجود العدو شرق البحيرات المرة الكبرى فى عدة مواقع، منها موقع شرق كبريت ويسيطر على الطرف الجنوبى للبحيرة ومواقع تل سلام والدفرسور، وتسيطر على الطرف الشمالى للبحيرة، وبذلك أصبح مسيطرا على طرفى البحيرة الجنوبى والشمالى.

بالإضافة إلى ذلك أنشأ العدو موقعا جديدا على الشاطئ مباشرة جنوبى تل سلام بحوالى ١٥٠٠متر.

(١٦) العملية نصر
زرع ألغام بالضفة الشرقية للبحيرات المرة الكبرى
٢١/٢٢ يونيه ١٩٦

على الطرف الجنوبى للضفة الشرقية للبحيرة المرة الكبرى أنشأ العدو موقعا حصينا شرق كبريت، فى حين أنشأ موقعا جديدا على شاطئ البحيرة الشرقى مباشرة ويبعد عن موقع تل سلام بحوالى ١٥٠٠ متر.

ولحماية وحراسة المنطقة، ومنع أية محاولة للهجوم أو التسلل لجأ العدو إلى دفع دوريات للمرور فى المسافات التى تفصل بين هذه المواقع. وتم التخطيط

لزرع ألغام مضادة للدبابات لإلحاق قدر كبير من الخسائر بدوريات العدو. وتشكلت الدورية من تسعة من القادة والضباط هم: الرفاعى، الدالى، عالى نصر، إسلام توفيق، حنفى إبراهيم، وسام، ماجد ناشد، وئام، محسن طه، وواحد وعشرين من الصف والجنود.

وأسندت قيادة مجموعة القيادة والسيطرة على الضفة الغربية للعميد أ.ح مصطفى كمال رئيس فرع البحوث بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع، وكانت البداية لهذه العملية المثيرة بأحداثها ووقائعها إبحار الدورية من مكتب مخابرات فايد باستخدام ثلاثة قوارب زودياك مارك ٥ بموتور قوته ١٠٠ حصان، وقارب مارك ٣ بموتور قوته ٤٠ حصانا، بقيادة إسلام توفيق. ووصلت الدورية بالقرب من الشاطئ للاستطلاع أولاً ثم التقدم برا لزرع الألغام على المدقات.

ولأن الإبحار فى البحيرات المرة الكبرى التى يبلغ عرضها ١٣ كيلو مترا، يتم باستخدام البوصلة البحرية. لذا يتم التوقف على مسافة من الشاطئ وإرسال مجموعة للاستطلاع لتحديد موقع الهدف واكتشاف نشاط الدوريات المعادية والتأكد من أساليب تأمين الدورية.

نفذ إسلام الأمر واتجه إلى الشاطئ، حيث تبين أنه بجوار موقع شرق كبريت فقاد الأفراد الذين معه واتجه إلى المدق المطلوب زرع الألغام به بعد إعطاء تمام للقائد لاسلكيا، وإبلاغه بالمعلومات التى توافرت له. وبينما كان مستغرقا هو وأفراد القوة فى أعمال الحفر والاستعداد لزرع الألغام فى ظل المجموعة التى خصصت لحمايته. تلقى أمرا لاسلكيا من إبراهيم الرفاعى بالعودة فورا. فما كان منه إلا أن أغلق جهاز اللاسلكى وواصل تنفيذ المهمة.

فى ذلك الوقت قام العدو بإضاءة المنطقة بكشافات إضاءة قوية جدا، وبما يشير إلى اكتشاف العدو للدورية. وكانت هذه الأضواء هى السبب فى إصدار الأمر لإسلام بالعودة فورا.

وبعد أن أنجز إسلام ومجموعته عملية زرع الألغام على المدقات جنوب موقع شرق كبريت انسحب وعاد بالقارب إلى مكان تجمع باقى قوارب الدورية

بالبحيرة. ففوجئ بتعطل مواتير باقى القوارب. والمدهش أن موتور قارب إسلام تعطل أيضا بعد وصوله إلى مكان القوارب، وحاولت الدورية عبثا إصلاح المحركات وإدارتها، إلا أن المحاولات كلها باءت بالفشل.

فاضطر أفراد الدورية إلى النزول فى الماء لمواجهة احتمال قصف العدو للقوارب، خاصة أن أضواء العدو قد ساعدته على اكتشاف مكان القوارب. فما كان منه إلا أن ثبت الأضواء عليها، واستمرت الدورية فى هذا الموقف الصعب أكثر من عشرين دقيقة. لا هى قادرة على التحرك من المكان، ولا العدو أطلق نيرانه عليها، ربما شك فى أن هذه القوارب طعم لاستدراجه إلى كمين منصوب أو معد بعناية.

وبعد أكثر من ثلث ساعة حاول بعض أفراد الدورية إدارة محركات القوارب، فدارت كلها فجأة مثلما تعطلت فجأة، فأمر الرفاعى الرائد عصام الدالى قائد القارب رقم ٤ بالعودة إلى داخل البحيرة لجذب نظر العدو إليه حتى يؤمن باقى أفراد الدورية الذين اتجهوا إلى موقع آخر على الشاطئ الشرقى للبحيرة يبعد مسافة ٥كم عن الموقع الذى زرع فيه إسلام ألغامه. وكانت الأوامر الصادرة لعصام الدالى أنه بعد أن يقطع مسافة بالبحيرة يعود للانضمام إلى باقى التشكيل، وقامت باقى المجموعات بتلغيم المدقات بالموقع الجديد، وتمكنت من زرع أربعة عشر لغما مضادا للدبابات.

وعادت القوة إلى القوارب، حيث أبحرت جنوبا لزرع باقى الألغام. وفى هذه الأثناء قام العدو بتحريك إحدى دورياته على الساحل مباشرة من اتجاه الجنوب، ودورية أخرى من اتجاه الشمال.

واصطدمت الدورية الأولى بحقل ألغام ودوى انفجاران عنيفان فى منطقة الألغام الأولى بفاصل خمس دقائق بين الانفجار الأول والثانى، وبعد دقائق اصطدمت الدورية الثانية بالحقل الثانى، وتكررت الانفجارات، وظنت كل من الدوريتين أن المصريين فى الجانب الآخر. وبدأت الدوريتان الإسرائيليتان فى الاشتباك مع بعضهما البعض.

كل منهما تظن أنها تشتبك مع كمين مصرى.

وفتح العدو نيرانا مركزة من دباباته تجاه أماكن الانفجارات، فأصدر الرفاعى أوامره بأن تتجه مجموعة من الدورية شمالا لتشتبك مع إحدى دبابات العدو بالبنادق الآلية لجذب العدو تجاه حقل الألغام الثالث.

فى حين أطلق بعض أفراد المجموعة نيران أسلحتهم فى الفضاء، فى أثناء وجودهم بالماء لحفز دوريات العدو للاستمرار فى الاشتباك بقوة مع بعضها البعض. وبعد خمس عشرة دقيقة سمع أفراد الدورية صوت الانفجار فى موقع الألغام الثالث، الذى كان أعنف من الانفجارات السابقة.

وكانت النيران المتبادلة بين الدوريتين الإسرائيليتين دافعا لكى يطفئ العدو كشافاته تماما، وإن استمرت الاشتباكات، وبعد دقائق بدأت نيران بعض مواقع العدو تنطلق باتجاه الدورية التى أخذت فى الانسحاب من المنطقة دون أن تلحق بها أية خسائر.

وكانت خسائر العدو عربتين نصف جنزير وحمولة عربة نصف جنزير من الأفراد.

(١٧) العملية إسلام
زرع ألغام على مدقات العدو شرق كبريت
٢٤، ١٩٦٩/٨/٢٥

أطلق إبراهيم الرفاعى اسم إسلام على العملية تقديرا لدوره فى العمليات التى نفذتها المجموعة. وهذه المرة تشكلت الدورية من إبراهيم وإسلام فقط، وتحمل مسئولية قيادة وإدارة نيران المدفعية العميد مصطفى كمال والمقدم أحمد حلمى.

وكانت مهمة الدورية زرع أحد عشر لغما مضادا للدبابات على مدقات العدو واكتشاف حقل ألغام العدو، ووضع ألغام زمنية به لتفجيره مع محاولة الحصول على عدة ألغام من هذا الحقل.

ويحتل العدو موقع شرق كبريت بقوة فصيلة مشاة، وفصيلة دبابات وفصيلة مدافع هاون عيار ٨١مم وسرية مدفعية ميدان عيار ١٥٥مم، والموقع محاط بحقل ألغام من ثلاثة نطاقات، ومن حول كل نطاق أسلاك شائكة.

وتحركت الدورية فى الساعة التاسعة والربع مساء باستخدام قاربى اقتحام، ووصلت إلى الهدف فى الساعة ١١,٣٥ تقريبا، وتمكنت من زرع ستة ألغام على المدق الساحلى بفاصل ٥٠ مترا بين كل مجموعة. بعدها انقسمت الدورية إلى قسمين أحدهما بقيادة النقيب بحرى إسلام. حيث قامت بعمل كمين على الساحل مباشرة بقوة ستة أفراد.

أما القسم الآخر، وهو بقيادة الرفاعى ومعه ثمانية أفراد، فقام بعمل دورية لاكتشاف حقل ألغام العدو، وبعد أن تمكن من ذلك استطاع أن يحصل على عدد من الألغام الخاصة بالعدو بعد تأمينها. ثم وضع ألغام زمنية بالحقل حتى تنفجر بعد ساعة من انسحاب الدورية.

أما الكمين الذى أعده إسلام، فلم تمر أية دورية إسرائيلية حتى يشتبك معها إلى حين موعد عودة الدورية بعد أن قضت فى المنطقة ٢٥ ساعة، حيث غادرت الدورية فايد الساعة ٢١,١٥ ووصلت إلى منطقة الهدف فى الساعة ٢٣,٣٥ يوم ٨/٢٤ وعادت فى الساعة ١٥,٢٣ يوم ٨/٢٥.

(١٨) العملية عصام-١
نسف طريق رأس ملعب ورأس مطارمة وزرع ألغام ١٩٦٩/١٠/١

تقع كل من منطقة رأس ملعب ورأس مطارمة على الساحل الشرقى لخليج السويس، فى مواجهة الزعفرانة الموجودة على الساحل الغربى لخليج السويس. ويحتل العدو منطقة رأس ملعب بواسطة فصيلة مشاة.

أما رأس مطارمة فيحتلها بفصيلة مشاة مدعمة بالدبابات، هذا بالإضافة إلى مجموعة كمائن على الساحل الشرقى، أما خليج السويس فتم السيطرة عليه باللنشات المسلحة والدوريات الجوية.

وشرق منطقة رأس ملعب يوجد منجم يعمل به عدد كبير من العمال. ونظرا للإزعاج الذى تسببه قوات العدو للقطع البحرية المصرية بالخليج، خططت المجموعة ٣٩ قتال لردع القوات الإسرائيلية بتنفيذ عدة عمليات بالمنطقتين. وتضمنت الخطة إشراك طائرات عمودية«هليكوبتر» من طراز مى٨ لقصف مواقع العدو بالصواريخ والنابالم، وذلك بجانب قيام قوة من المجموعة بنسف الطريق الأسفلتى الموازى للبحر وبث الألغام وتفجير منشآت العدو بها. وتشكلت القوة المكلفة بتنفيذ المهمة من:

- رائد طبيب **محمد عالى نصر**
- رائد أحمد **رجائى عطية**
- نقيب بحرى **إسلام توفيق**
- ملازم أول بحرى **ماجد ناشد**
- ملازم أول **محسن طه**
- ملازم **خليل جمعة**

وتحمل كل من العميد مصطفى كمال، والمقدم إبراهيم الرفاعى مسئولية قيادة وتوجيه المجموعتين البحرية والجوية. أما المجموعة الاحتياطية خفيفة الحركة، فكانت تضم النقيب حنفى إبراهيم، والنقيب محيى نوح، وملازم أول رفعت الزعفرانى بالإضافة إلى خمسة أفراد من الصف والجنود. واستخدمت القوة ٣ قوارب اقتحام للعبور من منطقة فنار الزعفرانة والوصول إلى المنطقة المحصورة بين رأس ملعب ورأس مطارمة. وعلى الشاطئ الشرقى زرعت ١٢ لغما مضادا للدبابات على الطرق والمدقات التى يستخدمها العدو. كما وضعت عبوات زمنية على الطريق الأسفلتى، وعندما حان موعد دخول الهليكوبتر على الموقع بعد منتصف ليلة ٢/١ أكتوبر أطلقت القوة طلقة إشارة خضراء، وأضاءت مشعلا قويا لمساعدة الطيار للوصول فوق الهدف. وفى توقيت خروج الهليكوبتر أضاءت مشعلا آخر لمساعدة الطيار على الخروج من فوق الموقع والعودة.

(١٩) عصام - ٢
قصف موقع شرق كبريت بالصواريخ وزرع ألغام
١٩٦٩/١٠/١٣

يوجد للعدو بموقع شرق كبريت فصيلة مشاة مدعمة بفصيلة دبابات، ويلجأ العدو لاستخدام البواعث المضيئة لإضائة المنطقة ليلا لاكتشاف أية محاولة للاقتراب من الموقع، بالإضافة إلى استخدام كشافات إضاءة قوية. وفى الثامنة والنصف من مساء ١٣ أكتوبر ٦٩ بدأت قوة من المجموعة ٣٩ قتال التحرك لتنفيذ المهمة، وقد انقسمت القوة إلى مجموعتين.

المجموعة الأولى بقيادة الرائد طبيب محمد عالى نصر، ومهمتها الوصول إلى الجزيرة المواجهة للموقع مباشرة والتى تبعد عنه حوالى ٤٠٠م.

وبعد وصولها إلى الجزيرة مباشرة تبدأ فى إعداد وتجهيز ثلاث قواذف صواريخ ٧٣مم من النوع الرباعى، على أن تنطلق أربعة صواريخ فى الساعة الخامسة صباحا، وأربعة صواريخ أخرى فى الساعة السادسة وأربعة صواريخ فى الساعة السادسة والنصف، ونفذت هذه المجموعة المهمة المكلفة بها.

المجموعة الثانية بقيادة النقيب حنفى إبراهيم وقد كلفت بزرع ألغام على الضفة الشرقية للبحيرة، وفى منطقة جنوب موقع العدو.

وفعلا تمكنت من بث ٦ ألغام مضادة للدبابات على هدفين بالمنطقة. وفى منتصف الليل اصطدمت دورية مكونة من عربتين نصف جنزير بالألغام فانفجرتا.

(٢٠) العملية عصام - ٣
بث ألغام شرق البحيرات المرة
١٩٦٩/١١/١٧

من منطقة فايد غرب البحيرات المرة الكبرى، أبحرت دورية مكونة من مجموعتين باتجاه جنوب تل سلام لبث عشرة ألغام مضادة للدبابات على طرق

ومدقات العدو. وبعد وصول الدورية إلى الضفة الشرقية احتلت عناصر التأمين مواقعها لمواجهة احتمال تدخل العدو، فقد كان يحتل موقع تل سلام بفصيلة مشاة مدعمة بفصيلة دبابات، ويحتل موقع شرق كبريت بقوة مماثلة، كما أن الدوريات تقوم بالمرور فيما بين الموقعين على ضوء القذائف المضيئة التى يطلقها الموقعان.

ونشطت المجموعتان المكونتان من إسلام توفيق قائدا ومحيى نوح وماجد ناشد، ومجدى عبدالحميد، بالإضافة إلى عشرين من الصف والجنود لبث الألغام. وفى نفس الوقت كانت مجموعة القيادة والتوجيه بالضفة الغربية التى يقودها إبراهيم الرفاعى تتابع موقف العدو واحتمالات تدخله حتى تتمكن مبكرا من دفع المجموعة الاحتياطية التى يقودها عالى نصر للتدخل لمساندة الدورية.

وبعد أن أتمت الدورية مهمتها عادت إلى الضفة الغربية للبحيرات. وأسفرت العملية عن تدمير عربتين نصف جنزير بحمولتهما من الأفراد فى نفس اليوم.

(٢١) العملية عصام - ٤
زرع ألغام شرق البحيرات المرة الكبرى
١٩٦٩/١٢/١٥

لم تكن هذه العملية أكثر من عملية تدريب لقادة الفصائل بالمجموعة ٣٩ قتال، فقد استهدف إبراهيم الرفاعى من ورائها إتاحة الفرصة لكل من النقيب حنفى إبراهيم، والملازم أول محسن طه، والملازم أول بحرى وسام عباس حافظ، والملازم خليل جمعة، لعبور البحيرات وتحت قيادتهم ٢١ صف ضابط وجندى والوصول إلى نقطة إنزال تقع على مسافة ٤كم تقريبا جنوب موقع تل سلام لبث ١٠ ألغام مضادة للدبابات فى خمسة أماكن متفرقة والعمل على اكتشاف حقيقة أحد حقول الألغام الإسرائيلية ومعرفة ما إذا كان هذا الحقل حقلا حقيقيا أم هيكليا للاستفادة من هذه المعلومة فى العمليات المقبلة.

وتشكلت مجموعة القيادة والتوجيه من:

- مقدم إبراهيم الرفاعى
- رائد أحمد رجائى عطية

أما الاحتياطى العام فكان بقيادة: نقيب بحرى إسلام توفيق، وثلاثة أفراد.

وأثناء تحرك الدورية لاحظت وجود تحركات للعدو على الطريق الأسفلتى الموازى للبحيرة كما لاحظت وجود أنوار ثابتة فى موقع تل سلام وجنوب الموقع على الساحل مباشرة، وعندما وصلت إلى الضفة الشرقية اكتشفت أن العدو أقام مانعا من الأسلاك الشائكة على الشاطئ مباشرة.

وتحت هذه الظروف لم تتردد القوة وفتحت ثغرة فى السلك الشائك ونفذت مهمتها وزرعت الألغام على امتداد ٣٠٠م.

وفى نفس الوقت كانت مجموعة أخرى تفتح ثغرة للوصول إلى حقل الألغام الموجود على مسافة ١٥٠م من الساحل وعند اجتياز الحقل وجس الأرض تبين عدم وجود أية ألغام سواء مضادة للدبابات أو للأفراد. وبعد ساعات اصطدمت دورية إسرائيلية بالألغام المزروعة، مما أدى إلى تدمير عربة نصف جنزير وقتل وجرح من كان بها من الضباط والجنود.

(٢٢) العملية مصطفى

استخدام الهليكوبتر للهبوط جنوب الطور وتلغيم الطريق الأسفلتى

١٩٦٩/١١/٢٧

رأت المجموعة أن تطور عملياتها باستخدام الهليكوبتر كوسيلة للمواصلات وقوة نيرانية لقصف مواقع وأهداف العدو. فالهليكوبتر وسيلة مواصلات أسرع من القوارب، ولها قدرات أكبر على نقل الأفراد والمعدات والأسلحة، كما تمتلك قوة نيرانية تتمثل فى الصواريخ والرشاشات الثقيلة. وقد عرضت الفكرة على رئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق محمد أحمد صادق فى أكتوبر ١٩٦٩، فأقرها. والهليكوبتر من طراز مى٨ على سبيل المثال يمكنها الآتى:

١- نقل ٢٤ فردا والطيران ٣٨٠ كم بخزان الوقود الرئيسى. وإذا ما استخدمت الخزان الاحتياطى يزيد المدى إلى ٥٥٠كم داخل الأرض المحتلة ذهابا وإيابا.

٢- التحليق على ارتفاعات منخفضة لتجنب أجهزة الكشف الرادارى.

٣- القدرة على العمل ليلا ونهارا.

٤- التسليح الموجود بها عدد ٦٤ صاروخ جو - أرض، بالإضافة إلى الرشاشات الثقيلة.

٥- الهبوط عموديا فى جميع أنواع الأراضى.

وبعد التصديق على استخدام الهليكوبتر بدأ البرنامج التدريبى لكل من طيارى الهليكوبتر ومقاتلى المجموعة.

وعندما انتهت مرحلة التدريب، نفذت المجموعة عملية استطلاع للشاطئ الشرقى لخليج السويس، بالإضافة إلى شمال وجنوب منطقة الغردقة.

وكان استطلاع الشاطئ الشرقى مقدمة لاختيار المنطقة المناسبة لتنفيذ أول مهمة باستخدام الهليكوبتر، أما استطلاع شمال وجنوب الغردقة فكان لاختيار أفضل نقطة للانطلاق منها لتنفيذ المهمة.

ويوم ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ انطلقت دورية مكونة من إبراهيم الرفاعى وأحمد رجائى عطية وستة من الصف والجنود، فى طائرتى هليكوبتر من مطار الماظة باتجاه الغردقة. وبعد التنسيق مع قائد المنطقة وقائد مخابرات الحدود أقلعت الطائرتان إلى نقطة أبوشعر شمال الغردقة بحوالى ١٨كم، وبهذه المنطقة تناول أفراد الدورية والطيارون طعام الإفطار، فقد كان اليوم يوما من أيام شهر رمضان، وفى الساعة الثامنة والربع مساء، أقلعت طائرة الهجوم الأولى لتعبر خليج السويس. وبعد طيران لمدة تسع عشرة دقيقة على ارتفاع عشرة أمتار من سطح البحر وصلت إلى الشاطئ الشرقى.

وعندما لاحظت مرور دورية على الطريق الأسفلتى واصلت الطيران باتجاه رأس نصرانى، بعدها عادت مرة أخرى إلى الطريق الأسفلتى، حيث تمكنت من الهبوط.

وبسرعة نزل الأفراد وأدى كل منهم مهمته طبقا للتدريب السابق على العملية، وتم بث خمسة ألغام مضادة للدبابات أحدها على الطريق الأسفلتى، ثم تم توصيله بفتيل متفجر بالألغام الأربعة الأخرى التى تم بثها بجانب الطريق مباشرة. وتم تمويه الألغام بمنتهى الدقة، واستغرقت هذه العملية اثنتا عشرة دقيقة، عاد بعدها الأفراد إلى الطائرة لتعود بهم إلى نقطة البداية.

وتعتبر هذه العملية أول عملية هبوط بالهليكوبتر داخل الأراضى المحتلة، وكان للاستطلاع السابق والتخطيط السليم أثرا كبيرا فى نجاحها.

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ١١/٢٨ انفجرت الألغام ودمرت عربة نصف جنزير تدميرا شاملا بمن فيها. وبعد ذلك بخمسة عشر يوما أفاد العائدون من المنطقة إلى فنار أبوالدرك بانفجار كبير على طريق الطور شرم الشيخ جنوب رأس كنيسة، ما أدى إلى مصرع سبعة أفراد كانوا يستقلون عربة إسرائيلية.

وأفادت أنباء أخرى من نفس العائدين أن مؤخرة العربة قد دمرت تماما، وتم قتل ثلاثة أفراد، فى حين أصيب الأربعة الآخرون.

وقد استعانت السلطات الإسرائيلية بأحد أبناء المنطقة من قبيلة المزينة يدعى شتيوى لقص الجرة فى منطقة الانفجار، وقد أخبرهم بوجود آثار جرة عربة بالقرب من المنطقة، واشتبه فى أنها ملك المدعو طلعت محمد عبدالقادر. وقد حققت معه السلطات الإسرائيلية، لكنها أفرجت عنه فيما بعد. وبعد أيام جمعت السلطات الإسرائيلية عددا كبيرا من أبناء الطور لاستجوابهم عن هذا الحادث، ثم أخلت سبيلهم بناء على شكوى مشايخ قبائل المنطقة. وقد سببت هذه الحادثة كما أفادت التقارير ارتباكا ملحوظا للسلطات الإسرائيلية لأنها لم تستطع معرفة الفاعلين.

الفصل الخامس العاشر

القصف بالصواريخ

(١) العملية انتقام (٣)

استطلاع وقصف مواقع العدو فى عيون موسى

- ٢١-١٩٦٩/٣/٢٢

بدأت معارك الاستنزاف فى مارس ١٩٦٩، و أخذت فى البداية شكل تراشق بنيران المدفعية على امتداد خط المواجهة.وفى ذلك كانت مصر تستفيد من تفوقها فيما يتعلق بالمدفعية والتى برعت فيها مصر طوال تاريخها المعاصر.

و كانت القوات المسلحة المحتشدة بالجبهة تتفوق على العدو بأعداد المدافع وقوتها النيرانية.وكانت إسرائيل تسعى لامتلاك مدافع ذات مدى أبعد من مدى نيران المدفعية المصرية.ومن أجل ذلك زودت قواتها الموجودة بسيناء بالمدفع الأمريكى عيار ١٧٥مم والذى كان يتفوق بمداه على كل المدافع المصرية بالجبهة.وكان هذا المدفع يمكنه قصف القوات المصرية الموجودة بالجبهة دون أن تمتلك القدرة على إصابته إلا باستخدام الطائرات الحربية. وكان وجود هذا المدفع دافعا لمطالبة السوفييت بتزويد القوات المسلحة بمدفع بعيد المدى.

وبعد سنوات حصلت مصر من السوفيت على مدفع عيار ٢٠٣مم.

وفى منطقة عيون موسى شرق خليج السويس، أقامت القوات الإسرائيلية موقعا حصينا لكتيبة مدفعية ميدان من عيار ١٥٥مم. وقد سبب هذا الموقع إزعاجا شديدا لقوات الجيش الثالث ولمدينتى السويس وبور توفيق المواجهتين لهذا الموقع .

رأت المجموعة ٣٩قتال أن تستطلع هذا الموقع المعادى بعيون موسى تمهيدا لقصفه بالصواريخ أرض - أرض من عيار ١٣٠مم من منطقة شرق خليج السويس

قريبة من موقع هذه الكتيبة. وتكونت دورية من المجموعة ٣٩ قتال بقيادة الرفاعى، ضمت الدالى وعالى و رجائى وإسلام وحنفى ومحيى ووئام ووسام و١٥من الصف والجنود.

وفى يوم ١٩٦٩/٣/٢١عبرت الدورية خليج السويس من منطقة القاعدة البحرية بالأدبية متجهة إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس ووصلت إلى منطقة رأس مسلة حيث تم استطلاع المنطقة واتجهت شمالا لاستطلاع موقع المدفعية الحصين فى عيون موسى ومعرفة المدقات الموصلة له ثم عادت إلى قاعدة الأدبية البحرية بعد أن تمكنت من تصوير المنطقة بكاميرا خاصة وتحديد مواقع زرع الألغام والأهم تحديد مواقع إقامة قواذف الصواريخ أرض ـ أرض.

وفى يوم ١٩٦٩/٣/٢٢و هو اليوم التالى، عادت المجموعة إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس منطلقة من منطقة الأتكة جنوب القاعدة البحرية بالأدبية بواسطة قوارب الاقتحام زودياك ماركة ٣و٥ محملة بالألغام والصواريخ وقواذف الصواريخ والمعدات المختلفة للعملية وتم الإبحار بتشكيل رأس سهم حتى فنار زنوبيا، ٨ كم شرق ميناء الأدبية. وبعد الوصول إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس، توجه الرفاعى وعصام الدالى لاستطلاع الضفة الشرقية لخليج السويس ورصد تحركات العدو فى المنطقة ونجح الرجلان فى تحديد أفضل موقع لوصول الدورية على الشاطئ لبدء تنفيذ العملية ولما كانت المنطقة مليئة بالصخور المرجانية فقد توقفت القوارب على مسافة ٥٠٠م من الساحل وبعد نزول الأفراد إلى الماء تم جر القوارب إلى الساحل لتجنب أية تلفيات يمكن أن تلحق بها من جراء الاحتكاك أو الاصطدام بالشعب والصخور المرجانية الموجودة بالمنطقة وبعد ذلك تم إنزال قواذف الصواريخ والصواريخ والألغام المضادة للدبابات وباقى الأجهزة والمعدات وبعد ذلك تم سحب القوارب مرة اخرى إلى المياه العميقة فى منطقة آمنة و بعيدا عن التأثر بعملية الجزر التى ستبدأ فى ذلك الوقت وفى المنطقة السابق تحديدها تم تركيب الصواريخ وضبط الزاوية وتحديد الاتجاه لقواذف الصواريخ وكان المستهدف من قذف هذه الصواريخ إلحاق خسائر بالموقع والأفراد والأسلحة الموجودة به وتفجير مخازن الذخيرة

والوقود بالموقع وفى نفس الوقت قام فريق من المجموعة بزرع ألغام مضادة للدبابات على المدقات الموصلة بالموقع. وبعد انسحاب مجموعة زرع الألغام، أصدر القائد أوامره بإعداد القوارب لرحلة العودة وتشغيل المواتير ثم أمر بإطلاق الصواريخ وأبلغ النقيب حنفى الذى كان يرصد موقع العدو أن نتيجة الضرب كانت مركزة وممتازة وقد سقطت جميع الصواريخ على منطقة الهدف وطوال فترة تنفيذ المهمة تحمل العميد مصطفى كمال الذى كان يقود القاعدة الإدارية التى توجه الدورية، مسئولية إبلاغ قائد الدورية بالمعلومات الخاصة بالعدو فى هذه المنطقة سواء معلومات عن تحركات دورياته أو اتصالاته اللاسلكية .

وبالرغم من توفر معلومات عن تحركات العدو فى المنطقة بل ومشاهدة عربات هذه الدوريات وهى تتحرك على الطريق الأسفلتى ، إلا أن الدورية واصلت تنفيذ مهمتها ولم تخرج عن حدود المهمة مع علمها بسهولة التعامل مع دوريات العدو على الطريق الأسفلتى .

(٢) العملية انتقام (٤)

قصف تل سلام وزرع ألغام ٣١-٣/١-١٩٦٩/٤

كان العدو يحتل موقع تل سلام بقوة فصيلة مشاة ميكانيكية وفصيلة دبابات.أما موقع شرق كبريت القريب من موقع تل سلام فيضم فصيلتين من المشاة الميكانيكية وفصيلة دبابات وسرية مدفعية ثقيلة عيار١٥٥مم. وللعدو منطقة شئون إدارية شمال شرق موقع تل سلام ومنطقة الشئون الإدارية تضم مخازن الذخيرة والوقود والتعيينات والمهمات المختلفة والأجهزة والمعدات وقطع الغيار. وتشكلت دورية من المجموعة بقيادة الرفاعى تضم عالى نصر ورجائى عطيةوإسلام توفيق ومحيى نوح ووسيم حافظ وعبده مباشر و١٥من الصف والجنود . وقاد مجموعة التوجيه من الضفة الغربية العميد مصطفى كمال، وقاد مجموعة التأمين البحرى الملازم أول بحرى ماجد ناشد وكان تحت قيادته ٦ أفراد من صف وجنود من الصاعقة البحرية واتخذوا من فناره منطقة لأداء هذه

المهمة واحتفظوا بلنش مسلح بمدفع عيار ١٢,٧ مم لاستخدامه فى التدخل إذا ما اقتضى الأمر.

و استخدمت الدورية ثلاثة قوارب اقتحام و أبحرت على شكل رأس سهم بفاصل ٥٠م بين كل قارب والآخر حتى و صلت القوارب إلى مسافة ٢٠٠م من الساحل الشرقى للبحيرة و من هذه النقطة دخل قارب على الساحل للاستطلاع والتأمين وعندما أعطى تمام بتأمين المنطقة دخل القاربان الآخران وفى الحال تم بث ٦ ألغام مزدوجة مضادة للدبابات على مدقين يستخدمهما العدو فى المرور، لعرقلة أية دوريات تقترب من المنطقة ثم تم تركيب القاذف الثمانى وتحديد الزاوية والاتجاه بواسطة البوصلة وبعدها تم وضع الصواريخ .

و أمر القائد الأفراد بالعودة إلى القوارب وإدارة المحركات وبعد أن اطمأن إلى وصول الجميع إلى القوارب قام هو والنقيب رجائى بإطلاق الصواريخ بشكل متتالى وبانتهاء الإطلاق تم نقل القاذف إلى القارب حتى لا تترك الدورية خلفها أية آثار تدل على وجودها و بعد إطلاق الصواريخ بحوالى ١٢دقيقة ظهرت طائرة هيلكوبتر للعدو فوق الموقع وأضاءته باستخدام الكشافات فاستعدت الدورية للاشتباك مع الهيلكوبتر إلا أن الطائرة ابتعدت .

ولجأ العدو فى نفس الليلة إلى إيقاف تحركات قواته ودورياته على الطرق بهذه المنطقة و أمر بإطفاء الأنوار كلها . ومن حين لآخر كانت تتحرك دبابات منفردة أو مزدوجة على الطرق الأسفلتية لاكتشاف الدوريات المصرية والاشتباك معها مع إضاءة المنطقة بالطلقات الكاشفة لمساعدة هذه الدوريات وقد تم تدمير عربتين نصف جنزير إثر اصطدامهما بحقول الألغام .

العملية «رعد»

قصف ميناء البترول فى إيلات بالصواريخ - ١٩٦٩/٤/٩

كان الهدف من هذه العملية تدمير ميناء البترول فى إيلات ومحطة الضخ ومحطة توليد القوى الكهربائية ومطار إيلات وقصف المدينة بعدد من الصواريخ

لإحداث ذعر داخلها ومحاولة إغراق ناقلة بترول على الرصيف.ولتنفيذ هذه العملية تقرر اختيار أربعة من أفضل طيارى الهيلكوبتر من طراز مى ٨ المدربين على الطيران الليلى للاشتراك فى العملية على أن يتم نقل المعدات والأفراد والأسلحة إلى مطار الغردقة، وهناك تتم إعادة تزويد الطائرات بالوقود على أن تقلع فى الساعة الثامنة والنصف مساء وأن تحلق على ارتفاع ٥٠م فوق سطح البحر الأحمر باتجاه الساحل السعودى.وبعد وصولها إلى الساحل السعودى تحلق فوقه مباشرة بمحاذاة المنطقة الجبلية لتجنب رادارات العدو .

وفى المنطقة المختارة على الساحل تهبط الطائرتان و يتم إنزال القوارب والأسلحة إلى الماء على أن يتحمل الطيارون مسئولية حراسة الطائرات.وبعد ذلك تتحرك القوارب شمالا باتجاه إيلات و بمحاذاة الساحل الأردنى حتى تصل إلى شرق ميناء البترول مباشرة. وهناك يتم اللقاء بعناصر من منظمة فتح التى تم التنسيق معها خلال إعداد الخطة تحت قيادة الرائد عصام الدالى.ووفقا للخطة قامت عناصر منظمة فتح بنقل الصواريخ والقواذف إلى النقطة المختارة لقصف الميناء.وبعد إعداد قواذف الصواريخ من طراز ١٣٠مم ٢٤٠مم و ضبط الزوايا وتحديد الاتجاه تم الانتظار لحين استعداد باقى المجموعات.فقد كانت هناك مجموعة مسلحة بقواذف أر بى جى مهمتها قصف ناقلات البترول الموجودة بالميناء من مسافة ١٠٠م.بالإضافة إلى مجموعة أخرى تتحمل مسئولية قصف صهاريج البترول بمدافع الهاون ٦٠مم بالمعدل السريع للإطلاق.

وعندما أعطت كل المجموعات تمام الاستعداد باحتلال مواقع الاشتباك وتجهيزها أعطت القيادة الأوامر بإطلاق الصواريخ والنيران فى وقت واحد. وبانتهاء المهمة عادت كل مجموعة إلى قاعدتها بأسرع ما يمكن. عادت عناصر فتح إلى قواعدها فى الأردن.وعادت عناصر المجموعة ٣٩ قتال إلى القوارب ومنها إلى طائرتى الهيلكوبتر للعودة إلى الغردقة للتزود بالوقود قبل العودة إلى القاهرة .

وسجلت خسائر العدو من الأفراد أرقاما كبيرة بالإضافة إلى الحرائق التى اشتعلت فى صهاريج البترول وتدمير عدد من المنشآت وفقا للصور التى تم التقاطها أثناء وبعد الاشتباك مباشرة.

ومن المعروف أن المهندسين المصريين بالمصانع الحربية ومصانع الصواريخ هم الذين كانوا يصنعون قواذف الصواريخ ويقومون بتدريب أفراد المجموعة على استخدامها وصيانتها أو تدميرها فى حالة الضرورة .

وكانت الخطة تتضمن رفع درجة الاستعداد للقوات البحرية والجوية بقاعدتى الغردقة ورأس بناس استعدادا لمعاونة المجموعة بكل إمكانياتها فيما لو تدخل العدو الجوى أو البحرى. وكان قد تم تنظيم التعاون بين الوحدات المختلفة قبل بدء العمل. .

العملية نجم

قصف منشآت سدوم الصناعية بالتعاون مع عناصر من منظمة فتح - ١٩٦٩/٥/١٩

فتحت مصر أبوابها أمام عدد كبير من المنظمات الفلسطينية لتدريب كوادرها فى معسكرات تابعة للمخابرات الحربية بعد هزيمة ١٩٦٧، كما تحملت مسئولية تزويد هذه المنظمات بالأسلحة المختلفة والذخائر والمعدات والمهمات والأجهزة التى تعينها على تحمل مسئولياتها وذلك بالإضافة إلى الخبرات الفنية والتخطيط للعمليات وأساليب التنفيذ المختلفة واختطت مصر لنفسها أسلوبا للتعاون مع المنظمات الفلسطينية دون أن تفكر فى إنشاء منظمة فلسطينية تابعة لها مثلما فعلت دول عربية كثيرة وكان للقيادة المصرية استراتيجية خاصة بالتعاون مع الفلسطينين تضمن لهم حرية الحركة وحرية اتخاذ القرار وصناعة السياسات التى تتناسب والاستراتيجية الفلسطينية. وبذلك نأت مصر عن أن تكون عاملا للانقسام بين هذه المنظمات أو طرفا فى صراعاتها الداخلية .

وفى مرحلة من المراحل تبينت إدارة المخابرات الحربية أن الوقت قد حان لزيادة خبرة الأجنحة العسكرية للمنظمات الفلسطينية فى التعامل مع الأهداف العسكرية والاقتصادية الإسرائيلية. ولما كانت منظمة فتح وجناحها العسكرى هى

الأنشط بين كل المنظمات الفلسطينية فى العمل المباشر وغير المباشر ضد أهداف إسرائيلية، لذا كان التعاون مع هذه المنظمة أوضح من التعاون مع غيرها.

وهناك عمليات كثيرة خططت لها المجموعة ٣٩قتال وساهمت فى تنفيذها بالاشتراك مع عناصر من فتح. وكان ذلك يتطلب سفر عدد من قادة وضباط المجموعة إلى الدول العربية المحيطة بإسرائيل لتنفيذ هذه العمليات. ومن ضمن هذه الأهداف أو العمليات التى شاركت فيها المجموعة عمليات قصف ميناء البترول بإيلات ومصانع الفوسفات بسدوم بمنطقة النقب وأهداف أخرى بوادى بيسان بالضفة الغربية للأردن .

وعلى ضوء نجاح عدة عمليات لقصف منشآت سدوم الصناعية بالصواريخ خططت المجموعة لعملية أخرى بالمشاركة مع عناصر من منظمة فتح ولتنفيذ هذه العملية توجه إلى الأردن كل من الرفاعى والدالى يوم ٢ مايو١٩٦٩. وطوال الفترة التى أعقبت ذلك نفذا عدة عمليات استطلاع لمناطق العقبة الأردنية وإيلات الإسرائيلية ومنطقة سدوم الصناعية بالنقب. وفى هذه العمليات أشركا معهما عدة عناصر فلسطينية لتدريبها عمليا على عمليات الاستطلاع التى سبق أن تدربوا عليها فى معسكرات بمصر والتدريب على استخدام القواذف والصواريخ. وخلال فترة الاستطلاع أشرفا على تشوين الصواريخ والذخائر المطلوبة لتنفيذ العملية .

ووصلت من القاهرة ليلة ١٩٦٩/٥/٤ طائرة تحمل الصواريخ المطلوبة بعد أن تبين عدم قدرة أى من العناصر الموجودة فى الأردن على توفير هذه الصواريخ وراعت القاهرة أن يصاحب حمولة الصواريخ والقواذف مهندس من المصنع الذى ينتج هذه الصواريخ والقواذف ليشرف على إعدادها وتجهيزها لتجنب أى أخطاء وللتأكد من تنفيذ المهمة بنجاح .

وصباح يوم ٦ مايو أغارت طائرات العدو على منطقة تشوين هذه الصواريخ ومرة أخرى عاد العدو لقصف هذه المنطقة قصفا مركزا مساء نفس اليوم ولم تصب الصواريخ أو الأفراد الموجودين بأية أضرار وكان من الضرورى

نقل الصواريخ والقواذف ليلا إلى منطقة أخرى بعد أن تأكد للرفاعى والدالى وجود عنصر قام بتسريب هذه المعلومات.وقد روعيت فى عملية النقل قواعد أمنية صارمة للحفاظ على أسرار العملية.ونتيجة لعمليات الاستطلاع تبين للرفاعى إمكانية تنفيذ أكثر من عملية ضد أهداف إسرائيلية بالمنطقة.فاتصل باللواء محمد صادق مدير المخابرات المصرية لعرض الأمر.فأمره بالاكتفاء بقصف مصنعى الفوسفات القديم والجديد فى وقت واحد .واقترح العميد مصطفى كمال أن تتم عملية القصف إذا كان ممكنا فى وقت تغيير الورديات لإلحاق أكبر خسائر بالأفراد .

وفى يوم ١٣ مايو تم انتقاء أفراد الدورية وكانوا ثلاثة ضباط فلسطينيين منهم ضابط سبق أن شارك فى قصف سدوم من قبل وخمسة عشر فردا .

وفى اليوم التالى تحركت الدورية بقيادة الرفاعى إلى منطقة النقب بالقرب من الهدف حيث أعدت الصواريخ والقواذف .ومن جديد تتحرك الدورية مستخدمه ١٠ جمال وبغلين لحمل القواذف والصواريخ إلى منطقة رحاب التى تبعد ٢٠ كيلومترا شرق سدوم. وكان قد تم استئجار هذه الدواب حتى يمكن للدورية السير خلال الممرات الجبلية الوعرة. ثم انتقلت الدورية إلى منطقة غور الصافى يوم ١٦ ليلا حيث كان من المقرر أن تستريح وتنفذ القصف يوم ١٧ ليلا إلا أن وعورة الأرض دفعت المجموعة لمواصلة التحرك إلى منطقة قريبة للمنطقة الصناعية حيث اكتشفت أن العدو قد أطفأ أنوار المصانع وذلك بهدف حرمان الدورية من اكتشاف المصنع أو العثور عليه.

وأمر القائد بتوزيع قوة الدورية على ثلاث مجموعات.كل مجموعة مكونة من ستة أفراد بقيادة ضابط.وتم توزيع المسئوليات بما فيها مسئوليات التجهيز ومسئولية الإطلاق. وقبل إطلاق الصواريخ رأى القائد أن الأفراد بلغوا مرحلة متقدمة من الإنهاك فقرر تأجيل العمل حتى تتوفر لهم فترة راحة ولو قصيرة.وبعد إتمام التجهيز قرر القائد بقاء ستة أفراد فقط بمنطقة الانطلاق، وأمر بإعادة الجمال مع باقى الأفراد حتى يظن العدو أن الدورية قد عادت بعد

أن تعذر عليها تنفيذ المهمة، وفى نفس الوقت عدم تعريض قوة الدورية لخسائر فى الأرواح عندما يبدأ العدو فى إطلاق النيران على مواقع الدورية .

وقبل منتصف ليلة ١٩-٢٠ مايو قصفت الدورية المصنعين فى وقت واحد وفقا للأوامر المسبقة مستخدمة فى ذلك ٣٢ صاروخا من عيار ١٣٠مم، وأدى القصف إلى انفجار محطة الكهرباء التى تغذى المنطقة واشتعال الحرائق فيها وفى منطقة المصانع كما لحقت بالأفراد خسائر فادحة.وقد اعترف المتحدث الرسمى العسكرى الإسرائيلى بعملية القصف وبحدوث تدمير وأضرار بالمصنعين .

وفور انطلاق الصواريخ رد العدو بقصف مضاد بواسطة المدفعية والدبابات على منطقة الإطلاق ، ولكن تمكن الأفراد الستة بقيادة الرفاعى والدالى من الانسحاب دون خسائر وتمكنت من العودة فى الساعة الرابعة من صباح يوم٥/٢٠ . وفيما بعد تم إرسال دورية لجمع القواذف التى استخدمت فى الإطلاق لإعادة صيانتها واستخدامها مرة أخرى ولمنع العدو من الحصول عليها.

ومن النتائج التى أدت إليها هذه العملية ازدياد ثقة الضباط والصف والجنود الفلسطينيين بالنفس وارتفاع معنوياتهم.وعبرت قيادة منظمة فتح عن فرحتها بنتائج العملية بأن أهدت كل ضابط من فتح سيارة مرسيدس حديثة.وكانت بذلك تستهدف أيضا تشجيع الآخرين على الاشتراك فى تنفيذ مثل هذه العمليات.ومن المدهش أن عددا من قادة فتح قد طالبوا إبراهيم الرفاعى بتأجيل تنفيذ العملية لوجود دورية لهم فى المنطقة، إلا أنه طلب بحسم الأمر بإعادة الدورية الفلسطينية إذا ما كانت هناك دورية فعلا وأصر على تنفيذ عملية قصف سدوم فى الموعد المحدد .وكشفت هذه المحاولة الفتحاوية عن رغبة عدد كبير من قادة فتح بالمنطقة فى إلغاء المهمة.كما تبين الرفاعى والدالى أن معلومات ضابط الاتصال المصرى الموجود بعمان غير دقيقة سواء فيما يتعلق بالذخيرة المتوفرة لديه أو بالمعلومات المتعلقة بموقف المنظمات الفلسطينية.وقد شكا عدد من القادة الفلسطينيين من ضابط الاتصال المصرى وقالوا إنهم يفضلون التعامل مع عناصر مصرية أخرى أو مع القاهرة مباشرة.

(٥) العملية رعد ٥

قصف موقع مدفعية العدو بعيون موسى - ١٩٦٩/٦/٦

كان نجاح المجموعة فى قصف موقع مدفعية العدو فى عيون موسى يوم ١٩٦٩/٣/٢١ حافزا لها للعودة لإعادة قصف نفس الموقع خاصة فى ظل تزايد نشاطه فى قصف مدينتى السويس وبور توفيق ومواقع الجيش الثالث غرب القناة.ومن الطريف أن القوات المصرية الموجودة غربا قد أطلقت من باب السخرية على هذا الموقع الإسرائيلى اسم أبو جاموس.وكررت المجموعة نفس الخطة التى نفذتها فى المرة السابقة ولكن بدورية عددها أقل من عدد الدورية السابقة حيث اشترك فى هذه الدورية أربعة ضباط هم الرفاعى وإسلام ووسام ووئام بالإضافة إلى عشرة أفراد من صف وجنود الصاعقة البحرية.وتحمل الرائد فاروق أبوالعلا من مكتب مخابرات جنوب القناة مسئولية قيادة مجموعة التوجيه من الضفة الغربية.وقد أبحرت الدورية باتجاه فنار زنوبيا بزاوية ١٠٠درجة فى الساعة الخامسة والربع من مساء يوم ٥يونيو١٩٦٩ ثم اتجهت شرقا بزاوية ٩٧درجة.وعلى مسافة أربعة كيلومترات شرق فنار زنوبيا أعدت الصواريخ للإطلاق من فوق قارب الاقتحام.وبعد دقائق سقطت سبعة صواريخ كاتيوشا فوق مواقع العدو مباشرة مما ألحق به قدرا كبيرا من الخسائر فى الأفراد والمعدات والمنشآت .

(٦) العملية عاصفة (١)

قصف منطقة الكرنتينة - ١٩٦٩/٨/٦

أمر اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية المجموعة ٣٩قتال بالهجوم على منطقة الكرنتينة وتدمير المنشآت الموجودة بها والتى كانت تتيح للعدو البحرى استخدام لنشاته المسلحة التى كانت تجوب النصف الشرقى لخليج السويس مما يسبب ازعاجا للقوات الموجودة بالمنطقة والقاعدة البحرية فى الأدبية وكان العدو البحرى قد أغرق عدة لنشات بحرية مصرية طوال الفترة

السابقة وشكلت المجموعة دورية ضمت الرفاعى وعالى وإسلام وحنفى ووسام ووثام ومحسن طه وثمانية أفراد من الصف وجنود الصاعقة البحرية وأسندت مهمة توجيه النيران للعميد مصطفى كمال من قاعدة الأدبية البحرية. وفى الساعة السابعة والنصف مساء غادرت الدورية قاعدة الأدبية فى أربعة قوارب اقتحام باتجاه الكرنتينة وبالقرب من الشاطئ الشرقى لخليج السويس تم إطلاق الصواريخ من فوق القاعدة الموجودة فوق أحد القوارب وتم الاشتباك مع مواقع العدو بالمدافع الصاروخية من عيار ٥٧مم والرشاشات المختلفة ونتج عن هذا الهجوم عدة انفجارات بمواقع العدو وعادت الدورية صباح يوم ٨/٧.

(٧) قصف موقع تل سلام - ١٩٦٩/٨/١٣

خرجت دورية تضم إبراهيم الرفاعى قائدا وكل من إسلام وحنفى ووسام ووثام ورفعت الزعفرانى ومجدى عبد الحميد وخليل إبراهيم وستة عشر من الصف والجنود وعندما وصلت الدورية إلى الشاطئ الشرقى للبحيرات المرة الكبرى أعدت قواذف الصواريخ فى حماية جماعات التأمين وفى نفس الوقت قامت جماعات أخرى بزرع اثنى عشر لغما مضادا للدبابات على المدقات الموجودة بالمنطقة .

وبعد انسحاب مجموعات زرع الألغام وعودتها إلى القوارب بدأت عملية إطلاق الصواريخ وعادت المجموعة بعد أن دمرت للعدو دبابتين وعربتين نصف جنزير .

(٨) العملية عصام ٥

استطلاع وقصف مطار الطور - ١٩٦٩/١٢/٢٩

تنبهت قيادة المجموعة ٣٩قتال مبكرا لأهمية منطقة ومطار الطور فأرسلت الملازم أول بهجت خضير يوم ١٩٦٩/٧/٢٥ فى أول عملية استطلاع لمنطقة الطور للحصول على معلومات وصور لمنطقة ومطار الطور ورصد تحركات

وتجمعات العدو وحملت العملية رقم ٥٠٣ج.وتمكن الرجل من تنفيذ المهمة وعاد بأول صور ومعلومات عن الأهداف الإسرائيلية بالمنطقة .

وخلال الفترة من ١/٢٢ حتى ١٩٦٩/١/٢٤ اعتمدت المجموعة على دليلين من أبناء سيناء لتصوير مطار الطور ومواقع العدو الموجودة بالمنطقة وتم تزويدهما بكاميرا وعدسة تليفوتو٥٠ مم.

وتضمن تقرير المعلومات والصور التالى :

١ -أن المطار غير محاط بأية موانع أو أسلاك شائكة

٢- لم تتغير المعالم عما سبق. أما استراحة المطار فهى تستخدم لمبيت القوة الموجود به.

٣-يوجد ٢هوائى فوق الاستراحة.

٤- بالمطار أربع طائرات من طراز ميراج بالإضافة إلى ٣عربات جيب .

٥-وجود خزانين للبنزين على مسافة ٣٠٠م من الاستراحة .

٦ -وجود خمسة أكشاك للمعدات والذخيرة .

٧-للمطار ممران متوازيان. وفوق جبل الشرفا تم رصد خيمتين وثلاثة هوائيات، وتبعد الخيام عن البحر بحوالى ٣٠م ويقيم فيها أفراد حراسة .

٨-منطقة مطار الطور محظورة على الأهالى، وغير مصرح بالصيد فى منطقة الجبيل، والمعروف أن أهل المنطقة كلهم من الصيادين، وقد تم ترحيلهم منها .

وخلال الفترة من ٨إلى ٩ يونيو١٩٦٩ أرسلت المجموعة الرقيب أول محمد عبده موسى وبصحبته دليل من أبناء سيناء لاستطلاع منطقة الطور والمطار مرة أخرى.وأكد تقرير المعلومات والصور نفس المعلومات السابقة وإن أضاف أن الطائرات الميراج من المحتمل أن تكون هيكلية، وقدر قوة أفراد العدو بحوالى ١٥فردا بالإضافة إلى وجود قوة أخرى بمنطقة المستشفى .

هذه المعلومات التى جمعتها المجموعة ٣٩قتال عن مطار الطور ومنطقة الطور ابتداء من يوليو٦٧ أسهمت فى نجاح عمليات الهجوم على مطار الطور وقصفه عدة مرات .

خططت المجموعة لقصف قاعدة العدو الجوية والبحرية بمنطقة الطور باستخدام نفس القواذف التى سبق أن استخدمها العدو فى قصف مطار الصالحية.وسبق التخطيط لهذه العملية نشاط معادى تمثل فى قصف مطار الصالحية بالصواريخ أرض - أرض، والهجوم على قاعدة سفاجة البحرية بالصواريخ والإغارة على منطقة أبوالدرك - الزعفرانة.

وتشكلت قوة الهجوم من :

- مقدم إبراهيم الرفاعى
- رائد طبيب محمد عالى نصر
- رائد أحمد رجائى عطية
- نقيب بحرى إسلام توفيق
- ملازم أول بحرى ماجد ناشد
- ملازم أول رفعت الزعفرانى
- وعبده مباشر

علاوة على ١٧صف وجندى.وتحمل مسئولية التوجيه من الضفة الغربية العميد مصطفى كمال.أما مجموعة تأمين وحراسة منطقة النزول فكانت مكونة من ثلاثة أفراد بقيادة النقيب حنفى إبراهيم.وفى السابعة من مساء ١٩٦٩/١٢/٢٩ أبحرت المجموعة بأربعة قوارب اقتحام من طراز زودياك ماركة ٥حتى وصلت إلى منطقة حمام موسى شمال الطور بحوالى ٧كم .وفى نفس الوقت تحرك لنش طوربيد من القاعدة البحرية بالغردقة واتخذ موقعا فى منتصف المسافة بين رأس دب والطور اعتبارا من الساعة التاسعة مساء لمعاونة المجموعة فى حالة اشتباكها مع العدو .وكانت طائرات الهيلكويتر بقاعدة الغردقة الجوية فى حالة استعداد قصوى للإقلاع والاشتباك مع أى لنشات للعدو تظهر فجأة.وفى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق بدأت المجموعة فى نصب القواذف وزرع الألغام على المدقات الموجودة فى المنطقة.وبدأ القصف فى الساعة التاسعة والنصف فى حماية المجموعة الساترة.وبإنتهاء القصف انسحبت المجموعة

وأخذت القواذف ممها دون أى اعتراض من جانب العدو .وتعد هذه العملية أول عملية تشترك فيها كل من القوات البرية والبحرية والجوية .

وأسفرت العملية عن تدمير أربعة لوارى ومخزنا للذخيرة ومحطة لاسلكى بالمطار بالإضافة إصابة عدد من الأفراد .

(٩) العملية عصام .

قصف مطار الطور ١٩٧٠/٢/٢

بعد مرور شهر تقريبا عادت المجموعة مرة أخرى لتقصف مطار الطور بالصواريخ وقد تم تنفيذ العملية الثانية يوم ٢فبراير ١٩٧٠ .

وقاد الإغارة المقدم إبراهيم الرفاعى على رأس قوة ضمت :

- عالى نصر
- احمد رجائى
- محيى نوح
- وسام حافظ
- محسن طه
- وعبده مباشر

علاوة على ٢٢من الصف والجنود. أما مجموعة تامين وحراسة منطقة النزول فقد تشكلت من خمسة عشر فردا بقيادة ملازم أول محمد مجدى فراج.وعندما انتهت المجموعة من دراسة العملية والتخطيط لها تم عرض الخطة على رئيس أركان حرب القوات المسلحة للتصديق عليها.وكان العدو قد أقدم على تغيير القوة التى تحمى المطار بعد عملية القصف التى تمت يوم ١٩٦٩/١٢/٢٩ وحل محلها سرية مظلات حفاظا على الروح المعنوية.كما قام بإضاءة المطار ليلا، كما استقبلت القاعدة الجوية عددا من المقاتلات الإسرائيلية اعتبارا من نهاية يناير

١٩٧٠. وفى الأول من فبراير غادرت القوة القاهرة فى الطريق إلى الغردقة وتم تنظيم وتنسيق التعاون مع قائد المنطقة وقائد القاعدة الجوية وقائد القاعدة البحرية .

وتم إلحاق النقيب البحرى إسلام توفيق على طاقم قيادة الطائرتين العموديتين المخصصتين لدعم المجموعة وتزويده بجهاز لاسلكى ليتمكن من الاتصال الدائم بقوة الإغارة .

وبعد الانتهاء من مرحلة التنسيق وتنظيم التعاون، أبحرت المجموعة بواسطة أربعة قوارب اقتحام من طراز زودياك ماركة٥ ووصلت إلى النقطة ٢٤على الساحل الشرقى للخليج والتى تقع شمال الطور بحوالى ثمانية كيلومترات .

وفور النزول تم تأمين المنطقة بالمجموعة المخصصة لذلك والتى كان من بين تسليحها مدفعين صاروخيين من عيار ٥٧مم. وتحركت قوة الإغارة برا إلى منطقة أسفل جبل الحمام مباشرة شمال مطار الطور، وتم نصب وتوجيه القواذف الرباعية للصواريخ باتجاه المطار وتم توقيتها للانطلاق فى الساعة الرابعة بالنسبة للمجموعة الأولى والرابعة والنصف بالنسبة للمجموعة الثانية .

وخلال عملية نصب وتوجيه القواذف تمكنت المجموعة من بث أربعة ألغام مضادة للدبابات على مدقات العدو بالمنطقة ووضعت قنابل زنة ١٥٠كجم كشراك خداعية مزودة بوسائل تفجير وقتية على مسافة ٥٠م من مكان القواذف تقريبا وأسفر سقوط الصواريخ وانفجار القنابل والألغام عن تدمير جزء من مبانى المطار وثلاث عربات مختلفة ومقتل عدد من الأفراد .

وطوال فترة تنفيذ العملية لم يتدخل العدو ضد قوة الإغارة لأن قيادته لم تتوقع عودة القوات المصرية الخاصة لمهاجمة قاعدة مطار الطور مرة أخرى بعد أن نفذت عملية هجوم فى نهاية عام ١٩٦٩ .

وبعد مرور شهر تقريبا عادت قوات المجموعة ٣٩قتال لمهاجمة مطار الطور وكان اختيار الهدف والتوقيت والأسلوب من العوامل التى ساعدت على مفاجأة العدو .كما كان اختيار مكان النزول السابق عاملا رئيسيا فى تحقيق هذه المفاجأة فالعدو يمكن أن يتوقع أى شىء إلا معاودة الهجوم فى نفس المكان .

العملية سيد

قصف موقع صواريخ هوك شرق البحيرات المرة - ١٩٧٠/٣/٢٥

استمرارا لعمليات الهجوم والإغارة وقصف أهداف العدو الحيوية الموجودة بالعمق والبعيدة عن مدى نيران المدفعية المصرية، تم التخطيط لقصف موقع صواريخ هوك وآخر لمدفعية الميدان من عيار ١٥٥مم ذاتية الحركة الموجودان شرق البحيرات المرة الكبرى .

وكانت دورية استطلاع من المجموعة قد أفادت بوجود الموقعين وأنهما أقيما بعيدا عن شاطئ البحيرات وفى موقع أبعد من المدى المؤثر للمدفعية المصرية ووضع العدو خطة لحماية الموقعين وأحيطت المنطقة بسور عال لحمايتها وإخفائها .

قاد قوة الإغارة إبراهيم الرفاعى

وتكونت من :

- عالى نصر
- إسلام توفيق
- خليل جمعة
- أحمد رجائى
- ماجد ناشد
- وعبده مباشر

بالإضافة إلى ١٧ ضابط صف وجنديًا، وتولى قيادة مجموعة التوجيه من الضفة الغربية العميد مصطفى كمال وفى السابعة والنصف من مساء يوم ٢٥مارس ١٩٧٠كانت أربعة قوارب اقتحام تشق طريقها فوق مياه البحيرات المرة الكبرى متجهة إلى الضفة الشرقية وعند شمال الرأس البيضاء على الشاطئ الشرقى للبحيرات رست القوارب وبدأت مجموعة التأمين تتقدم من الشاطئ

باتجـاه الداخل لاسـتطلاع وتأمـين المنطقـة. وبعـدها تم إنزال قـاعـدة إطلاق صواريخ مكونة من ١٢ قاذفا للصواريخ من عيار ١٣٠مم .

وعندمـا كانت المجـموعـة المخـصصـة تعد القـاذف وتوجـه الصواريخ باتجـاه الهدف تحت قيادة الرائد أحمد رجائى كانت هناك مجموعات تعمل لزرع عشرة ألغـام مـضـادة للدبابات على طرق تحـرك العـدو. وعندمـا انتـهت المجـمـوعـات الخمس المخصصة لزرع الألغام من عملها انضمت لمجموعة التأمين وأمـر القائد بإطلاق الصواريخ فى توقيت واحد وبشكل متتال .

وبعد حوالى دقيقة شوهدت حرائق فى المنطقة وسمعت أصوات انفجارات فى مواقع العدو .وكانت تقارير الاستطلاع اللاسلكى قد أفادت أن العدو قام بتدعيم مواقعه فى المنطقـة السـابقة للهجوم بسـرايا مدفعية جديدة وعدة دبابات وهذا الموقع كـان قـد أسـقط طائـرة قـاذفـة من طراز أليوشن ٢٨ أثناء تحليـقـهـا فـوق البحيرات .

وأفـادت التـقـارير أن خـسـائر العـدو تضـمنت دبابة وعـربتـين نصف جنزير بالإضافة إلى الخسـائر فى موقع الهوك، وبالنسبة للأفراد فتمثلت الخسائر فى أطقم الدبابة والعربتين نصف جنزير .

الفصل السادس عشر
عمليات أخرى للمجموعة
(١) العملية مصطفى
نسف قاعدة الصواريخ بمنطقة بورتوفيق
وقاعدة أخرى بمنطقة شرق الإسماعيلية
أغسطس ١٩٦٩

لما كانت العملية تتطلب التسلل إلى موقعين للعدو فى نفس الوقت، أحدهما شرق الإسماعيلية، والثانى شرق بورتوفيق، فقد تطلب الأمر التنسيق مع قيادتى الجيش الثانى والثالث لتقديم المعاونة وتوفير الحماية لدوريتى المجموعة ٣٩ قتال فيما لو اكتشف العدو وجودهما وبدأ فى الاشتباك معهما.

ووفقا لخطة المعاونة وتوفير الحماية فى حالة اكتشاف أفراد الدوريتين كان على مدفعية الجيش الثانى التدخل كالتالى:

١- غلالة ثابتة من الهاونات ٨٢مم، ١٢٠مم على مواقع نقط ملاحظة العدو.

٢- غلالة ثابتة من نيران المدفعية على موقع المعدية رقم ٦ .

٣- غلالة ثابتة من نيران الهاون ١٦٠مم والمدفعية على موقع صواريخ العدو.

٤- غلالة ثابتة من نيران المدفعية على مواقع مدفعية العدو.

٥- نيران أسلحة ضرب مباشر على خطوط ثابتة منشنة على دشم العدو فى منطقة المعدية رقم ٦ .

٦- استعداد المدفعية المضادة للطائرات خاصة الرشاشات الثقيلة بالقرب من موقع المعدية رقم ٦ للاشتباك، مع أى أهداف جوية يمكن أن تظهر فوق مسرح العملية.

وأن يتم ذلك فى حالة اكتشاف العدو لأفراد الدورية قبل وصولهم للهدف. واستخدام الكلمة الكودية «عاصفة». أما فى حالة اكتشاف أفراد الدورية واشتباكهم مع العدو فوق الهدف، فلا يتم التعامل مع مواقع العدو وفقا للخطة إلا بعد التأكد من تخلص أفراد الدورية من أرض المعركة ونزولهم إلى الماء، والكلمة الكودية هنا هى «رعد». أما بالنسبة لقطاع الجيش الثالث، ففى حالة اكتشاف العدو لأفراد الدورية قبل الوصول إلى الهدف، فيتم التدخل بالآتى:

١- غلالة ثابتة من نيران الهاونات مختلفة العيارات على لسان بورتوفيق.

٢- غلالة ثابتة من نيران المدفعية على منطقة الجباسات.

٣- غلالة ثابتة من نيران المدفعية فوق مواقع مدفعية العدو بالمنطقة.

٤- قصفات مدفعية على مواقع العدو بمنطقة الشط.

وتستخدم فى هذه الحالة الكلمة الكودية «عاصفة».

وفى حالة اشتباك أفراد الدورية مع العدو فوق الهدف يكون التعامل مع العدو وفقا لما هو مقرر بالنسبة للجيش الثانى. مع إضافة التعامل مع منطقة الصواريخ بالهاونات المختلفة، وهنا تستخدم الكلمة الكودية «رعد».

كما صدرت أوامر لأسلحة الدفاع الجوى فى المنطقة بأن تكون مستعدة للاشتباك مع العدو الجوى فى حالة ظهوره فى سماء المنطقة.

ولإنجاز المهمة شكلت المجموعة دوريتين:

الأولى: بقيادة الرفاعى ويعاونه النقيب بحرى إسلام توفيق والملازم أول بحرى مجدى مجاهدو ٨ من صف وأفراد الصاعقة البحرية، ومهمتها نسف قاعدة الصواريخ بمنطقة شرق الإسماعيلية على أن تبدأ العملية فى الساعة ٢٣,٣٠ .

الثانية: بقيادة الرائد عصام الدالى ويعاونه عالى نصر وماجد ناشد و٨ أفراد من ضباط صف وجنود الصاعقة البحرية. على أن يبدأ تنفيذ العملية فى الساعة ٢٤,٠٠ .

خطة تنفيذ العملية الأولى:

تتم عملية استطلاع نهائى للموقع الإسرائيلى ثم تعبر المجموعة القناة سباحة. وبعد وصولها للشاطئ الشرقى تقوم بملاحظة العدو لمدة خمس دقائق للتعرف على الموقف عن قرب. ثم تقوم مجموعة النيران بقيادة الملازم أول بحرى مجدى مجاهد بتأمين المنطقة وزرع لغمين مزدوجين مضادين للدبابات على مدقين للعدو يمين ويسار الموقع. ثم تبدأ مجموعة الاقتحام بالزحف إلى منتصف الموقع فى صورة قطار فردى ويقوم المساعد غلوش بفتح ثغرة فى حقل الألغام وفرد شريط تخطيط حتى نهاية الحقل «للمرور فوقه».

وعند صعود الأفراد فوق ناتج الحفر المطل على الصواريخ مباشرة يتم التنصت على العدو لمدة دقيقتين ويحتل فرد مسلح بـ «آر. بى. جى» وفرد آخر موقعا للعمل كقاعدة نيران. أما باقى الأفراد الستة فيقومون بالانتشار وفقا للخطة لوضع العبوات المتفجرة على قواذف الصواريخ.

وبانتهاء العمل فى الموقع يعود الأفراد من نفس الثغرة زحفا ثم يسبحون فى القناة للعودة إلى الشاطئ الغربى.

خطة تنفيذ العملية الثانية:

ينزل الأفراد إلى الماء من موقع كتيبة المظلات ببورتوفيق ويسبحون حتى الشمندورة الكبيرة ثم يتجهون إلى كشك إدارة النيران الموجود على مسافة مائة متر. ويصعد فرد واحد إلى اللسان زحفا مع قطع السلك الشائك ثم يعطى الإشارة ليصعد باقى الأفراد من نفس المكان الذى صعد منه ويبقى الملازم أول بحرى ماجد ناشد ومعه فرد على أعلى ناتج الحفر لحماية باقى الأفراد مع تعليم مكان الثغرة. ويقوم الأفراد الستة بوضع العبوات الناسفة اللاصقة على ثلاث قواذف صواريخ فقط ثم يعود الجميع من نفس فتحة الثغرة بسرعة، وعندما يصلون إلى القناة يسبحون للعودة إلى الضفة الغربية.

وقد تمكنت المجموعة من إنجاز مهمتها.

استطلاع وفتح الطريق الساحلى لخليج السويس من أبو الدرك حتى الزعفرانة

١٩٦٩/٩/٩

أغارت قوات العدو على طريق السويس - رأس غارب الموازى للساحل الغربى لخليج السويس وقطعته عند منطقة الزعفرانة، وألحقت خسائر بالمواقع الموجودة بالمنطقة، وأصابت المدنيين الذين تصادف مرورهم على الطريق ومن بينهم محافظ البحر الأحمر.

وظلت القوات الإسرائيلية موجودة فى المنطقة لفترة طويلة دون أن تتدخل القوات المصرية لمواجهتها، وقد استخدمت القوات الإسرائيلية قطعا بحرية للإبرار البحرى من بينها الناقلة بيت شيفع «بيت سبع أو الأسد»، وواصلت نشاطها فى حماية مظلة جوية ودوريات بحرية نشطة.

وصباح نفس اليوم كان الرئيس عبدالناصر يشهد مناورة لقوات الجيش الثالث يرافقه كل من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة والفريق أحمد إسماعيل رئيس الأركان.

وعندما علم محمد أحمد صادق مدير المخابرات بالإغارة حاول إبلاغ عبدالناصر بها عن طريق القائد العام، إلا أن القائد العام رفض إبلاغ الرئيس حرصا على استمراره فى متابعة المناورة. وعندما أبلغه اللواء صادق أن هناك خطرا على حياة الرئيس عبد الناصر نتيجة وجود مظلة جوية إسرائيلية من خمسين طائرة فى سماء منطقة الزعفرانة، أصر القائد العام على أن هذه المعلومات غير حقيقية، وأن من أبلغه بها من الغائبين عن وعيهم، سواء بسبب الإسراف فى تدخين المخدرات أو لأسباب أخرى.

فما كان من اللواء صادق إلا أن أبلغ اللواء عبدالقادر حسن قائد الجيش الثالث بالمعلومات عن القوات الإسرائيلية الموجودة بالزعفرانة، التى تقطع الطريق وتهاجم القوات الموجودة بالمنطقة، وأوضح له أنه يخشى أن تكتشف المظلة الجوية وجود من يتابعون المناورة ومن بينهم الرئيس عبدالناصر، فتغير

عليهم مثلما فعلت وحدة إسرائيلية شرق الإسماعيلية فى مارس ٦٩، مما أسفر عن استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض، وطلب منه أن يبلغ عبد الناصر مباشرة لأن الوزير ورئيس الأركان يرفضان إبلاغه. وفعلا نفذ اللواء عبدالقادر حسن المهمة بنجاح، فقرر عبدالناصر العودة إلى القاهرة فورا. وقد حرص الفريق أول فوزى على إبلاغ عبدالناصر أن المعلومات التى نقلها له اللواء صادق عن طريق اللواء عبدالقادر حسن ليست أكثر من أكاذيب، وأنه لا يمكن للعدو أن يفعل ذلك. وفى القاهرة طلب الرئيس عبدالناصر من محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام أن يوافيه بأية معلومات عن إغارة لقوات العدو على منطقة الزعفرانة، فأكد له صحة أنباء الإغارة. فما كان من محمد فوزى عندما اتصل به عبدالناصر إلا أن حمل المسئولية للفريق أحمد إسماعيل.

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس عبدالناصر قبل أن يغادر السويس طلب من الفريق أحمد إسماعيل أن يتوجه إلى منطقة الزعفرانة. وفى القاهرة علم أن الفريق أحمد إسماعيل موجود بمكتبه فاستشاط غضبا وأمر بإحالته إلى التقاعد.

أما اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات فقد أصدر توجيهاته للمجموعة ٣٩ بالتحرك على طريق السويس - أبوالدرك - الزعفرانة لاستطلاعه واكتشاف ونزع الألغام التى زرعها العدو والعثور على الجرحى ونقلهم إلى السويس لتلقى العلاج والتعرف على الشهداء الذين سقطوا خلال العملية التى نفذها العدو.

وكان طيران العدو قبل الإغارة على الزعفرانة قد نفذ عدة طلعات استطلاع جوية وصور المنطقة بكل ما فيها عدة مرات. كما تمكنت مجموعة استطلاع إسرائيلية من الوصول إلى الساحل الغربى لخليج السويس لاختبار منطقة الإنزال ونقطة التقاط الأفراد بعد انتهاء العملية.

وواصلت قيادة العدو جمع المعلومات حتى تأكدت أن المنطقة المستهدفة ليس بها سوى مدفع واحد مضاد للدبابات من طراز (ب١٠) بالقرب من فنار

أبوالدرك. وفى الساعة السادسة من صباح يوم ١٩٦٩/٩/٩ أغارت قوات العدو الجوية على كتيبة صواريخ دفاع جوى بالمين السخنة وموقع رادار الزعفرانة بجانب قصف عدة أهداف أخرى بالمنطقة. ولتنفيذ خطة الإنزال البحرى استخدم العدو ثلاث سفن إنزال بحرية كان على ظهرها عربة جيب + ٨ دبابات من طراز ت -٥٤ «الروسية» كانت ضمن الدبابات التى تركتها القوات المصرية فى أثناء انسحابها من سيناء فى يونيه ٦٧، بالإضافة إلى مجموعة من القوات الخاصة الإسرائيلية.

وتم إنزال هذه الدبابات مع باقى القوة على مسافة ٢٥٠كم شمال أبوالدرك. وعندما وصلت إلى الطريق الأسفلتى بدأت فى بث الألغام لإغلاق الطريق من الجانبين.

سير العملية:

بعد زرع الألغام على الطريق وبجانبيه لمسافة ٢,٩٠٠كم من منطقة النزول، عاد أفراد القوة الخاصة إلى سفن الإنزال البحرى التى تحركت جنوبا، وفى نفس الوقت كانت الدبابات تتحرك على الطريق الأسفلتى جنوبا وهى تطلق نيران رشاشاتها على نقط الحدود ونقط الملاحظة الجوية.

وقام العدو ببث الألغام على مسافة ٦,٦٠٠ كم على الطريق الأسفلتى، ثم على مسافة ١٠,٥٠٠كم، وبث ألغامًا أخرى مضادة للأفراد وللدبابات. كما قصفت قوات العدو الجوية الطريق شمال نقطة الإنزال بـ ١,٧٠٠كم بقنابل زنة ١٠٠٠ رطل، كما قصفت عددا من السيارات المدنية التى كانت تتحرك على الطريق. وواصلت دبابات العدو تقدمها جنوبا دون أية مقاومة حتى مسافة ٥٠٠م شمال أبوالدرك. وهاجمت دبابات العدو منطقة الفنار من اليمين واليسار، ودمرت المدفع (ب١٠) والأكشاك والفنار بدانات شديدة الانفجار، كما دمرت العربات الموجودة بالموقع.

واستمرت الدبابات فى التحرك جنوبا حتى وصلت إلى محطة الرادار، حيث اشتبك معها أفراد القوة المصرية بالأسلحة الصغيرة والرشاشات.

استمر الاشتباك من الساعة التاسعة وأربعين دقيقة حتى الساعة الثانية بعد الظهر وعشرين دقيقة.

وبعد مقاومة باسلة من رجال الموقع تمكنت دبابات العدو من اقتحامه وتدميره.

وانسحبت الدبابات من نقطة شمال الزعفرانة، حيث كانت ترسو سفن الإنزال على الساحل، وذلك تحت ستر المظلة الجوية المعادية.

خلال المعركة استخدم العدو طائرات الهليكوبتر لإنزال قوات فى وادى عربة لإغلاق الوادى لمنع أية قوات من الوصول إلى منطقة المعركة. استمرت المظلة الجوية وقوات العدو الجوية فى قصف المنطقة والأفراد حتى الساعة السادسة مساء. وقد استخدم العدو فى هذه الإغارة قواته البرية والبحرية بنجاح، وكان التعاون فيما بين هذه القوات وثيقا.

وكان استخدام العدو للدبابات ت -٥٤ عملية خداع لإيهام أفراد نقط الملاحظة المصرية أنها دبابات مصرية، وساعده على ذلك مفاجأته للقوات الموجودة بالمنطقة.

وتعد هذه العملية من العمليات الرئيسية ذ ات الدلالات التى نفذتها إسرائيل طوال معارك الاستنزاف.

وقبل الحديث عن الدلالات يجدر بنا أن نوضح أن منطقة الزعفرانة هى نقطة التقاء الطريق الساحلى الذى يبدأ من السويس وينتهى عند آخر نقطة مصرية على ساحل البحر الأحمر وطريق القاهرة - الكريمات - الزعفرانة الذى يمر عبر وادى عربة ومنطقة بير عريضة.

أى أن الزعفرانة هى المدخل للطريق المؤدى إلى القاهرة. وهذا الطريق أحد المحاور التى أنشأتها القوات المسلحة لتيسير الانتقال بين الوادى وساحل البحر الأحمر. ووصول القوات الإسرائيلية إلى الزعفرانة وقطعها لطريق القاهرة - الكريمات - الزعفرانة عند وادى عربة رسالة لا تخفى دلالتها على القيادة السياسية المصرية. فها هى القوات الإسرائيلية تقف على مسافة حوالى مائة كم من القاهرة وفى منطقة تخلو من الدفاعات المؤثرة.

وبما أن العدو بدأ الإغارة فى الساعة السادسة من صباح يوم ٩/٩، واستمر حتى السادسة مساء دون أى تدخل من جانب القوات المصرية، فإن ذلك يعنى أنه ظل يعمل فى منطقة مكشوفة محققا كل أهدافه العسكرية وبحرية تامة. وقد اصطحب العدو معه فى هذه العملية وفودا إعلامية قامت بتسجيل مراحلها بالصوت والصورة، وكانت شاهدا على هشاشة الوضع الدفاعى المصرى بهذه المنطقة وعلى عجز القيادة المصرية عن التدخل ومنع العدو من تحقيق أهدافه.

وعندما انسحب العدو انسحب بإرادته، حيث لم تتعرض قواته لأى ضغط من جانب القوات المصرية.

كما أن الزعفرانة تمثل نقطة فى الثلث الأول من خليج السويس الذى يبلغ طوله حوالى ٤٢٠كم. وتقع الزعفرانة على مسافة ١٠٠كم جنوب السويس. وأوضحت الإغارة الإسرائيلية أن الساحل بهذه المنطقة يصلح لعمليات الإنزال البحرى.

وفى إطار صراع الرادارات والحوار بالنيران عبر قناة السويس فى معارك استهدفت بها القيادة المصرية استنزاف العدو، رأت القيادة الإسرائيلية تنفيذ عمليات إغارة فى العمق المصرى فى معارك استنزاف مضادة.

ومن هذه العمليات عملية الإغارة على نجع حمادى التى أفزعت القيادة السياسية المصرية كثيرا لأنها كشفت عن اتجاه العدو لاستغلال واحدة من نقاط الضعف الرئيسية المتمثلة فى عدم وجود دفاعات جوية مصرية تحمى هذا العمق. واستمرار انكشاف العمق المصرى كان يعنى إتاحة الفرصة أمام العدو لمواصلة الضغط على هذا العصب المكشوف.

وتأتى عملية الزعفرانة على نفس الطريق، حيث كشفت ضعف وهشاشة الدفاعات المصرية على امتداد ساحل البحر الأحمر.

وهذا الساحل الذى يمتد لأكثر من ألف كم يتطلب إمكانات كثيرة للدفاع عنه، لم تكن فى متناول القيادة المصرية وقتذاك.

أى أن العدو أراد أن يدفع القيادة المصرية إما إلى بعثرة قواتها لإقامة مواقع دفاعية على امتداد الساحل، وبما يشكله ذلك من استنزاف للموارد المحدودة، وإما أن يظل مكشوفا ومعرضا لعمليات مماثلة لعملية الزعفرانة.

وتحت ضغط هذه العملية وعملية الحصول على الرادار الموجود بمنطقة رأس غارب التى نفذها العدو بعد ذلك بقليل، اضطرت القيادة إلى إنشاء منطقة عسكرية بالبحر الأحمر، وأسندت قيادتها للواء سعد الشاذلى.

وتحت ضغوط عملية نجع حمادى والعمليات التى تلتها فى صعيد مصر، اضطر الرئيس عبدالناصر لزيارة موسكو سرا فى يناير ٧٠ ليطلب من القيادة السوفيتية حماية المواقع والأهداف المصرية بالصعيد بوحدات دفاع جوى سوفيتية.

وعندما استجاب السوفييت لطلب الرئيس عبدالناصر، كانوا يدركون أنهم سيتحولون إلى قوة احتلال لمصر، وأن الولايات المتحدة ستنظر للأمر باعتبار مصر دولة من الدول التى تدور فى الفلك السوفيتى، أو على الأقل منطقة نفوذ سوفيتية.

ومن الأهداف العسكرية لهذه الإغارة الإسرائيلية:

١- تدمير وسائل الدفاع الجوى بالمنطقة «تدمير كتيبة الدفاع الجوى ورادارى الزعفرانة ورأس غارب».

٢- تدمير وسائل الدفاع البحرى ومن بينها رادار أبوالدرك وضرب نقطة الملاحظة البحرية بالمنطقة.

٣- زعزعة ثقة أفراد القوات المسلحة فى القيادة، فاختيار المنطقة والأهداف الموجودة بها سيكشف عجز القيادة عن التدخل فى الوقت المناسب. وبذلك سيثبت للضباط والجنود المصريين مدى عجز القيادة عن تحمل مسئولياتها، ومن اللافت للنظر أن القيادة العامة كانت تتابع مناورة بقطاع الجيش الثالث بالسويس صباح نفس اليوم، وكان بالمنطقة كل من:

الرئيس عبدالناصر رئيس الدولة.

الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية.

والفريق أحمد إسماعيل رئيس الأركان.

وكبار القادة.

ولم يكن أى من هؤلاء على علم بما يجرى على مسافة عدة كيلومترات من موقع المناورة.

وعندما حاول مدير المخابرات الحربية إبلاغ الرئيس عبدالناصر ومحمد فوزى وأحمد إسماعيل بوجود العدو فى منطقة الزعفرانة، وبوجود مظلة جوية فى المنطقة مكونة من ٥٠ طائرة معادية رفض محمد فوزى تصديق هذه المعلومات، ولم يحاول التأكد منها، كما أنه رفض إبلاغها للرئيس عبدالناصر. إلى هذا المدى كانت القيادة بعيدة عن حقيقة ما يجرى بمنطقة الزعفرانة وأبوالدرك القريبة جدا من السويس، وبالرغم من أن العدو قصف كتيبة الدفاع الجوى بالعين السخنة الملاصقة للسويس، فقد ظلت القيادة على جهلها.

وعندا لجأ اللواء محمد صادق إلى اللواء عبدالقادر حسن قائد الجيش الثالث لإبلاغ الرئيس عبدالناصر بهذه المعلومات الخطيرة، ظل محمد فوزى على موقفه، بل واتهم مصادر هذه المعلومات بالغفلة.

ودفع الحذر الرئيس عبدالناصر للعودة إلى القاهرة فورا، والتوقف عن متابعة المناورة، وكان حائرا أيهما يصدق. مدير المخابرات الحربية أم وزير الدفاع؟

ومن مكتبه بالقاهرة اتصل بالأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ليطلب منه موافاته بأية أخبار عن العملية.

أى أن رئيس الدولة لجأ إلى رئيس تحرير الأهرام لمعرفة ما يجرى بالجبهة. وكل ما قام به الجيش الثالث تمثل فى دفع فصيلة صاعقة وصلت بالقرب من العين السخنة، وأفادت أن الطريق مغلق ولم تحاول التقدم إلى أبعد من ذلك. بعدها تم دفع دورية من الحدود مكونة من عربتين جيب، وعندما اكتشف العدو

وجود الدورية اشتبك مع العربتين وتمكنت دبابة من تدمير إحدى السيارتين. وتنفيذا لتوجيهات مدير المخابرات، تحركت مجموعة صغيرة بقيادة إبراهيم الرفاعي تضم الرائد طبيب محمد عالى نصر وفردين.

واعتبارا من الساعة الخامسة والنصف تحركت من السويس على الطريق الأسفلتي باتجاه أبوالدرك والزعفرانة، وتمكنت من نزع ١٣ لغما مضادا للدبابات، كما أعادت جميع الجرحى الموجودين بالمنطقة إلى السويس بعد أن تمكنت من استطلاع وفتح الطريق حتى الزعفرانة.

أما بالنسبة للألغام التي لم تتمكن من نزعها فقد حددت أماكنها وتركت للقوات التي ستأتي فيما بعد لفتح الطريق مهمة نزعها، وأسهمت بذلك في إنقاذ عدد من العربات كان يمكن أن يتعرض للتدمير من جراء المرور فوق هذه الألغام.

(٣) العملية عصام - ٨
التقاط مجموعة مؤخرة عدو
٢٨/٢٧ يونيه ١٩٧٠

بعد نكبة يونيه ١٩٦٧، واحتلال العدو لسيناء، كانت القيادة العامة في حاجة إلى معلومات عن قوات العدو الموجودة في سيناء.

وتعتمد عملية توفير المعلومات على عدة عناصر منها الاستطلاع البرى والبحرى والجوى والاستطلاع الإلكتروني والجواسيس والتصوير المباشر لموقع العدو.

وأمام انتشار قوات العدو بكل سيناء التي تبلغ مساحتها أكثر من ٦٠ ألف كيلومتر مربع، رأت القيادة العامة تشكيل مجموعات للقيام بتنفيذ مهمة الاستطلاع البرى داخل سيناء، والاستطلاع في عمق سيناء يعرف باستطلاع مؤخرة العدو.

وتم تشكيل كتائب خاصة للاستطلاع، أما استطلاع مؤخرة العدو فكان من مسئوليات المخابرات الحربية، وكانت إدارة المخابرات تقوم بدفع مجموعات

عديدة إلى أماكن متفرقة داخل عمق سيناء كل مجموعة منها مزودة بأجهزة لاسلكى وكاميرات تصوير خاصة.

وكانت مهمة هذه المجموعات جمع معلومات دقيقة عن العدو وتصوير مواقعه وأسلحته ودورياته عن قرب.

وبالضرورة كان لابد من وضع نظام خاص ودقيق وسرى لعمل هذه المجموعات.

ويتضمن هذا النظام أساليب وطرق دخول سيناء والعودة منها، وغيار المجموعات.

وفى أحيان كثيرة كان أفراد هذه المجموعات يعيشون بشكل طبيعى مع القبائل المنتشرة فى سيناء.

ولمزيد من التوضيح، فإن فترة بقاء عنصر استطلاع مؤخرة العدو لا تزيد على شهر، ويتم تغييره بعنصر آخر فى نفس توقيت إعادته.

أى أن وقت عودة أى مجموعة هو وقت وصول مجموعة بديلة. وكان على المجموعة التى انتهت فترة عملها أن تتوجه إلى ساحل الخليج فى توقيت محدد ومكان محدد، وإعطاء إشارة متفق عليها قبل اقتراب اللنش الذى سيلتقطها ويدفع بالمجموعة الجديدة.

وإذا لم يتم الالتقاط لسبب ما، فيجب على المجموعة العودة إلى مكان نشاطها مرة أخرى، ولمدة مماثلة جديدة، وأن تعود فى نفس التوقيت وبنفس الأسلوب بعد مضى شهر.

وقد واجهت مجموعة استطلاع مؤخرة العدو بجنوب سيناء مشكلة فى العودة استمرت ٦ أشهر.

ولم تتمكن لنشات الالتقاط من الوصول إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس نظرا لتزايد النشاط البحرى للعدو فى الخليج..

فقد كان للعدو فى المنطقة ٣ لنشات حراسة سريعة من طراز برترام تقوم بدوريات فى المنطقة من رأس مطارمة حتى دهيسة.

أما قاعدة هذه القوارب التى تنطلق منها فكانت فى منطقة رأس سدر. وذلك بالإضافة إلى القوات البحرية الموجودة بالمنطقة.

وقد حالت دوريات العدو البحرية ويقظة قواته البحرية على الشاطئ الشرقى للخليج دون وصول لنشات الالتقاط المصرية.

وكانت مجموعة مؤخرة العدو مكونة من نقيب وفردين من الكتيبة التاسعة مؤخرة عدو، بالإضافة إلى دليلين من أبناء قبائل سيناء.

وأمام هذه المشكلة استدعى الفريق محمد صادق رئيس الأركان النقيب بحرى إسلام توفيق باعتباره قائدا للمجموعة البحرية بالمجموعة ٣٩ قتال، وطلب منه العمل لإعادة مجموعة استطلاع مؤخرة العدو من سيناء.

درس إسلام الموقف وأسباب الفشل فى التقاط هذه المجموعة بعد وصوله إلى قاعدة الأدبية البحرية، وتبين من الدراسة أن اللنشات الإسرائيلية الموجودة بالخليج تعترض أى وحدات بحرية فى مياه الخليج.

وعندما يخرج لنش مسلح من قاعدة الأدبية، تعمد اللنشات الإسرائيلية إلى اعتراض طريقه والوقوف أمامه طالما ظل موجودا خارج القاعدة البحرية، لإرغامه على العودة وعدم ممارسة أى نشاط عسكرى خارج القاعدة.

ورأى إسلام الاستفادة من هذه النقطة، وذلك بالوصول إلى فنار أبوالدرك جنوب الأدبية بحوالى ٢٥ كيلومترا، ومن أبوالدرك أرسل إشارة إلى القاعدة البحرية يطلب منها إخراج لنش لجذب أنظار دوريات العدو البحرية، حتى يمكنه عبور خليج السويس من منطقة أبوالدرك البعيدة عن عيون العدو. وخلال خروج اللنش المصرى من الأدبية خرجت الدورية البحرية الإسرائيلية ووقفت فى مواجهته كالمعتاد.

وتصور العدو بذلك أنه أرغم القارب المصرى على العودة، وحال بينه وبين مواصلة الإبحار.

ولم تكن قيادة العدو تتوقع أن هناك دورية بحرية أخرى تستعد للإبحار من نقطة أبوالدرك.

وقد أمر النقيب بحرى إسلام قائد الدورية بتقسيم الدورية البحرية إلى قسمين: الأول بقيادة النقيب بحرى وسام حافظ، وبصحبة جندى ودليل من أهل المنطقة، والثانى بقيادة المساعد أول محمود الجيزى وبصحبته جنديين.

وفى الساعة التاسعة إلا ربع، أبحر القسم الأول فى قارب ماركة ٥ مزود بمحرك قوته ١١٥ حصانا، والقسم الثانى بقارب ماركة ٣ مزود بمحرك قوته ٤٠ حصانا.

واحتفظ القائد بقارب فايبر جلاس بمحرك ٤٠ حصانا كاحتياطى بمنطقة العبور للاستخدام فى حالة الاحتياج إليه.

وبالرغم من أن العدو يسيطر على المنطقة بواسطة ٣ قوارب برترام تتميز بالسرعة، ويحرص على إضاءتها مستخدما كشافات قوية موجودة بمنطقة رأس سدر، فقد تمكن القاربان من مواصلة الإبحار حتى الشاطئ الشرقى لخليج السويس.

وقد استغرقت الرحلة حوالى ٩٠ دقيقة، وفى الساعة العاشرة والنصف مساء تم الاتصال بمجموعة المؤخرة التى سيجرى التقاطها.

ولم يتحرك القاربان إلا فى الساعة الحادية عشرة وربع، وبعد أن تم التقاط أفراد المجموعة بالكامل، التى كانت تتكون من ضابط برتبة نقيب وجنديين من قوة الكتيبة التاسعة استطلاع.

أى أن القاربين ظلا فى المنطقة لمدة ٤٥ دقيقة.

وعاد القاربان إلى نقطة أبوالدرك فى الساعة ١٢,٤٠ دقيقة بعد منتصف الليل.

ولم يكن أفراد مجموعة المؤخرة قبل نجاح عملية الالتقاط التى نفذتها المجموعة ٣٩ قتال، يتوقعون أن يتم التقاطهم وإعادتهم بعد أن فشلت أكثر من عملية التقاط. وأدت هذه العملية إلى رفع الروح المعنوية لمجموعات مؤخرة العدو، كما تبينوا مدى اهتمام القيادة العامة بهم وحرصها على سلامتهم،

وتأكدوا بعد هذه العملية من وجود وسائل بديلة لالتقاطهم بالرغم من دوريات العدو البحرية والبرية.

(٤) عمليات إيلات

شهدت المملكة الأردنية، تحت قيادة الملك حسين مجموعة من المتغيرات الرئيسية نتيجة للاشتراك فى معركة يونيه ٦٧ . وكان المتغير الجذرى هو نجاح إسرائيل فى احتلال الضفة الغربية. ومدينة القدس الشرقية، وبذلك حققت حلمها فى توحيد مدينة القدس، والوصول إلى حائط المبكى، وسيطرت على كل الأراضى الفلسطينية التى لم تتمكن من السيطرة عليها خلال معركتى ١٩٤٨و ١٩٥٦ .

أما المتغير الثانى الرئيسى فتمثل فى بروز منظمة فتح الفلسطينية وجناحها العسكرى «العاصفة»، وتحول المنظمة إلى العمل العلنى والسرى ضد الأهداف الإسرائيلية.

كما برزت على الساحة منظمات فلسطينية أخرى منها ما هو على يسار فتح، مثل الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، ومنها ما هو تابع لنظم حكم عربية.

وفى ظل سيولة الموقف بعد نكبة ١٩٦٧ أتيح لهذه المنظمات احتلال مكانة على الساحة الأردنية، بما بدأ يشكل خروجا على مقتضيات السيادة الأردنية. وهذه المكانة بدأت فى التضخم، وواكب ذلك تخطى أعداد كبيرة من أعضاء هذه المنظمات لكل الحدود، وبما شكل سلطة موازية للسلطة الأردنية.

وخلال هذه الفترة عملت هذه المنظمات كل بقدر طاقتها على تنفيذ مجموعة من العمليات الفدائية ضد أهداف إسرائيلية، ولجأت منظمات أخرى إلى أسلوب خطف الطائرات. وقد بلغت هذه الموجة ذروتها فى عام ١٩٧٠ عندما تم اختطاف عدة طائرات مرة واحدة، والتوجه بها إلى الأردن وعواصم عربية أخرى، ثم تفجيرها فيما بعد.

وأيا كان فقد يشفع لهذه المنظمات أنها تعمل ضد إسرائيل، وأنها بذلك تعلن عن وجود مقاومة فلسطينية فعالة وتتسم بالديناميكية للاحتلال الإسرائيلى.

وبما أن الهدف هو مقاومة الاحتلال الإسرائيلى تعبيرا عن رفض نتائج يونيو ١٩٦٧، فقد رأت عناصر من المخابرات الحربية المصرية المشاركة فى العمل بالجبهة الشرقية بشكل مباشر، وعدم الاكتفاء بتدريب رجال المقاومة الفلسطينية وتزويدهم بالسلاح والمعدات والخبرات القتالية والتنظيمية.

ومن هذه العمليات التى نفذتها عناصر المخابرات المصرية انطلاقا من الأردن.

١- نسف خزانات البترول ومحطة الكهرباء فى إيلات.

توجهت المجموعة التى تحملت تنفيذ هذه العملية من قواعدها فى الأردن باتجاه إيلات عند آخر ضوء يوم ٥ يناير ١٩٦٨، وبدأت فى تنفيذ مهمتها فى اليوم التالى مباشرة يوم ٦ يناير ١٩٦٨، حيث وضعت على جدران خزانات البترول عددا من قنابل الخلايا الثاقبة مدعومة بقنابل حارقة، ثم ابتعدت إلى مسافة كافية، وعندما انفجرت قنابل الخلايا الثاقبة أطلقت المجموعة ثمانية صواريخ أصابت الخزانين وأربعة خزانات أخرى. وقنابل الخلايا الثاقبة تعمل على إحداث فتحات واسعة بالخزانات يتدفق منها البترول بعدها تتفجر العبوة الحارقة بما يؤدى إلى إشعال البترول داخل وخارج الخزانات، وهذا النوع من الحرائق يصعب إطفاؤه.

وفى نفس الوقت توجهت مجموعة إلى محطة كهرباء إيلات، حيث قصفتها بصاروخين من اتجاهين مختلفين، مما أدى إلى تدميرها.

وعادت المجموعة بعد أن نفذت مهمتها بنجاح يوم ٨ يناير ١٩٦٨.

٢- قصف مدينة إيلات بالصواريخ.

خرجت المجموعة المناط بها تنفيذ هذه المهمة يوم ٨ إبريل ١٩٦٨، وعادت يوم ١٨ إبريل ١٩٦٨ بعد أن قضت أكثر من عشرة أيام بالمنطقة القريبة من إيلات.

خلال هذه الأيام نفذت عمليات قصف بالصواريخ لمجموعة من الأهداف داخل المدينة أدت إلى تدمير حوالى سبعة منازل فى الحى الشرقى ومنزلين جنوب مطار إيلات. و١٨ أتوبيسا وسيارة خاصة بمنطقة تجمع الأتوبيسات.

كما أصابت برج مطار إيلات وأشعلت النيران فى منطقة شرق المدينة طوال يومى ٨ و ٩ إبريل. وردا على عملية قصف الصواريخ شرق المدينة أغار العدو بقواته الجوية على مدينة العقبة الأردنية يوم ٩ إبريل ١٩٦٨ .

كما تم نسف ثلاثة أبراج ضغط عالى شمال إيلات. وقد بدأ تنفيذ هذه المهمة يوم ١٩ يونيو ١٩٦٩، حيث تمكنت المجموعة من نسف ثلاثة أبراج للضغط العالى لخط الكهرباء شمال إيلات، مما أدى إلى انقطاع الكهرباء عن المدينة لفترة طويلة. وتمكنت المجموعة من العودة يوم ٢٣ يونيو.

٣- قطع الاتصالات التليفونية بين مدينتى بير سبع وإيلات

فى بداية شهر سبتمبر ١٩٦٨ تقرر قطع خطوط الاتصال التليفونى بين مدينة بير سبع فى الشمال الغربى ومدينة إيلات فى الجنوب الشرقى لعرقلة حركة الاتصالات التليفونية وإزعاج المواطنين والسلطات وتوجيه رسالة عن القدرة على العمل المباشر فى العمق وتوسيع دائرة المعاناة من أعمال المقاومة.

وقد اعترف العدو بتدمير عدد من كابلات الاتصال التليفونى، مما أدى إلى تعطيل الخط الرئيسى المباشر بين بير سبع وإيلات. وعادت المجموعة التى قامت بتنفيذ هذه المهمة إلى الأردن يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٨، بعد أن قضت داخل إسرائيل خمسة أيام.

٤- نسف أبراج وأعمدة الضغط العالى شمال إيلات

خلال الفترة من أغسطس ٦٩ حتى أغسطس ١٩٧٠ نفذت عناصر من المخابرات الحربية المصرية خمس عمليات نسف وتدمير أبراج وأعمدة الضغط العالى شمال إيلات. ومن الرابع حتى العاشر من أغسطس ١٩٦٩ نسفت أعمدة الضغط العالى فى منطقة شمال جرفت فى عرابة. مما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائى لفترة طويلة.

وخلال الفترة من ٨ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٦٩ ، نسفت مجموعة عمل أبراج الضغط العالى فى منطقة حندس شمال إيلات.

وخلال يومى ٦و٧ يونيو تم نسف أبراج الضغط العالى فى منطقة القطارة على طريق بير سبع - إيلات.

وخلال الفترة من ١٩ حتى ٢٦ أغسطس ١٩٧٠، تم نسف برجين للضغط العالى على طريق بير سبع - إيلات.

وإذا كانت عناصر من المخابرات المصرية قد نفذت عدة عمليات ضد أهداف مدنية فى إيلات أو بالقرب منها، فإن عناصر من الضفادع البشرية بالقوات البحرية المصرية قد دخلت التاريخ العسكرى بالعمليات التى نفذتها ضد قطع بحرية إسرائيلية بقاعدة إيلات البحرية.

وإذا كان من المألوف تنفيذ عملية واحدة بإحدى القواعد البحرية. فإن من غير المألوف وغير المتوقع تنفيذ عمليات متتالية ضد أهداف بنفس القاعدة البحرية فى فترات متقاربة.

ولأن هذه العمليات غير مألوفة وغير متوقعة، ولأنها تمت بنجاح وألحقت إصابات مباشرة بعدد من القطع البحرية الإسرائيلية، فقد استحقت أن تسجل بالتقدير فى التاريخ البحرى العسكرى، وتاريخ العمليات الخاصة، وإنجازات الضفادع البشرية فى العالم.

(٥) استطلاع ميناء إيلات ١٩٦٩/٩/٢٦

أغارت وحدات إسرائيلية على منطقة الزعفرانة بعد إبرارها فى منطقة أبو الدرك على ساحل البحر الأحمر، وقامت بتدمير كل ما صادفها من أهداف وسيارات مدنية اعترضت طريقها، وذلك فى سبتمبر ١٩٦٩ .

وقاد هذه العملية الجنرال إبراهام أدان المعروف بكفاءته، وقد اصطحب القائد معه فريقا إعلاميا، نقل أخبار العملية بالصوت والصورة للعالم كله.

وفى نفس توقيت العملية، كان عبدالناصر يشهد مناورة بقطاع الجيش الثالث الميدانى بحضور كل من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة والفريق أحمد إسماعيل رئيس الأركان.

وكانت القوات الجوية الإسرائيلية تحمى العملية بمظلة جوية سيطرت على سماء المنطقة تماما، لمنع تدخل القوات الجوية المصرية أو أية قوات برية يمكن أن تعرقل القوات المنفذة للإغارة.

وقد تم إبراز الوحدات الإسرائيلية المدرعة والدبابات من ناقلة الدبابات الإسرائيلية بيت شيفع «بيت سبع»، وهى ناقلة دبابات حمولة ألف طن وتتسع لـ ١٢ دبابة.

وكان على الرئيس عبدالناصر أن يعيد حساباته على ضوء نجاح عملية الزعفرانة، خاصة فى الجانب الدعائى منها وفشل القيادة العامة ممثلة فى وزير الحربية ورئيس الأركان فى مواجهة الإغارة الإسرائيلية، خاصة فى ظل تقرير معلومات المخابرات الذى حذر من عملية إبرار بحرى لمدرعات إسرائيلية على ساحل خليج السويس، وتحديدا بمنطقة أبوالدرك باعتبارها أفضل منطقة للإبرار البحرى، وذلك على ضوء عمليات تدريب مماثلة بدأت القوات الإسرائيلية تقوم بها فى منطقة جنوب سيناء.

وبعد إعادة الحسابات قرر الرئيس عبدالناصر إقالة الفريق أحمد إسماعيل رئيس أركان حرب القوات المسلحة وتعيين الفريق صادق رئيسا لهيئة أركان حرب. ولم تغب عن ذهن الفريق صادق فكرة رد اللطمة لإسرائيل. وقد طرح على مدير المخابرات الجديد اللواء محرز عبدالرحمن وعلى إبراهيم الرفاعى فكرة تدمير الناقلة بيت شيفع داخل القاعدة البحرية الإسرائيلية فى إيلات، وبدأ كل من الرجلين فى وضع خطة للهجوم على ميناء إيلات وتدمير بيت شيفع، وأى قطع بحرية إسرائيلية أخرى يتصادف وجودها. وطرح كل منهما خطته على الفريق صادق، وقبل أن يقع الاختيار على أى من الخطتين تقرر إرسال مجموعة استطلاع إلى ميناء إيلات ضمت كلا من النقيب إسلام توفيق من المجموعة ٣٩ بحرى، والرائد بحرى رضا حلمى قائد لواء الوحدات الخاصة بالقوات البحرية.

وفى لقاء لهما مع اللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات، طلب من الرائد رضا حلمى أن يتلقى تعليماته من النقيب إسلام. وسافر الرجلان إلى العاصمة

الأردنية عمان وفى المطار لاحظ النقيب بحرى إسلام وجود عشرات من البالات الضخمة ملقاة على أرض المطار فى أماكن متفرقة ومكتوب على كل منها هدية الرئيس عبدالناصر لمنظمة فتح.

وكان واضحا أنها موجودة بأماكنها منذ فترة دون أن تجد من يهتم باستلامها، وكانت المفارقة أن عبدالناصر يرسل هدايا من الملابس العسكرية المختلفة والمعدات والذخيرة والأسلحة والأدوات الطبية، وكل ما تحتاجه المنظمة، فى حين كان الجنود المصريون الموجودون بمواقع المراقبة المتقدمة، خاصة بميناء العقبة الأردنى يرتدون ثيابا ممزقة وأحذية بالية ويشكون من قلة الطعام والترفيه.

ومن عمان توجه الرجلان إلى ميناء العقبة بعد التنسيق مع المخابرات الأردنية التى أرسلت معهما أحدالضباط لمرافقتهما.

وهناك أقاما فى فندق يطل على القاعدة البحرية الإسرائيلية وميناء إيلات والقاعدة الجوية المجاورة.

واستثمرا الوقت فى السباحة لمعرفة نوع المياه ودرجة الرؤية وطبيعة القاع والمسافات المختلفة بمنطقة رأس خليج العقبة الذى لا يتجاوز عرضه خمسة كيلومترات. ولم يكن يفصل الميناء الأردنى عن الميناء الإسرائيلى سوى سور من السلك الشائك.

وكانا يعلمان أن الفندق الذى يقيمان به ملىء بالجواسيس، خاصة الإسرائيليين، وكان عليهما مراعاة الحذر الشديد فى تحركاتهما واتصالاتهما وتعاملاتهما مع نزلاء الفندق.

وخلال وجودهما الذى لم يستمر طويلا، تمت عدة محاولات من نساء موجودات فى الفندق للاقتراب من أى منهما للإيقاع بهما لمعرفة سبب وجودهما فى هذا المكان.

وهذا يكشف أن العدو الإسرائيلى موجود دائما، وقادر على معرفة القادمين أو الزائرين الجديد.

وخلال توجههما بالسيارة من عمان إلى العقبة، لاحظا أن المنطقة على امتداد المسافة بين المدينتين خالية من الناس.

واختار الرجلان منطقة جبلية قريبة من الميناء الإسرائيلى و تطل عليه فى نفس الوقت لإتمام تصوير المنشآت العسكرية والقطع البحرية ووسائل حماية هذه المنشآت والقطع ومحاولة معرفة النظم الدفاعية برا وبحرا.

ولم يخل الأمر من محاولة قتلهما، فخلال وجودهما على مرتفع يطل على الميناء تعرضا لوابل من النيران.

هذه المحاولة نبهتهما إلى مدى الخطر الذى يحيط بهما، وإلى يقظة العدو ومتابعته الدقيقة لأى غريب يقترب من المنطقة.

وبعد إنجاز مهمة الاستطلاع والتصوير التى لم تستغرق إلا ثلاثة أيام، حرص كل من رضا حلمى وإسلام توفيق على التصوير والاستطلاع فى أوقات وأماكن مختلفة ليلا ونهارا.

وقررا العودة إلى عمان ومنها إلى القاهرة فى اليوم التالى.

وتضمنت معلومات الرجلين وصفا دقيقا للمدينة والميناء. وبما أنها المرة الأولى التى تقوم فيها القوات المسلحة باستطلاع إيلات، فقد حرص الرجلان على ذكر كل التفاصيل فى تقريرهما ومن بين هذه التفاصيل:

- رصيفان أحدهما للنشاط التجارى والآخر عسكريا ويفصل بينهما حوالى ٥كم هذا بخلاف وجود أرصفة للفوسفات والبترول.

ويوجد برصيف البترول ٦ فناطيس تمد الخط الواصل بين إيلات وحيفا بالبترول. وكان يجرى وقتذاك بناء ١١ فنطاسا للبترول فى نفس المنطقة.

- أما فى أعالى الجبل فقد تم بناء ٩ فناطيس، وكان يجرى بناء فنطاسين آخرين. وقد خصصت هذه الفناطيس لتشغيل خط أنابيب البترول الممتد من إيلات إلى ميناء أشدود على البحر المتوسط، أى أنه يجرى نقل البترول من ميناء إيلات إلى مينائى حيفا وأشدود على البحر المتوسط بواسطة خطى أنابيب، وفى

المسافة التى تفصل رصيف الفوسفات عن الرصيف الحربى التى تبلغ حوالى ٥ كيلومترات، توجد محطة تنقية المياه ومحطة كهرباء احتياطية لتزويد المدينة بالكهرباء، فى حالة انقطاع التيار الكهربائى.

أما الميناء فيوجد به ما يلى:

١- ناقلتان على رصيف البترول.

٢- ٣ سفن تجارية على رصيف الفوسفات.

٣- ٣ قطع بحرية حربية على الرصيف الحربى، بالإضافة إلى ٤ زوارق إنزال صغيرة.

٤- قاطرتان وزورقا إرشاد.

٦- عدد من القوارب المطاطية ذات الموتور.

وبعد العودة إلى القاهرة تم عرض الصور والمعلومات على رئيس الأركان وقائد القوات البحرية اللواء بحرى محمود فهمى، وعلى مدير المخابرات الحربية، وبدراسة هذه المعلومات تقرر تنفيذ خطة مدير المخابرات الحربية والتعاون مع منظمة فتح الفلسطينية، وإسناد تنفيذ المهمة إلى لواء الوحدات الخاصة بقيادة الرائد محمد رضا حلمى، وقد سجل اللواء بحرى محمود فهمى هذه العملية فى كتابه الرائع «صفحة من التاريخ» مذكرات لواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية ووزير النقل البحرى السابق.

الإغارة الأولى على ميناء إيلات

لم تكن الضفادع البشرية قد اختبرت فى عمليات قتال منذ إنشائها فى النصف الأول من الخمسينيات.

وترجع البداية إلى سفر مجموعة محدودة من ضابط القوات البحرية بقيادة الملازم أول فوزى عبدالرحمن إلى إيطاليا للحصول على دورة تدريبية فى أعمال الضفادع البشرية، ويرجع السر فى اختيار إيطاليا إلى تفوق الإيطاليين فى هذا المجال، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية.

وبعد عودة هذه المجموعة، أشرف فوزى عبدالرحمن على إنشاء وحدة الضفادع البشرية عام ١٩٥٤. وفى البداية كانت الوحدة صغيرة جدا، وكان مقرها على حاجز الأمواج الخاص بميناء الإسكندرية، ولم يكن المقر سوى مبنى صغير وقديم.

وبالرغم من مستوى التدريب الممتاز والروح المعنوية العالية لأفرادها لم تسند إليهم أى مهام قتالية من قيادة القوات البحرية.

ومن الطريف أن الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية قد أسند إليهم مهمة التسلل إلى القطع البحرية الراسية بميناء الإسكندرية للحصول على عدد من الوثائق والأسلحة الموجودة بها، وبما يشير إلى حالة التسيب فى إجراءات تأمين هذه القطع، وإلى غفلة القيادات والنوبتجيات المسئولة.

وكان هدف قائد القوات البحرية، لفت نظر القيادات عمليا إلى حالة الإهمال واللامبالاة التى وصلوا إليها. وحالة الاسترخاء التى غرقوا فيها.

وأدت هذه العملية إلى النتائج المطلوبة.

فقد وضعت خطة لتأمين القطع البحرية والقاعدة البحرية عقب نشاط الضفادع البشرية.

ثم تطورت مجموعة الضفادع البشرية من ناحية الحجم والتسليح والمعدات والتدريب إلى أن وصل حجمها إلى قوة لواء، وأصبح لها مقر بالقاعدة البحرية برأس التين.

وكانت هناك خطتان للإغارة على إيلات:

الأولى: أعدها إبراهيم الرفاعى، وهى تمزج بين استخدام الطائرات العمودية والضفادع البشرية والصاعقة البحرية.

الثانية: وقد وضعها اللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية، وتعتمد أساسا على الضفادع البشرية لتنفيذ مهمة الإغارة. وخلال مناقشة الخطتين استدعى الفريق محمد صادق النقيب بحرى إسلام توفيق وسأله سؤالا مباشرا: هل يمكن

إغراق القطعة البحرية الإسرائيلية بيت شيفع باستخدام صواريخ آر بي. جي، فكانت الإجابة لا، فسأله: وكيف يمكن إغراق بيت شيفع؟ فأجابه: إن ذلك يمكن أن يتم باستخدام الألغام البحرية التى يتم تثبيتها على الجزء الغاطس من القطعة، وهذا من الأعمال التى تجيدها الضفادع البشرية.

ولم يكن إسلام يعلم أنه بذلك قد حسم للقيادة مشكلة الاختيار بين الخطتين الموضوعتين للإغارة. وأنه أيضا قد قتل اقتراحا قدمه أحد القادة لرئيس الأركان يتضمن الإغارة على ميناء إيلات بالقوارب المطاطية وقصف بيت شيفع بصواريخ آر. بي.جي.

وعندما تقرر اختيار الضفادع البشرية لتنفيذ هذه المهمة استدعى اللواء بحرى محمود فهمى الرائد بحرى رضا حلمى قائد لواء الوحدات الخاصة وكلفه بالمهمة. وانشغل لواء الوحدات الخاصة بالتفكير فى وسائل جديدة لنقل الأفراد والسلاح إلى مسرح العمليات. ثم تبين للجميع أنه لابد من إسناد هذه المهمة إلى المخابرات الحربية، فهى الأقدر على تنفيذ هذا الجزء من عملية الإغارة، أى نقل الأفراد والمعدات إلى أقرب منطقة لمسرح العملية. ثم يأتى بعد ذلك دور الضفادع البشرية، أى الوصول إلى الهدف، وتثبيت الألغام على الجزء الغاطس من القطع البحرية الموجودة بالميناء.

وفى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ١٥ نوفمبر ٦٩ كانت المجموعة والمعدات والأسلحة قد وصلت إلى منطقة جبلية قريبة من شاطئ خليج العقبة بالقرب من قاعدة إيلات البحرية.

وكانت الخطة تقضى بأن تتحرك الجماعات المنفذة فى قارب مطاط إلى المسافة التى لا يكتشف فيها العدو وجودهم، وفى نفس الوقت يمكنهم منها الوصول إلى الهدف سباحة تحت الماء. وكان اليوم يوم سبت، وفيه تضعف الحراسات، وفى نفس الوقت كان اليوم يوما من أيام شهر رمضان. أما حالة البحر فكانت سيئة. الموج مرتفع و الرياح شديدة.. وبما يساعد على نجاح العملية. بالرغم من صعوبة السباحة تحت الماء للوصول إلى الهدف فى مثل هذا

الجو. وفعلا احتاجت المجموعة إلى ثلاث ساعات للوصول إلى ميناء إيلات.

أما المجموعات الثلاث التى تحملت مسئولية التنفيذ. فقد تشكلت كل جماعة من ضابط وصف ضابط.

وضمت الجماعة الأولى: ملازم أول عمر عزالدين ومعه الرقيب محمد العراقى.

الجماعة الثانية: ملازم أول حسنين جاويش ومعه الرقيب عادل البطراوى.

الجماعة الثالثة: ملازم أول نبيل عبدالوهاب ومعه الرقيب محمد فوزى البرقوقى.

وحملت كل جماعة الألغام البحرية واتجهت إلى الهدف المخصص لها، وأثناء تثبت الألغام على القطع البحرية شعروا بانفجار عبوة من العبوات التى تلقى فى الموانئ للدفاع ضد الضفادع البشرية، غير أنها لم توثر فيهم نظرا لأن خطة التدريب تتضمن تعريض أفراد الضفادع البشرية لتحمل الضغط الناتج من تفجير عبوات ناسفة تحت سطح الماء لمسافات محددة. وفى الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة نفذت الجماعات الثلاث المهام المكلفة بها وبدأت رحلة العودة. وخلال هذه الرحلة استشهد الرقيب فوزى البرقوقى، وقد أصر الملازم أول نبيل عبدالوهاب على عدم ترك جثمان الشهيد فى المنطقة، وقام بحمله طوال المسافة من الميناء حتى الشاطئ الآخر فى وسط هذه الأمواج العالية، وقد أسفرت العملية عن تدمير سفينتين بالميناء.

الإغارة على إيلات للمرة الثانية:

فى يوم ٣١يناير ١٩٧٠، بدأت دراسة تنفيذ إغارة ثانية على ميناء إيلات على ضوء الدروس المستفادة من الإغارة الأولى. وبانتهاء الدراسات الأولية تم عرض الخطة على رئيس أركان القوات المسلحة.

فوافق على تنفيذها، وأسندت المهمة إلى الضفادع البشرية تحت قيادة قائدها بالنيابة الرائد مصطفى طاهر.

ومرة أخرى تتحمل المخابرات الحربية مهمة توصيل الأفراد والسلاح والمعدات إلى أقرب منطقة للهدف.

وكانت العملية الجديدة تتلخص في مهاجمة ميناء إيلات لنسف وتدمير القطعتين البحريتين بيت شيفع وبيت يم، وأسندت عملية التنفيذ إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: ملازم أول بحرى عمرو البتانونى وعريف على أبوريشة، وكانت مهمتها التعامل مع بيت شيفع.

المجموعة الثانية: ملازم أول بحرى رامى عبدالعزيز والرقيب فتحى محمد أحمد، وهدفها التعامل مع بيت يم.

وتحركت المجموعتان إلى نقطة الانطلاق مساء يوم ٥ فبراير ١٩٧٠، وفى الساعة الثامنة والربع مساء نزلت المجموعتان إلى الماء فى الطريق إلى إيلات. وعلى مسافة ١٠٠ متر من الهدفين تمكن الأفراد من تمييزهما، بعدها انفصلت المجموعتان واتجهت كل مجموعة إلى الهدف المحدد لها. وقبل منتصف الليل بخمس دقائق تمكن الملازم أول رامى من تثبيت اللغم فى منطقة مصافى الماكينات الرئيسية لبيت يم، ولاحظ رامى وجود ثلاثة كشافات قوية مضاءة ومصوبة نحو الماء، كما لاحظ قاربًا مطاطيًا بموتور خارجى من طراز زودياك يتحرك بين القطعتين البحريتين بيت يم وبيت شيفع على شكل دورية حراسة، كما لاحظ أن العدو يقوم بتفجير عبوات ضد الضفادع البشرية بكثرة، أى بمعدل عبوة كل ١٥ دقيقة داخل وخارج الميناء. أما الملازم البتانونى فوصل إلى بيت شيفع فى منتصف الليل تماما، وتمكن من تثبيت اللغمين فى منتصف السفينة، وأسفل الممشى، ولم يمنعه من العمل وجود أربعة كشافات قوية مضاءة ومصوبة نحو الماء، أحدها لإضائة المقدمة، وثلاثة مخصصة لمنطقة الممشى ووسط السفينة.

وبعد تنفيذ المهمة انسحبت المجموعتان إلى خارج الميناء، وبعد انفجار القطعتين البحريتين، هرع موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى إلى ميناء إيلات لمعرفة ما جرى، وليبحث عن إجابة على سؤال كيف وصلت الضفادع البشرية إلى

قاعدة إيلات للمرة الثانية خلال أقل من ثلاثة أشهر. وخلال هذه الزيارة تقررت خطة جديدة لتأمين الميناء وما به من قطع بحرية مدنية أو عسكرية.

الإغارة على ميناء إيلات للمرة الثالثة:

من بين الاحتياطات التى اتخذتها القيادة الإسرائيلية لتأمين قاعدة إيلات البحرية، تحريك القطع البحرية الموجودة بالقاعدة اعتبارا من آخر ضوء تحسبا من عمليات جديدة يمكن أن تنفذها الضفادع البشرية المصرية مع تكثيف الدوريات البحرية وزيادة الملاحظة وإضاءة كل جنبات الميناء.

وبالرغم من كل هذه الإجراءات قررت القيادة المصرية الإغارة للمرة الثالثة على قاعدة إيلات البحرية فى خطوة غير مسبوقة بالنسبة للعمليات الخاصة. حيث لم يسبق أن نفذت وحدات خاصة عملية إغارة على نفس الهدف ثلاث مرات. وبالفعل أدى نجاح العملية الثالثة إلى إثارة فضول عناصر المخابرات خاصة بالدول الأوروبية لمعرفة كيفية الوصول إلى إيلات ثلاث مرات خلال أقل من نصف عام بنجاح.

وخلال زيارة لوفد من البحرية المصرية ضم كل من المقدم بحرى خليفة جودت و الرائد بحرى إسلام توفيق لباريس خلال عام ١٩٧٠، أى بعد تنفيذ العملية الثالثة، دارت كل أسئلة الجانب الفرنسى حول كيفية الوصول إلى إيلات ثلاث مرات؟ وكانت الأسئلة تعبر عن التقدير والدهشة فى نفس الوقت، أما الملحق الحربى المصرى فى باريس فى ذلك الوقت فقد أخبر عضوى الوفد أن هذه العمليات أسهمت فى مضاعفة معنويات كل المصريين الموجودين فى فرنسا خاصة أعضاء البعثة الدبلوماسية.

وفى يوم السبت ١٤ مايو ١٩٧٠ ليلة الاحتفال بيوم الاستقلال، أى ذكرى اغتصاب فلسطين، ومن نقطة الانطلاق الأولى تحركت مجموعتان ضمت المجموعة الأولى ملازم أول عمر عزالدين والرقيب على أبوريشة.

أما المجموعة الثانية فضمت ملازم أول نبيل عبدالوهاب والرقيب فؤاد رمزى. وحملت كل مجموعة معها لغما كبيرا يحتوي على ١٥٠كجم من مادة الهكسانيت شديدة الانفجار.

وعندما وصلت المجموعتان إلى مسافة ٥٠٠م من الرصيف فى حوالى الساعة الثانية من صباح ١٥ مايو، تعرضتا لعدد كبير من العبوات المضادة للضفادع البشرية، وبفاصل زمنى قصير. وفى النهاية تمكنت المجموعتان من الوصول إلى رصيف الميناء، وبالقرب من قاع البحر تم وضع اللغمين.

وفى الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة من صباح يوم ١٥ مايو انفجر اللغم الأول. أما اللغم الثانى فقد انفجر فى الساعة التاسعة والنصف صباحا.

وبجانب تدمير الرصيف تدميرا جزئيا فقد انتشلت جثث كثيرة لأفراد من الضفادع البشرية الإسرائيلية تصادف مرورهم فى لحظة انفجار اللغم الأول.

الفصل السابع عشر
إسرائيل والاستنزاف

١ - أسلوب إسرائيل لمواجهة حرب الاستنزاف:

حققت إسرائيل بانتصارها فى معركة يونيو ١٩٦٧ مجموعة كبيرة من الأهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية، فمن مجرد دولة تحاول حماية وجودها قبل يونيو١٩٦٧، تحولت إلى إمبراطورية، بل وتمكنت من احتلال سيناء المصرية وغزة الفلسطينية، والجولان السورية، والضفة الغربية لنهر الأردن، واستكملت السيطرة على مدينة القدس عندما احتلت القدس الشرقية.

ومساحة سيناء تبلغ أكثر من ٦٠ ألف كيلومتر مربع، فى حين أن مساحة إسرائيل ٢٠ ألف كيلومتر مربع، والاستيلاء على هذه المساحات يوفر لها موارد اقتصادية جديدة.

وباحتلال سيناء والوقوف على الضفة الشرقية للقناة توفر لها العمق الدفاعى، وأصبح فى إمكان قواتها خوض المعارك بعيدا عن إسرائيل. كما أن زمن الطيران لطائرات السلاح الجوى المصرى قد زاد من ١٢ دقيقة إلى ٣٠ دقيقة قياسا بسرعة الطائرات التى كانت تمتلكها القوات الجوية المصرية وقت ذاك.

باختصار أصبحت الأهداف الإسرائيلية داخل إسرائيل خارج مدى طائرات السلاح الجوى المصرى.

فى حين اقتربت المسافات بالنسبة للأهداف المصرية التى أصبحت فى متناول طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى. وهذه الميزات الاستراتيجية وفرت

للقيادة الإسرائيلية وللشعب الإسرائيلى إحساسا غير مسبوق بالأمان. وعندما انطلقت معارك حرب الاستنزاف خلال الأسابيع الأولى لوقف إطلاق النار حاول الإسرائيليون الرد بضربات قوية مضادة وعلى سبيل المثال، فإن إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات فى ١٩٦٧/١٠/٢١ ردت عليه إسرائيل بقصف مدفعى عنيف أدى إلى اشتعال النيران فى مصنع تكرير البترول بالزيتية بالسويس.

وفى مرحلة تالية نشطت إسرائيل ودعمت مواقعها الدفاعية لكى تكون أكثر تماسكا وأكثر قدرة على حماية الأفراد، كما تمكنت إسرائيل من إنشاء شبكة جيدة من الطرق تربط بين كل أنحاء سيناء، وأنشأت خط أنابيب بلاستيك لوصول الماء إلى كل مكان فى سيناء. واستغلت إسرائيل فى مرحلة تالية عدم وجود دفاعات جوية فى العمق المصرى للقيام بعدة عمليات خاصة سواء فى صعيد مصر أم على امتداد الساحل الغربى لخليج السويس.

وكانت هذه العمليات الهجومية تعكس رغبة القيادة الإسرائيلية فى الضغط على القيادة المصرية للتخفيف من الضغوط التى تمارسها من خلال معارك الاستنزاف. ولجأت إسرائيل طوال هذه الفترة إلى الدفاع خفيف الحركة الذى يتم على أساس العمليات المتكاملة والتعاون بين القوات البرية والجوية، وأتاح لها هذا توزيع الحد الأدنى من القوات على المواقع الأمامية ذات الاستحكامات الثقيلة لتنتظم فى خط دفاعى واحد أنشأه حاييم بارليف رئيس الأركان على الحد الأمامى للضفة الشرقية لقناة السويس. وكانت السيطرة الجوية الإسرائيلية تسهم فى توفير الحماية لهذه المواقع بالتعاون مع كتائب المدفعية الثقيلة الموجودة فى المواقع الخلفية، خاصة المدفعية الأمريكية من عيار 175مم، وكانت القوات الإسرائيلية على امتداد القناة موزعة فى سلسلة من النقط القوية المكتفية ذاتيا، والمعدة للدفاع من جميع الاتجاهات.

وكانت كل نقطة قادرة على التصدى للهجوم إلى أن تتمكن القوات المدرعة خفيفة الحركة من شن هجوم مضاد من العمق.

وجميع المواقع مجهزة بنطاقات من الأسلاك الشائكة ذات الميلين وحقول الألغام المختلفة ووسائل الإنذار.

وفى كل نقطة قوية مخزونًا كافيًا من الذخيرة والتعيينات والمياه، كما أنها مجهزة بوسائل مواصلات أكثر من الحاجة تربطها بباقى النقط القوية المجاورة وبالمواقع الخلفية ومراكز القيادة. ولقد وفرت القيادة الإسرائيلية كافة الإمكانات لتقليل المخاطر التى يمكن أن تتعرض لها هذه المواقع، و شجعت القيادة الأفراد الموجودين داخل هذه المواقع والنقاط الدفاعية على الاتصال بأسرهم باستمرار للتخفيف من شعورهم بالعزلة، كما وفرت لهم الصحف والبريد بشكل يومى، ونظمت برامج ترفيهية ومحاضرات بصفة متوالية. أما الإجازات فتمنح للجميع بشكل دورى ويتم نقل أفراد الإجازات من سيناء إلى إسرائيل جوا، ثم إلى بيوتهم على نفقة الحكومة.

(٢) عمليات استنزاف إسرائيلية:

بعد أيام يونيو ١٩٦٧ وقبل أن تجف دماء الشهداء المصريين على أرض سيناء، تجدد الحوار بالنيران بين الجانبين المصرى والإسرائيلى، وبدا واضحا أن هذا الحوار هو التعبير الأوضح لصراع الإرادات الذى تفجر بقوة على ضوء الهزيمة المفجعة. فإسرائيل المنتصرة كانت تتوقع استسلاما مصريا وعربيا يتوازى مع ما حققته من انتصار كاسح. أما مصر فكانت ترى أن الهزيمة ليست تعبيرا حقيقيا عن توازن القوى بين الطرفين، لذا كانت ترفض الهزيمة بكل نتائجها.

وعندما حاولت إسرائيل تأكيد تفوقها العسكرى صباح يوم أول يوليو ١٩٦٧، بالزحف للاستيلاء على بورفؤاد، تصدت القوات المصرية للمحاولة. وكانت تلك نقطة البداية لحوار النيران الذى عرف فيما بعد باسم معارك الاستنزاف، ولمواجهة هذه الحرب الجديدة لجأت إسرائيل إلى تنفيذ عمليات فى عمق مصر المكشوف للضغط على القيادتين السياسية والعسكرية.

ومن أبرز العمليات التى نفذتها إسرائيل فى جنوب مصر عملية قنا ونجع حمادى التى تمت ليلة ١٩٦٨/١٠/٣١ فبجانب عنصر المفاجأة فى العملية، فإنها قد فرضت أبعادا جديدة على الصراع بين الجانبين.

وهذه العملية لم تتم كرد فعل أو انتقام من عملية عسكرية مصرية أو حتى على التراشق بنيران المدفعية على امتداد الجبهة، بل أتت كعمل مدبر يعكس استراتيجية وفكرا إسرائيليا مختلفا، وإن كان فى إطار قطف ثمار انتصار ١٩٦٧.

وبدا واضحا من خطة تنفيذ عملية نجع حمادى أن إسرائيل أجادت اختيار الهدف على ضوء المعلومات التى توافرت لها. وقبل تنفيذ العملية قامت القوات الجوية الإسرائيلية باستطلاع منطقة نجع حمادى وقنا والأقصر يومى ٢٩ سبتمبر١٩٦٨، ٢٩ أكتوبر ١٩٦٨، أى قبل تنفيذ العملية بحوالى ٤٨ ساعة. وقد تم رصد اختراق جوى بواسطة طائرتين إسرائيليتين يوم ٢٩ سبتمبر فى الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم، أما يوم ٢٩ أكتوبر فقد بدأ الاختراق الجوى فى الساعة العاشرة صباحا، حيث تم تصوير الأهداف الموجودة بالمنطقة ومتابعة آخر موقف للمعلومات عن هذه الأهداف. أما خطة التنفيذ، فقد تميزت بالذكاء وبالحرص على خداع القيادة المصرية و مفاجأتها، فقد أبحرت إحدى سفن الأسطول الإسرائيلى من ميناء إيلات فى مهمة استطلاعية وعلى ظهرها طائرة عمودية «هليكوبتر»، من طراز سوبر فريلون الفرنسية مخفاة تحت شباك تمويه، وكان على ظهر السفينة ٦ من المظليين الإسرائيليين يرتدون الزى العسكرى للجنود المصريين، وقد تم اختيارهم من بين الذين يتحدثون اللغة العربية. وعند نهاية خليج العقبة انضمت إلى السفينة سفينتين أخريين أبحرتا من قاعدة شرم الشيخ البحرية وعلى ظهر كل منهما طائرة عمودية من نفس الطراز وعناصر من المقاتلين.

وعندما حل الظلام حلقت الطائرات العمودية الثلاث على ارتفاع منخفض باتجاه الغرب فى الطريق إلى الأقصر، وبالقرب من هدفى محطة المحولات وكوبرى قنا هبطت الطائرات ونزل من كل منها عربة جيب تحمل أفراد الكوماندوز، واتجهت السيارات الجيب كل منها إلى هدف وتمكنت المجموعات الإسرائيلية من أسر عناصر الحراسة المصرية ووضع المتفجرات على الأهداف وقطع خطوط التليفونات بالمنطقة، بعدها عادت السيارات الجيب إلى الطائرات التى حلقت على ارتفاع منخفض حتى وصلت إلى شاطئ البحر الأحمر، ومن هناك اتجهت على ارتفاع مناسب إلى قواعدها.

١- الهجوم على محطة محولات نجع حمادى:

هبطت الهليكوبتر الإسرائيلية فى حوالى الساعة التاسعة وعشر دقائق مساء على مسافة ٢,٥ كيلومتر من السور الخلفى للمحطة، ومنها نزلت عربة جيب وحوالى اثنى عشر فردا من أفراد الكوماندوز والمهندسين العسكريين، وانقسمت هذه المجموعة إلى ثلاث مجموعات صغيرة إحداها لحراسة الطائرات ومجموعة ساترة لمجموعة الاقتحام ومجموعة المهندسين.

وتحركت المجموعة الساترة ومجموعة الاقتحام بالعربة الجيب وهى تحمل أدوات ومعدات النسف إلى السور الخلفى لمحطة المحولات وتوقفت على مسافة حوالى ١٥م، ومن هناك تحركت المجموعة الساترة لاتخاذ أماكنها داخل المحطة ومن خلفها مجموعة الاقتحام والمهندسين العسكريين.

وأثناء انشغال مجموعة الاقتحام والمهندسين فى العمل لوضع المتفجرات فى الأماكن المخصصة بالمحطة اشتبكت المجموعة مع حارس بالمحطة، مما أدى إلى سقوطه شهيدا. وبعد انتهاء مجموعة الاقتحام من تنفيذ مهمتها اتجهت إلى خارج السور، ومن بعدها المجموعة الساترة بعد أن بث بعض الألغام المضادة للأفراد والأشراك الخداعية داخل المحطة. وقد تم تفجير العبوات الساعة العاشرة وعشر دقائق مساء، ونتج عن الانفجار فى محطة المحولات احتراق المحول الرئيسى واحتراق مجموعتى المانعات ومانعات الصواعق وأصيبت المفاتيح والسكاكين ومحولات التيارات ببعض التلف. كما أتلفت كابلات التحكم والقدرة ومهمات الإنارة بحجرة التحكم وفناء المحطة ومجارى أنابيب شبكة التغذية بالهواء. وقدرت الخسائر فى ذلك الوقت بحوالى ٣ ملايين جنيه. وكان من نتيجة هذه الخسائر انقطاع التغذية من محطة السد العالى.

٢- الهجوم على كوبرى قنا:

اتجهت الطائرة العمودية الثانية مباشرة إلى منطقة كوبرى قنا، ثم حلقت فوق الكوبرى من الغرب إلى الشرق، وكان ذلك فى حوالى الساعة التاسعة وخمس

وأربعين دقيقة مساء، وعند منتصف الكوبرى توقفت الطائرة العمودية فوق المكان، وكانت على ارتفاع حوالى ٦ أمتار من سطح الكوبرى، وأنزلت عبوات ناسفة معدة للتفجير بعد الانسحاب من المنطقة، ثم غادرت المكان، وبعدها انفجرت العبوات الناسفة فى العاشرة إلا عشر دقائق.

وأسفرت الانفجارات عن إصابة الكمرة الرئيسية وحدوث فجوتين على جانبيها فى سطح الكوبرى. بالإضافة إلى فجوة نافذة فى منتصف السطح العلوى للكوبرى قطرها ٢٢٥سم، كما حدث انبعاج فى سور الكوبرى من الجانبين.

٣- الهجوم على قناطر نجع حمادى:

حلقت الطائرة الثالثة فوق قناطر نجع حمادى فى الساعة العاشرة وخمس دقائق تقريبا حتى وصلت فوق القناطر بعدها خفضت من سرعتها، وحلقت على ارتفاع عشرة أمتار فوق سطح القناطر، وأنزلت عبوات معدة للتفجير بعد عشر دقائق تقريبا بقلم زمنى.

وقد انفجرت العبوات بعد أن غادرت الهليكوبتر المنطقة، وقد أسفرت الانفجارات عن فجوة نافذة فى السطح الخرسانى للقناطر بلغ اتساعها حوالى ثلاثة أمتار ونصف المتر، كما تهدمت بعض الأسوار.

وقد تم تنفيذ العمليات الثلاث فى حماية مظلة جوية ظلت تحلق فوق شرق قناة السويس طوال الفترة التى استغرقتها هذه العمليات.

٤- الهجوم على أبراج الضغط العالى بسوهاج:

اتجهت قوة إسرائيلية تحملها طائرتان عموديتان مشكلة من ثلاث جماعات منها جماعتان للتدمير وجماعة ساترة إلى غرب قرية أولاد سلامة التي تقع جنوب سوهاج بحوالى ٢٠كم.

وكان الهدف نسف ستة أبراج من أبراج الضغط العالى بالمنطقة، وقد وصلت القوة قبل منتصف ليلة ٢٩يونيو ١٩٦٩، حيث هبطت الطائرتان العموديتان، ومنها

انطلقت القوة الإسرائيلية باتجاه الأبراج الستة. وقد توزعت مجموعتا الاقتحام على الأبراج لتجهيزها بالعبوات الناسفة فى حماية الجماعة الساترة، بعدها انسحب الجميع، وحلقت الطائرتان فى اتجاه الشرق، إلا أن إحداها عادت بعد حدوث الانفجار الذى تم تقريبا فى الساعة الثانية عشرة والربع بعد منتصف الليل لمعرفة نتيجة العملية.

وقد استخدم العدو ٢٦عبوة قاطعة لنسف الأبراج، بواقع أربع عبوات لكل برج ذو قاعدة مفردة واثنتا عشرة عبوة لكل برج ذو قاعدة مزدوجة وتراوح وزن العبوة ما بين ٢ , ٦كجم من المواد المتفجرة.

وقد أدت العملية إلى قطع خطى الضغط العالى، إلا أن التيار الكهربائى لم يقطع عن القاهرة لتحويله إليها عن طريق خط آخر مع تغذية سوهاج ونجع حمادى عن طريق محطات توليد كهرباء أخرى.

٥- الهجوم على معسكر منقباد - ليلة ٢٧-٢٨ أغسطس ١٩٦٩:

فى الساعة التاسعة من مساء ٢٧ أغسطس ١٩٦٩ هبطت طائرتان عموديتان فوق سطح الجبل غرب وادى النيل فى منطقة تبعد ٥ كم عن معسكر منقباد القريب من أسيوط، وقام أفراد القوة المهاجمة بنقل مدافع الهاون والذخيرة إلى موقع يبعد حوالى ١٠ أمتار من مكان هبوط الطائرتين، بعدها تم إطلاق حوالى ٥٠ قذيفة هاون من عيار ١٢٠مم.

وقبل انسحاب القوة دمرت قواعد مدافع الهاون ومقطورة الذخيرة، ثم انسحبت من المنطقة باتجاه الشرق. وقد تم تنفيذ العملية فى حماية مظلة جوية مكونة من ١٨ مقاتلة إسرائيلية ظلت تحلق فوق منطقة الطور وشرم الشيخ ورأس نصرانى.

٦- الهجوم على نقطة المراقبة الجوية بوادى عربة - ١٩٦٩/١٠/٢٠:

فى حوالى الساعة السادسة والربع مساء حلقت طائرة هليكوبتر إسرائيلية على ارتفاع منخفض فى اتجاه وادى عربة بمنطقة الزعفرانة، وبالقرب من

منطقة مراقبة جوية هبطت الطائرة وغادرتها مجموعة دورية إسرائيلية، وعادت الطائرة إلى التحليق مرة أخرى، واتجهت إلى الشرق. وقد ظلت الدورية الإسرائيلية فى موقعها فى انتظار دخول أفراد النقطة للمبيت فى الخيام.

وبالرغم من أن أفراد النقطة كان لديهم معلومات بدخول هليكوبتر إسرائيلية وخروجها، إلا أنهم توجهوا للنوم فى الساعة الواحدة من صباح يوم ١٩٦٩/١٠/٢١، وتقدم أفراد الدورية الإسرائيلية فى الوادى فى اتجاه الهدف حتى وصلوا إلى نقطة المراقبة واستطلعوها جيدا. ثم تم توزيع الأفراد على أماكن مختارة بالمنطقة.

وفى الساعة الثانية وعشر دقائق فتحت الدورية نيران مدافع الهاون من عيار ٢ بوصة والرشاشات.

وفى حماية هذه النيران تقدمت مجموعة الاقتحام من اتجاهات الشمال والجنوب والغرب للسيطرة على النقطة.

وقبل الانسحاب زرعت مجموعة من الألغام والأشراك الخداعية. وفى الساعة الرابعة والربع وصلت الطائرة الهليكوبتر مرة أخرى لالتقاط أفراد الدورية بعد أن تم تدميرمنطقة المراقبة وقتل كل من بهامن أفراد.

٧- الإغارة بالنيران على مطار الصالحية - ١٩٦٩/١٢/١٨:

لأول مرة تتعمد إسرائيل تنفيذ عملية إغارة بالنيران داخل النطاق التكتيكى للجيش الثانى، وعلى مسافة ٣٠كم غرب القناة. ففى الساعة السادسة والثلث من مساء يوم ١٩٦٩/١٢/١٨ اخترقت طائرتان عموديتان من طراز سوبر فريلون القناة من فوق منطقة التينة، واستمرتا فى التحليق غربا فوق بحيرة المنزلة، ثم اتجهتا جنوب شرق باتجاه مطار الصالحية، حيث تم إبرار مجموعة الدورية الإسرائيلية فى منطقة بالقرب من المطار لا تتمركز بها أية قوات مصرية. ثم عادت الطائرتان شرقا وعبرتا القناة من فوق نقطة الدخول فى الساعة السابعة وثمان دقائق. أى أن الطائرتين ظلتا فى الأجواء المصرية ٤٨ دقيقة. وتحركت

الدورية الإسرائيلية سيرا على الأقدام، وهى تحمل قواذف الصواريخ والصواريخ من منطقة الإبرار إلى منطقة الإطلاق التى تبعد عنها بحوالى كيلومترين. وقد قطعت الدورية هذه المسافة فى حوالى ٤٠ دقيقة. وكانت قوة الدورية تبلغ ١٦ فردا، وتحمل معها قاذفى صواريخ عيار ١٣٠مم وثمانية صواريخ من نفس العيار.

ومن المؤسف أن هذه الصواريخ من الذخيرة المصرية التى استولت إسرائيل عليها فى معركة ١٩٦٧.

وفى منطقة الإطلاق أتمت الدورية إعداد القواذف والصواريخ وصوبتها باتجاه المطار، وثبتت بها أقلام زمنية، لكى تنطلق فى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى. وفى الساعة الثامنة وعشر دقائق اخترقت الطائرتان العموديتان المجال الجوى المصرى مرة أخرى من نفس منطقة الاختراق الأولى واتجهتا غربا ثم اتجهتا إلى نقطة الالتقاط لإعادة أفراد الدورية. وعادت الطائرتان باتجاه الشرق، وتم رصد خروج الطائرتين فى الثامنة والنصف مساء أى بعد ٢٠ دقيقة. وقد انطلقت الصواريخ على دفعتين، الأولى فى الخامسة والنصف صباحا والثانية بعدها بساعة. وقد سقطت الصواريخ خارج منطقة المطار.

٩- الإغارة بالنيران على ميناء سفاجا - ١٩٦٩/١٢/٢٢:

استطلع العدو منطقة الإغارة عدة مرات آخرها يوم ١٢/١٨ أى قبل تنفيذ العملية بأربعة أيام للوقوف على أوضاع القوات المصرية، وأقرب الاحتياطات ولاختيار المنطقة الصالحة للهبوط.

وصباح يوم العملية تركزت أعمال الاستطلاع الجوى طوال الفترة من الحادية عشرة والنصف حتى الساعة الثانية والنصف على منطقتى بير أبوالدرك، ورأس جمعة بعدة طلعات جوية، وذلك للفت الأنظار إلى هذه المناطق التى تبعد عن المنطقة المستهدفة.

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء ١٢/٢٢ أضاء العدو منطقة جنوب الغردقة بواسطة المقاتلات، واستمر فى ذلك حتى نهاية العملية.

وفى الساعة الحادية عشرة وستة وثلاثين دقيقة اخترقت طائرة عمودية المجال الجوى المصرى من شمال رأس أبوسوسة، ثم قامت بإبرار قوة الإغارة المسلحة بالهاون من عيار ١٢٠مم فى منطقة جبل ثار جنوب غرب ميناء سفاجا، ثم أقلعت وأخذت تحوم فى المنطقة لمراقبتها واكتشاف أية قوات تحاول التدخل فى العملية، وأيضا لتصحيح نيران الهاون. وبعد أن جهزت الدورية الهاونات للقذف، وبدأت فى قصف الميناء لمدة ١٩ دقيقة.

وأسفرت العملية عن سقوط شهيد مدنى وجرح فردين، أحدهما مدنى والآخر جندى.

١٠- عملية شدوان:

اتجهت أنظار العدو إلى إحدى جزر خليج السويس واختار جزيرة شدوان التى تقع فى مدخل الخليج والتى تعد أكبر الجزر. والجزيرة فى موقعها تواجه مدينة الغردقة، وتوجد فى منتصف الخليج أى فى منتصف المسافة بين الغردقة ورأس محمد شرقا. وخلال ليلة ٢٢-٢٣ يناير ١٩٠٧، هاجم العدو القطاع الجنوبى للجزيرة بواسطة الطائرات العمودية «الهليكوبتر»، واللنشات البحرية لنقل القوات المهاجمة، وقبل أن تصل وحداته إلى الجزيرة مهد بقصف جوى نفذه سرب من القاذفات.

ولطبيعة الجزيرة الصخرية الوعرة وكثرة خنادقها، لم تتأثر الوحدة المصرية الصغيرة الموجودة بها بالقصف الجوى، وهذه الوحدة اشتبكت مع القوات الإسرائيلية المهاجمة.

وبعد ٨ ساعات انسحبت القوات المهاجمة،.

ومثلما خططت إسرائيل لاستكمال احتلال سيناء بالتقدم لاحتلال بورفؤاد، وفشلت، فقد فشلت خطتها لاحتلال جزيرة شدوان.

وخلال الهجوم الإسرائيلى كان كل من الرئيس عبدالناصر والفريق أول فوزى وزير الحربية قد وصلا إلى موسكو فى زيارة سرية لطلب حماية العمق المصرى.

ولأسباب كثيرة اختار العدو شدوان، منها ما هو عسكرى وما هو سياسى وما هو معنوى، فالجزيرة بلاشك بموقعها تحقق السيطرة على الملاحة من وإلى الخليج، ويمكن لنقاط المراقبة بها متابعة واكتشاف أية تحركات عسكرية مصرية بالخليج، كما أنها ستدعم دفاعاتها عن كل جنوب سيناء، خاصة قاعدة الطور الجوية ومنطقة شرم الشيخ.

وباحتلال الجزيرة ستؤكد قدرتها العسكرية، فها هى بعد أكثر من عامين ونصف على انتصارها فى يونية ١٩٦٧، قادرة على العمل العسكرى واحتلال قطعة من الأرض المصرية وانتزاعها من أيدى القوات المسلحة المصرية، وهذا هو أحد الأبعاد الرئيسية للعملية. أما سياسيا فالهدف إحراج القيادة السياسية المصرية وإظهارها أمام الشعب المصرى كقيادة عاجزة، و غير قادرة لا على حماية التربة المصرية ولا على الحفاظ على سيادتها عليها.

وبعد المعلومات الأولية عن الهجوم، وضع الفريق صادق الخرائط أمامه وبدأ فى قراءة الموقف، وعلى ضوء هذه القراءة اتخذ قرارا بضرورة استعادة الجزيرة وفى نفس الليلة، وقد نجحت الخطة تماما.

وكانت هذه العملية آخر العمليات العسكرية الإسرائيلية الكبيرة حتى قبول مصر مبادرة روجرز ووقف إطلاق النار اعتبارا من يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠.

١١- عملية رادار رأس غارب:

ليلة ٢٣-٢٤ديسمبر ١٩٦٩، هبطت طائرتان عوديتان بجوار محطة رادار إنذار من طراز ب12 بالقرب من مدينة رأس غارب، وهاجمت الموقع، حيث سقط من به من أفراد شهداء، بعدها حملت الطائرتان العموديتان جهاز الرادار إلى إسرائيل.

وكان واضحا من استمرار العدو فى عملياته العسكرية أنه يخطط لمواصلة الضغط على القيادتين السياسية والعسكرية بكل الأساليب الممكنة لفرض سلامه على مصر أولا ثم باقى دول المواجهة فيما بعد. كانت مصر هى المستهدفة أساسا وكان استمرار عمق مصر مكشوفا أمام العدو أمرا غير مقبول، ولم يجد

عبدالناصر حلا سوى التوجه فى زيارة سرية إلى موسكو فى يناير ١٩٧٠ لطلب مساهمة الروس فى الدفاع عن مصر.

ولم يتأخر الروس فى الاستجابة لطلب رئيس الجمهورية المصرية، وبدأوا فى إرسال بطاريات صواريخ مضادة للطائرات بأطقمها للعمل بمصر، مع وعد بتزويد مصر باحتياجاتها العسكرية من أسلحة الدفاع الجوى، وبهذه الخطوة ازدادت وطأة النفوذ السوفيتى فى مصر.

١٢- عملية إغارة بالنيران - ليلة ١٦-١٧ يناير ١٩٧٠:

فى الساعة السادسة والثلث من مساء يوم ١٦ يناير اخترقت أربع طائرات هليكوبتر المجال الجوى المصرى من منطقة رأس أبوالدرج، وعلى ضوء «راكية نار» أشعلها جاسوس من أهالى المنطقة هبطت ٣ طائرات غرب مواقع اللواء ١١٩ مشاة وطائرة أخرى جنوب علامة الكيلو ٨٩ طريق الزعفرانة - الكريمات، وعندما بدأت الدوريات الإسرائيلية فى إعداد الصواريخ للانطلاق تدخلت القوات المصرية فى أعمالها، مما اضطر الطائرات الأربع للعودة من حيث أتت. حيث خرجت من المجال الجوى فى الساعة الثانية إلا ربع بعد أن فشلت فى تنفيذ مهمتها.

١٣- الإغارة على منطقة الكاب - ١١-١٢ يونيو ١٩٧٠:

استخدم العدو القوات المنقولة بالزوارق عبر قناة السويس للهجوم على القوات الموجودة بمنطقة الكاب، وذلك ردا على الكمائن الناجحة التى نفذتها القوات المصرية فى هذ ا القطاع يوم ٣٠ مايو، وكان من نتيجتها وقوع خسائر كبيرة فى الأفراد و المعدات وأسر اثنين من أفراد المظلات. وقد بدأت العملية بقصف جوى مستمر للمنطقة استمر حوالى اثنى عشر يوما متتالية.

وعندما تقدمت القوة المهاجمة والمشكلة من سريتى استطلاع ومظلات فى حماية ١١ عربة نصف جنزير وأربع دبابات وعناصر مدفعية ميدان، ومدافع هاون، تم اكتشافها، واستمر القتال على الضفة الغربية لحوالى ساعة، اضطر

بعدها العدو إلى سحب قواته نظرا للخسائر الكبيرة التى لحقت به ولفشله فى الحصول على أسرى.

ومن رصد أعمال العدو خلال السنوات التى تلت معركة يونية ١٩٦٧، يمكن تبين أن عام ١٩٦٩ شهد ذروة من ذرى أعماله العسكرية، فقد نفذ ٣٥٠٠ طلعة جوية ضد القوات المصرية على امتداد خط المواجهة، فى حين قامت القوات الجوية المصرية بـ ٢٩٠٠ طلعة جوية منها طلعات لقصف أهداف أرضية وأخرى للاستطلاع، وخلال ٢٢ معركة جوية شاركت فيها ٢٤٠ مقاتلة، منها ١١٠ مصرية، ١٣٠ إسرائيلية، بلغت خسائر مصر ٢٣ مقاتلة، فى حين خسرت إسرائيل ١٤ مقاتلة، وكان هذا الرقم موضع دراسة متأنية وعميقة قامت بها قيادة القوات الجوية، وأسفرت الدراسة عن مجموعة حقائق منها:

١- أجادت قيادة العدو الجوية التخطيط لكمائن فى مناطق بعيدة عن نطاق مظلة الدفاع الجوى المصرى، وذلك باستخدام أسلوب استدراج مقاتلات بدفع مجموعة من القاذفات المقاتلة أو المقاتلات القاذفة بهدف الإغارة على أهداف مصرية.

وعندما تظهر هذه المجموعة المعادية من الطائرات على شاشات الرادار تصدر الأوامر بانطلاق المقاتلات لاعتراضها، فتهرب الطائرات المعادية بعيدا متجهة إلى منطقة الكمين، حيث المقاتلات الإسرائيلية فى انتظار المقاتلات الاعتراضية المصرية، وطوال هذه الفترة كانت طائرات الكمين تحلق على ارتفاعات منخفضة حتى لا تظهر على شاشات أجهزة الرادار المصرية، وبمجرد وصول المقاتلات الاعتراضية المصرية، تعترضها المقاتلات الإسرائيلية.

٢- كانت القيادة الجوية المعادية تعلم حقيقة مدى المقاتلات الاعتراضية المصرية من طراز ميج ٢١، وأنها لا تستطيع أن تظل محلقة فى الجو إلا لزمن محدود، بعده ينفذ وقودها، وتضطر للتخلص من الاشتباك للعودة إلى قواعدها، وعندما تحين هذه اللحظة تصبح المقاتلات صيدا سهلا. ولأن عملية إعداد الكمائن كانت تراعى اختيار مناطق بعيدة، لذا كانت عملية التخلص من الاشتباك والعودة للقاعدة تشكل مأزقا حقيقيا لطيارى المقاتلات.

٣- كانت إسرائيل تختار أفضل طياريها للاشتراك فى هذه الكمائن الجوية، فى حين كانت القيادة الجوية المصرية تدفع بالطيارين المستعدين فى طائراتهم للإقلاع، وذلك وفقا لجدول يحدد موعد خدمة الطيارين، وفى أحوال كثيرة يحلق بالطائرات المقاتلة طيارون قليلو الخبرة، لم يسجلوا ساعات طيران كثيرة، ولم يخوضوا تجارب تجعل منهم أندادا للطيارين الإسرائيليين المشتركين فى الكمائن، والذين لا تقل ساعات طيران كل منهم عن ١٠٠٠ ساعة، أى أنهم يدفعون للاشتباكات الجوية بأفضل العناصر، فى حين تدفع القيادة الجوية المصرية بالطيارين الذين عليهم الدور.

وبهذه الدراسة تبينت القيادة أن ارتفاع رقم خسائر القوات الجوية خلال الاشتباكات الجوية التى تمت خلال عام ١٩٦٩ يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية:

الأول: أسلوب القيادة الذى يدفع للاشتباكات طيارين قد لا تتوافر لهم الخبرات الكافية، بالإضافة إلى عدم قدرتها على اكتشاف أسلوب الكمائن الذى لجأت إليه القيادة الجوية الإسرائيلية.

الثانى: قلة خبرة عدد كبير من الطيارين خلال هذه الفترة من الصراع العربى الإسرائيلى ولنقل المصرى - الإسرائيلى، فمعظم هؤلاء الطيارين تم إعدادهم وتدريبهم بعد معركة يونية ١٩٦٧.

الثالث: تفوق المقاتلات الإسرائيلية على المقاتلات الروسية التى تعتمد عليها القوات الجوية المصرية. وهناك عنصر آخر، هو الموجهون الجويون، وتنطبق عليهم نفس القواعد التى تنطبق على الطيارين المقاتلين، فقد كانت مستويات الكفاءة تتفاوت فيما بينهم، وقد يحدث الاشتباك أثناء وجود موجهين لا تتوافر لهم الخبرات التى تؤهلهم للنجاح فى عملهم.

الفصل الثامن عشر
مبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية

بعد نكبة يونية ١٩٦٧فوض الرئيس جمال عبدالناصر الاتحاد السوفيتي باسم مصر للبحث عن مخرج أو حل سلمى فى المحافل الدولية سواء كانت مجلس الأمن أم الأمم المتحدة أم مع القوى المؤثرة عالميا، خاصة الولايات المتحدة، ولم يكن ذلك سوى نكبة ثانية للسيادة المصرية. وبسعادة استقبل القادة السوفييت القرار، وسرعان مابرزوا على المسرح العالمى كمفوضين عن مصر والرئيس المصرى. وأدى هذا التفويض تلقائيا إلى تكريس صورة مصر كدولة تدور فى الفلك السوفيتى.

ومرت السنوات دون أن يحدث أى تقدم نحو السلام أو نحو استعادة مصر لسيادتها على أرضها المحتلة فى سيناء. وخلال هذه السنوات تعاظم الدور السوفيتى فى مصر.

وكانت مصر تدرك أنها فى حاجة إلى الترسانة العسكرية السوفيتية لإعادة بناء قواتها بعد أن فقدت معظم ترسانتها الضخمة فى سيناء نتيجة قرار الانسحاب المفاجئ من سيناء. وهذا القرار الذى لا يوجد له نص مكتوب، أو خطة يجرى تنفيذها كما تقضى به العلوم والقواعد العلمية العسكرية، لم ينتج عنه سوى الانهيار والفوضى، وأدى إلى ترك القوات المنسحبة لكل أسلحتها ومعداتها وذخائرها من ورائها وهى تنسحب للوصول إلى غرب قناة السويس.

وعندما وصل إلى القاهرة وفد عسكرى سوفيتى رفيع المستوى برئاسة المارشال زخاروف رئيس الأركان السوفيتى للوقوف على الأسباب الحقيقية للهزيمة، وجدها فرصة سانحة ليسخر من القيادة المصرية، ويضع الملح فوق جروحها. وبعد أن طرح عبدالناصر مطالبه العسكرية الجديدة، رد عليه متهكما إن الاتحاد السوفيتى ليس على استعداد لإمداد مصر بسلاح جديد كترانزيت، وهو يعنى أن مصر مجرد ترانزيت قبل أن ينتقل السلاح إلى أيدى الإسرائيليين. وابتلع عبدالناصر الإهانة، إلا أن مرارتها ظلت فى حلوق كل من عرف بها من القادة والضباط والمواطنين المدنيين.

ولم يحاول القادة الذين حضروا هذا اللقاء الاحتفاظ بما سمعوه سرا، بل نقلوه لآخرين، ويوما بعد يوم اتسعت الدائرة.

وعلى امتداد مناطق انتشار القوات المسلحة من ١٩٦٧، حتى ما قبل منتصف عام ١٩٧٠، تعددت أخطاء الخبراء والمستشارين السوفييت السياسية والعسكرية والأخطر الدينية. ومع كل خطأ ترتفع درجة الغضب والسخط، لكن غضب عبدالناصر من السوفييت، بلغ مداه فى هذه الفترة من جراء مماطلة السوفييت فى تلبية احتياجات مصر العسكرية لمواجهة الضغوط المستمرة لإسرائيل لإحراجه أمام الجيش والشعب، بالعمليات العسكرية المتوالية فى عمق مصر الذى كان مكشوفا، والتى ازدادت كثافتها طوال عام ١٩٦٩.

ورأى عبدالناصر أن حماية العمق المصرى لن يتحقق إلا بالاستعانة بقوات دفاع جوى سوفيتية ، فما كان منه إلا أن قام بزيارة سرية فى يناير ١٩٧٠ لإنجاز هذه المهمة، و استجابت القيادة السوفيتية لمطلب عبدالناصر. وبدأت الوحدات السوفيتية فى الوصول واحتلال مواقعها المخططة، وبوصول هذه القوات الجديدة تحول السوفييت إلى قوة احتلال، وكانت النتيجة التالية، اقتناع الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة أن مصر قد تحولت بالكامل إلى منطقة نفوذ للسوفييت. وبعد أن حصل القادة السوفييت على هذا الكسب السياسى والعسكرى الكبير، تقاعسوا عن تنفيذ باقى بنودالاتفاق العسكرى الذى تم خلال تلك الزيارة السرية التى قام بها عبدالناصر.

وكان من أهم بنود الصفقة إمداد مصر بقواعد صواريخ مضادة للطائرات من طراز سام٣ بأطقم سوفيتية للدفاع عن العمق المصرى، وقوات روسية لحماية مواقع قوات الدفاع الجوى الروسية مع الالتزام بتدريب المصريين على إدارة وتشغيل هذا الطراز المتطور من الصواريخ. وقد بدأت هذه الصواريخ فى الوصول إلى مصر مع بداية مارس ١٩٧٠، وبدأ الموقف الدفاعى لمصر فى التحسن، وعندما علم الإسرائيليون بذلك توقفت غاراتهم الجوية فى العمق المصرى.

وتعهد السوفييت بالبدء فى إرسال أول سرب من القاذفات بعيدة المدى من طراز تيبلوف ١٦ اعتبارا من أول إبريل١٩٧٠. وكانت القيادة المصرية قد تبينت حاجة مصر لامتلاك قاذفات مقاتلة بعيدة المدى يمكنها قصف أهداف داخل إسرائيل، بعد أن بدأت القاذفات المقاتلة الإسرائيلية من طراز فانتوم وسكاى هوك فى قصف أهداف بالعمق المصرى.

وأدرك عبدالناصر أن وصول مثل هذا النوع من القاذفات المقاتلة سيعيد صياغة توازن القوى بين مصر وإسرائيل بعد أن اختل لصالح إسرائيل، وبالتالى توقف غاراتها الجوية على أهدافا فى العمق المصرى.

ونتيجة هذا الإدراك بدأ فى مطالبة القادة السوفييت بسرعة إمداد مصر بهذا النوع من القاذفات المقاتلة، إلا أن السوفييت واصلوا نهجهم المعهود فى إنكار وجود مثل هذا النوع من القاذفات لديهم، وتحولت المطالبة المصرية إلى إلحاح، ولم يغير السوفييت أسلوبهم بالرغم من الخسائر التى تعرضت لها مصر من جراء الغارات الجوية الإسرائيلية، وبالرغم من علمهم بحقيقة الموقف، سواء من تقارير الخبراء والمستشارين السوفييت فى مصر أم من المفاوضين المصريين. وأخيرا وخلال الزيارة السرية لعبدالناصر فى يناير ١٩٧٠، وافقوا على إمداد مصر بقاذفات من طراز تيبلوف ١٦ وبعد دراسة مواصفات هذه القاذفة تبين للجانب المصرى أنها لا يمكن أن تكون ندا للفانتوم لبطئها وثقلها، إلا أن امتلاك القوات الجوية المصرية لها أفضل من رفضها. وعندما حل شهر إبريل ١٩٧٠، كانت القوات قد استعدت لاستلام هذه الطائرات.

ومع بداية شهر إبريل سألت القيادة السياسية موسكو عن موعد وصول الطائرات، إلا أنها لم تتسلم ردا. وتوالت المماطلات السوفيتية، وضاق عبدالناصر بالأمر، أو فلنقل بلغ به الضيق مداه. وقد دفعه هذا الضيق لمحاولة فتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة.

وعندما جاء الأول من مايو، موعد الاحتفال بعيد العمال، ركز عبدالناصر فى كلمته بهذه المناسبة على العلاقات مع أمريكا، بل ووجه رسالة مباشرة إلى الرئيس نيكسون، حيث سأله عما إذا كان غير قادر على حل المشكلة مع إسرائيل، أم أنه غير راغب فى ذلك؟

وبدا واضحا للمراقبين أن عبدالناصر يسعى لفتح باب الحوار مع أمريكا، فقد خلى الخطاب الذى ألقاه من العنف والسباب المعهودين، وهو يتحدث عن المواقف والسياسات الأمريكية.

والأهم أنه تحدث بلهجة ودية ورقيقة، وجاء الرد الأمريكى على شكل مبادرة تقدم بها وزير الخارجية وليام روجرز، وبدأ الحوار بين القاهرة وواشنطن، أو فلنقل تجدد الحوار بينهما.

فبعد أن تسلم الرئيس ريتشارد نيكسون مسئولياته اعتبارا من يناير ١٩٦٩، على رأس إدارة جمهورية، برز اسم هنرى كسينجر كمستشار للأمن القومى، وتولى وليام روجرز منصب وزير الخارجية. وكانت لوزارة الخارجية الأمريكية بعض المواقف المنصفة للعرب، حتى تلك المرحلة كان المسئولون عن الشرق الأوسط بالوزارة يطالبون الإدارة الأمريكية بانتهاج موقف عادل من الصراع العربى - الإسرائيلى، وتحمل مسئولية دور فعال ومؤثر بهدف التوصل لتسوية سياسية استنادا إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧.

وفى التاسع من ديسمبر عام ١٩٦٩، قدم روجرز وزير الخارجية أول مبادرة للسلام فى الشرق الأوسط اعتمد فيها على القرار ٢٤٢، واقترح عودة القوات الإسرائيلية إلى الحدود مع بعض التعديلات التى تقتضيها اعتبارات الأمن.

ولم تتجاهل المبادرة قضية اللاجئين الفلسطينيين. وقد أدت المبادرة إلى إصابة المسئولين الإسرائيليين بالاضطراب خشية تغير موقف الإدارة الأمريكية من الصراع. وكان على الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة جولدا مائير أن تتحمل مسئولية مواجهة الولايات المتحدة والمبادرة التى تقدم بها وليام روجرز. وهذه الحكومة أتت بها الانتخابات التى جرت فى إسرائيل يوم ٢٨ أكتوبر عام ١٩٦٩، أى قبل انطلاق المبادرة بحوالى ٦ أسابيع.

وقد تأثرت نتيجة هذه الانتخابات بمعارك الاستنزاف وأوضحت عمليات فرز الأصوات مدى عمق انقسام الرأى العام الإسرائيلى، حيث لم يتمكن حزب من الفوز بالأغلبية أو بالنسبة الكافية من الأصوات لتشكيل حكومة حزبية، وهكذا اضطرت جولدا مائير إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية.

وكان التحدى الأول للحكومة، هو مشروع السلام الأمريكى الجديد. ويوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩، قدمت جولدا مائير حكومتها الجديدة إلى الكنيست، وانتقت تلك المناسبة لإطلاق أول هجوم على مبادرة روجرز، وأصيبت العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية بالتوتر.

وعندها قام تشارلز يوست مندوب أمريكا الدائم بالولايات المتحدة بزيارة إسرائيل يوم ١٨ ديسمبر، حاملا معه مجموعة أفكار عامة حول التسوية المقترحة بين الأردن وإسرائيل، وفقا لمبادرة روجرز تتضمن انسحاب إسرائيل من معظم أراضى الضفة الغربية لنهر الأردن، وتشكيل إدارة أردنية للقدس الشرقية وتسوية مشكلة اللاجئين، أخبرته جولدا مائير أن هذه المبادرة كارثة لإسرائيل، وأمرت بشن حملة مضادة للمبادرة فى أوساط الإدارة الأمريكية والقوى السياسية المؤثرة والرأى العام الأمريكى، وطالبت كل أنصار إسرائيل فى كل أنحاء الولايات المتحدة بالاشتراك فى هذه الحملة.

وأعلنت إسرائيل رسميا يوم ٢٢ ديسمبر رفضها لكل المقترحات الأمريكية، وقال مجلس الوزراء الإسرائيلى فى بيان الرفض الذى أصدره إنه إذا تم تنفيذ هذه المقترحات، فإن الأمن والسلام الإسرائيليين يتعرضان لخطر داهم. ومع أن

إسرائيل رفضت المبادرة وقتلت بذلك أول محاولة أمريكية جادة لتسوية الصراع العربي - الإسرائيلي، إلا أن كل من مصر وإسرائيل أدركتا أن هناك روحا جديدة بالإدارة الأمريكية.

وتوقعت مصر أن تلجأ إسرائيل لتصعيد العمليات العسكرية، عقب رفض المبادرة الأمريكية، و فعلا عادت القوات الإسرائيلية بقوة إلى معارك الاستنزاف. وكان منطقيا أن تتجه مصر إلى تصعيد حجم العمليات والنشاط العسكرى على امتداد خط المواجهة. وتبدأ إسرائيل فى تنفيذ عمليات إغارة جوية على أهداف بعمق مصر. وكان واضحا أن الهدف من هذه العمليات يتمثل فى محاولة تخفيف الضغط العسكرى على منطقة القناة، ودفع مصر إلى بعثرة قواتها بدلا من تركيزها على خط المواجهة، ومحاولة الحيلولة دون القيادة المصرية والتفكير أو التخطيط لمعركة شاملة أو لعمليات واسعة النطاق.

ولم يكن خافيا أن هذه العمليات تحمل فى طياتها رغبة إسرائيل فى إبراز قوة الجيش الإسرائيلى وقدرته على الردع، خاصة إذا ما استخدم ذراعه الطويلة، أى قواته الجوية، ضد أى أهداف فى عمق مصر لا تتمتع بحماية جوية كافية. وبخلاف هذه الأهداف العسكرية كانت هناك أهداف سياسية وسيكولوجية، منها تحطيم معنويات الجيش المصرى، وكشف عجزه عن حماية بلده، وزعزعة ثقة المصريين فى قيادتهم العسكرية والسياسية، وتوسيع فجوة عدم الثقة بين المواطنين والقيادة السياسية، وعندما وصلت الأمور إلى هذا المدى، اتجه عبدالناصر للسوفييت لحمايته وحماية نظامه وحماية عمق مصر من الغارات الجوية الإسرائيلية.

وقد نفذت إسرائيل غارتها الأولى بالعمق المصرى يوم ٧يناير ١٩٧٠، أما الأخيرة فتمت يوم ١٣ إبريل. فى غضون تلك الفترة التى امتدت لأكثر من ٤ أشهر، قامت المقاتلات القاذفة الإسرائيلية من طراز فانتوم بتنفيذ ٣٣٠٠ غارة جوية، وألقت ما يقترب من ٨٠٠٠ طن من القنابل على أهداف داخل مصر وبالقرب من القاهرة.

وأدى وصول القوات السوفيتية إلى كبح جماح إسرائيل، مما اضطرها إلى وقف هجماتها الجوية. وفى منتصف إبريل عام ١٩٧٠، توقفت الغارات الجوية، وإن استمرت معارك الاستنزاف بمنطقة القناة.

وشهد يوم ١٨ إبريل متغيرات جديدة أدت و ساعدت عليه عوامل كثيرة، فخلال هذا اليوم اشتبكت مقاتلات سوفيتية من طراز ميج ٢١ يقودها طيارون سوفييت فى معركة جوية فوق منطقة القناة مع مقاتلات قاذفة إسرائيلية، وأسفرت المعركة عن إسقاط ٥ مقاتلات سوفييتية وإعطاب السادسة.

ولم يخف الطيارون المصريون شماتتهم فى الطيارين السوفييت، فطوال الفترة التى سبقت ذلك، كان المستشارون والخبراء السوفييت يتهمون الطيارين المصريين بعدم الكفاءة ونقص الخبرة، ويتهمون أجهزة القيادة الجوية بالعجز وعدم القدرة على قيادة وإدارة العمليات الجوية، وكانوا ينفون وجود أى نقص فى كفاءة المقاتلات السوفيتية من طراز ميج -٢١، ويقولون إنها الأفضل بشرط أن يقودها طيارون أكفاء.

وقد دفعت الأخطار التى أحدقت بالمنطقة على ضوء ما يجرى من تصعيد، ولهجة عبدالناصر المعتدلة فى الخطاب الذى ألقاه بمناسبة الاحتفال بعيد العمال فى الأول من مايو ١٩٧٠، الإدارة الأمريكية للتفكير فى خطوة جديدة. وفى التاسع عشر من يونيه ١٩٧٠، قدم وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى مبادرة ثانية هى مبادرة روجرز ب أو B .

وكان الرئيس عبدالناصر بعد خطابه الودى تجاه أمريكا فى الاحتفال بعيد العمال فى الأول من مايو ١٩٧٠، وبعد طرح المبادرة الأمريكية لتسوية أزمة الشرق الأوسط قد رأى أن يستمع إلى رأى رئيس الأركان فى هذه المبادرة، وعما إذا كان من الأفضل قبولها أو رفضها.

وخلال استقباله له بمكتبه بمنزله بمنشية البكرى أوضح له الأسباب التى تدعو لرفض المبادرة من وجهة النظر العسكرية، ومن هذه الأسباب ضرورة استمرار الضغط على القوات الإسرائيلية بسيناء حتى لا يتحول خط وقف

إطلاق النار إلى خط دائم ولكى تستمر الخسائر البشرية الإسرائيلية بكل ما تشكله من ضغوط على أعصاب المجتمع الإسرائيلى، باعتبار أن هذه الخسائر هى أشد ما يسبب الأوجاع للإسرائيليين، كما أن استمرار معارك الاستنزاف يعنى استمرار التوتر، واستمرار الضغوط التى تعيش تحتها القيادة الإسرائيلية وضرورة استمرارها فى دعم قواتها فى سيناء بنسبة من قوات الاحتياط، بما يؤثر على حيوية الاقتصاد الإسرائيلى ويعرقل نموه.

وأكد أن معارك الاستنزاف قد رفعت من معنويات القوات المصرية المسلحة ككل خاصة القوات الموجودة على امتداد خط المواجهة، ودعمت ثقتها بنفسها، وأكدت لها قدرتها على إلحاق خسائر مادية وبشرية بقوات العدو، والأهم قدرتها على العمل بكفاءة تحت ضغط العمليات العسكرية الإسرائيلية. وبالرغم من الخسائر المصرية المادية والبشرية فإن الاستمرار فى دفع هذا الثمن، أمر مقبول للحفاظ على الكفاءة القتالية للقوات المسلحة والعمل على رفع مستوياتها باستمرار.

وعندما سأل عبدالناصر عما إذا كانت القوات المسلحة فى حاجة لفترة لالتقاط الأنفاس حتى تتمكن من بناء حائط الصواريخ بالجبهة، وبما يؤهلها لمواجهة العدو الجوى، أوضح له إمكانية بناء هذا الخط الدفاعى تحت ضغط العدو، بل إن بناءه تحت الضغط المعادى يعد أفضل اختبار للقيادة العسكرية ولقوات الدفاع الجوى وللقوات الموجودة بالجبهة وللمهندسين العسكريين، ولشركات المقاولات وباقى القطاعات المدنية المعنية.

وظل عبدالناصر يسأل ويتساءل ورئيس الأركان يرد على أسئلته وتساؤلاته بما يؤكد تفضيل القوات المسلحة استمرار معارك الاستنزاف.

وفى نهاية اللقاء أعلن عبدالناصر أنه ينوى قبول المبادرة نتيجة تقاعس الروس عن إمداد مصر بسلاح قادر على ردع إسرائيل ومنعها من الإغارة على أهداف فى عمق مصر، كما قال إنه يريد أن يكشف حقيقة الموقف الأمريكى بعد أن تبين حرص الروس على استمرار الموقف كما هو، وأوضح أن الأمريكيين

يمكنهم إذا ما رغبوا دفع المنطقة إلى تسوية نهائية للصراع العربى - الإسرائيلى، وأنه سيحاول اكتشاف الثمن المطلوب لمثل هذه التسوية.

وتعمد عبدالناصر تجاهل السوفيت ولم يخطرهم بالحقيقة خلال هذه المرحلة، وعندما تساءل القادة السوفييت عما يجرى بين مصر وأمريكا وعن حقيقة المبادرة، وما يدور لجأ إلى مراوغاتهم. واتسعت دائرة الاتصالات والحوار بين القاهرة وواشنطن، وأقدم الرئيس الأمريكى نيكسون على خطوة رئيسية عندما نصح جولدا مائير بعدم رفض المبادرة أو على الأقل ألا تكون البادئة بالرفض.

وتضمنت المبادرة الأمريكية نقطتين أساسيتين أولاهما عن وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوما والثانية عن الانسحاب. وخلال فترة وقف إطلاق النار يجرى وسيط من الأمم المتحدة مفاوضات بين الأطراف المعنية من أجل التوصل لتسوية مقبولة تنهى الأزمة.

وفى أعقاب إعلان المبادرة تقرر سفر عبدالناصر لموسكو للزيارة والعلاج بعد أن ساءت حالته الصحية بشكل ملحوظ إن لم نقل يثير القلق، فقد بدأ مرض السكر البرونزى ينهش جسده المنهك، وازدادت حالة القلب سوءا.

وخلال هذه الزيارة التى استمرت ٢٠ يوما أعلن عبدالناصر على مائدة المفاوضات وفى مواجهة كل الزعماء السوفييت قبوله لمبادرة روجرز. وكان منطقيا أن يثير ذلك غضب القادة السوفييت، وأن يسألوه عن الأسباب التى دفعته لقبول حل أمريكى. ولم يشأ عبدالناصر أن يعيد ما سبق أن شكا منه من مماطلات وعدم التزام بتنفيذ الاتفاقيات الموقعة، ومن تجاهل لاحتياجات مصر العسكرية، خاصة بعد أن فتح لهم الباب لنشر نفوذهم لا فى العالم العربى فقط، بل وفى القارة الإفريقية. كل ذلك بالإضافة إلى وجود الآلاف من الشيوعيين المصريين فى المواقع المؤثرة بالتنظيم السرى الذى أنشأه عبدالناصر، وبالاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة ومجلس الوزراء وبوسائل الإعلام المختلفة.

لقد ظل عبدالناصر يتحمل المماطلات والمضايقات والإهانات، ولم يمل من الصبر على أمل أن يحصل منهم على احتياجات مصر العسكرية، وعلى ما يساعد مصر على مواجهة الصلف الإسرائيلى، ومخططات إحراجه وإظهاره بمظهر العاجز أمام الجيش والشعب حتى وصل إلى اقتناع أن السوفييت اختاروا هذا النهج، ولن يحيدوا عنه، وربما طاف بذهنه أنهم يحققون أهدافهم باستغلال الظروف التى تمر بها مصر، وأن تغير هذه الظروف لن يكون فى مصلحتهم، لذا فإنهم يتعمدون استمرار الاحتلال الإسرائيلى لسيناء، وإبقاء القوات المسلحة عاجزة عن العمل بالاحتفاظ بالتوازن العسكرى مختلا لصالح إسرائيل.

فالسوفييت يتعمدون زيادة عمق الشروخ التى أصابت المجتمع المصرى ويعملون على رفع درجة التوتر، ذلك التوتر الذى فجر مظاهرات الطلبة فى فبراير ١٩٦٨ لأول مرة منذ منتصف الخمسينيات، لأن مثل هذا المناخ يساعدهم ويساعد الشيوعيين فى مصر على توسيع مساحة نفوذهم ومضاعفة درجة تأثيرهم.

وربما اكتشف أخيرا أن علاقته الوثيقة بالسوفييت وما أدت إليه من قطع علاقاته مع دول الكتلة الغربية خاصة الولايات المتحدة قد حرمته من القدرة على المناورة فى علاقاته بها.وكانت النتيجة التى انتهى إليها عبدالناصر هى قبول مبادرة روجرز، وبدء حوار مع الولايات المتحدة.

وربما كان هذا القرار، وهذا التوجه إلى الولايات المتحدة من الأسباب الرئيسية التى أودت بحياة عبدالناصر، وكان عبدالناصر قد بدأ يعيد حساباته خارجيا وداخليا، وفى النهاية استقر رأيه على إسناد مسئوليات رئيسية لعبداللطيف بغدادى، مما أثار مخاوف السوفييت ورجالهم فى مصر.

وفى الوقت الذى كان عبدالناصر يعلن فيه قبول مبادرة روجرز، كان أنور السادات نائب رئيس الجمهورية يجمع اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى لتوصى برفض المبادرة. ولم يكتف السادات بذلك، بل طاف بعض محافظات مصر ليعلن هذا الرفض، متصورا أن ما أقدم عليه سيسعد عبدالناصر ويدعم

مكانته عنده. أما الفلسطينيون، فقد شنوا حملة شرسة على عبدالناصر بمجرد أن علموا بقبوله مبادرة روجرز، وكانوا فى ذلك على خطأ فادح، فلولا عبدالناصر الذى قدم ياسر عرفات للقادة السوفييت، ما احتلوا مكانتهم على الساحة الدولية، وما تمكنوا من الاستناد إلى قوة عظمى تمثل إحدى القوتين العظميين فى عالمنا المعاصر.

والمثير للدهشة أن أحدا من قادة المنظمات الفلسطينية لم يتوقف ليسأل عبدالناصر عن أسباب قبوله مبادرة روجرز قبل أن يقعوا فى خطأ أو فى حماقة الهجوم عليه، ولو أن أحدا منهم سأله واستمع إليه فلربما اقتنع أو على الأقل أدرك حقيقة الأسباب والدوافع والأهداف حتى إذا لم يقتنع، ثم تحول للهجوم بعد أن يشرح الموقف الفلسطينى أو حتى موقف المنظمة التى يقودها، لما اجتاح الألم عبدالناصر بهذه الدرجة التى اجتاحته وهو يتابع هجوم الفلسطينيين عليه واتهامه بالخيانة وبالترهل والعجز عن تحمل مسئولياته القيادية.

وتلقى عبدالناصر واحدة من أخطر الطعنات فى حياته على أيدى القيادات الفلسطينية، وأصيب فى كبريائه على أيدى من بذل غاية فى الجهد للدفاع عنهم وعن قضيتهم، واستهلك من صحته المعتلة الكثير لتمكينهم من الاستمرار على الساحة فى ظل مناخ متوتر وساحة محتشدة بالأعداء. وكانت صحة عبدالناصر قد بدأت تعرف الاضطراب بعد الانقلاب العسكرى السورى الذى طوى صفحة الوحدة المصرية - السورية فى سبتمبر ١٩٦١.

وتطور المرض بشكل درامى على ضوء نكبة يونية ١٩٦٧، ولم يتمكن الأطباء المعالجون من السيطرة على مرض السكر الذى أفلت من كل سيطرة إلا فى نوفمبر ١٩٦٧، وبعد أن تمكن من التأثير بشكل قوى على الجسد المنهك للرئيس. وكان الأمل أن يتمكن الأطباء السوفييت من علاجه من الأمراض، ومن الآلام المبرحة، خاصة عندما توجه إلى مصحة تسخالطوبو بالاتحاد السوفييتى ليخضع لبرنامج علاجى تحت إشراف فريق طبى روسى بقيادة شازوف الطبيب الخاص للزعماء السوفييت.

المهم أن الرئيس عبدالناصر أعلن عن قبوله مبادرة روجرز فى أثناء وجوده فى موسكو، وفى مواجهة الزعماء السوفييت، فى حين كان أنور السادات نائب رئيس الجمهورية وباقى أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى يتحركون وكأن مصر سترفض هذه المبادرة لا محالة. ولم يكن أى من هذه القيادات على علم بحقيقة موقف عبدالناصر، ولا بالنتائج التى استخلصها وهو يعيد تحليل مواقف الاتحاد السوفييتى.

ولم يعلم أى من هؤلاء الناس حقيقة موقف مصر إلا بعد عودة الرئيس من الاتحاد السوفييتى. وظل الرأى العام فى انتظار إعلان موقف مصر من مبادرة روجرز إلى أن حل موعد الاحتفال بيوم ٢٣ يوليو. وخلال الاحتفال أعلن الرئيس عبدالناصر عن قبول مصر للمبادرة الأمريكية. وبعد ذلك بثلاثة أيام، أى يوم ٢٦ يوليو أعلن الأردن عن قبوله للمبادرة. أما سوريا والفلسطينيون فقد أعلنوا عن رفضهم للمبادرة. وترتب على قبول المبادرة تغير فى علاقات الأطراف ببعضها البعض.

وبدأت أطراف كثيرة تتحسب من عودة الولايات المتحدة لممارسة دور رئيسى فى المنطقة عبر البوابة المصرية وبموافقة وقبول من عبدالناصر الذى سبق أن شن أعنف الحملات الهجومية ضد الولايات المتحدة وسياساتها ودورها كقوة إمبريالية متحالفة مع الصهيونية العالمية. وعندما أعلنت كل من مصر والأردن قبولهما للمبادرة أرسل الرئيس نيكسون يوم ٢٤ يوليو رسالة إلى رئيسة وزراء إسرائيل يوضح فيها أن الحدود النهائية للدول المشتبكة فى الصراع ستتحدد على ضوء نتائج المفاوضات بين الأطراف المختلفة وتحت مظلة المبعوث الدولى يارنج.

كما تعهد فى هذه الرسالة بأن الولايات المتحدة لن تمارس أية ضغوط على إسرائيل لقبول حل مشكلة اللاجئين، وأن انسحاب القوات الإسرائيلية مرتبط بالتوصل إلى اتفاقيات سلام. وهذه الرسالة أفرغت مبادرة روجرز الأولى من مضمونها، والتى كانت أكثر إنصافا للأطراف العربية، وبالتطمينات التى قدمتها

لإسرائيل لقبول المبادرة الثانية، أسهمت في دعم الموقف الإسرائيلي على حساب المواقف العربية.

وعندما أعلنت إسرائيل قبولها للمبادرة أوضحت أنها تقبل منها ما يتعلق بوقف إطلاق النار، واستئناف مهمة يارنج. وبالرغم من أن رسالة نيكسون قتلت مبادرة روجرز الأولى، فإن إسرائيل لمزيد من الحرص أكدت من جديد رفضها لشروط المبادرة الأولى.

وانتهت المفاوضات والاتصالات وزيارات المسئولين من هنا وهناك إلى الاتفاق على وقف إطلاق النار، وتقرر أن يبدأ سريان وقف إطلاق النار مع بداية يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠، وانتهت بذلك رسميا معارك الاستنزاف. وعندما بدأ سريان وقف إطلاق النار ادعت إسرائيل أن مصر انتهكت بنود الاتفاقية وأقدمت على تحريك قواعد صواريخ الدفاع الجوى إلى الحد الأمامى لمنطقة القناة فى ظل هذا الادعاء أعلنت وقف مشاركتها فى المحادثات التى كانت على وشك أن تبدأ تحت إشراف المبعوث الدولى يارنج.

وتتضمن المبادرة النقاط التالية:

أ - بين مصر وإسرائيل

أن إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة آخذتين بعين الاعتبار التزاماتهما بموجب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ المؤرخ تشرين الثانى «نوفمبر» ١٩٦٧ ومعبرتين عن استعدادهما لوضعه موضع التنفيذ بنية طيبة ومسلمتين بمبدأ عدم الاستيلاء على أراضى دولة عن طريق الحرب، ومعترفتين أيضا بضرورة إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط، حيث تتمكن وفقا لشروطه كل دولة فى هذه المنطقة من العيش فى أمان، توافقان على أن يعمل ممثلوها تحت إشراف السفير يارنج، من أجل التوصل دون تأخير إلى اتفاق نهائى ومتبادل وملزم بشأن طرق تنفيذ قرار مجلس الأمن المذكور لإقامة سلام عادل ودائم.

النقطة الأولى: أن الفريقين فى وصولهما إلى اتفاق نهائى «تعبر عنه الوثيقة أو الوثائق النهائية» لتسوية شاملة على أساس المبادئ الأساسية، يقرران قائمة

زمنية وطريقة لانسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من أراضى الجمهورية العربية المتحدة التى احتلت فى أثناء نزاع سنة ١٩٦٧، إلى حدود تحدد وفقا للنقطة الثالثة، كما توضع كذلك خطة متفق عليها للقيام بالمتبقى المتداخل لكافة نصوص قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

النقطة الثانية: تنتهى حالة الحرب والحرب القائمة بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة، وتقوم بينهما حالة سلام عادل، ويمتنع كل من الفريقين عن الأعمال التى تتنافى وحالة السلم وانتهاء حالة الحرب، وبوجه خاص:

١- لا تقوم القوات المسلحة أو قوات غيرها لأى من الفريقين البرية أو البحرية أو الجوية بأعمال عدوانية أو تهدد بالقيام بها شعبًا أو قوات الفريق الآخر.

٢- يتعهد كل من الفريقين بعمل كل ما فى طاقته لضمان عدم نشوب الأعمال العدوانية والحربية .

٣- يمتنع كل من الفريقين عن التدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى الشئون الداخلية للفريق الآخر، لأى سبب سياسى أو اقتصادى أو أية أسباب أخرى.

٤- يؤكد الفريقان أنهما، فى علاقتهما ببعضهما، سوف يسترشدان بالمبادئ المنصوص عليها فى المادة ٢ فقرة ٣و٤ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

النقطة الثالثة: يتفق الفريقان على وضع حدود بينهما آمنة ومعترف بها ترسم على خريطة أو خرائط مصدقة من الفريقين، تصبح جزءا من الاتفاق النهائى وفى ضوء ما يشتمل عليه اتفاق السلام من أشياء أخرى، بما فى ذلك الاتفاق بين الفريقين على إقامة مناطق منزوعة السلاح، واتخاذ الترتيبات الأمنية العملية فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران، واتخاذ الترتيبات الأمنية العملية، وإنهاء قضية غزة بصورة نهائية، وتكون الحدود الدولية السابقة بين مصر والسلطة المنتدبة على فلسطين هى الحدود الآمنة والمعترف بها بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة.

النقطة الرابعة: ولأغراض تأكيد حرية حدود أراضى الفريقين، ولضمان أمن وسلامة الحدود المعترف بها يعمل الفريقان متبعين الإجراءات المبينة فى الفقرة الأخيرة من المقدمة لهذه الوثيقة على التوصل إلى اتفاق على:

١- المناطق التى ستكون منزوعة السلاح والإجراءات التى تضمن ذلك.

٢- الإجراءات الأمنية العملية فى منطقة شرم الشيخ التى تضمن حرية الملاحة فى مضايق تيران.

٣- الإجراءات الأمنية العملية بشأن إنهاء موضوع غزة.

النقطة الخامسة: يتفق الفريقان، ويصدق مجلس الأمن:

١- أن مضايق تيران طرق مائية دولية.

٢- أن مبدأ حرية الملاحة لسفن جميع البلدان بما فى ذلك إسرائيل ينطبق على مضائق تيران وخليج العقبة.

النقطة السادسة: أن الجمهورية العربية المتحدة فى ممارستها السيادة على قناة السويس لتؤكد أن لسفن جميع الأمم، بما فى ذلك إسرائيل الحق فى حرية الملاحة دون تمييز أو تدخل.

ومن المفهوم أن الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وبين إسرائيل، سيكون متوازيا مع الاتفاق بين الأردن وإسرائيل، ويشتمل على اتفاق على حل عادل لمشكلة اللاجئين، ويبدأ وضع الاتفاقين موضع التنفيذ فقط بعد التوصل إلى الاتفاق المشار إليه.

النقطة الثامنة: تتفق الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل اتفاقا متبادلا على احترام السيادة، وسلامة الأراضى وحرمتها والاستقلال السياسى، وحق كل منهما فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وخالية من التهديد وأعمال القوة.

النقطة التاسعة: يسجل الاتفاق النهائى فى وثيقة توقع من قبل الطرفين وتودع فورا فى الأمم المتحدة. وبعد إيداع هذه الوثيقة يطلب إلى السكرتير العام للأمم المتحدة من قبل الفرقاء أن يخبر مجلس الأمن بذلك، وعند تنفيذ شروط الاتفاق النهائى يكون مفهوما من قبل الفرقاء بأن التزامات كل طرف متبادلة ومترابطة، وينص الاتفاق النهائى على أن نكثا أساسيا للاتفاق النهائى من قبل

فريق يعطى الحق للفريق الآخر بأن يتخذ من هذا النكث سببا لتوقفه عن القيام بالتزاماته كليا أو جزئيا إلى أن يعالج النكث ويزال.

النقطة العاشرة: يتفق الفريقان على أن يقدم الاتفاق النهائى إلى مجلس الأمن للتصديق عليه. ومن المفهوم أن فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ستقدم وتؤيد قرارا من قبل مجلس الأمن. وتتعهد بأن توحد جهودها المقبلة لمساعدة الفرقاء على الالتزام بتنفيذ جميع نصوص الاتفاق النهائى أو الاتفاقات النهائية.

ب- بين الأردن وإسرائيل

طبقا لالتزاماتهما بميثاق الأمم المتحدة، وتأكيدا لالتزامهما بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثانى ١٩٦٧، وتعبيرا عن استعدادهما لتنفيذه بحسن نية فى كل بنوده. واعترافهما بضرورة إقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط، يكون لكل دولة فى هذه المنطقة بموجب بنوده العشرة العيش بأمان.

يتفقان على أن يقوم ممثلاها تحت إشراف السفير يارنج باتباع الأساليب التى استخدمها الأطراف فى محادثات رودس سنة ١٩٤٩ للمباشرة دون تأخير. مبتدئين على أساس البنود التالية لتحقيق اتفاق نهائى ملزم للطرفين على الخطوات لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ تشرين الثانى «نوفمبر» ١٩٦٧ لإقامة سلام عادل نهائى فى المنطقة.

النقطة الأولى: يقوم الطرفان بالتوصل لاتفاق نهائى فى ميثاق أو مواثيق نهائية، إلى حل شامل لكافة القضايا المعلقة على أساس المبادئ العامة المذكورة ويقرر الطرفان:

١- جدول أعمال.

٢- أصول لانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى الأردنية التى احتلت خلال النزاع فى ١٩٦٧ إلى حدود ترسم ويتفق عليها طبقا للنقطة الثالثة، ووفقا لمخطط متفق عليه لتنفيذ كل البنود الأخرى المعلقة من قرار مجلس الأمن.

٣- إنهاء حالة الحرب والعداء بين إسرائيل والأردن، وإقامة حالة رسمية من السلام بينهما ستمتنع كل من الطرفين من القيام بأية أعمال مناقضة لحالة السلام، خاصة الامتناع عن القيام بأى عمل عدوانى، أو التهديد بالقيام بعمل عدوانى من قبل القوات المسلحة وغيرها من القوى الأخرى البرية والبحرية والجوية لأى من الطرفين ضد الشعب أو القوات المسلحة للطرف الآخر.

النقطة الثانية: يتعهد الطرفان بأن يقوما بكل ما فى وسعهما لتأمين عدم القيام بأى أعمال عدوانية أو كراهية سواء من أجهزة الدولة أو الموظفين أو الأشخاص العاديين فيها، أو المنظمات، تنطلق أو تباشر من أراضى كل منهما.

- يمتنع الطرفان عن التدخل المباشر، أو غير المباشر فى الشئون الداخلية للطرف الآخر لأى سبب سياسى أو اقتصادى... إلخ.

- ينطلق الطرفان فى علاقاتهما مع بعضهما البعض مسترشدين بالمبادىء الموجودة فى المادة الثانية فقرة ٣ و ٤ من ميثاق الأمم المتحدة.

النقطة الثالثة: يتفق الطرفان على تعيين حدود آمنة ومعترف بها بينهما تظهر على خارطة أو خرائط يوافق عليها الطرفان، وتصبح فيما بعد جزءا من الاتفاق النهائى فى إطار السلام، آخذين بعين الاعتبار الاتفاق بين الطرفين على:

١- إقامة مناطق منزوعة السلاح.

٢- ترتيبات أمنية عملية.

٣- وضع القدس والترتيبات النهائية المتعلقة بها.

وتكون الحدود الآمنة المعترف بها أقرب ما يكون إلى خطوط الهدنة باستثناء ما ورد فى النقطة الرابعة، والتغيرات التى يتفق عليها من الطرفين لأسباب أمنية أو إدارية أو مصلحة اقتصادية.

النقطة الرابعة: يقوم الأردن وإسرائيل بالعمل على التوصل إلى اتفاق حول وضع مدينة القدس وحول الترتيبات النهائية بما فيها الحدود البلدية المتعلقة بالمدينة الموحدة. ويتفق الطرفان على الوصول إلى وضع ينطلق من المبادئ التالية:

١- يجب أن تكون مدينة موحدة بحيث لا يوضع أى قيد على حرية تنقل الأشخاص أو البضائع فيها.

٢- يجب ألا يكون هناك أى قيد لحرية الوصول إلى المدينة الموحدة لأى شخص من أية ملة أو جنسية.

٣- إن الترتيبات الإدارية للمدينة الموحدة يجب أن تراعى مصالح جميع سكانها، ومصالح الطوائف اليهودية والإسلامية والمسيحية العالمية. وأن يضمن لحكومتى إسرائيل والأردن دورهما فى الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة.

النقطة الخامسة: يشارك الأردن فى العمل للوصول إلى حل لقضية قطاع غزة طبقا للنقطة الرابعة من المبادئ من الاتفاق بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة.

النقطة السادسة: عدم انتهاك حرمة أراضى أى من الطرفين، ولضمان الحدود المعترف بها، يقوم الطرفان باتباع النصوص المذكورة فى آخر بند إجرائى فى هذه الوثيقة، للعمل من أجل اتفاق على مناطق منزوعة السلاح والخطوات الكفيلة لضمان نزع السلاح عنها، والإجراءات الأمنية الفعالة الأخرى.

النقطة السابعة: يتفق الطرفان ويؤكد مجلس الأمن:

١- أن مضايق تيران ممر دولى.

٢- مبدأ حرية الملاحة لسفن كل الدول بما فيها إسرائيل فى مضايق تيران وخليج العقبة.

النقطة الثامنة: من أجل تحقيق حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يقبل الطرفان مبدأ:

- أن اللاجئين من حرب ١٩٤٨ بمن فيهم الذين تحت إشراف وكالة الغوث الدولية، لهم الخيار بين العودة إلى إسرائيل أو التوطين مع التعويض.

- يتفق الطرفان على الحاجة العملية لتنفيذ مثل هذه الاتفاقية بنصوص متفق عليها بين الطرفين بأسلوب ينص على الترتيبات التى يتم بموجبها العودة أو التوطين، وكذلك عدد الأشخاص الذين يعودون أو يوطنون سنويا، بقصد تطبيق قرار الأمم المتحدة بالنسبة للاجئين.

هذه الطريقة يقرها الأردن وإسرائيل وأطراف أخرى - بما فيها الجمهورية العربية المتحدة - التى يرى السفير يارنج أن مشاركتها ضرورية، ومرغوب فيها، وإذا ارتأى الطرفان، ووافق السفير يارنج، تقام لجنة دولية للتأكد من رغبة اللاجئين، ويتفق الطرفان أن تنفيذ البنود الأخرى من الاتفاق النهائى يجب ألا ينتظر تنفيذ مشكلة اللاجئين، وكذلك فإن القسم الأول من اللاجئين الذين يختارون العودة يصلون إلى إسرائيل خلال ثلاثة أشهر من إبرام الاتفاق النهائى بين الطرفين.

النقطة التاسعة: يوافق كل من الطرفين «الأردن وإسرائيل» على الاعتراف المتبادل بسيادة كل منهما، واحترام هذه السيادة والوحدة الإقليمية لكل منهما، وحرمة أراضيها واستقلالها السياسى وحق كل منهما فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها متحررة من التهديدات وأعمال العنف.

النقطة العاشرة: يسجل الاتفاق النهائى فى وثيقة يوقع عليها الطرفان، وتودع مباشرة لدى الأمم المتحدة، وبعد إيداع هذه الوثيقة يطلب من الأمين العام للأمم المتحدة، من قبل الطرفين مباشرة أن يخبر مجلس الأمن و أعضاء الأمم المتحدة بما تم.

فى تنفيذ هذا الاتفاق النهائى يكون مفهوما من الطرفين أن التزاماتهما نحو بعضهما تكون متبادلة ومتداخلة، وينص الاتفاق النهائى أن أى خرق مادى لهذا الاتفاق من أى طرف يخول الطرف الآخر أن يعتبر هذا الخرق سببا فى وقف تنفيذ التزاماته كليا أو جزئيا. منذ إيداع الوثيقة تعتبر سارية المفعول على الطرفين، ملزمة وغير قابلة للرجوع عنها، تبدأ وتنفذ مواد هذا الاتفاق من قبل الطرفين.

النقطة الحادية عشرة: يتفق الطرفان على أن يقدم الاتفاق النهائى، بما فيه الخرائط التى تحدد الحدود النهائية لمجلس الأمن للتصديق عليها، ليكون مفهوما أن الاتفاق بين الأردن وإسرائيل سيوازيه اتفاق بين مصر وإسرائيل، وأن تنفيذ هاتين الاتفاقيتين يبدأ عندما يكون هناك اتفاق شامل. ومن المفهوم أن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ستقدم وتؤيد قرارا ملائما فى المستقبل لمساعدة الطرفين على الالتزام والتقيد بتنفيذ بنود هذا الاتفاق أو الاتفاقيات النهائية.

كانت الأحداث فى مصر تمضى فى طريقها على ضوء المتغير الرئيسى الذى نتج عن قبول مصر لمبادرة روجرز.

أما على الجانب الإسرائيلى فقد أجريت الانتخابات العامة فى يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٦٩، فى ظل حرب الاستنزاف، ولم يفز أى حزب بالأغلبية مما اضطر جولدا مائير رئيسة الوزراء إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية لا مجرد ائتلاف.

وكان التحدى الأول للحكومة الجديدة هو مشروع السلام الأمريكى. فقد جاءت إدارة جمهورية إلى السلطة فى يناير برئاسة نيكسون، وتولى هنرى كيسنجر منصب مستشار الأمن القومى، وتولى وليام روجرز منصب وزير الخارجية. وقد دافعت وزارة الخارجية طويلا عن انتهاج منهج عادل فى الصراع العربى - الإسرائيلى، وتبنى دور أمريكى فعال من أجل دفع عجلة التسوية السياسية بناء على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وفى يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ قدم روجرز مبادرته للسلام فى الشرق الأوسط. وهذه المبادرة كانت تعتمد على القرار٢٤٢، وقد وضعت تصورا ينص على عودة إسرائيل للحدود الدولية لجيرانها، مع بعض التعديلات الطفيفة فقط من أجل دواعى الأمن المشترك، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

وقد سببت مبادرة روجرز للسلام دهشة كاملة للقادة الإسرائيليين. واعتبروها دليلا على التعاون المشترك بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من أجل محاولة فرض تسوية سلام عليهم. وفى يوم ١٥ ديسمبر قدمت جولدا مائير

حكومتها الجديدة إلى الكنيست و استغلت تلك الفرصة من أجل شن أول هجوم على مبادرة روجرز. وأصبحت العلاقات مع الولايات المتحدة أكثر توترا، عندما قام تشارلز يوست، المندوب الأمريكى الدائم فى الأمم المتحدة فى ١٨ ديسمبر، باقتراح خطوط عامة للتسوية بين إسرائيل والأردن بناء على مبادرة روجرز، وأيد يوست انسحاب إسرائيل من معظم أراضى الضفة الغربية، وتكوين إدارة أردنية للقدس الشرقية وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

ووصفت جولدا مائير هذه المبادرة بأنها كارثة لإسرائيل، وأمرت بشن حملة للاحتجاج عليها بواسطة أصدقاء إسرائيل فى واشنطن واستدعت السفير إسحاق رابين من أجل التشاور العاجل. وكان قد سبق لإسرائيل أن عينت رابين سفيرا فى واشنطن بعد اعتزاله العمل فى الجيش الإسرائيلى، واعتبر العمل الدبلوماسى مواصلة للحرب بوسائل أخرى. وفى اجتماعه بتاريخ ٢٢ ديسمبر، بعد الاستماع إلى تقرير رابين، قرر مجلس الوزراء رفض كل المقترحات الأمريكية رسميا. وذكر المجلس فى بيانه أنه إذا تم تنفيذ هذه المقترحات فإن الأمن والسلام الإسرائيليين يتعرضان لخطر داهم.

وبعد أن رفضت مقترحات السلام الأمريكية، عادت إسرائيل لمواصلة حرب الاستنزاف. وشهدت بداية عام ١٩٧٠، غارات جوية إسرائيلية على أهداف بعمق مصر، وكان واضحا أن إسرائيل تستهدف بذلك تخفيف الضغط العسكرى المصرى على منطقة القناة الأمامية ومنع مصر من التفكير فى حرب شاملة ووضع نهاية لمعارك الاستنزاف وإجبار مصر على قبول وقف إطلاق النار. وكانت الفكرة الكامنة إبراز قوة الجيش الإسرائيلى. بالإضافة إلى الأهداف العسكرية، كان يأمل متخذو القرار الإسرائيلى فى تحقيق مجموعة من الأهداف السيكولوجية والسياسية، ولم تكن هذه الأهداف معلنة بوضوح ولم تحظ بموافقة جماعية، لكنها لعبت دورا مهما فى تبنى القرار الخاص بضرب العمق المصرى. وكانت الأهداف غير المعلنة تتمثل فى تحطيم معنويات الجيش المصرى وخلق فجوة من انعدام الثقة بين الرئيس المصرى والشعب.

وقد تم شن الغارة الأولى بالعمق المصرى يوم ٧ يناير ١٩٧٠، والأخيرة فى ١٣ إبريل، وفى غضون تلك الأشهر الأربعة، قامت المقاتلات الإسرائيلية أمريكية الصنع، الأسرع من الصوت من طراز فانتوم بضرب الأهداف داخل دلتا النيل وفى ضواحى القاهرة.

وقد قام الإسرائيليون بـ ٣٣٠٠غارة جوية وأسقطوا ما يقرب من ٨٠٠٠ طن من القنابل على الأراضى المصرية.

ولم يكن القيام بالحملة مصحوبا بأية إشارة إلى المرونة السياسية. وكان القادة الإسرائيليون يميلون إلى زيادة الضغط العسكرى حتى يحرموا عبدالناصر من التأييد الشعبى فيضطر إلى قبول وقف إطلاق النار دون قيد أو شرط. وكان إيبان مقتنعا بأن المساعدة الأمريكية هدفها وقف القتال، وفى ٧ فبراير اقترح على مجلس الوزراء مبادرة سياسية لوقف إطلاق النار لمدة محددة كجزء من مبادرة سلام جديدة، وكان رأيه أنهم يجب ألا يعلنوا فقط سياستهم، لكن أن يعبروا أيضا بشكل استعراضى عن استعدادهم لوقف إطلاق نار مؤقت فى قناة السويس كخطوة أولى نحو الحد من التصعيد العسكرى. وأكد على فكرته بالقول إنه لن نخسر شيئا إذا قمنا باستكشاف مدى إمكانية وضع نهاية لحرب الاستنزاف، وكان هناك بعض التأييد لاقتراحه، لكن جولدا مائير صبت جام غضبها عليه، لأن ناصر نفسه قد اقترح وقف إطلاق نار مؤقت، فإذا كان ذلك فى مصلحة ناصر، فكيف يكون فى نفس الوقت فى مصلحة إسرائيل؟

ولأن الأغلبية لم تكن تؤيد مبادرته السلمية لذا لم يرغب فى أن تنزع منه الثقة من خلال طرح الاقتراح للتصويت، ومع ذلك فقد أصرت مائير على التصويت على الاقتراح، وقد ناشدها بعض الوزراء أن تتجنب الاقتراع ضد مبادرة السلام، لكنها كانت مصرة وانتهى الأمر برفض الاقتراح الذى لم يظهر له أثر بعد ذلك. وقد امتنع إيبان نفسه عن المشاركة فى التصويت وقد كتب يقول: كانت تلك الحقبة تمثل مدى صعوبة أن تكون وزيرا للخارجية فى مجلس وزراء لديه رؤية متضخمة لدور الحرب فى السياسات العالمية. وقد أدى انتصار قواتنا فى ١٩٦٧ إلى تشجيع الإيمان بإسرائيل التى لا تقهر وهو أمر لم يعد له وجود

بانتهاء حرب الأيام الستة. لم تكن جولدا مائير فى أحسن حالاتها، فقد ألقت تلك الحقبة الضوء على مركزية الضغينة الشخصية فى النظام العام لفكرها وعاطفتها.

وقد أدى قصف العمق المصرى إلى إلحاق أضرار فادحة بالآلة العسكرية المصرية، لكنه لم يجعل عبدالناصر يركع على ركبتيه، وفى ٢٠ يناير سافر إلى موسكو من أجل الاجتماع سرا بالقادة السوفييت لطلب المساعدة العاجلة، وقد استجاب السوفييت من خلال مد مصر بمدافع مضادة للطائرات وبطاريات صواريخ أرض - جو، وأنظمة رادار وطائرات ميج مقاتلة، وجيش مصغر من الفنيين للعمل على المعدات الجديدة. ولم يحدث من قبل أن قام الاتحاد السوفييتى بإدخال تلك المعدات العسكرية المتقدمة إلى بلد غير شيوعى فى تلك الفترة الزمنية القصيرة.

وبعد زيارة عبدالناصر السرية لموسكو وقبول الاتحاد السوفييتى تحمل مسئولية الدفاع عن العمق المصرى تحقق هدف عبدالناصر، فقد أرغم إسرائيل على كبح جماح هجماتها الجوية، وفى منتصف إبريل توقف القصف الجوى فى العمق تماما.

وواصلت مصر معارك الاستنزاف عبر قناة السويس، وفى يوم ١٨ إبريل، واجه الطيارون الإسرائيليون طيارين سوفييت يقومون بمهام استطلاعية فى منطقة القناة. ويوم ٣٠ يونيو حدث معركة جوية شرسة بالقرب من القناة تمكن فيها سلاح الجو الإسرائيلى من إسقاط خمس طائرات ميج ٢١يقودها طيارون سوفييت. وقد دفعت أخطار تصعيد الصراع العسكرى وزير الخارجية الأمريكى روجرز إلى تقديم اقتراح ثان فى ١٩ يونيو عرف باسم مبادرة روجرزB، وكانت لهذه المبادرة ثلاثة أجزاء: الأول، وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر على الجبهة المصرية، الثانى، بيان يصدر عن إسرائيل ومصر والأردن يقول إنهم يقبلون قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، خاصة النداء الخاص بالانسحاب من الأراضى المحتلة، والثالث أن تتعهد إسرائيل بالتفاوض مع مصر والأردن تحت إشراف الدكتور يارنج بمجرد سريان وقف إطلاق النار. وقد احتوت المبادرة أيضا على شرط مهم

«بالجمود التام»، أثناء وقف إطلاق النار، أي أنه غير مسموح لمصر أو إسرائيل بتحريك صواريخها نحو القناة.

وكان رد فعل جولدا مائير الغريزى هو رفض المشروع الأمريكى. وعلى الرغم من أن روجرزB لم تشر على أى نحو إلى الحدود النهائية، فقد ساورتها الشكوك فى أنها خدعة لتطبيق روجرزA. وفى جيش الدفاع الإسرائيلى، كان هناك اهتمام بأن وقف إطلاق النار المؤقت لا يعد ضمانا كافيا لعدم تجدد حرب الاستنزاف. لكن الرئيس نيكسون قد نصح إسرائيل بألا تكون البادئة برفض مبادرة روجرز B وقد وافقت كل من مصر والأردن على المبادرة. وفى ٢٤ يوليو، أرسل نيكسون خطابا إلى مائير ذكر فيه بوضوح أن الحدود النهائية يجب أن يتفق عليها بين الأطراف من خلال التفاوض تحت مظلة المبعوث يارنج.

وفى يوم سريان وقف إطلاق النار ادعت إسرائيل أن مصر انتهكت الاتفاقية وقامت بتحريك صواريخها نحو حافة قناة السويس، لذا قررت تجميد مشاركتها فى المحادثات التى كانت على وشك البدء تحت إشراف يارنج.

لقد وضعت الحرب أوزارها، لكن الألاعيب السياسية لم تنته وبخلاف الحروب الثلاثة التى سبقتها انتهت حرب الاستنزاف دون أن تحقق إسرائيل نصرا.

وقد اختلف الزعماء السياسيون والعسكريون الإسرائيليون فى تقييمهم لمحصلة تلك الحرب، فالبعض بما فيهم وزير الدفاع ورئيس الأركان وجنرالات آخرون، قد أشاروا إلى أن مصر قد أخفقت فى تحقيق أى مكاسب إقليمية من هذه الحرب، أما البعض الآخر لأسباب مختلفة فقد اعتبر أن مصر كانت المنتصر الفعلى فى هذه الحرب، وقد أدت دراسة مراكز الجانبين قبل وبعد الحرب إلى جعل أبا إيبان يصل إلى نتيجة تقول إن التوازن السيكولوجى والعالمى قد تغير لصالح مصر، أما عيزرا وايزمان فقد كان أكثر اهتماما بالتوازن العسكرى، وكان العنصر الرئيسى فى رأيه أن الحرب قد انتهت بوضع نظام الصواريخ المصرى على حافة القناة وضياع التفوق الجوى الإسرائيلى الذى لم

يكن هناك خلاف عليه، وهذه النتيجة كما أكد وايزمان قد أرخت العنان للمصريين، على مدى الثلاثة أعوام التالية للإعداد لحرب أكتوبر العظيمة.

ومع بعض الاستثناءات القليلة، تعلم القادة الإسرائيليون دروسا خاطئة من حرب الاستنزاف، فقد واصلوا التعلق بأهداب المذهب العسكرى الدفاعى، وكان نتيجة ذلك نظاما دفاعيا ساكنا.

كان الخطأ الأكبر الذى وقعت فيه الحكومة التى ترأستها جولدا مائير أنها بنت سياستها بعد ١٩٦٩ على أساس منح العرب خيارا من اثنين، إما اتفاقية سلام رسمية شاملة دون انسحاب إسرائيلى كامل من الأراضى المحتلة أو استمرار الوضع الراهن دون أية تنازلات، وكانت حرب الاستنزاف التى تعد أطول الحروب فى تاريخ إسرائيل هى الطريق لبدء دبلوماسية إسرائيلية للاستنزاف لإجبار العرب على الاستسلام أو استمرار الموقف كما هو.

وقد أثرت حرب الاستنزاف أيضا على سياسة إسرائيل النووية، وكان موشيه ديان مسئولا بشكل أساسى عن القرار الخاص بالانتقال من إمكانية الإنتاج النووى إلى الإنتاج الفعلى لعدد قليل من الأسلحة النووية. وقد اتخذ هذه الخطوة جزئيا بسبب خوفه من أن إسرائيل قد تعجز عن الحفاظ على تفوقها التقليدى على العرب، وجزئيا من أجل الحد من اعتماد إسرائيل على القوى الخارجية. وقد أدى حظر السلاح الذى فرضته فرنسا فى عام ١٩٦٧ إلى إلقاء الضوء على اعتماد إسرائيل على موردى أسلحتها. وقد فرضت حرب الاستنزاف عبئا اقتصاديا ثقيلا على عاتق إسرائيل وتركتها أكثر اعتمادا على إمدادات السلاح الأمريكية. كما أدت أيضا إلى المزيد من الارتباط السوفييتى بأعداء إسرائيل. وعلى ذلك فقد ابتكر ديان صيغة جديدة أعطاها عنوانا منذرا بالسوء وهو «القنبلة فى المخزن»، وانطوى هذا على إنتاج القنبلة، لكن دون اختبارها ودون الإعلان عن وجودها. وعدم الاتفاق مع الوزراء الآخرين هو الذى أدى فى الغالب إلى إنتاج الصيغة الوسطى، التى كانت لها ميزة عدم تبنى إسرائيل استراتيجية نووية مفتوحة، بينما فى نفس الوقت تتم الإشارة للعرب ولبقية العالم إلى أن هناك ترسانة نووية فى المخزن الإسرائيلى.

فى سبتمبر ١٩٧٠ تفجر حدثان أديا إلى تحويل الانتباه الإسرائيلى عن الأزمة حول التعامل بجدية لإنجاح مهمة يارنج، الأول وهو أحداث سبتمبر ١٩٧٠ فى الأردن، وقد بدأت عندما أمر الملك حسين جيشه بنزع سلاح المنظمات الفلسطينية وكسر شوكتها، وفى ذروة الأزمة قامت القوات السورية باجتياز الحدود الأردنية فيما بدا أنه محاولة لمساعدة الفلسطينيين، وقد أرسل الملك حسين استغاثة عاجلة إلى واشنطن. وقد بعث الدكتور كيسنجر، مستشار الأمن القومى الأمريكى لجولدا مائير ما فسر على أنه طلب لهجوم جوى إسرائيلى على القوات المدرعة السورية فى شمال البلاد. وقد تعهد كيسنجر بأنه إذا استأنفت مصر معارك الاستنزاف، فإن الولايات المتحدة سوف تمد إسرائيل بكل المساعدات العسكرية الضرورية. ووضعت إسرائيل سلاحها الجوى فى حالة تأهب، كما قامت بحشد القوات البرية على الحدود مع الأردن، وذلك استعدادا للتحرك ضد السوريين. ومن خلال استجابتها لنداء الاستغاثة، كسبت إسرائيل امتنان الرئيس الأمريكى، وكذلك امتنان الملك الأردنى، وانتهت الأزمة بوصول عرفات إلى القاهرة، ونجاح القمة العربية بالقاهرة فى وقف نزيف الدم، أما الثانى فتمثل فى وفاة الرئيس عبدالناصر يوم ٢٨ سبتمبر عن اثنين وخمسين عاما، بعد أن أنهك نفسه فى جهود الوساطة بين الملك حسين وعرفات.

وفى نهاية ديسمبر ١٩٧٠ وافقت إسرائيل على المضى فى محادثات سلام تحت إشراف الدكتور يارنج. وشجع الأمريكيون يارنج على لعب دور أكثر فعالية مما حدث فى الماضى، وعدم تقييد نفسه فى دور ساعى البريد. ومع ذلك فإن اتصالاته الأولية مع إسرائيل ومصر قد أقنعته بأن كلا الجانبين يتعلق بشدة بموقفه الحالى. وعلى ذلك فقد أخذ على عاتقه كسر الجمود الدبلوماسى من خلال ذكر المطلوب للتقدم نحو الوصول إلى تسوية. وفى ٨ فبراير ١٩٧١ أرسل مذكرتين متطابقتين إلى كل من مصر وإسرائيل يطرح فيهما اقتراحاته لحل النزاع بينهما. وطلب من مصر التعهد بتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل، وطلب من إسرائيل الانسحاب إلى الحدود الدولية المصرية - الفلسطينية السابقة. وردت مصر على طلب يارنج بأنها مستعدة لتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل وفقا

لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وتقدمت مصر بعدد من المطالب الإضافية: مثل الالتزام الإسرائيلى بالانسحاب، ليس فقط من سيناء، لكن أيضا من قطاع غزة، والالتزام بحل مشكلة اللاجئين طبقا لقرارات الأمم المتحدة لحفظ السلام. وقد كان هذا الرد المصرى نقطة تحول رئيسية فى الموقف، فلأول مرة تعلن مصر بشكل علنى استعدادها لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل، وكان منطقيا أن يرحب كل من يارنج وروجرز وزير الخارجية الأمريكى بالموقف المصرى باعتباره تطوراً إيجابيًا، وبعيد المدى، وقد تأثرت الحكومة الإسرائيلية بالالتزام المصرى المعلن لتحقيق السلام، لكنها انزعجت من الشروط والمحاذير التى وضعتها مصر.

ووصل الرد الإسرائيلى إلى يارنج يوم ٢٦ فبراير وفيه أشارت بامتنان إلى رغبة مصر فى توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل، وأعربت مرة أخرى عن رغبتها فى إجراء مفاوضات مباشرة تتناول كل القضايا المتعلقة باتفاقية السلام. والمشكلة التى نشأت كانت تتعلق بطلب يارنج من إسرائيل التعهد بالانسحاب الكامل. ومن حيث المبدأ، كان مجلس الوزراء يميل إلى قبول صيغة إيبان غير الملزمة: انسحاب القوات الإسرائيلية من خط وقف إطلاق النار مع مصر إلى حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها تحددها معاهدة السلام، لكن موشيه ديان نجح فى إقناع مجلس الوزراء بعدم الالتزام بأى شىء خاص بموضوع الحدود. وفضل مجلس الوزراء الرفض المطلق للعودة إلى الحدود، والذى يمكن تلخيصه فى أن إسرائيل لن تنسحب إلى خطوط ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧، وبهذا الرد حكمت إسرائيل على مهمة يارنج بالفشل. واعتبر يارنج الرد الإسرائيلى على الاستيضاح غير مرض. فقد كان يسعى إلى الحصول على تعهد مصرى بصنع السلام مع إسرائيل وتعهد إسرائيلى بالانسحاب من الأراضى المصرية، لكنه حصل على تعهد مصرى ولم يحصل على تعهد إسرائيلى. وسواء فقدت حكومة جولدا مائير فرصة حقيقية لتحقيق السلام مع مصر أم لا، فقد حددت مصير مهمة يارنج، وألقى بعض المسئولين الإسرائيليين مسئولية الفشل على عاتق وسيط الأمم المتحدة. ولم تنته مهمة يارنج رسميا، لكن تم تداركها بمبادرة أكثر مفاجأة.

وقبل أن تفرب شمس مهمة يارنج أعلن الرئيس أنور السادات يوم ٤ فبراير ١٩٧١ فى خطاب له أمام مجلس الأمة المصرى مبادرة سلام تتضمن إعادة فتح قناة السويس، وانسحابا جزئيا للقوات الإسرائيلية من الضفة الشرقية للقناة كخطوة أولى لتنفيذ القرار ٢٤٢.

وردت إسرائيل على المبادرة يوم ١٩ إبريل، أى بعد مرور ستة أسابيع من مطالبة مصر بإلغاء حالة الحرب مقابل انسحاب إسرائيلى محدود شرق القناة.

وفى بداية مايو، حضر روجرز وسيسيكو إلى القاهرة، ثم توجها إلى القدس سعيا وراء التوصل إلى تسوية، وقد تأثر روجرز باعتدال السادات وتفهمه لاحتياج إسرائيل للأمن. وفى نفس الوقت، عقد الأمريكيون مباحثات مع السوفييت حول التوصل لحل شامل لمشكلة الشرق الأوسط. وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٧١ أخطر كيسنجر رابين بوجود اقتراح سرى بعث به الرئيس ليونيد بريجينيف إلى الرئيس نيكسون. وكان الاقتراح يتضمن التسوية على مرحلتين: الأولى اتفاقية مؤقتة لإعادة فتح القناة، وفى وقت لاحق بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٧٢، يتم التوصل إلى اتفاقية شاملة تقوم على وثيقة يارنج. وفى القدس وافق الجميع على أنه يجب رفض المبادرة السوفيتية. والتقت جولدا مائير والرئيس نيكسون فى يوم ٢ ديسمبر. وكان هدفاها الأساسيان إقناع نيكسون بأن يتخلى عن مبادرة روجرز وأن يستأنف مد إسرائيل بالسلاح. وحققت كلا الهدفين. وطمأنها نيكسون أيضا بأنه لن تكون هناك صفقة أمريكية - سوفيتية على حساب إسرائيل. وبعد أن اطمأنت إلى أن مبادرة روجرز قد شيعت إلى مثواها الأخير، وأن تسليم طائرات الفانتوم سوف يستأنف، أصبحت مائير على استعداد لإظهار مرونة أكبر بخصوص الاتفاقية المؤقتة. وفى اجتماعها مع كيسنجر فى ١٠ ديسمبر قدمت عددا من التنازلات المهمة: انسحاب إسرائيل حتى مسافة قريبة من المداخل الغربية لمضايق سيناء، ووقف إطلاق نار محدود تتراوح مدته بين ١٨و ٢٤ شهرا، و أن يكون هناك ارتباط بين التسوية المؤقتة والتسوية النهائية، على شرط عدم إلزام إسرائيل بمبادرة روجرز على أى

نحو، والسماح لعدد ضئيل من الجنود المصريين المرتدين للزى العسكرى بعبور القناة.

وعلى الرغم من هذه التنازلات، ظل موقف مائير الأساسى لا يتغير. فقد أصرت منذ البداية على أن الانسحاب الإسرائيلى الجزئى لا يلزم إسرائيل بالانسحاب الكامل من سيناء، طبقا لجدول زمنى محدد. وهذه قضية أساسية بالنسبة لها. وليس هناك أى التزام صريح أو ضمنى، بالعودة إلى حدود ما قبل ٥يونيو ١٩٦٧ مع مصر. والحدود الجديدة يجب أن يتفق عليها بين إسرائيل و مصر بعد تنفيذ الاتفاقية المؤقتة. واحتفظت بحق إسرائيل فى المطالبة بتعديل الحدود. لكن الاتفاق من حيث المبدأ على التسوية المؤقتة فى ظل تلك الشروط الصارمة لم يكن يمثل دافعا إيجابيا، ناهيك عن الحماس لتلك التسوية. وبات واضحا أن هدف إسرائيل الأساسى خلال هذه المرحلة هو إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه. وقد لخص أبا إيبان كلا من الدافع وراء هذه السياسة والثمن الذى كان على إسرائيل أن تدفعه فى النهاية بقوله: طول ذلك الوقت كانت سياسة الدفاع الإسرائيلية استنزافية على نحو صريح. وكان المنطق الكامن وراء ذلك هو إذا كان العرب غير قادرين على استعادة أراضيهم بواسطة الحرب أو بواسطة ضغط القوى العظمى، فإنهم سوف يضطرون للسعى نحو التفاوض ويضطرون إلى الإذعان لبعض المطالب الأمنية الإسرائيلية. وهذه النظرة لم تتح للعرب أى خيار ثالث، فإما الإذعان أو التفاوض أو اللجوء إلى الحرب على أمل أن تكون النتائج أفضل من مجرد القبول السلبى لخطوط وقف إطلاق النار.

وكانت استراتيجية الاستنزاف مصحوبة بدبلوماسية الاستنزاف. فإذا كانت استراتيجية الاستنزاف موجهة نحو الحفاظ على الوضع الراهن، فإن دبلوماسية الاستنزاف كانت موجهة نحو الحفاظ على الجمود السياسى وإنكار حق العرب، فى أى مكاسب سياسية حتى يذعنوا للشروط الإسرائيلية للتسوية. وقد جاءت ثقة إسرائيل فى قدرتها على الحفاظ على الوضع الراهن من مصدرين أساسيين: اختلال الميزان العسكرى لصالحها، والتأييد القوى من جانب الولايات المتحدة.

وأثناء رئاسة ريتشارد نيكسون تطورت العلاقة بين إسرائيل و أمريكا على نحو تدريجى حتى وصلت إلى شراكة استراتيجية وثيقة. وأدى تورط أمريكا فى صراع باهظ الثمن فى جنوب شرق آسيا إلى صياغة مذهب نيكسون المتمثل فى أنه يجب أن تتجنب الولايات المتحدة التورط العسكرى المباشر فى العالم الثالث. وأن تعتمد بدلا من ذلك على وكلاء لها مثل شاه إيران فى الخليج، وإسرائيل فى الشرق الأوسط. وفى إطار مذهب نيكسون استأنفت إسرائيل دور الحفاظ على التوازن الإقليمى للقوى لصالح المصالح الأمريكية. ووقف التوسع السوفيتى فى الشرق الأوسط. وكانت مصالح إسرائيل فى إبقاء العرب فى مكانهم تتفق تماما مع مصالح إدارة نيكسون فى طرد السوفييت من الشرق الأوسط.

وكان الشرق الأوسط دائما محورا لصراع القوى الخارجية. وكان أيضا مسرحا واسعا لصراع القوى العظمى منذ بداية الحرب الباردة، لكن على النقيض من نظرتها فى الخمسينيات، أصبحت الولايات المتحدة الآن تنظر إلى إسرائيل على أنها حامية حمى النظام الإقليمى، وركيزة إستراتيجية فى الشرق الأوسط.

وبعد طرد السوفييت من مصر فى يوليو ١٩٧٢، رأت إسرائيل القرار المصرى معبرا عن اضمحلال الخيار العسكرى ودليلاً على نجاح استراتيجية الاستنزاف الإسرائيلية.

ومما لاشك فيه أن هذه القراءة الإسرائيلية لقرار طرد السوفييت من مصر، كانت إيجابية بالنسبة للاستعدادات المصرية لخوض تجربة الحرب لتحرير أرضها المحتلة.

الفصل التاسع عشر
السادات يكرم المجموعة ٣٩ قتال

توقفت معارك الاستنزاف يوم ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ إعمالا لمبادرة روجرز التى قبلتها كل من مصر وإسرائيل.

توقفت النيران ولم يتوقف الصراع.

وتشاء الأقدار أن يرحل عبدالناصر عن عالمنا بعد ذلك بعد أسابيع تاركا تركة مثقلة للرئيس محمد أنور السادات الذى تحمل المسئولية من بعده.

ولأن الفريق الذى كان محيطا بعبد الناصر والذى فوضه عبدالناصر فى حكم مصر بسبب مرضه أو أمراضه لم يكن مستريحا أو راضيا عن وصول السادات إلى قمة السلطة، فقد كان مقدرا أن يحتدم الصراع بين الرئيس الشرعى ومن يرون أنهم ورثة عبدالناصر الشرعيين. واستمر الصراع بين الطرفين إلى أن حسمه السادات فى مايو ١٩٧١، وبذلك انطوت صفحة الصراع على السلطة وتمكن السادات من جمع كل خيوطها فى يديه، وبالطبع كان السادات يدرك تماما أن مساندة الفريق أول محمد صادق له فى صراعه على السطة ووقوف القوات المسلحة من خلف الفريق صادق رئيس الأركان بدلا من أن تقف فى صف الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية، كان العامل الحاسم الذى حسم الصراع على السلطة، لذلك لجأ السادات إلى أسلوب استرضاء محمد صادق خلال الفترة التى أعقبت مايو ١٩٧١، وكان السادات على علم أن المجموعة ٣٩ قتال

هى التى تحملت مسئولية حراسة وتأمين مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة خلال هذه الأزمة.

ويوم ١٢ أغسطس ١٩٧١ قرر السادات أن يجعله يوما لتكريم المجموعة ٣٩ قتال بصفة رئيسية، وذلك كرسالة تقدير للفريق أول محمد صادق الأب الروحى والراعى الرئيسى لهذه المجموعة.

وخلال تكريم المجموعة قرر السادات منح علمها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى، كما قرر تكريم عدد كبير من قادة المجموعة ورجالها بما فى ذلك الصحفى عبده مباشر الذى تطوع بالصفة المدنية كمقاتل بالمجموعة، وشارك فى عدد من عملياتها، واغتنم المقدم إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة الفرصة، وأهدى السادات مجموعة من الأسلحة الإسرائيلية التى غنمها فى أثناء عملياتها خلف خطوط العدو، بالإضافة إلى علم إسرائيل. وقبل أن يغادر السادات مقر الوحدة سجل شهادة تقدير فى سجل شرف المجموعة، حيث قال: إننى أنتهز فرصة زيارتى لأحيى الجميع ممن اشتركوا فى عرض اليوم من الضباط والصف والجنود الذين كتبوا لوطنهم بطولات خالدة، سيأتى اليوم بإذن الله بعد أن نفرغ من معركتنا لإذاعتها على الشعب.

أريد شراسة أكثر وبطولة أكثر، فالمعركة ستكون معركة مصير وشعبكم يثق فيكم ويضع شرفه وآماله فى أيديكم.

تحية لكم وتحية للفريق أول صادق الذى بدأ يكسر أسطورة التفوق بالعبور والالتحام والله يرعاكم وقلوب شعبكم وثقتى كلها فيكم.

زيارة السيد الرئيس / محمد أنور السادات
رئيس الجمهورية
يوم الخميس ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٩١هـ الموافق ١٢ من أغسطس ١٩٧١م

انني انتهز فرصة زيارتي لاحيي الجميع ممن اشتركوا
في معركة اليوم من الضباط والصف والجنود الذين كتبوا
لانفسهم بطولات خالدة. سيأتي اليوم باذن الله بعد ان
نفرغ من معركتنا لنذيع على الشعب [illegible] فالمعركة ستكون
شرسة اكثر وبطولاتها اكثر [illegible]
[illegible] شعبكم [illegible] ليكم [illegible] شرف وآمال
معركة مصير.
[illegible] الذي
تحية لكم وتحية للشعب [illegible]
[illegible] المقدرة بالحب والاحترام
[illegible] وقلوب شعبكم ونفسي الى [illegible]
والله [illegible] معكم
السادات
١٢/٨/٧١

الفصل العشرون

عمليات المجموعة ٣٩ قتال خلال معركة أكتوبر ٧٣

العملية تحرير (١)

تدمير مستودعات البترول بمنطقة بلاعيم - ١٩٧٣/١٠/٦

أطلقت مصر الحرب من عقالها ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وشنت القوات المسلحة هجوما واسع النطاق على امتداد خط الجبهة بمنطقة القناة، بهدف اقتحام قناة السويس، المانع المائى الصعب، والسيطرة على خط بارليف الحصين، وتدمير قوات العدو بالمواقع الأمامية والاحتياطى القريب، وإنشاء خمسة رءوس كبارى والاستعداد لصد هجمات العدو المضادة.

جرى ذلك بعد هجمات جوية كثيفة على مواقع العدو بمسرح العمليات، وتمهيد نيرانى بالمدفعية ونيران الدبابات، وفى نفس الوقت كانت هناك خطط للعمل شرق خليج السويس، إلا أن القوات المكلفة بوضع هذه الخطط موضع التنفيذ لم توفق بشكل كامل.

ولم تكن المجموعة ٣٩ قتال قد أسند إليها أية مهام قتالية فى خطة المعركة.

وعندما علم إبراهيم الرفاعى بشكل قاطع أن المجموعة لا دور لها فى العمليات. توجه إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة وطلب لقاء الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية فى ذلك الوقت. وعندما التقى به سأله عن دور المجموعة ٣٩ قتال فى المعركة، ثم تساءل أتهاجم مصر القوات الإسرائيلية فى سيناء فى معركة هجومية شاملة واسعة النطاق دون أن تكلف المجموعة ٣٩ قتال بالمشاركة فى هذه المعركة؟ وخاطب القائد العام للقوات المسلحة بقوله إن المجموعة تحملت مسئولية العمل خلف خطوط العدو بشكل رئيسى منذ معركة

يونيو ١٩٦٧، ورجالها الأكثر خبرة بالعدو، وبأساليب التعامل معه، وهم الأكثر ثقة بالنفس نتيجة الخبرات التى اكتسبوها من قتالهم للعدو أو استطلاعهم لمواقعه.

وبعد أن استمع أحمد إسماعيل لما قاله إبراهيم الرفاعى، تبين الخطأ الذى وقعت فيه القيادة العامة عند التخطيط للعمليات، وأدرك أن اشتراك المجموعة سيساعد على تحقيق الكثير من الأهداف، فطلب من الرفاعى اقتراح عدد من العمليات التى يمكن للمجموعة تنفيذها. وفى نفس الوقت قال له سأطلب من هيئة العمليات إسناد مهام قتالية للمجموعة.

وفوجئ الفريق أول أحمد إسماعيل بإبراهيم الرفاعى وهو يضع أمامه خرائطه بالأهداف التى يمكنه مهاجمتها وخطط الهجوم على هذه الأهداف، كما أبلغه أن المجموعة قد أنهت تدريباتها الخاصة بتنفيذ هذه الخطط.

وبعد دراسة اشترك فيها القائد العام وقائد المجموعة ٣٩ قتال، صدق له بتنفيذ مجموعة من العمليات وتوقيتات التنفيذ، وفى نفس الوقت قام بإعطاء التعليمات لهيئة عمليات القوات المسلحة وطلب منها سرعة إبلاغ القيادة المعنية للتنسيق.

وبتصديق الفريق أول أحمد إسماعيل على عدد من خطط العمليات التى اقترحها الرفاعى، عادت المجموعة إلى الساحة بقوة، وبدأت تشارك فى معركة أكتوبر ١٩٧٣، لكن هذه العودة كانت مقترنة بشكوك ومحاذير كثيرة ترجع إلى اقتناع أحمد إسماعيل بأنها مجموعة موالية لوزير الحربية السابق الفريق أول محمد صادق الذى أنشأها ورعاها وأشرف على تدريبها وعملياتها منذ كان مديرا للمخابرات الحربية عام ١٩٦٧، كما أنها المجموعة التى أسند إليها الفريق صادق رئيس الأركان مهمة تأمين مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة خلال أزمة مايو ١٩٧١، ومحاولة مجموعة مراكز القوى الانقلاب على السادات رئيس الجمهورية.

وعندما أحيل الفريق صادق إلى المعاش اعتبارا من يوم الخميس ١٩٧٢/١٠/٢٤ بدأت أجهزة الأمن المختلفة فى مراقبة المجموعة بشكل قوى

وواضح، فقد كان هناك اقتناع بأنها يمكن أن تشارك فى انقلاب عسكرى لإعادة الفريق صادق إلى السلطة.

وتاريخ القوات المسلحة ملىء بمثل هذه المحاولات وآخرها محاولة انقلاب المشير عامر على الرئيس عبدالناصر، التى شاركت فيها قوات الصاعقة بشكل رئيسى بقيادة قائدها جلال هريدى. وبدأت المجموعة تتعرض لمجموعة متصلة من المضايقات والمشاكل نتيجة عدم الثقة بها، مما أدى إلى تقييد حركة المجموعة والحد من نشاطها التدريبى والعملياتى.

وبين الحين والحين كانت تتلقى المجموعة عن طريق إدارة المخابرات الحربية إشارات من فرع العمليات بهيئة عمليات القوات المسلحة تطالب بتوقف التحركات من المناطق الخارجية والجيوش الميدانية إلى المنطقة العسكرية المركزية لأى سبب وعدم السماح بتحرك وحدات فرعية إدارية من وحدات المنطقة العسكرية المركزية إلى خارج معسكراتها سواء للتدريب أو لأى سبب آخر.

وكانت هذه الإشارات أيضا تتضمن تعليمات للوحدات الفرعية الموجودة فى مناطق تدريبها بالمنطقة العسكرية المركزية بالعودة إلى مناطق تمركزها فى التوقيتات المحددة لها بعد انتهاء التدريب بموجب التصديق السابق منحه لها.

أما التحركات للأعمال الإدارية والفنية فكان يصرح بها فى حدود عشر عربات بدون أسلحة أو ذخائر.

ووقعت المجموعة تحت ضغوط عاتية نتيجة للنقص فى الأفراد والمعدات والتدريب. وعاش الجميع تحت وطأة الإحساس بأنه يجرى تخريب المجموعة عمدا.

ولمواجهة هذا الموقف حرصا على المجموعة واقتناعا بقدراتها على العمل خلف خطوط العدو بكفاءة وبصورة لا يمكن تجاهلها، وتقديرا لما يمكن أن تقوم به فى إطار خطة الهجوم التى يجرى وضع اللمسات النهائية لها، توجه المقدم طبيب بحرى محمد عالى نصر لمقابلة وزير الحربية الجديد، حيث أخبره أن ولاء المجموعة لمصر،. وليس لأى فرد أيا كان، وأن المجموعة مستعدة لتنفيذ كل ما

تكلفها به القيادة العامة. إلا أن اللقاء لم يكن مثمرا، وظلت الشكوك كما هى. وكان من الواضح أن الفريق أول أحمد إسماعيل وطاقم مكتبه مازالوا على اقتناعهم ورفضهم التعاون مع هذه المجموعة التى ظلت تحت رعاية الفريق صادق لمدة تزيد على خمس سنوات.

ولم ييأس إبراهيم الرفاعى بعد أن علم بما دار وبالنتيجة التى انتهى إليها اللقاء. وبعد عودة عالى نصر من مبنى القيادة العامة اتصل العقيد إبراهيم الرفاعى بمدير مكتب وزير الحربية وطلب تحديد موعد لعرض خطة عمل المجموعة ٣٩ قتال فى ظل القيادة الجديدة التى كان يعلم يقينا أنها تتحمل مسئولية الإعداد بشكل نهائى وحاسم للمعركة، ووفقا للإستراتيجية التى يتبناها الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة، التى تستهدف تحرير ما يتراوح بين ٥ و٨ كيلومترات شرق قناة السويس.

وخلال هذا اللقاء، طلب الرفاعى من القائد العام منح المجموعة ٣٩ قتال ثقته لتتمكن من المشاركة فى العمليات الحربية، وإذا ما تعذرت هذه الثقة فإنه يرجو حل المجموعة وإعادة الأفراد إلى وحداتهم الأساسية.

وبكياسة أخبره القائد العام أن للمجموعة دورًا فى المعركة المقبلة، وأنه سيعمل على حل كل المشكلات التى تواجهها.

وفى ظل هذا الموقف الجديد، خفت حدة المشكلات، إلا أن الرقابة على المجموعة ازدادت شدة خاصة بعد المحاولة الانقلابية التى خطط لها اللواء على عبدالخبير مع عدد من قادة القوات المسلحة.

وبالرغم من ذلك، واصلت المجموعة التدريب وهى تدرك أنها فى حاجة لجهود متصلة لكسب ثقة القيادة الجديدة، وإقناعها بأنها لا هدف لها إلا المشاركة فى العمليات، ووضع خبراتها وقدراتها فى خدمة الوطن.

وعندما خرج الرفاعى من مكتب القائد العام، كان يدرك أنه فى سباق مع الوقت لتنفيذ أولى المهام التى كلفت بها المجموعة، ومن مكتبه فى حلمية الزيتون استدعى الأفراد الذين سيشاركون فى عملية تدمير المنشآت البترولية فى منطقة

بلاعيم باستخدام ٣ طائرات عمودية (هليكوبتر) من طراز (مى ٨). وفى مطار ألماظة تم تلقين كل من المقدم طيار جلال النادى والمقدم طيار سيد زهران، والملازم أول طيار محسن بالمهمة، ودراسة الهدف وفقا للصور الجوية الحديثة و الصور الأرضية التى تم تصويرها بواسطة أفراد المجموعة. خلال هذا الوقت تم تسليح الطائرات بقنابل زنة ٢٥٠كجم، والصواريخ شديدة الانفجار والخارقة الحارقة والرشاشات عيارات ١٧ و ١٢م والرشاشات طراز جرينوف. وفى الساعة ١٧,٤٠ تم الإقلاع عن قاعدة ألماظة الجوية والهبوط فى قاعدة بير عريضة الساعة ١٨,٥٠، لإعادة الملء وانتظار إشارة بدء العملية. وفى الساعة ٢٠,٣٠ أقلعت الطائرات العمودية الثلاث بعد أن تم توزيع أفراد المجموعة ٣٩ عليها.

وفى الساعة ٢١,٤٥ تم الدخول على منطقة المنشآت البترولية ببلاعيم من جهة الجنوب بعد أن عبرت الطائرات خليج السويس على ارتفاع منخفض لتجنب الكشف الرادارى. وقبل التعامل مع الهدف أخذت الارتفاع المناسب، ثم قامت بالهجوم على مستودعات البترول الموجودة فى المنطقة ومناطق تخزين الوقود والمخازن وباقى المنشآت المجاورة.

وتضمنت الخطة أن تهاجم كل طائرة عمودية هدفا محددا لها بالموقع، ويكون الهجوم بالصواريخ والرشاشات من المسافات المحددة وفقا لمدى الصواريخ والرشاشات.

وعندما تكون الطائرات فوق الهدف ترتفع لإلقاء حمولتها من القنابل. وأسفر الهجوم عن تدمير مستودعات البترول الموجودة واشتعال النيران فيها وتدمير المنشآت المجاورة. وقد استدعت قيادة العدو فى المنطقة كل عربات إطفاء الحريق المتاحة لإطفاء النيران. وقد شاركت فى عملية الإطفاء أكثر من ٢٠ عربة.

وخلال الهجوم تعرضت الطائرات العمودية لنيران رشاشات العدو وأسلحته المضادة للطائرات. وتمكنت طائرتان عموديتان من العودة، أما الثالثة فقد سقطت فى منطقة العمليات بعد أداء الواجب المكلفة به.

وقد حاول قائد المجموعة النداء على الطيار ورجال المجموعة بالطائرة عدة مرات باللاسلكى إلا أنه لم يتلق أية إجابة، وعادت الطائرتان إلى قاعدة بير عريضة الجوية الساعة ٢٣١٠، والتزاما بقواعد أمن تحركات الوحدات فى الجبهة اضطرت المجموعة لقضاء الليل بقاعدة بير عريضة. وفى الصباح الباكر عادت إلى قاعدة ألماظة الجوية سعة ٧١٠ وكان من نتيجة هذه العمليات حرمان العدو من بترول آبار بلاعيم ومن البترول الموجود بالمستودعات الثلاثة.

العملية تحرير (٢)

قصف منطقة شرم الشيخ بالصواريخ - ١٩٧٣/١٠/١١

كلفت القيادة العامة للقوات المسلحة قيادة المجموعة ٣٩ بقصف منطقة شرم الشيخ بالصواريخ لتشتيت انتباه العدو وإلحاق قدر كبير من الخسائر بتجمعاته الموجودة فى المنطقة .

تحركت المجموعة المكلفة بتنفيذ المهمة بقيادة الرفاعى مساء ٩ أكتوبر متوجهة إلى الغردقة ومعها ٦ قوارب اقتحام طراز «ديلكى فيبر جلاس»، وقارب اقتحام طراز زودياك ٣، أما التسليح فكان ٣٢ صاروخا عيار ١٣٠م، بالإضافة إلى ١٠ صواريخ من طراز جراد ١٢٢م.

ومن الغردقة تحركت القوة إلى جزيرة شدوان وظلت بها حتى يوم ١١ أكتوبر.

وعندما تحركت فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم ١٠/١١ وضعت فى الاعتبار تجنب دوريات العدو البحرية فى خليج السويس، التى ظلت ترصدها لمدة ٤٨ ساعة لتجنب الاشتباك معها حتى تتمكن من تنفيذ المهمة الرئيسية المكلفة بها. ومع هذا فقد اصطدمت وهى على مسافة ٥٠٠ متر من ساحل منطقة رأس محمد بدورية بحرية إسرائيلية مكونة من لنشين مسلحين.

فاشتبكت المجموعة مع اللنشين، واشترك فى الاشتباك لنشى صواريخ مصريين خصصتهما القيادة للدعم والحماية، وأسفر الاشتباك عن إصابة لنش

إسرائيلى واشتعال النيران به وفرار اللنش الثانى للعدو تجاه قاعدة العدو البحرية فى شرم الشيخ.

ووصلت القوة المهاجمة إلى منطقة غرب رأس محمد فى الساعة الثامنة إلا ربع مساء، أى ١٩,٤٥، وعند الدخول نحو الشاطئ شاهدت كمينا إسرائيليا مكونا من عربتين نصف جنزير، ولم يكن هناك مفر من الاشتباك معهما.

وخلال دقائق تدخل طيران العدو، وبدأ فى إضاءة المنطقة بالمشاعل، ووصلت عناصر من قواته البحرية لحصار المنطقة. وأثناء الاشتباك، أعد أفراد من المجموعة الصواريخ المخصصة لقصف المنطقة وصوبتها تجاه الأهداف الإسرائيلية المخططة قبل أن تطلقها. وبعد إنجاز قصف شرم الشيخ حوالى الساعة العاشرة مساء عملت القوة على التخلص من الاشتباك، وتمكنت من العودة إلى جزيرة شدوان مخترقة الحصار البحرى الإسرائيلى ومنها اتجهت مرة أخرى إلى الغردقة التى وصلتها فى الساعة الثانية والنصف من صباح يوم ١٢ أكتوبر وقد خسر العدو فى هذه المعركة لنشين مسلحين وطائرة سكاى هوك.

العملية تحرير (٢)

قصف مستودعات بترول رأس شراتيب - ١٠/١٤

فى ظل يقظة كاملة للعدو ودفاعات نشطة ودوريات بحرية مستمرة للسيطرة على خليج السويس وتأمين التحركات البحرية الإسرائيلية شرق خليج السويس، تمكنت قوة من المجموعة ٣٩ بقيادة الرفاعى من الوصول إلى منطقة رأس شراتيب وتدمير مستودعات البترول الموجودة بها مساء يوم ١٤ أكتوبر.

وكانت القوة المهاجمة قد تحركت من منطقة رأس بكر الساعة ٢٠,١٥ وخلال إبحارها بمياه الخليج شاهدت دورية بحرية معادية مكونة من لنشين من طراز برترام متجهة ناحية الجنوب فتجنبتها. وفى الساعة ٢٣,٢٥ وصلت إلى منطقة الشعب ورست على الشاطئ الشرقى للخليج حيث هاجمت المستودعات بالأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات، فاشتعل خزان واحد، حيث كانت باقى الخزانات

فارغة وأثناء العودة إلى الساحل، اكتشفت القوة المهاجمة خط الأنابيب الموصل إلى الخزانات ووجود محبس رئيسى كبير عليها فقصفته المجموعة بصواريخ (آر. بى. جى)، مما أدى إلى انفجار كبير واشتعال النيران فى خط الأنابيب وإضاءة المنطقة بالكامل.

وفى نفس اللحظة فتح العدو نيرانا كثيفة باتجاه القوة المهاجمة، فردت عليه بالنيران واستمر الاشتباك لفترة قصيرة عملت بعدها المجموعة على التخلص من المعركة والانسحاب قبل أن تتدخل قوات العدو الجوية والبحرية وتمكنت من العودة فى الساعة ۰۳,۱۰ من صباح يوم ١٥ أكتوبر.

العملية تحرير (٤)

محاولة قصف مطار الطور بالصواريخ - ١٠/١٥

وبعد ساعات من عودة القوة التى هاجمت مستودعات بترول رأس شراتيب، كلفت بالعودة إلى المنطقة مرة أخرى لقصف مطار الطور بالصواريخ، إلا أن النشاط المكثف للعدو البحرى والجوى وسوء الأحوال الجوية وتعطل أحد القوارب حال دون تنفيذ هذه المهمة.

العملية تحرير (٥)

محاولة قصف مطار الطور - ١٠/١٦

حاولت القوة مرة أخرى الوصول إلى منطقة الطور لقصف المطار بالصواريخ، إلا أن العدو اكتشف وجود القوة واقترابها من الطور وأعد كمينا لتدميرها.

واكتشفت القاعدة الإدارية للمجموعة عن طريق التصنت اللاسلكى وجود الكمين من خلال الاتصالات اللاسلكية للعدو فاتصلت بإبراهيم الرفاعى لاسلكيا وطلبت منه العودة وحذرته من الكمين، ومن أن القوات البحرية الإسرائيلية منتشرة وتبحث عنه. فقرر مغادرة المنطقة والعودة يوم ١٧ أكتوبر ٧٣.

العملية تحرير (٦)

قصف مطار وميناء وتجمعات العدو بالطور ١٧/١٠

ولليوم الثالث على التوالى تبحر قوة من المجموعة ٣٩ قتال من رأس غارب باتجاه الطور لمحاولة تنفيذ المهمة التى لم تتمكن من تنفيذها خلال اليومين السابقين وقد استخدمت القوة قوارب الاقتحام المطاطية زودياك (طراز ٣ و٥) التى يصعب اكتشافها بالرادار، وكذلك بالعين المجردة.

وخلال الإبحار تبين لقائد المجموعة أن أحد القوارب غير قادر على مواكبة سرعة باقى القوارب، فأمر قائده بالعودة إلى القاعدة حتى لا يعرقل تنفيذ المهمة. وبعد ٨٠ دقيقة فى مياه خليج السويس، وصلت القوة إلى منطقة حمام موسى، وبدأت فى إعدا القواذف لقصف الأهداف المخططة. واستغرق إعداد القواذف وتصويب الصواريخ أقل من نصف ساعة، ثم تم تجهيزها للانطلاق بعد ساعة من الانسحاب من المنطقة باستخدام الأقلام الزمنية لتأخير الإطلاق. ومثلما راعت القوة تجنب الاصطدام بدوريات العدو البحرية خلال رحلة الذهاب حاولت مراعاة ذلك خلال رحلة الإياب.

وفى الساعة ٢٢,٥٠ أى قبل الحادية عشرة بعشر دقائق أضاء العدو المنطقة بالقنابل المضيئة وانتشرت فى سمائها طائرات هليكوبتر معادية فى محاولة لاكتشاف أية قوات مصرية تبحر فى الخليج.

وحاولت القوة بكل طاقتها الخروج من المناطق المضاءة، وأسرعت بالاتجاه نحو رأس غارب، وفعلا نجحت فى العودة دون أن يكتشفها العدو.

وأكدت عملية الاستطلاع اللاسلكى أن مطار الطور قد أصيب إصابات مباشرة وأن العدو تكبد خسائرفادحة. وكان ذلك واضحا من اتصالاته اللاسلكية المتتالية التى يطلب فيها أطباء وعربات إسعاف.

العملية تحرير (٧)

صد تقدم دبابات العدو فى منطقة فايد اعتبارا من ١٩/١٠

بعد عودة المجموعة من مهمتها الناجحة فى الطور كانت الجبهة تشهد نجاح الهجوم المضاد الإسرائيلى فى الوصول إلى منطقة غرب القناة.

وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة بتوجيهات من الرئيس السادات القائد الأعلى قد قررت تطوير الهجوم اعتبارا من يوم ١٣ أكتوبر ٧٣ تخفيفا للضغط الذى تتعرض له القوات السورية فى الجولان. وقد تم تأجيل عملية تطوير الهجوم لمدة يوم واحد نتيجة ظروف تحركات القوات المشتركة فى الهجوم وحاجتها إلى وقت لاستكمال استعداداتها. وبدأ الهجوم فعلا صباح يوم ١٤ أكتور ١٩٧٣.

واقتضت خطة تطوير الهجوم الدفع بقوات الفرقة الرابعة المدرعة والفرقة ٢١ المدرعة، وهما معا يشكلات الاحتياطى الاستراتيجى للقيادة العامة. وبوصول الفرقتين شرق القناة خلت الضفة الغربية للقناة إلا من قوة محدودة من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية، بالإضافة إلى قواعد الدفاع الجوى الموجودة والمناطق الإدارية.

ولأن القيادة العامة وقعت فى خطأ استخدام الاحتياطى الاستراتيجى قبل استخدام العدو لمثل هذه القوات، فقد كان متوقعا أن تدفع ثمن هذا الخطأ.

وقد اكتشفت طائرة الاستطلاع الأمريكية من طراز S.R ٧١ التى حلقت فوق الجبهة مرتين هذه الحقيقة.

وهذه المعلومات ساعدت القيادة الإسرائيلية على الاستعداد لإطلاق هجوم مضاد يخترق المنطقة التى تفصل بين قوات الجيش الثانى والثالث شرق القناة، ويصل إلى منطقة غرب القناة، لبناء رأس جسر هناك ومحاولة حصار قوات الجيشين الثانى والثالث شرق القناة.

وكانت هناك أخطاء عسكرية رئيسية فى خطة تطوير الهجوم أدت إلى فشله وتكبيد القوات المهاجمة خسائر فادحة. وعلى سبيل المثال فقد خسرت القوات المهاجمة ٢٨٠ دبابة خلال اليوم الأول لعملية تطوير الهجوم.

وهذا الرقم يمثل أكثر من ربع القوات المدرعة المصرية.

وبعد معركة شرسة شرق القناة، تمكنت قوات الهجوم المضاد الإسرائيلى من الوصول إلى غرب القناة، وبدأت فى مهاجمة قواعد الدفاع الجوى لإفساح المجال لعمل القوات الجوية الإسرائيلية.

ولجأت القيادة العامة إلى الاستعانة بقوات الاقتحام الجوى والصاعقة والمظلات لحصار ومقاومة قوات العدو غرب القناة.

وابتداء من يوم ١٧ أكتوبر حتى يوم ٢٧ أكتوبر تاريخ تنفيذ قرار وقف إطلاق النيران تحولت قوات المجموعة ٣٩ قتال للعمل فى منطقة الثغرة ومحاولة إمداد قوات الجيش الثالث المحاصرة بالتعيين والذخيرة.

وكانت قوة المجموعة ٣٩ قتال التى يقودها العقيد إبراهيم الرفاعى (٩ ضباط+٤٠ فردا) قد وصلت إلى القاهرة الساعة ١٥,٠٠ أى الثالثة بعد ظهر يوم الخميس ١٨ أكتوبر ٧٣ فعلمت أن باقى القوة التى كانت بالقاهرة (٢ ضابط+٢٠ فردا) قد أرسلت إلى قيادة الجيش الثانى الميدانى يوم الأربعاء ١٠/١٧ للاشتراك فى قتال قوات العدو الموجودة فى الدفرسوار. وتلقى إبراهيم الرفاعى أمرا للتوجه إلى مركز العمليات الرئيسى للقوات المسلحة. الساعة ١٦,٣٠ أى بعد وصوله بساعة ونصف، وفى نهاية لقائه مع القائد العام للقوات المسلحة، تلقى مهمة جديدة تتلخص فى تدمير معدات العبور التى جمعها العدو فى منطقة الدفرسوار على الساحل الشرقى للبحيرة المرة الكبرى تمهيدا لعبور مدرعاته ومعداته الثقيلة، على أن يتم ذلك من خلال قوات اللواء ١٨٢ اقتحام جوى التى يقودها العقيد إسماعيل عزمى والموجودة فى منطقة الدفرسوار غرب القناة.

غادرت المجموعة القاهرة الساعة ٢٣,٤٥ بعد إتمام تجهيز الأفراد والمعدات. وفى الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة الموافق ١٩ أكتوبر وصلت المجموعة إلى مكتب المخابرات فى الإسماعيلية ومنه توجهت لمقابلة اللواء عبدالمنعم خليل قائد الجيش الثانى الذى حل محل اللواء سعد مأمون.

وقد أخبر قائد الجيش الثانى الرفاعى بالمعلومات التالية:

- العدو يسيطر على منطقة الدفرسوار بالكامل شرق وغرب القناة.

- سيطر العدو على الحد الغربى للبحيرة المرة الكبرى حتى منطقة فايد.

- هناك بلاغات غير مؤكدة عن سيطرة العدو على أجزاء من طريق المعاهدة.

وفى النهاية اقترح على إبراهيم الرفاعى الوصول إلى كبريت، عن طريق وصلة عثمان أحمد عثمان. ورغبة من إبراهيم الرفاعى فى كسب الوقت وتنفيذ المهمة فى نفس الليلة حاول الوصول إلى كبريت عن طريق المعاهدة وفى الساعة السادسة صباحا، تحرك من الإسماعيلية إلى نفيشة ومنها جنوبا على طريق المعاهدة، وعند عزبة الخشاينة وجد عددا من المركبات المدمرة على الطريق و علم من بعض الأفراد أن جميع التحركات على طريق المعاهدة جنوب عزبة الخشاينة، وتقع تحت نيران دبابات العدو. فقرر العودة إلى مكتب مخابرات الإسماعيلية لمعرفة المزيد من المعلومات قبل أن يتجه إلى كبريت على الطريق الصحراوى.

وفى الإسماعيلية انضمت المجموعة التى سبق أن تلقت الأوامر بالتحرك إلى الإسماعيلية، ولم تكن منذ وصولها إلى الإسماعيلية حتى تلك اللحظة قد شاركت فى القتال الدائر فى منطقة غرب القناة.

وفى مكتب مخابرات الإسماعيلية علم الرفاعى من المقدم مازن مشرف قائد المكتب أن الفريق الشاذلى يطلب حضوره فورا لتكليفه بمهمة جديدة. وفى الساعة السابعة والربع صباحا، تمت المقابلة بمقر قيادة الجيش الثانى، وبحضور اللواء عبدالمنعم خليل قائد الجيش. وفى هذه المقابلة أبلغه إبراهيم الرفاعى بالمهمة التى كلفه بها القائد العام للقوات المسلحة، فقال له الفريق الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، أنا الذى أدير المعركة هنا الآن بتكليف من الرئيس، وأنا المسئول الوحيد هنا. ثم أوضح للرفاعى أن نسف المعبر ليس مهما، وكل ما يهمه هو تمشيط المنطقة من عناصر العدو المبعثرة. وكلف إبراهيم الرفاعى بمهمة التحرك على طريق المعاهدة والوصول إلى تقاطع سرابيوم واتخاذ مواقع دفاعية هناك للسيطرة على التقاطع والتمسك به بأى ثمن، فرد الرفاعى قائلا:

إن التقاطع فى يد العدو فعلا كما أنه يسيطر على الطريق شمال التقاطع وأبلغه بأن المجموعة تتحرك بسيارات جيب لا يمكنها السير فى مناطق الغرود الرملية الواقعة على أجناب الطريق وأن قوتها لا تزيد على ٦٠ فردا، وليس معها أى تسليح مضاد للدبابات سوى آر. بى. جى، والمدفع جوستاف ٨٤مم ومدفع واحد ٥٧مم أمريكى الصنع، وأن المدى المؤثر لهذه الأسلحة لا يزيد على ٥٠٠م، وعاد وأكد أن هذه ليست مهمته الأصلية، وأنه مكلف بمهمة من القائد العام للقوات المسلحة تتناسب ومهمة وتسليح المجموعة.

وتدخل اللواء عبدالمنعم خليل قائد الجيش الثانى فى المناقشة مؤيدا لرأى الرفاعى. واحتد الفريق الشاذلى وهو يطالب قائد الجيش الثانى بالسكوت ثم انتقل بالحديث لاتهام الرفاعى بالخوف من العدو، وقال له: الآن مطلوب تضحيات ومطلوب العمل بأى شىء وبأى ثمن، وأنا أعطيت أوامرى بإعدام أى شخص يتردد فى تنفيذ الأوامر، ثم طلب الفريق الشاذلى من قائد الجيش الثانى تزويد المجموعة بعربة لاسلكى للاتصال به فى القيادة وإعطائه الموقف أولا بأول لعدم وجود أية معلومات عما يحدث فى المنطقة.

واستغرق إعداد عربة لاسلكى حوالى ساعة وخمس وأربعين دقيقة. خلال هذه الفترة التقى الرفاعى والعقيد إسماعيل عزمى الذى حضر لمقر قيادة الجيش الثانى لمقابلة رئيس الأركان، حيث أتيحت له الفرصة لمعرفة الموقف الحقيقى لأوضاع قوات اللواء ١٨٢ اقتحام جو وأوضاع قوات العدو، حيث تبين أن العدو يسيطر على تقاطع سرابيوم بكتيبة دبابات يدفع منها عناصر شمالا على طريق المعاهدة. ونصح إسماعيل عزمى قائد المجموعة ٣٩ بعدم التقدم نهارا على طريق المعاهدة. نظرا لأن الطريق مكشوف ومعرض لنيران دبابات العدو، ولولا هذا اللقاء غير المتوقع وغير المخطط ما عرفت المجموعة ٣٩ شيئا عن الموقف الحقيقى فى المنطقة، وفى الساعة التاسعة والربع تحركت المجموعة من الإسماعيلية إلى نفيشة، وعند نقطة الوقود قابل الرفاعى العقيد إسماعيل عزمى مرة أخرى وهو غير قادر على التقدم لشدة نيران دبابات ومدفعية العدو المؤثرة على المنطقة من الجنوب ومن الغرب، وعاد ينصح الرفاعى بعدم التقدم

نهارا إلى سرابيوم وحوالى الساعة ١٠,١٠ واصلت المجموعة التقدم على الطريق حتى وصلت إلى جسر مصرف المحسمة حيث تعرضت لنيران الأسلحة الصغيرة، وبالاستطلاع تبينت المجموعة أن هذه النيران يطلقها أفراد شاردون من الفرقتين ١٦ مشاة، ٢١ المدرعة، بالإضافة إلى نيران من قوات العدو فى المنطقة. وباستطلاع المنطقة تبين أن أحد مواقع الصواريخ المضادة للطائرات التى تقع على تبة تبعد حوالى ٩٠٠م من المصرف (مصرف المحسمة) وعلى الجانب الشرقى من الطريق مباشرة بجوار عزبة الدهيشة يهاجمها العدو بعشر دبابات. وفى الساعة ١٠,٥٠ انتشرت عربات المجموعة على أجناب الطريق شمال جسر المحسمة وقرر الرفاعى:

- أن يحتل هو ومعه الرائد رفعت الزعفرانى وطاقم المدفع ٥٧مم وطاقم كارل جوستاف ٨٤مم التبة المقام فوقها موقع الصواريخ المضادة للطائرات.

- يحتل المقدم حسن العجيزى ومعه الرائد محسن طه، بالإضافة إلى طاقم كارل جوستاف مضاد للدبابات عيار ٨٤مم الغرود الرملية الواقعة مباشرة غرب موقع قاعدة الصواريخ. ويتولى المقدم طبيب محمد عالى نصر توزيع باقى القوة بعمق طولى على جانبى الطريق شمال الجسر لعمل كمائن مضادة للدبابات داخل منطقة المزروعات والأشجار. وتمكن إبراهيم الرفاعى من احتلال أعلى نقطة أعلى التبة، وبعدها أبلغ قيادة الجيش الثانى بوجود ١٠ دبابات معادية على مسافة تتراوح بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ متر جنوب وجنوب شرق موقع الصواريخ، وأنها تواصل قصف الموقع بمدافعها لتدميره وطلب قصفة نيران مدفعية. وبعد دقائق أبلغ قيادة الجيش بوجود عدد كبير من المدرعات والعربات على الكوبرى متجهة إلى منطقة الدفرسوار غرب القناة وطلب طلعة طيران وقصف الكوبرى بالمدفعية. وكرر الرفاعى هذه الطلبات عدة مرات إلا أن القيادة لم تستجب لأى منها.

وفى الساعة ١١,٥٠ قرر الرفاعى الاشتباك مع دبابات العدو لإحباط محاولة تدمير موقع الصواريخ وأيضا لمحاولة فتح الطريق للتقدم إلى سرابيوم. وخلال هذا الاشتباك أصيب الرفاعى فطلب المقدم محمد عالى نصر من الرائد محيى

إرسال عربة إلى خلف التبة لإجلاء الشهيد الرفاعى فورًا إلى الإسماعيلية وتولى هو قيادة المجموعة.

واستمر الاشتباك حتى الساعة ١٥,٠٠ وعندما سأل عالى نصر عن حالة الرفاعى تم إبلاغه أنه استشهد فور إصابته بشظية من دانة شديدة الانفجار. وانتهى الاشتباك بتدمير قاعدة الصواريخ تماما فيما عدا صاروخين، وخسرت مصر البطل الشهيد إبراهيم الرفاعى قائد قوات الكوماندوز، ولم تتمكن المجموعة من الوصول إلى تقاطع سرابيوم لاحتلاله تنفيذا لأوامر رئيس الأركان الفريق سعد الشاذلى الذى لم يكن لديه معلومات كافية عن الموقف فى الضفة الغربية بالرغم من أنه أكد أنه موجود ليدير المعركة - من هذا المكان، أى من قيادة الجيش الثانى الميدانى فى الإسماعيلية. ومن المؤكد أن قيادة الجيش الثانى الميدانى بالرغم من حضور ووجود سعد الشاذلى رئيس الأركان لم تكن لديها معلومات كاملة أو دقيقة عن العدو أو عن حقيقة الموقف غرب القناة.

وفى الساعة الرابعة مساء ترك المقدم محمد عالى نصر قائد المجموعة بعد استشهاد الرفاعى بعض أفراد القوة لمعاونة قائد موقع صواريخ فى إخلاء أفراده وما لديه من مستندات سرية ثم توجه فى عربة جيب إلى منطقة كوبرى ترعة المنايف، حيث شاهد ١٤ دبابة معادية متجهة من الغرب إلى الشرق. وعندما حاول تشكيل مكون من أربع مقاتلات من طراز مج ١٧ مهاجمة الدبابات المعادية اعترضهم تشكيل إسرائيلى يضم ٦ طائرات ميراج، وانتهت المعركة الجوية بإسقاط ٣ مقاتلات ميج ١٧بعدها قرر محمد عالى نصر اتخاذ مواقع دفاعية عند التباب والغرود الحاكمة على الطريق بالقرب من قرية الدهيشة مع عمل كمائن مضادة للدبابات.

وفى الساعة ٢٢,٣٠ عاد إلى الإسماعيلية بعد أن توقف نشاط العدو فى المنطقة، وترك القوة بقيادة المقدم حسن العجيزى ومن الإسماعيلية اتصل باللواء نصار مدير المخابرات الحربية، حيث عرض عليه الموقف بالتفصيل، وسأله عن الأوامر الجديدة فأمره أن يتوجه إلى قيادة الجيش الثانى الميدانى وإبلاغ اللواء عبدالمنعم خليل بما حدث وتجنب الاحتكاك بالفريق الشاذلى وطلب منه ترك

مسئولية المواقع الدفاعية للكتيبة رقم ٥٠٠ من اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكى الموجودة فى المنطقة - وأن تعود المجموعة ٣٩ قتال إلى الإسماعيلية لتعمل كاحتياطى تحت تصرف قائد الجيش الثانى الميدانى، وألا يتم ذلك إلا بعد موافقة قائد الجيش.

وفى الساعة ٢٢,١٠ استقبل اللواء خليل المقدم عالى نصر، حيث استمع منه عن الموقف ووافق على سحب المجموعة ٣٩ قتال إلى الإسماعيلية لكى تتمركز فى منطقة مكتب المخابرات، على أن يتم تنفيذ ذلك بعد أول ضوء فى اليوم التالى.

ويوم ٢١ أكتوبر تغيرت مهمة المجموعة، حيث انضمت إلى القوات الموجودة فى الإسماعيلية لتعزيز الدفاع عنها.

وبعد صدور قرار وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة السابعة مساء يوم الإثنين ٢٢ أكتوبر طلب اللواء نصار مدير المخابرات الحربية إعادة المجموعة إلى القاهرة لتنفيذ مهام إمداد الجيش الثالث عن طريق خليج السويس بالتعيينات والذخيرة عن طريق رأس مسلة.

العملية رفاعى ٦

انتشال جثث شهداء - ١٩٧٣/١٠/٢٩

البحث عن جثث شهداء طاقم هليكوبتر مى ٨ رقم ١٤٠٩ فى منطقة بير عديب فى خليج السويس وانتشال الشهداء

فى الساعة السادسة وعشرين دقيقة من صباح يوم ١٠/٢٩ أبلغ قائد الفوج الأول حدود الموجود فى بير عديب عن سقوط طائرة هليكوبتر فى الخليج. وطلبت القيادة من المجموعة ٣٩ قتال العمل على انتشال جثث الشهداء.

وتوجهت قوة من المجموعة بقيادة العقيد عالى نصر إلى منطقة بير عديب وأبحرت فى الخليج باستخدام قارب زودياك مارك ٣ وأسفر البحث عن انتشال ٥ جثث من طاقم الطائرة.



فى القارب عبده مباشر بصحبة اللواء سعد الشاذلى فى الطريق إلى شدوان.



اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى، يشرح للعقيد معمر القذافى والمقدم أبو بكر يونس وزير الحربية الليبى والفريق محمد صادق رئيس الأركان، تطورات معارك الاستنزاف، أثناء زيارة للجبهة.



الرئيس السادات يصافح عبده مباشر أثناء اصطفافه بجوار رجال المجموعة ٣٩ قتال (قوات الكوماندوز) وبجواره الفريق أول محمد صادق وزير الحربية وعندما علم أنه قاتل مع المجموعة كمتطوع بالصفة المدنية، أمر بمنحه رتبة عسكرية فخرية ووسام تقديرًا لشجاعته ووطنيته.

ولهذه الصورة قصة، فأثناء الاستعداد لهذا اليوم، أصر مباشر على الوقوف فى الطابور بالزى المدنى، وأكد أن هذا من حقه لأنه تطوع وانضم للمجموعة بالصفة المدنية. وقد رفض كل من اللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات الحربية ونائبه اللواء عز الدين مختار هذا المطلب لمخالفته للقواعد، وعندما أوضح لهما أن قبول تطوعه كان استثناء من القواعد أيضًا، وبقرار من الرئيس عبدالناصر بعد اعتراض الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وقتذاك، لم يغيرا موقفهما، واقترحا عليه الوقوف وهو يرتدى «أفرول»، ولكنه رفض الاقتراح، وأوضح أنه لن يقف فى الطابور إلا بالزى المدنى.

وعندما عرض مدير المخابرات الأمر على وزير الحربية، قال إن القرار من حق رئيس الجمهورية القائد الأعلى وعندما عرض الأمر عليه، كان رده بسيطًا ومقنعًا، حيث قال لوزير الحربية: إذا كنتم قد قبلتم تطوعه فى المجموعة بالصفة المدنية، فإن من حقه أن يقف الطابور بالصفة المدنية.



اللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات الحربية يشرح للرئيس السادات أعمال المجموعة ٣٩ قتال فى يوم تكريمها.



الشهيد العميد إبراهيم الرفاعى



الفريق أول صادق وزير الحربية يصافح العقيد إبراهيم الرفاعى قبل بدأ تكريم رجال المجموعة.



اللواء مصطفى كمال يتفحص قاعدة إطلاق صواريخ أرض - أرض.

الفصل الحادى و العشرون
إبراهيم الرفاعى
مذكرة عالى نصر

بعد أن سقط العميد أ. ح إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة ٣٩ قتال شهيدا بمنطقة الثغرة يوم ١٩/١٠/١٩٧٣ حاول قادة وضباط المجموعة الحفاظ على تماسكها حتى تتمكن من تحمل مسئوليتها خلال المعركة.

وبعد وقف إطلاق النار والاستعداد للاحتفال بتكريم القادة المنتصرين فى أول معركة هجومية مصرية منذ بدأ الصراع العسكرى المصرى - الإسرائيلى، وتقدير من أسهموا فى تحقيق أول انتصار عسكرى مصرى على إسرائيل. رأى العقيد طبيب محمد عالى نصر قائد المجموعة أن يكتب مذكرة إلى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة يطالب فيها بمنح اسم الشهيد الرفاعى قلادة الجمهورية ونص المذكرة كالتالى:

«بخصوص منح اسم الشهيد العميد أ. ح إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى.. قلادة الجمهورية».

الفريق أول أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة..

مقدمه لسيادتكم عقيد وقتى طبيب محمد عالى طه السيد نصر، قائد المجموعة ٣٩ قتال، كما تعلم القوات المسلحة وكما يتضح من التقرير المرفق، أبدى الشهيد الرفاعى طوال خدمته فى القوات المسلحة شجاعة فائقة وفدائية نادرة وكان دائما قدوة فى البذل والعطاء والإخلاص والتفانى فى خدمة الوطن.

فى الفترة منذ عدوان ١٩٦٧ حتى استشهاده يوم الجمعة الموافق ١٩٧٣/١٠/١٩ كان لى شرف الخدمة تحت قيادته، كان قائدى وكان معلمى وكان أخى الأكبر وصديقى، وهذا هو شعور كل فدائى فى المجموعة ٣٩ قتال، هو الذى علمنا الفدائية والإخلاص فى العمل والتفانى فى خدمة الوطن ليس بالكلمة، لكن بالفعل، كان دائما فى مقدمتنا ضاربا بنفسه المثل، حتى فى استشهاده علمنا كيف يستشهد البطل - كان وسيظل قدوة لى ولرجال القوات المسلحة فى التفانى فى خدمة الوطن العزيز.

لذا أتقدم لسيادتكم باقتراحى منح اسم الشهيد الرفاعى قلادة الجمهورية، راجيا من سيادتكم الموافقة والعرض على القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات، مستندا على أوامر القيادة العامة للقوات المسلحة رقم ٧٩ بتاريخ ١٤ يونية ١٩٧٢ - المادة الخامسة ونصها كالآتى: يجوز إهداء قلادة الجمهورية لرؤساء الدول ولأولياء العهود والنواب الرؤساء كما يجوز منحها للمواطنين المشهود لهم بالكفاية والتفانى فى خدمة الوطن.

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر التحية..

عقيد/ محمد عالى نصر

وفى نفس الوقت أعدت إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع مذكرة بخصوص الشهيد العقيد أ. ح إبراهيم الرفاعى توضح فيها الجوانب المختلفة لحياته العسكرية والمدنية وأرسلتها إلى مكتب القائد العام للقوات المسلحة بهدف النظر فى تكريم اسمه تقديرا لشجاعته الفائقة وروحه الفدائية العالية التى انعكست فى الأعمال التى قام بها فى أثناء خدمته فى الإدارة ونص المذكرة كالتالى:

مذكرة المخابرات الحربية

بخصوص الشهيد العقيد أ. ح إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى

أولا: البيانات العسكرية:

- تخرج فى الكلية الحربية فى ١٩٥٤/٧/١

- خدم بالمشاة - الصاعقة - إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع «فرع الاستطلاع»

- أنشأ فرع العمليات الخاصة وتولى قيادة المجموعة ٣٩ قتال

الترقيات الاستثنائية:

- ترقية خاصة إلى رتبة مقدم محلى فى عمليات اليمن فى ١٩٦٥/٦/١

- ترقية خاصة إلى رتبة عقيد وقتى.

الأنواط والنياشين العسكرية التى منحت للشهيد:

- الشجاعة العسكرى فى ١٩٦٠/٣/٩

- الشجاعة العسكرى فى ١٩٦٨/١/٢٧

- النجمة العسكرية فى ١٩٦٨/١٠/٥

- النجمة العسكرية فى ١٩٦٨/١٠/٢٣

- النجمة العسكرية فى ١٩٦٩/١٢/١٨

- نواط الواجب فى ١٩٧١/٤/١٧

- نجمة الشرف فى١٩٧١/٨/١٨

- تفضل السيد الرئيس محمد أنور السادات بمنح نوط الجمهورية العسكرى من الطبقة الأولى للمجموعة ٣٩ قتال بقيادة الشهيد.

البعثات:

- بعثة رؤساء سطع ل/ فر (١)بالاتحاد السوفيتى عام ٥٩/٥٨ بتقدير «امتياز»

ثانيا: الحالة الاجتماعية:

- متزوج وزوجته لا تعمل.

- عدد الأولاد (٢) ذكر وأنثى وهم فى المدارس الخاصة

- ليلى إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى - ١١ سنة - (أولى إعدادى بمدرسة السلحدار الإعدادية)

- سامح إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى - ٩ سنين - (ابتدائى بمدرسة الخليفة الخاصة)

- الوالد بالمعاش وكان يعمل موظفا فى وزارة الداخلية

- الوالدة موجودة ويعولها الوالد

أشقاء الشهيد بالقوات المسلحة:

- الشهيد الرائد سامح السيد الرفاعى الذى استشهد بالعمليات الحربية فى اليمن.

- العقيد أ. ح سامى السيد الرفاعى بقيادة ج ٣(١) ميدانى (فرع العمليات) حاليا

ثالثا: الأعمال الجليلة التى قام بها الشهيد أثناء خدمته العسكرية:

- اشترك مع قوات الصاعقة فى عمليات بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦

- قام بأعمال جليلة فى حرب اليمن مع قوات الصاعقة وترقى استثنائيا.

- قام بنفسه ومعه قواته (مج ٣٩ قتال) منذ عدوان ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ بالأعمال الآتية:

أ- أعمال خلف خطوط العدو.

ب - سطع قوات العدو.

ج - إغارات على مواقع العدو.

د - قام ببعض العمليات فى الجبهة الشرقية «الأردن» ضد قوات العدو. وكان أول من قام من قواتنا المسلحة بعبور القناة والقيام بالعمليات التعرضية ضد قوات العدو.

- قام الشهيد بتنفيد العمليات الآتية فى معركة التحرير عام ١٩٧٣:

أ - ضرب منطقة بلاعيم «مستودعات ومنشات البترول».

ب - ضرب قوات العدو فى رأس محمد.

ج - ضرب قوات العدو فى منطقة شراتيب.

د - ضرب قوات العدو فى منطقة الطور.

هـ - عمل كمائن واقتناص دبابات العدو فى منطقة الدفرسوار حيث نال شرف الشهادة يوم١٩/ ١٠/ ١٩٧٠.

الشهيد العقيد أ. ح إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى أبدى شجاعة فائقة وروح فدائية عالية فى جميع الأعمال التى قام بها فى أثناء خدمته فى الإدارة، وكان قدوة حسنة فى البذل والعطاء وكان مستعدا دائما للتضحية، بالإضافة إلى ما يتمتع به الشهيد من خلق عسكرى قويم وسمعة طيبة بين أقرانه من ضباط القوات.

التوقيع

لواء/ إبراهيم فؤاد محمد نصار

مدير المخابرات الحربية والاستطلاع

إبراهيم الرفاعى
قصة واحد
من أعظم المقاتلين
فى تاريخ العسكرية المصرية

حياته يمكن أن تتلخص فى ثلاث كلمات: ولد.. وقاتل.. واستشهد. كانت حياته قتالا مستمرا. كانت مصر حبه الكبير كانت حياته ودنياه قرأ تاريخها صبيا وأقسم بينه وبين نفسه أن يرفع رايتها عاليا وأن يكون جنديا يصنع لها مجدا، إنه العميد أركان حرب إبراهيم الرفاعى قائد الكوماندوز.

كانت القاهرة تموج بالحركة والنشاط ضد دستور صدقى الصادر عام ١٩٣٠ بعد إلغاء دستور ١٩٢٣ عند مولده فى ٢٧ يونيه عام ١٩٣١, وأصبح الطفل صبيا يعرف الطريق إلى المدرسة الابتدائية ومع كل خطوة يخطوها كانت الأحداث تتصاعد داخليا وعالميا.. الصراع الداخلى يسفر عن عودة دستور ١٩٢٣. ويتم إفساح الطريق أمام لعبة الأحزاب والديمقراطية والإنجليز يحتلون كل مصر. وتأتى معاهدة ١٩٣٦ بكل ما لها وما عليها، وحديث الأسرة والأصدقاء لا ينقطع عن تعداد أسباب عدم الرضا والفساد الذى تعيشه مصر نتيجة استمرار الصراع والاحتلال. وتتحرك الأحداث فى اتجاه الحرب العالمية الثانية. وتزحف جيوش رومل فى اتجاه الإسكندرية، وتتراجع قوات المحور. سنوات طويلة والصحراء الغربية ميدان للصدام العسكرى، والصبى الذى استمع وعجز ذهنه عن استيعاب كل شىء أصبح أكبر قليلا وتعلم كيف يقرأ الصحف التى يحملها والده معه عقب عودته من العمل ظهر كل يوم وشيئا فشيئا بدأت معلوماته تتزايد، وأصبح الصبى الهادئ مولعا بالقادة وأصبح وهو فى السنة الثانية

الابتدائية عضوا بفريق الكرة بالمدرسة وكان هذا تطورا كبيرا فى حياته فبدلا من لعب الكرة الشراب فى الشارع أصبح يلعب بكرة الكبار فى ملعب المدرسة واستطاع أن يحقق لفريقه المدرسى الفوز أكثر من مرة .

وأبدًا لم يعرف الصبى الرسوب فى الامتحانات.. نعم كان يلعب الكرة كثيرا وكان يقضى وقتا طويلا فى قراءة الجرائد والمجلات وبعض القصص البوليسية إلا أنه كان يعرف متى يتوقف ليستذكر دروسه .وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية عام ١٩٤٦ قضى عامين بالمدرسة الثانوية بعدها التحق بالمدرسة الثانوية العسكرية كانت المدرسة جديدة فى فكرتها وأسلوبها ووجد فيها الحياة التى كان يتمناها كل أحلام الصبى وأشواقه للعيش فى وطن بدون احتلال ومحتلين كانت تقوده إلى الحياة العسكرية وعندما كان طالبا بالسنة الثانية الثانوية حدثت معركة فلسطين ..كان قد أتم السابعة عشرة من عمره.. إدراكه أكبر وقدرته على الفهم أفضل. ومن تتبعه لسير الأحداث نما فى داخله إحساس غامض بالأسى.. بعدها بأكثر من عشرين عاما كان يذكر هذه الفترة ولا يستطيع أن يعرف كيف نما لديه هذا الإحساس .

كان يقرأ بقواتنا على أبواب تل أبيب.. أغارت طائراتنا على قوات ومواقع العدو وعادت سالمة.. ويمتلئ بالفخر.. بعدها يعرف من الأنباء المنشورة أيضا أن هناك هدنة ..انتهت الهدنة.. وتتراجع قواتنا.. ويتم حصار قواتنا فى منطقة الفالوجا.. هناك شىء غير مفهوم.. لا بل هناك أشياء كثيرة تجرى فى الخفاء لا يستطيع الوصول إليها ولا يستطيع فهمها.. ويترسخ لدية الإحساس بأن ينضم إلى صفوف القوات المسلحة ليصير قائدا.. ربما صورت له أحلامه أنه قادر على تحقيق ما عجز عنه الآخرون ولم تفاجأ أسرته برغبته فى الالتحاق بالمدرسة الثانوية العسكرية.. فكل حياته كانت تقوده إلى هذا الطريق.. كان منظما منذ صباه.. كشافا يافعا.. ويجد إبراهيم نفسه فى المدرسة الثانوية العسكرية.. النظام.. الضبط والربط.. العلوم العسكرية.. الرياضة البدنية.. الحياة.. كما يجب أن تكون ويندمج تماما فى المجتمع الجديد ويحصل على التوجيهية فى يونيه عام ١٩٥١ وبعد مضى خمسة أشهر يصبح طالبا بالكلية الحربية .

وبالتحديد فقد دخل الكلية الحربية فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥١.. كانت معركة ١٩٤٨ قد انتهت بالهدنة واتفاقية رودس.. وكانت مصر تعيش فترة من القلق والاضطراب وانتقلت مصر لتعيش فترة وحدة رائعة عندما أقدمت الحكومة المصرية برئاسة مصطفى النحاس على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وشهدت منطقة القناة شباب مصر يبذل دمه وهو يقاتل قوات الاحتلال.. ولم تدم هذه الفترة طويلا.. تآمر القصر والمحتل وآخرون على القوى الوطنية وبعد مضى ٦٧ يوما فى الكلية الحربية احترقت القاهرة.. وخلال فترة لا تتجاوز عدة أشهر تعاقبت وزارات كثيرة على مصر.. وسارت المظاهرات فى كل أنحاء مصر تطالب بالحرية والإصلاح.. وتحركت القوات المسلحة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. ويحاول إبراهيم أن يكبح جماح نفسه خلال هذه المرحلة.. لقد فكر فى الاستقالة من الكلية الحربية والانضمام إلى المتطوعين الذين يقاتلون فى منطقة القناة.. وتحترق القاهرة ويبيت الفتى وهو حائر.. لماذا يحرقونها ومن هم الذين أحرقوها وتملأ المظاهرات الشوارع ويتساءل بينه وبين نفسه هل تستطيع هذه المظاهرات أن تصل إلى نتيجة معينة.

ويواصل مسيرته فى الكلية الحربية يقرأ أكثر.. ويلعب فى فريق الكلية لكرة القدم ويلتهم الكتب والمذكرات الدراسية.. ويصبح الملازم ثان إبراهيم الرفاعى فى أول يوليو ١٩٥٤ وينضم إلى كتيبة مشاة.. ويحصل على فرقة عن أسلحة الفصيلة.. وبعد فترة قصيرة ينتقل إلى مدرسة المشاة.. ويحصل هناك على فرقة قادة فصائل.. ويقول عنه قادته فى أول تقرير لهم "ضابط كريم مخلص رياضى روحه المعنوية عالية "بعدها حصل على فرقة "تربية بدنية بمدرسة التربية البدنية وعندما بدأ العمل فى إنشاء الصاعقة ينضم إلى القوات الأولى ليكون من الجيل الأول لها .

وعندما رقى إلى رتبة الملازم أول حدثت معركة بورسعيد العود مازال أخضر والأحلام مازالت كبيرة.. والجسور التى تربط بين الأمانى والرغبات من جانب والقدرات والإمكانيات من جانب آخر تتسم عنده بالاتزان رغم كل ما يعطيه الانضمام إلى وحدة خاصة من إحساس بالتفوق. وتتلقى نواة الصاعقة الأمر

بالعمل فى بورسعيد.. ويتسلل إبراهيم مع كل الرجال إلى هناك ولأول مرة منذ تخرج فى الكلية الحربية يرتدى زيا مدنيا ويحمل بطاقة مدنية تفيد بأنه يعمل فى ميناء بورسعيد وكثيرة هى الأعمال التى شارك فيها أو قام بها خلال وجوده فى بورسعيد. ولكن أهم عملياته كانت الهجوم على معسكر الدبابات فى بورسعيد.. فقد تحمل المقاتل إبراهيم التخطيط والإعداد لها.. بصبر جمع المعلومات عن معسكر العدو وعندما توافر القدر الكافى منها وضع خطته طبقا للإمكانيات المتاحة.. وتحرك مع رجاله.. وفقا للخطة حتى اقترب من المعسكر.. وانتظر اللحظة المواتية وعندما حانت اندفع الرجال يطلقون نيران كل أسلحتهم لتدمير دبابات العدو .وكانت هناك مجموعات تحمى الرجال الذين اندفعوا إلى داخل المعسكر.. وعندما أتموا عملهم انسحبوا.. بعدهم انسحبت جماعات القطع والحماية .

وعندما حاولت القوات المعادية محاصرة المنطقة لاصطيادهم لم تسفر جهودها عن شىء.. وعبثا كان استمرار البحث.. كان يبدو للقادة الإنجليز أن الأرض قد انشقت وابتلعتهم كان هذا مثلا أقرب إلى الواقع فقد اتجه الرجال إلى قسم البوليس القريب ليتحولوا هناك إلى رجال بوليس ومساجين. وكانت هذه العملية من أكبر العمليات التى تمت فى بورسعيد. وما زالت تعتبر من أنظف العمليات الخاصة .

وكان تقييم قادته له خلال هذه الفترة «ضابط من الضباط القلائل بالجيش الذين يجمعون بين المهارة فى الرياضة والتفوق فى أعمال الميدان. جرىء» ويتفتح الفتى على نيران المعركة ويزداد عشقه لقتال الأعداء. ويمكن القول إنه اكتشف نفسه خلال معارك بورسعيد. عرف مكانه. القتال خلف خطوط العدو. وكان يرى فى نفسه الرغبة فى خوض التجارب الصعبة .وعرف أين توجد ميادينها. ويعود من ميدان القتال إلى كتائب الصاعقة.. وينتقل منها للعمل فى مدرسة الصاعقة ليؤدى دوره فى إعداد أجيال جديدة.. وكان مؤهلا لأداء هذا الدور فقد حصل على فرقة الصاعقة.. وفرقة تحكيم.. بعدها حصل على فرقة معلمى صاعقة. وقد وصفه قادته فى تقريرهم عنه «ضابط ممتاز من جميع الوجوه يعتمد عليه»

كان دائما يرى أنه لن يستطيع أن يتقدم ما لم يتعلم أكثر. وواصل السير على طريق اكتساب الخبرات وتنمية قدراته وإمكانياته. وقاده ذلك إلى الالتحاق بفرقة بمدرسة المظلات والقفز بالمظلة. وينتقل إبراهيم للخدمة فى قيادة وحدات الصاعقة ليعمل كرئيس عمليات قيادة وحدات الصاعقة. ويحصل فى عام ١٩٦٠ على أول نوط عسكرى هو نوط الشجاعة العسكرى من الطبقة الأولى .

ومرة أخرى يؤكد قادته ما تضمنته تقاريره السابقة بوصفهم له «ضابط يعتمد عليه ذو أخلاق حميدة ضابط ميدان كفء».

وتأتى حرب اليمن.. ..العملية ٩٠٠٠ ويقوم بدور كبير فيها من معركة ناجحة إلى إغارة أكثر نجاحا.. ومن منطقة تم تطهيرها إلى قمة جبل تخترق السحاب ليستولى عليها. ويتولى منصب قائد كتيبة صاعقة باليمن. ونتيجة لدوره فى اليمن ذكرت التقارير أنه «ضابط مقاتل من الطراز الأول جرىء وشجاع يعتمد عليه يميل إلى التشبث برأيه محارب ينتظره مستقبل ممتاز».

كان يوما بمقر قيادة القوات فى صنعاء باليمن وعرف أن كتيبة صاعقة محاصرة فى منطقة صرواح.. وأن ذخيرتها قاربت النفاد إن لم تكن قد نفدت فعلا ووصلت إشارة من القوات المحاصرة تفيد أن العدو أدرك أن ذخيرتها قد نفدت وأنه بدأ هجوما مركزا وأنهم يستعدون للقتال بالسلاح الأبيض. كان الجو مكفهرا والأمطار تهطل باستمرار والطيران متعذر.. وهذا ما أدى إلى تأخير عمليات الإمداد.. وخرج إبراهيم من مقر القيادة وتوجه مسرعا إلى نادى الطيارين وهناك شرح لهم الموقف.. كتيبة صاعقة من المحتمل القضاء عليها قبل أن تصل القوات التى تحركت لنجدتها.. والعدو يعرف موقف الذخيرة بالكتيبة وبدأ فعلا هجوما للاستيلاء على الموقع والقضاء على الكتيبة. ويطلب متطوعين للطيران لإنقاذ هذه القوة وإمدادها بالذخيرة.. ورغم رداءة الجو وتعذر الطيران فيه.. يتقدم أكثر من طيار.. بعدها بدقائق كانت الطائرات تقلع من مطار صنعاء فى الطريق إلى صرواح.. لم يكن من الممكن إلقاء الذخيرة بالمظلات خشية أن يحصل عليها العدو.. كما أنه لا يمكن إلقاؤها من ارتفاعات منخفضة بقدر الإمكان.. وتدور الطائرة حول الموقع وتنهال نيران العدو عليها من كل اتجاه .

وأمام تعذر رؤية مواقع الكتيبة المحاصرة يطلب إبراهيم من جديد الطيران على ارتفاع أكثر انخفاضا.. ورغم ما فى ذلك من خطورة الاصطدام بقمة أحد الجبال يستجيب الطيار البطل.. ويتمكنون من رؤية الرجال ويبدءون فى إلقاء صناديق الذخيرة من باب الطائرة ويتلقفها الرجال ويسمعون وهم فى الطائرة رغم الأزيز وزئير الرياح صيحات الفرح والتهليل وصيحات الله أكبر التى يقولونها أكثر دويا من طلقات المدافع والبنادق .

وعندما التقيت به فى اليمن.. حدثنى عن بطولة رجاله وعمليات كتائب الصاعقة الأخرى. كنت وقتها أزور اليمن للمرة الثامنة على ما أذكر. وعرفت منه أنه سيعود وكتيبته إلى القاهرة قريبا فى عملية «غيار». وكان لقائى التالى به أثناء طابور السير الذى قامت به وحدات الصاعقة من أنشاص إلى بورسعيد فى ديسمبر عام ١٩٦٤ كان يتولى قيادة كتيبة صاعقة جديدة وكان التنافس بين الوحدات المشتركة فى الطابور على أشده واستطاع بالرجال «الخضر» أن يحقق نتيجة كبيرة .

وخلال عام ١٩٦٥ صدر قرار بترقيته ترقية استثنائية تقديرا للأعمال التى قام بها فى الميدان اليمنى. ويزداد إبراهيم خبرة وتكبر رتبته أيضا ويترك كتيبة الصاعقة ليتولى مسئولية رئيس استطلاع قيادة العملية ٩٠٠٠ باليمن ويسافر إلى الاتحاد السوفيتى للدراسة ويحضر هناك دورة قادة استطلاع. كانت تجربته الأولى للدراسة بالخارج .

وأيا كانت اكتشافاته فقد التهم كل ما درسه.. بل حاول اختراق الحصار المفروض على المواد التى تدرس فقط ليحصل على أكثر مما هو مقرر. وفى هذا الميدان أيضًا تقدم للالتحاق بكلية أركان حرب بعد عودته بفترة من الاتحاد السوفيتى واجتاز الاختبار العلمى والرياضى وأصبح طالبا بالكلية.. وخلال الدورة أثبت اقتدارا فى الاستيعاب والمنافسة وطرح الأفكار الجديدة خاصة فى ميدان التكتيك .

وتمضى الأيام.. يقود رجالا.. ويدرب رجالا آخرين.. ومرة أخرى تؤكد التقارير أنه «ضابط ممتاز يتصف بالجرأة والشجاعة». وتهزه معركة ١٩٦٧ بعنف.. مزيج من الحنق. والغضب والرفض.. ويشعر بجرح نافذ فى أعماقه.. هل تمتهن مصر كل هذا الامتهان؟ وهل يستحق جيشها هذه الضربة؟ وهل يبتلع الشعب كبرياءه؟ .. لا.. وتتركز الأنظار على الصاعقة عقب محاولة الانقلاب التى شارك فيها المشير عامر وشمس بدران وعدد من قادة وضباط الصاعقة. كان هو بعيدا.. وبعيدا جدا.. كان يؤمن أنه ضابط محترف.. وليس له أن يحاول تعاطى السياسة على أية صورة.. وخلال هذه الفترة كانت القيادة العامة قد بدأت فى تشكيل مجموعة صغيرة من الفدائيين لتقوم ببعض الأعمال الخاصة فى سيناء. كانت فكرة القيادة أن العمل خلف خطوط العدو فى سيناء وفوراً سيعجل باستعادة القوات المسلحة لثقتها بالنفس والقضاء على إحساس العدو بالأمن وممارسة الضغط عليه بمواصلة الاحتلال لإحباط محاولته الضغط على مصر بمواصلة الاحتلال .

ووقع اختيار القيادة على إبراهيم الرفاعى لقيادة هذه المجموعة وبدأ إبراهيم فورا فى اختيار العناصر الصالحة للتعاون معه.. وخلال هذه المرحلة بدأت النواة الأولى للمجموعة عملياتها بنسف قطار للعدو عند الشيخ زويد ونسف مخازن الذخيرة التى تركتها قواتنا عند انسحابها قبل أن يبدأ العدو فى استخدامها. أما قصة نسف القطار فتبدأ عندما وصلت القيادة العامة للقوات المسلحة معلومات عن محاولة العدو نقل بعض الصواريخ المصرية للاشتراك فى عرض عسكرى بالقدس فأمر مدير المخابرات الحربية الرفاعى بمنع وصول هذه الصواريخ إلى إسرائيل وتحركت عناصر المجموعة وتسللت عبر القناة إلى سيناء وأخذت طريقها حتى وصلت إلى منطقة الشيخ زويد طبقا للخطة التى درست كل تفاصيلها بعناية وزرعت الألغام حول القضبان بعناية شديدة مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة حتى لا يكتشف العدو المحاولة .

وكان من المقرر أن تعود هذه العناصر بعد زراعة الألغام ولكنهم جميعا رفضوا أن يتركوا أماكنهم قبل أن تنفجر الألغام فعلا ويتم نسف القطار. وفعلا وصل

القطار وهو يحمل القادة والضباط والجنود العائدين إلى إسرائيل بعد غيارهم.. وخسرت إسرائيل كثيرا.. وكثيرا جدا من الأفراد. وتمكن الرجال من العودة. وبعد هاتين العمليتين وصل إبراهيم خطاب شكر من وزير الحربية على المجهود والإخلاص والتفانى الذى يبذله فى العمليات بنجاح.. وذكرت التقارير أنه «ضابط مقاتل يتسم بالشجاعة فى قتال العدو».

كبرت المجموعة وأصبح الانضمام إلى المجموعة شرف يسعى الكثيرون من العسكريين لنيله. وزادت عملياتها بشكل كبير وداست أقدامهم مناطق كثيرة فى سيناء شمالا وجنوبا.. وزرعت المجموعة الخوف والدمار أينما وصلت. وتقرر منحه نوط الشجاعة العسكرية من الطبقة الأولى عام ١٩٦٨. ومع تزايد عمليات المجموعة التابعة للمخابرات الحربية والاستطلاع كان لابد من اسم وشعار. وأخذت الاسم.. المجموعة ٣٩ عمليات خاصة .

أما الشعار فقد اختار إبراهيم رأس النمر كشعار لمجموعته نفس الشعار الذى اتخذه الشهيد أحمد عبد العزيز خلال معارك ١٩٤٨ .

وعلى ضوء نيران الحرائق والانفجارات يتأكد من صحة الطريق الذى اختاره. كانت نيرانه ونيران رجاله أول نيران مصرية تطلق فى سيناء بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧. ويستمر فى زرع الرعب والهول والموت والدمار فى كل أنحاء سيناء تاركا بصماته وبصمات رجاله على كل بقعة فيها. وتزداد المجموعة ويزداد حجم العمل.. ويتضاعف نشاطه.. وفى نهاية كل عملية كنت ألتقى به.. سعيدا كالعصفور.. تواقا لعملية جديدة.. وأطلب أن أشترك معه.. ولكنه يخشى أن ينالنى مكروه.. وأستمر فى الإلحاح فيحولنى إلى القيادة العامة وأكرر الطلب دون إحساس باليأس.. كنت أشعر أن مكانى بين هؤلاء الرجال طليعة المقاتلين وكان إحساسى أن القلم وحده لا يكفى لابد أن أحمل السلاح.. ويوافق رئيس الأركان أخيرا على طلبى.. ويأذن لإبراهيم بأن أرافقه .

وبدأت العجلة تدور.. فى انتظار العملية التالية.. الأولى بالنسبة لى.. وأخضعنى إبراهيم لمراحل متتالية من التدريب كانت وجهة نظره أننى سأحتل

مكان أحد المقاتلين فى وسائل النقل سواء عبر القناة أو خليج السويس والتى لا تتسع لعدد كبير من الافراد والمعدات وبالتالى لا يكفى أن أكون صحفيا أو مراسلا حربيا فهناك واجب لا بد أن أقوم به كمقاتل.. وكانت التجربة الأولى.. تحركنا من القاعدة إلى أقرب نقطة سيبدأ منها الانطلاق للضفة الأخرى.. وكانت أول تعليمات القائد أن أظل بجواره.. وفعلا ظللت بجواره.. ونجحت العملية. واكتشفت أبعادا جديدة فى شخصيته.. كيف يسيطر على رجاله فى الميدان وقدرته الرائعة على التنبؤ واتخاذ القرارات السريعة والدقيقة لمواجهة الاحتمالات سواء المتوقعة أو غير المتوقعة .

وكنت أرقبه وهو يحاول مراقبتى خفية لمعرفة انفعالاتى طوال المراحل المختلفة كما لاحظت أن كثيرا من الرجال يحاولون بين الحين والحين أن يرقبوا هذا المدنى الهاوى. كنت أتساءل دائما ألا يخاف المقاتل واكتشفت أن المقاتل يعرف الخوف ولكنه يستطيع أو يعرف كيف يسيطر عليه .وقد عشت مزيجا من المشاعر.. مزيجا متداخلا من الأفكار والذكريات. الخوف الذى بذلت جهدا للسيطرة عليه واضعا فى اعتبارى أن الفشل معناه حرمانى من الاستمرار كما أنه لم يكن يرضينى أن يسيطر الخوف على ويعرف الذين استجابوا لإلحاحى وصدقوا لى بالاشتراك مع المجموعة أننى غير أهل لهذه الثقة. واكتشفت أننى أقرب إلى الله وأنا فى الميدان، منى فى أى مكان آخر.

ومرت بى لحظات باهرة من الكبرياء.. وامتلأت بالأسى وأنا أقف متسللا فوق أرضى واحتويت مشاعر الغضب والألم لأواصل أداء دورى. كم بدت الصورة مختلفة عندما تطلعت غربيا.. إلى أرضى التى يدنسها العدو.. ولست أدرى كيف يمتزج الماضى بالحاضر فى نسيج واحد ينساب أمام ناظرى.. ويتجه الرجال كالنمور لأداء أدوارهم وأحاول جاهدا أن أؤدى دورى دون أخطاء.. لا مجال هنا للخطأ.. وأعرف معنى البدهية التى تقول أن فى الإنسان طاقات وإمكانيات لا يمكن اكتشافها فى الظروف العادية. إن الأعمال التى أقوم بها لم أكن أصدق يوما أننى قادر على تنفيذها. ومع هذا أؤديها وكأننى أديتها من قبل عشرات المرات .

وأقف بجوار إبراهيم عدة مرات خلف خطوط العدو فى سيناء ومع رجاله وهم يهاجمون مواقع العدو وأهدافه. ويتقرر منحه النجمة العسكرية عام ١٩٦٨ بعد أن حصل على أول أسير اسرائيلى.. بعدها يحصل على النجمة العسكرية لثانى مرة عام ١٩٦٩ وفى نفس العام يتقرر منحه النجمة العسكرية للمرة الثالثة وأستطيع أن أؤكد أنه القائد الوحيد فى الجيش المصرى الذى حصل على وسام النجمة العسكرية ثلاث مرات .

وأراه من هذا النمط من القادة الذى يبدو دائما هادئ الملامح.. دائما يبتسم.. ضاحك العينين سمح القسمات.. مثل هذه الصورة لا تعبر عن حقيقة النار والغضب المتفجر فى أعماقه.. هذه النار والغضب المتفجر لا تبدو واضحة إلا فى الميدان عندما يصب نيرانه حمما على مواقع العدو بضراوة وشراسة وعنف.. ومع هذا العنف فإنه يحمل فى قلبه حبا لكل الرجال الذين يقاتلون معه وبجواره.. كان يهتم بكل أمورهم.. يتابع حياتهم الخاصة وييسر لهم كل المشاكل التى يتعرضون لها مجاملا إلى أبعد الحدود.. وعندما يضطر فهو قاس معهم.. لا يقبل الخطأ ولا يتسامح فيه.. إن هؤلاء الذين يعيشون الخطر دائما غير مسموح لهم بالخطأ.. الخطأ فى التدريب أو فى العمل اليومى معناه أنه يمكن أن يتكرر فى ميدان القتال.. والخطأ فى ميدان القتال ثمنه حياة فرد أو أفراد ثمنه فشل الخطة. ومشاعر الوفاء سمة أصيلة فيه لم يتخل عن صديق.. الصداقة فوق كل الاعتبارات.. وعندما أساء إليه البعض.. وضع لافته فى مكتبه "اتق شر من أحسنت إليه "كانت تعبيرا عن الغضب الهادئ والتسامح الممزوج بالعبرة .

كان زاهدا فى الدنيا.. كنت أدرك أنه من الطبيعى أن يسعى بنو البشر جاهدين للفوز ببعض متاع الحياة . أما هو فلا.. لم أره مرة ولم أسمعه مرة يتحدث عن هذا أو يشير إليه.. سألته يوما.. ألست بشرا مثلنا فابتسم فى حياء وتواضع وقرأ قوله تعالى «قل متاع الدنيا قليل»..

وتنتقل المجموعة تحت قيادته من نجاح إلى نجاح.. وتتقدم به السن وأعرف أنه مريض بقرحة فى المعدة وأنه أجرى جراحة فى لندن وما زالت آلام القرحة مستمرة وأسأله يوما ألا تتوقف وتترك لرجالك قطع الطريق؟ ويجيب فى هدوء..

لن تدرك ما معنى أن تقاتل عدوك فى مكمنه إلا إذا خضت التجربة بنفسك.. وعندما أخوض التجربة معه وبجواره كنت أسأل نفسى وهل أرضى أنا بالتوقف حتى أطلب منه هو أن يتوقف؟ وأقول له لماذا لا تسافر للعلاج؟ وكنت أعلم أن هناك الحاجا ليسافر للعلاج ليبرأ من هذه الآلام.. وإجابته الوحيدة :مصر جريحة وتحتاج للعلاج أولا.. وخير من يعالجها هو أبناؤها.. بعدها يمكن أن يبحثوا هم عن علاج لأنفسهم .

ولم يكن أحد من رجاله يلاحظ الآلام التى تنتابه عندما تثور القرحة.. وكنت أرى الجهد الذى يبذله ليسيطر على نفسه ويظل متماسكا متمتعا بالحيوية التى لا تسمح لأحد بأن يشك فى أنه يعانى.. وكان إبراهيم من هذا النمط من القادة الذين لا يهتمـــون بوضع ورسم خططهم على خرائط وأوراق زاخرة بالألوان الحمراء والزرقاء.. يكفيه قصاصة من الورق يضع عليها خطته .

رؤية أخرى بقلم اللواء مصطفى كمال رئيس فرع البحوث بالمخابرات الحربية

فى الاحتفال بالذكرى الرابعة لاستشهاد إبراهيم الرفاعى قرر اللواء مصطفى كمال الذى يعد القائد الوحيد الذى رافق المجموعة منذ لحظة الميلاد عام ١٩٦٧ وحتى لحظة التشتت أو التبعثر التى لم تتأخر كثيرا بعد ما تحقق الانتصار الكبير فى أكتوبر ٧٣. أن يصوغ مشاعره الحميمة تجاه ابنه الرفاعى.

وبالرغم من أن فارق السن بين الرجلين لم يكن كبيرا إلا أن اللواء مصطفى كمال اعتبر إبراهيم ابنه وصديقه الحميم كما اعتبر المجموعة كلها قطعة منه .

ومن المدهش أن اللواء مصطفى كمال هو الشخص الوحيد الذى عايش المجموعة فى كل عملياتها التى نفذتها خلف خطوط العدو بل وعايشها فى تدريباتها وحياتها وصراعات أفرادها وطموحاتها أيضا . كان قاسما مشتركا فى كل مراحل المجموعة .

وشاءت الظروف أن يكرس اللواء مصطفى كمال حياته للقوات المسلحة فكرا وعملا وعلما وجهدا ووقتا متفانيا فى أداء واجبه أمينا فى حمل مسئولياته .

وقد تمكن باقتدار من حمل مسئولياته كرئيس لفرع البحوث ومن متابعة المجموعة ٣٩ قتال .

وكثيرا ما استفادت المجموعة من خبراته وابتكاراته فى مجال الصواريخ والمتفجرات كما أنه كان همزة الوصل بين المجموعة والمصانع الحربية ككل حتى تتمكن من الحصول على احتياجاتها وتطوير أسلحتها ومعداتها.

وفى مقدمة الصفحات التى كتبها أوضح القائد الكبير أنه كتبها «فى ذكرى ابنى وأخى وزميل السلاح بطل الأبطال الشهيد إبراهيم الرفاعى»

أما الصفحات التى كتبها فهى كالتالى :

فى ذكرى ابنى وأخى وزميل السلاح
بطل الأبطال الشهيد إبراهيم الرفاعى
بطل الأبطال

سيرة البطل الشهيد العميد أ . ح إبراهيم الرفاعى السيد الرفاعى

نشأته :

ولد الشهيد يوم ٢٧ يونيه ١٩٣١ بشارع البوستة القديمة بالعباسية بالقاهرة... مثله فى ذلك مثل الملايين من أبناء مصر الذين بدأت حياتهم فى هذه الفترة من الزمان والذين تأثروا فى حياتهم بمجريات الحوادث التى كانت تمر بها مصر من تجمع وتكثيف للمطالبة بالحرية والاستقلال وكان يغذى هذا الشعور الوطنى الذى يتشربه الشهيد منذ طفولته أنه نشأ من عائلة وطنية عسكرية فوالده السيد الرفاعى من رجال الإدارة «مأمور مركز» الذين يقدسون الواجب ويؤمنون بحب مصر ويتفانون فى خدمتها أما والدته فكانت ابنة المرحوم القائمقام - العقيد - عبد الوهاب لبيب بلبل وعمها المرحوم البكباشى أحمد حلمى بلبل وكأنما أراد له القدر أن يزداد تعرفا على مصر ومحبة لها. فطبقا لعمل والده أخذ يتنقل من بلدة إلى أخرى حتى بلغ ما عاش فيه من المدن والمراكز

أربعة عشر مركزا وقرية متعرفا على أهلها ومكونا الصداقات بها جميعا أينما مر خلال مراحل عمل والده وخلال دراسته متنقلا من مدرسة إلى أخرى .

وكانت الأحداث تتسابق بسرعة ليتأثر بها الشهيد من خلال مجتمع الأسرة والقرية والمدرسة فما أن حل عام ١٩٣٩ إلا وشبت الحرب العالمية الثانية وكان الشهيد فى أوائل عامه التاسع أى فى أوائل عمره الواعى لما حوله واستمرت الحرب العالمية الثانية ستة أعوام وانتهت عام ١٩٤٥ وقد بلغ الشهيد من العمر أربعة عشر عاما أى فجر الشباب وقتها، بدأ يتلقف الهتافات الثائرة من جماهير المتظاهرين التى تطالب بالجلاء عن مصرنا الحبيبة وتهتف قائلة «الجلاء بالدماء» رافعة شعارات التضحية فى سبيل الوطن وأخذ الحماس مداه وبدا من الواضح له ولملايين غيره من الشباب أنه لا حياة بدون مصر القوية التى يحميها جيش قوى شاء المستعمر أم لم يشأ وانسحب الإنجليز من القاهرة والإسكندرية إلى منطقة القناة. وأحس الشباب أن ذلك النصر نصرهم وأنه يمكنهم تحقيق المزيد، وتأجج الشهيد حماسا فلم ينتظر حتى يتم دراسته الثانوية ليلتحق بالكلية الحربية بل سارع بالالتحاق بالمدرسة الثانوية العسكرية، وكان هناك ما دفعه إلى ذلك دفعا، فقد اشتركت القوات المصرية جيشا ومتطوعين فى حرب فلسطين وظهرت بطولات مصرية رغم الخيانات والغدر وتجار السلاح وظهرت بطولات تثبت أن العبرة ليست بوفرة السلاح والتفوق العددى، فالبطولات المصرية موجودة فى كل وقت وزمان لم تختف بعد حروب القوات المصرية فى عهد محمد على وإسماعيل بل ظهرت مرة أخرى فى حروب فلسطين، وقد تأثر الرفاعى بشكل واضح ببطولات الشهيد أحمد عبد العزيز فى حرب فلسطين والشهيد الموجى من أبطال قواتنا المسلحة .

دخل إبراهيم الرفاعى الثانوية العسكرية متعجلا متلهفا على الدخول فى صفوف المقاتلين تلهفا على البطولة وليس المظهر. وفى نهاية عام ١٩٥١ حصل على التوجيهية، والتحق بالكلية الحربية. وكانت مصر كلها تغلى بأحداث ما قبل الثورة، ولم يعد الشهيد شابا بل أصبح رجلا يدرك ما عليه من مسئوليات نحو

وطنه وقامت الثورة وتخرج الشهيد إبراهيم الرفاعى ضابطا فى القوات المسلحة.

حياته العسكرية وحروب ما قبل ١٩٦٧ :

تخرج الشهيد إبراهيم الرفاعى فى الكلية الحربية فى ١٩٥٤/٩/٢٧ والتحق بسلاح المشاة ثم سارع بالانضمام إلى قوات الصاعقة التى كانت فى بدء تكوينها فى منطقة أبى عجيلة بسيناء عام ١٩٥٥ وكان ترتيبه الأول على فرقة الصاعقة التى حصل عليها ولم تمهله الأحداث ليثبت مقدار حبه لمصر وتضحيته من أجلها ففى عام ١٩٥٦ كان العدو الإسرائيلى على الحدود الشرقية يدبر مؤامرة فى الخفاء مع المستعمر الإنجليزى الذى يريد أن يستعيد مركزه المفقود فى منطقة القناة وكان العدوان الثلاثى.. تحالفت فيه دولتان من الدول العظمى هما إنجلترا وفرنسا مع ربيبتهم إسرائيل على توجيه ضربة قاصمة ضد الجيش المصرى فى سيناء وتحطيم قواته ومعنوياته وأسلحته قبل أن يصلب عوده خصوصا بعد وصول الدفعات الأولى من صفقة الأسلحة الشرقية وكانت الضربة غادرة مما اضطر الجيش المصرى للانسحاب من سيناء للإفلات من الشرك واحتل الإنجليز والفرنسيون مدينة بور سيعد لاستخدامها كورقة مساومة مع مصر ولكن القيادة المصرية ما كانت لتتركهم ينعمون بالهدوء فى بور سعيد. ورغم تفوق العدو الساحق جوا وبحرا وبرا فقد تم دفع عناصر من براعم شباب الصاعقة إلى داخل بور سعيد، وكانت فرصتهم لإثبات ما يتمنون . وكان الشهيد إبراهيم الرفاعى أحد قادة العناصر الفدائية التى دخلت إلى بور سعيد وشنت فيها العديد من العمليات الفدائية الجريئة مثل إغارته على معسكر دبابات العدو البريطانى أمام محافظة بور سعيد وتدمير العديد من دبابات العدو. وبقى الشهيد فى بور سعيد مع أقرانه وزملائه يقضون مضاجع العدو. الذى كان يزيد عن فرقتين عدا قوات المظلات والمدرعات وأبطالنا بضع عشرات من أبطال الصاعقة يكونون النواة الصلبة التى تلتف حولها المقاومة الشعبية التى استمرت إلى أن تم جلاء آخر جندى معتدى عن بورسعيد ورحل الاستعمار إلى غير رجعة باحثا عن ميادين جديدة لمؤامراته ضد مصر .

وعادت قوات الصاعقة إلى تدريباتها واستعداداتها، فواجبها دائما التضحية والفداء والبذل فى سبيل مصر كلما دعا النداء واستكمل الشهيد دراسته. ففى عام ١٩٥٩ حصل الشهيد إبراهيم الرفاعى على دورة أركان الحرب وأخذ يتدرج فى الترقى والمناصب ليصبح قائدا لإحدى مجموعات الصاعقة وكانت هى ابنه الذى منحه كل وقته لتدريبه وصقله وتأهيله للقتال، فهذا واجب الأب والقائد معا وفى أوائل الستينيات بدأت تظهر خطط ومؤامرات الاستعمار والرجعية للعمل ضد مصر سواء فى الداخل أو فى المحيط العربى وكان لزاما على كل مصرى أن يهب للدفاع عن حريته وطرد الاستعمار والرجعية. وبدأت المفاهيم عن الحرية تتسع للتحول من مجرد العمل داخل المحيط المصرى إلى العمل على النطاق العربى. وكان الشهيد إبراهيم الرفاعى انطلاقا من نشأته الوطنية والإسلامية مؤمنا عن عقيدة بأن الجهاد والفداء فى الحقل العربى هو أيضا دفاع عن مصر الغالية لذلك ما أن هبت رياح الثورة فى اليمن، وأسرعت مصر لتساندها بقواتها المسلحة حتى كان الشهيد إبراهيم من أوائل من هبوا للاشتراك فى معارك اليمن التى كان لها دور حاسم فى التأثير على حياته، فقد دخل الحرب هذه المرة دفاعا عن مصر وعن العروبة وهو معنى أعم وأشمل عما كان يحصر فيه فكره الوطنى قبل ذلك ، كما أنه دخل هذه الحرب فى هذه المرة وهو رب أسرتين، أسرة مسئول عنها قياديا وهى المجموعة التى يقودها وأسرته هو، فقد تزوج فى نوفمبر ١٩٦١ من السيدة نادية التهامى وهى من أسرة وطنية عسكرية إسلامية تتصف بالشجاعة والفداء ورزق منها بابنته ليلى فى ديسمبر ١٩٦٢.

دخل الشهيد إبراهيم هذه الحرب بمفاهيم جديدة ومسئوليات جديدة تتفق كلها وعقيدته الفدائية وكما دخل فى عام ١٩٥٦ فى حرب غير متكافئة ضد عدو متفوق فى بورسعيد وانتزع منه النصر لمصر وأثبت بطولته أكثر من مرة فكذلك فعل فى حرب اليمن ففى عام ١٩٦٥ وفى أحلك أوقات هذه الحرب وقد بدأت السحب والشكوك تتجمع حول نتيجة هذه الحرب كلف بأن ينتزع الجبل الأحمر من القوات الملكية اليمنية وكان يعلم خطورة ما كلف به فقبل المهمة بل يمكن القول إنه طلبها وتم له اقتحام الجبل الأحمر وتطهيره من العدو وأمن مواقع

قواتنا وحرم العدو من آخر أمل كبير له فى مواصلة الحرب وكانت عملية اقتحام الجبل الاحمر من أروع عمليات الصاعقة الفدائية فى اليمن فقد كان الجبل من أمنع المواقع صعوبة ووعورة وتسليحا وتحصينا كما كان يضم المخازن الرئيسية التى يخزن بها الإمام البدر أسلحته وعتاده تمهيدا لشن هجوم كبير بالقوات الملكية على القوات المصرية فاستولى الشهيد إبراهيم على هذه المخازن وانتزعها من العدو وظلت طائرتان عموديتان تنقلان هذه الأسلحة لفترة طويلة وقد اعترفت له القيادة المصرية العليا بهذه البسالة والفدائية فرقى استثنائيا لأعماله البطولية الخارقة فى هذه العملية التى تمت يوم ١٩٦٥/١١/٢٨ ولكن حرب اليمن لم تكن فقط المجال الذى أتاح له إشباع رغباته فى الفداء والقتال بل لقد أصابته بجرح، فقد استشهد شقيقه الرائد سامح الرفاعى فى حرب اليمن يوم ١٩٦٣/٥/٢٥ كان استشهاده من العوامل التى زادت الشهيد إبراهيم إيمانا وقوة بأن العدو واحد وأن هدفه واحد وهو هزيمة مصر مهما اختلفت الميادين سواء كانت بور سعيد أو اليمن أو سيناء أو أى ميدان آخر وأنه لابد وأن يتسابق أبناء مصر للدفاع عنها والذود عن حياضها والاستشهاد فى سبيلها لذلك فبمجرد أن عاد إلى مصر من حرب اليمن حتى سارع بالانضمام إلى وحدات الاستطلاع فهى من أكثر العناصر فدائية ومهامها دائما تتصف بالخطورة والبسالة .

نكبة عام ١٩٦٧:

منذ بداية صيف عام ١٩٦٧ تطورت الأحداث بسرعة وتلاحقت من حشد للقوات المصرية فى سيناء إلى الضربة الجوية الإسرائيلية والقضاء تقريبا على سلاح الطيران المصرى فى يونيو ١٩٦٧ إلى اضطرار القوات المصرية فى سيناء للانسحاب إلى غرب القناة تحت وطأة القصف الجوى العنيف وخلال هذه الأيام الستة الحالكة السواد والجو الكئيب الذى يغطى على مشاعر كافة أفراد القوات المسلحة، فى هذه الفترة وبينما جميع قواتنا فى حالة انسحاب تام إلى غرب القناة لم يكن الموقف واضحا تماما بالنسبة للقيادة العسكرية العليا خصوصا

بالنسبة للمحور الشمالى فى سيناء وكانت القيادة تخشى أن يندفع العدو نحو بورسعيد ليحطمها تحت وطأة هذه الظروف جميعا أمرت القيادة بدفع عناصر الاستطلاع على الساحل الشمالى لمعرفة حقيقة الموقف وكان الموقف يحتاج إلى بطل قوى الإرادة يمكنه أن يقود قوته الضئيلة شرقا فى اتجاه هجومى نحو العدو وسط بحر من قواتنا المنسحبه غربيا تحت ضغط العدو وكان البطل هنا أيضا الشهيد إبراهيم الرفاعى فقد تطوع لقيادة مجموعة محدودة مكونة من سريتين من عناصر الاستطلاع خلف خطوط العدو وتقدم بها بسرعة عبر معابرنا المجهزة للنسف على القناة ومن خلال العربات والمدرعات المدمرة على الطرق وتحت القصف الجوى المعادى تقدم على المحور الشمالى ليصل إلى منطقة رمانة للاتصال بعناصر العدو الأمامية ونجح البطل فى الوصول بقوته الصغيرة إلى منطقة رمانة وقام بتوزيعها فى ستارة دفاعية واهية قليلة العدد والعدة منتظرا عناصر العدو المتقدمة وكانت مقدمة لواء مدرع إسرائيلى تتقدم على المحور الشمالى نحو القناة لقطع الطريق وعزل بورسعيد .

واصطدمت عناصر مقدمة العدو بالستارة الدفاعية التى أقامها البطل إبراهيم الرفاعى وكانت معركة قاسية استبسل فيها إبراهيم الرفاعى وجنوده فى القتال لدرجة أجبرت العدو على التوقف بل ولقد بلغ من قوة تأثير المفاجأة على العدو أنه أيقن أنه يصطدم بالمواقع الأمامية لموقع دفاعى مصرى قوى فتوقف تقدم اللواء المدرع وأسرع بالفتح إلى أن يتبين حقيقة الموقف وحقيقة قوة الموقع المصرى فقد كان يعتقد أن المقاومة المصرية لابد وأن تشتد كلما اقترب من القناة، ولم يكن يريد التورط فى الاصطدام بموقع دفاعى مصرى قوى دون تجهيز وتحضير وبذلك نجح الشهيد إبرَاهيم الرفاعى فى إجبار العدو على التوقف وكسب منه وقتا ثمينا للقيادة المصرية لتؤمن بورسعيد وخفف من سرعة تقدم العدو إلى المعابر فى القطاع الشمالى للقناة وبذلك أتاح الفرصة لأعداد أخرى من قواتنا للانسحاب إلى غرب القناة. وبعد أن نجحت مهمة إبراهيم الرفاعى انسحب بما بقى من قوته القليلة إلى غرب القناة .

فترة ما بعد النكسة:

ما أن توقف القتال بعد نكسة ١٩٦٧ وهدأت قواتنا فى أماكنها غرب القناة تلعق جراحها وتعيد التفكير فى ذلك الحلم المزعج الذى بدأ بأكبر شحن معنوى للتهيئة لقتال لم تصدر به أوامر إلى ضربة محطمة سميت مفاجئة ضد القوات الجوية إلى تمزق القوات المسلحة وانسحابها إلى غرب القناة تحت ضغط القصف الجوى العنيف للعدو وبدأت القوات تعيش تحت وطأة أقسى أنواع التمزق المعنوى والنفسى فالكل يشعر أنه كفرد ضمن هذه القوات المسلحة لم يكن مقصرا فهو لم يتخلف عن النداء بل سارع إلى سيناء ثم طلب إليه أن يتوقف بلا سبب ثم فجأة الضرب المروع وعدم إتاحة الفرصة له ليقاتل العدو كما تعود فأحس بالحسرة وأنه لا يمكنه أن يظل ساكنا فإذا كان هذا شعور المقاتل العادى فما بالك بشعور أبطال مصر من أمثال إبراهيم الرفاعى الذى قاتل دفاعا عن مصر وانتصر فى بورسعيد وفى الجبل الأحمر باليمن وفى رمانة فى يونيه ١٩٦٧ لقدكان يصرخ من أعماق نفسه إننا لم نهزم إن المعركة لم تنته بعد، يجب أن تستمر المعركة ويجب أن ننتصر، وكان مما يزيد من هذا الشعور دعاية العدو الموجهة ضد القوات المصرية غرب القناة التى كانت تعمل على أن يستمر نزيف الدم فى جرح المقاتل المصرى وأن يشعر بأنه عاجز عن الحركة مسلوب الإرادة غير قادر على قتال ولم يكتف العدو بمجرد أن يرى جنودنا صباح كل يوم وطوال كل يوم العلم الاسرائيلى وهو يرفرف على مواقعه شرق القناة ولا تفصل قواتنا عن قواته إلا شريط ضيق من الماء هو عرض القناة «مائتا متر» فقط تحول بين المقاتل المصرى وعدوه بل كان العدو يسلى نفسه طوال الوقت بأن يرسل الى مقاتلينا أقذع ألفاظ السباب عبر الهواء وكان من أبرز وسائل التحدى الأخرى أن مواقعه شرق القناة فى البدء كانت فقط هزيلة تتكون من أفراد قلائل وعدد من المجندات كثيرا ما كانوا يستحمون فى القناة بصورة مشينة تحت سمع وبصر قواتنا إمعانا فى التحدى وتحطيما لمعنوياتها وبدا جليا أن قواتنا تتعرض لعصر نفسى مستمر وأن قيادتنا العليا فى ذلك الوقت كانت هى نفسها فى حاجة إلى من يرفع معنوياتها، وهنا برز دور إبراهيم الرفاعى وانطلاقا من إحساسه بالقدرة على العمل وبطبيعة عمله ضمن فرع الاستطلاع فقد كان يستطلع قوات

العدو على فترات متقاربة إلى أن اكتشف أن العدو ينوى القيام بإحدى العمليات التى تهدف إلى المزيد من إذلالنا معنويا فقد قام باستخدام عدد من الأسرى المصريين فى تجميع كميات كبيرة من الذخائر التى تركتها قواتنا شرق القناة عند محطة الشط وذلك تحت سمع وبصر قواتنا على الضفة الغربية تمهيدا لنقلها بالقطار إلى إسرائيل ليثبت لقواتنا أنها غير قادرة على منعه حتى من ذلك ولا إطلاق حتى طلقة واحدة وأسرع الشهيد إبراهيم الرفاعى إلى القيادة مثبتا بالصور حجم أكداس الذخيرة التى ستنقل والآثار المدمرة لنجاح هذه العملية على معنويات قواتنا واقتنعت القيادة وصدقت له بأول عملية فدائية ضد العدو الإسرائيلى منذ إيقاف إطلاق النار وبذلك كسب معركة أخرى وهى كسب ثقة القيادة فى مقاتليها وأسرع الشهيد إبراهيم الرفاعى يخطط لهذه العملية لينفذها بأسرع ما يمكن وكنا ما زلنا فى أواخر عام ١٩٦٧ وبعدد من المتطوعين يعدون على أصابع اليدين عبرت المجموعة إلى الضفة الشرقية للقناة تحت ستر الظلام ورغم أن العدو كان يشدد الحراسة بحوالى مجموعة سرية على أكداس الذخيرة فقد نجح أفراد المجموعة فى الوصول إليها وبث العبوات الناسفة لنسفها كلها وأثناء انسحاب أفراد المجموعة احست بهم حراسات العدو وبدأت تتحرك للاشتباك معهم إلا أن أفراد المجموعة كانوا قد ركبوا فتائل تفجير قصيرة الزمن لضمان سرعة التفجير فانفجرت أكداس الذخيرة وكان انفجارا بلغ من القوة والعنف أنه أمكن رؤيته وسماعه على جانبى الجبهة شمالا وجنوبا سمعته قواتنا وهللت وكبرت وتأكدت أن المعركة مع العدو لم تنته بل هى مستمرة وارتفعت معنويات قواتنا بالجبهة بشكل عظيم وبذلك كسب إبراهيم الرفاعى معركته فى حرمان العدو من الذخيرة وفى خفض معنوياته بعد أن أدرك أن المقاتل المصرى لم يهزم ولم يخرج من المعركة وأن المعركة مع مصر مستمرة .

حرب الاستنزاف:

كان من آثار عملية نسف الذخيرة فى منطقة الشط وبعض العمليات التعرضية الأخرى أن أصبح العدو مقتنعا بأن أيام الهدوء فى جبهة القناة أصبحت مسألة وقت ولذلك بدأ تدريجيا فى زيادة كثافة قواته فى هذه الجبهة

وزيادة تحصين مواقعة توقعا منه لزيادة نشاط القوات المسلحة المصرية ضده وكل ما توقعه أخذ يتحقق تدريجيا فقد بدأ نشاط عدة عناصر من القوات المسلحة فى عمليات إيجابية ضد العدو كان بعضها تقليديا وبعضها فدائيا فقد صدقت القيادة العليا المصرية ببدء حرب الاستنزاف ضد العدو لكسب الوقت لإعادة تجهيز وإعداد القوات المصرية لشن حرب التحرير وطرد العدو الإسرائيلى من سيناء وكانت فرحة الشهيد إبراهيم الرفاعى بذلك القرار لا تقدر وبدأ فى تنفيذ العديد من العمليات الفدائية المتتالية التى تتزايد فى الجرأة وتتنوع فى الأسلوب ولم يكن نشاطها ليقتصر على جبهة القناة بل يمتد إلى جانب الجبهة ليشمل خليج السويس وسواحل سيناء الشمالية ثم اتسعت لتشمل الجبهة الأردنية فى عمل فدائى منسق مع المنظمات الفلسطينية ضد العدو الإسرائيلى المشترك .

كان الشهيد يجمع ملكات الاستطلاع والروح الفدائية ويضع كل ذلك فى خدمة العمل الفدائى لإزعاج العدو بعمليات متفاوتة فى القوة والهدف والاتجاه ولم يكن يقيده أصلا أنه ضابط صاعقة من القوات البرية بل امتدت عملياته ضد العدو لتشمل البر والبحر والجو.

ولقد بدأت أولى العمليات فى نوفمبر ١٩٦٧ بهدف الحصول على عينات من الصواريخ كان العدو قد بثها فى مواقعه على طول القناة لإرهاب قواتنا ولقد تمت هذه العملية بقيادة الشهيد إبراهيم الرفاعى وثلاثة أفراد وعبر الأفراد إلى موقع جنوب البحيرات مساء ١٣ نوفمبر وليس معهم إلا خناجر وبعض القنابل اليدوية وأمكن الحصول على عينات الصواريخ وأهمية هذه العملية تبرز فى أننا بحصولنا على عينات الصواريخ أمكننا بسرعة دراسة قدراتها وتوفير الوقاية ضدها ثم تطويرها بسرعة واستخدامها وبأعداد هائلة فى قتال العدو فى عقر داره بواسطة الفدائيين من قواتنا فى سيناء وفى قلب إسرائيل نفسها .

وتطورت العمليات بعد ذلك وتوالت وفى مايو ١٩٦٨ بدأ نشاط الشهيد إبراهيم الرفاعى ضد مواقع العدو على الساحل الشمالى لسيناء ففى٥/٥/٦٨ خرج الشهيد فى قارب مطاط صغير بالموتور ومعه ثلاثة أفراد من زملائه

وتقدموا بحرا على طول الساحل الشمالى لسيناء إلى موقع ٣٠ كم شرق بورفؤاد وقاموا ببث الألغام على مدقات مداخل موقع العدو ثم عادوا إلى قاعدتهم وكانت هذه أول مرة تستخدم فيها هذه الزوارق فى عرض البحر فى العمل الفدائى ولما نجحت هذه العملية تم تكرارها وبقوة أكبر بثلاثة زوارق وبحراسة لنشات من القوات البحرية ورغم اضطرار لنشات القوات البحرية للانسحاب بسبب حالة البحر وتعطل أحد الزوارق المطاط فقد صمم الشهيد إبراهيم الرفاعى على تنفيذ المهمة، حيث واصل التقدم بزورقين إلى منطقة الهدف على مسافة ٤٠ كيلو مترا شرق بورفؤاد وتم تنفيذ العملية بنجاح وعادت الزوارق إلى قاعدتها بسلام وتكررت عمليات النشاط على الساحل الشمالى وفى البحيرات المرة الكبرى باستخدام الزوارق مما اضطر العدو إلى تخصيص قوات لحراستها وإنشاء مواقع بها بعد أن كان يعتبرها خارج مدى نشاط قواتنا .

وفى ١٩٦٨/٨/٢٧ اكتسبت القيادة ثقة أكبر فى عمليات إبراهيم الرفاعى وبناء على إلحاح منه وتمشيا مع احتياجات قواتنا المسلحة للمعلومات تصدق للشهيد إبراهيم الرفاعى بعمل أول كمين تقوم به القوات المصرية لدوريات العدو شرق القناة وفعلا عبرت مجموعة من الفدائيين إلى شرق القناة وقامت بتحضير كمين لدورية عند نقطة شرق جبل مريم وفعلا وصلت دورية العدو الساعة ٢٢٠٥ مساء وتم التعامل معها بمعرفة قوة الكمين وتم تدميرها تماما والحصول على أسير منها نقل مع قوة الكمين إلى الضفة الغربية ورغم أن مكان الكمين كان قريبا جدا من موقع العدو الدفاعى فى المنطقة فإن العدو لم يهب لنجدة دوريته وهو يرى الكمين يتعامل معها ويدمرها بل ورفض التحرك لدخول المنطقة لإنقاذ جرحاه أو قتلاه إلا فى صباح اليوم التالى رغم انسحاب المجموعة وكانت مفاجأة العدو تامة وأصيب بذهول وكان لهذه العملية أثرها فى رفع الروح المعنوية لقواتنا وازدياد الروح القتالية فيها .

لم يقتصر نشاط إبراهيم الرفاعى على العمل مع زملائه فى الجبهة المصرية بل انتقل لمعاونة الفدائيين الفلسطينيين على القيام بعملياتهم ضد العدو

الإسرائيلى. ففى أكتوبر ١٩٦٨ بعد أن ركز العدو الإسرائيلى قصف مدفعيته ضد السويس اقترح الشهيد إبراهيم بعد الدراسة مع زملائه على القيادة ضرب إحدى المدن الإسرائيلية بالصواريخ بالتعاون مع المنظمات الفلسطينية وفعلا تصدق له بتوجيه ضربة صاروخية قوية ضد إحدى مدن إسرائيل انتقاما لضرب العدو لمدينة السويس بالمدفعية وتطوع إبراهيم الرفاعى ومعه رفيقه عصام الدالى للتوجه إلى الأردن والانضمام إلى العناصر الفدائية الفلسطينية التى سيتولى قيادتها لتنفيذ الضربة الصاروخية ووصل فعلا إلى الأردن وتحرك إلى الجبه فى مناطق أمامية جدا خارج سيطرة الجيش الأردنى وبعد استطلاع تفصيلى فى أرض وعرة عرضة لتدخل العدو دائما قرر إبراهيم قصف مدينة بيسان الإسرائيلية وسكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة بالصواريخ من نقطة تبعد تسعة كيلومترات فقط عن المدينة أى من نقطة تكاد تكون وسط المواقع الإسرائيلية وتم التحرك مع المجموعة والصواريخ إلى موقع الضرب وفعلا تم للمجموعة بعد مشاق مضنية الوصول إلى موقع الضرب وتجهيزه وفى الساعة ١٩٣٥ مساء يوم ١٩٦٨/١٠/٢٦ تم قصف مدينة بيسان بصواريخ عيار ٢٤٠ مم وعيار ١٣٠مم وكذلك مستعمرة حرموفيم ولقد اشتعلت الحرائق فى مدينة بيسان والمستعمرة وحدثت خسائر كبيرة فى الأرواح فى مدينة بيسان وبمجرد انتهاء القصف بدأت قوات الجيش الإسرائيلى فى الاشتباك مع موقع الضرب بالرشاشات إلا أن الشهيد إبراهيم تمكن مع المجموعة من التخلص والانسحاب والعودة سالما وكانت أول مرة تذوق فيها المدن الإسرائيلية طعم القصف العربى الصاروخى وتعرف حقيقة الأكذوبة التى يرددها قادة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر بأن العرب عاجزين عن القيام بأى عمل ضد المدن الإسرائيلية. ولقد شجعت هذه العملية المنظمات الفلسطينية على تكرارها فى العمق الإسرائيلى وفعلا تم قصف مصنع الفوسفات فى سدوم ساعة ٢٣٢٠ يوم ٦٩/٥/١٦ بمجموعة قصف صاروخى تحت قيادة إبراهيم الرفاعى وبرفقته عصام الدالى ولقد انفجرت محطة الكهرباء التى تغذى المنطقة وكذلك شوهدت حرائق كبيرة بالمصنع وانفجارات قوية .

لم يكتف إبراهيم الرفاعى بما قام به من عمليات فدائية فى حرب الاستنزاف من تلغيم وكمائن وقصف صاروخى بل أراد أن يقنع القيادة وزملاءه من أفراد القوات المسلحة أن ما يقوم العدو الإسرائيلى بإقامته شرق القناة من مواقع وتحصينات لا يمكن أن يحول دون قدرة المقاتل المصرى على اقتحامها وأن شجاعة المقاتل المصرى وفدائيته كفيلة بالقضاء على أى موقع دفاعى أو خط دفاعى للعدو وإمعانا فى التحدى اختار موقعا قويا للعدو ومقاما على قطعة من الأرض تحيطها المياه من ثلاث جهات توفر لها الحماية وتسمى لسان التمساح تجاه مدينة الإسماعيلية ويشرف عليه ويحميه موقع أخر للعدو تجاه النصب التذكارى وموقع ثالث للعدو يسمى نمرة ٦ من المواقع القوية وطلب إبراهيم الرفاعى من القيادة أن تصدق له بالإغارة على المواقع وكانت هناك مناسبة حماسية تدفعه إلى ذلك فإن الفريق عبد المنعم رياض قد صرعته قذيفة غادرة اطلقت من هذه المواقع لذلك صدقت القيادة بالعملية وسميت العملية رياض وفى مساء ٦٩/٤/١٦ قامت مجموعة الفدائيين بقيادة الشهيد إبراهيم الرفاعى بتنفيذ العملية، وكانت أول عملية اقتحام لموقع دفاعى محصن للعدو بقيادة الشهيد وعبرت المجموعة بحيرة التمساح فى زوارق الاقتحام المطاط وصعدت إلى أرض اللسان التى يهيمن عليها الموقع واقتحمت دشمه الأربعة ودمرت مخزن ذخيرته ونسفت ما به من عربات وعادت تحمل علم الموقع وبعض الغنائم كتيليسكوب الملاحظة وبعض الرشاشات والأسلحة ورغم تدخل مدرعات العدو من الموقع نمرة ٦ وقصف هاوناته من المواقع الأخرى إلا أن المجموعة عادت بسلام إلى قاعدتها وأثبتت أن المقاتل المصرى قادر على أن يلقن العدو درسا فى قلب مواقعة المحصنة وأخذت بثأر شهيدها الفريق عبد المنعم رياض ورفعت الروح المعنوية لقوات الجبهة بصورة عالية .

وتكررت عمليات الشهيد إبراهيم الرفاعى فى العديد من الجبهات وامتدت من الساحل الشمالى لسيناء إلى أقصى الجنوب فى خليج السويس الذى أصبح مسرحا للعديد من عمليات الإغارة التى صارت بالنسبة للشهيد ورجاله من دروب التسلية وبالنسبة للعدو من أسباب الازعاج والذعر ولقد كانت عمليات

الإغارة عبر الخليج من أعنف العمليات قسوة وجرأة وتحديا للعدو فإن عبور الخليج فى حد ذاته فى الليالى غير المقمرة وفى حالات البحر العالى لضمان مفاجأة العدو كانت تحتاج إلى روح فدائية عالية وأعصاب حديدية فإن العبور كان يتم فى زوارق من المطاط عبر مسافات تصل إلى أربعين كيلومترا ذهابا ومثلها إيابا بعرض الخليج خلال أمواج عاتية وريح شديدة - زوارق مطاط معرضة لأن تتحول فى لحظات إلى لا شىء بفعل وحوش البحر أو رصاصة طائشة، ولكن رغم ذلك فإن كل هذه الأهوال لم تكن لتضعف من عزيمة الشهيد إبراهيم الرفاعى ورجاله فى القيام بهذه العمليات عبر الخليج عشرات المرات.

وكان من أبرز هذه العمليات احتلال موقع إطلاق للصواريخ فى مدخل ميناء الطور وقصف مطار الطور ومنشآت الميناء وكان ذلك فى ٧٠/٥/٢ فقد سبق للمجموعة أن حصلت على معلومات تؤكد أن العدو قام بعمل مطار هيكلى لطائراته الميراج لتضليل طائرتنا إذا فكرت فى ضرب القاعدة الجوية الإسرائيلية الحقيقية فى الطور لذلك صدقت القيادة العليا لإبراهيم الرفاعى فى نطاق حرب الاستنزاف بتنفيذ عملية إغارة وقصف صاروخى ضد قاعدة العدو الجوية فى الطور وضرب منشآت الميناء وفعلا بدأت المجموعة بقيادة إبراهيم الرفاعى فى الساعة ١٩٥٠ مساء يوم ٢ مايو بالنزول إلى الماء فى زوارقها المطاطية المحملة بقواذف الصواريخ الثقيلة والمعدات الأخرى اللازمة للعملية وكانت حالة البحر غير عادية والرياح شديدة سرعتها تصل إلى ٢٥ عقدة وبعد مجهود شاق فى العبور استغرق حوالى ثلاث ساعات أمكن الوصول إلى مدخل ميناء الطور حيث كانت توجد باخرة غارقة تقرر استخدامها قاعدة لقصف المطار والميناء وبدأت المجموعة فى احتلال سطح الباخرة وبذلك بدأت أصعب مراحل العملية وهى رفع قواذف الصواريخ الثقيلة من الزوارق المطاط الصغيرة إلى سطح الباخرة المائلة وكان مجهودا جبارا فى رفع القواذف بالحبال وبعد إتمام إقامة القواذف على الباخرة وتوجيهها نحو أهدافها وضبط توقيتات إطلاقها انسحبت المجموعة إلى الزوارق فى طريق العودة وكانت حالة البحر قد ازدادت هياجا لدرجة أن أحد الزوارق المطاطية قد أصيبت بعطب وتقرر تدميره

ولكن بعد نزع موتوره ونقله إلى زورق آخر ونزل الأفراد إلى الماء لنزع الموتور وتمت العملية بصراع جبار بين زوارق تتقاذفها الأمواج وموتور وزنه حوالى ٣٠٠ كجم وكان على المجموعة أن تسابق الزمن فلم يبق على بزوغ الفجر إلا وقت قليل ومعنى ذلك أن العدو المجروح لابد وأن يطاردهم بالطائرات والهيلكوبتر بمجرد ظهور ضوء النهار وكانت رحلة العودة تحت سيطرة إبراهيم الرفاعى وعادت الزوارق والأفراد ووصلت إلى قاعدتها فى الساعة ٦,٣٥ صباحا أى أن العملية استمرت فى ذلك الموج العاتى عشر ساعات ونصف الساعة فى صراع مستمر ونجحت عملية قصف المطار الحقيقى للطور ومنشآت الميناء ولم تخرج دوريات العدو البحرية للمطاردة رغم أن القصف تم أمامهم من مدخل ميناء الطور وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة كان إبراهيم يعمل دائما على إخفائها وهى أنه كان مصابا بقرحة بالمعدة وكانت تنزف بين الحين والآخر وأنه كان ممنوعا بأمر الأطباء من أى نشاط عنيف أو توتر عصبى وما كان ذلك ليثنيه عن المشاركة فى العمليات وكان يكتفى دائما بأن ينزل إلى الزورق ومعه رفيق القتال وصديقه الطبيب ومعه الحقنة المعقمة والأمبول أى أمبول الدواء لمواجهة النزيف الذى كان دائما أكثر من متوقع فى عمليات العبور البحرى بالزورق المطاط فى الجو العاصف دائما وتحت أقسى ظروف العمل وكان إيمانه وفلسفته فى الحياة يجعله يقابل كل هذه التحديات دائما بسخرية وابتسامة محببة.

وجريا وراء التنويع واستكمالا لخبرات القتال لمجموعته بدأ إبراهيم الرفاعى فى تنفيذ أول عمليات نزول فى عمق العدو باستخدام الهيلكوبتر ولقد تم التنسيق بينه وبين الطيارين الأبطال الفدائيين ورغم ما كان العدو يشيعه فى ذلك الوقت من أن أجهزة شبكات رادار تغطى سيناء والعمق المصرى وأنه يمكنها اكتشاف أى اختراق جوى ولو بذبابة إلا أن ذلك كله لم يؤثر على تصميم الرفاعى واقتناعه بأن العمليات الفدائية ضد العدو يجب أن تكون فى كل مكان ومن كل اتجاه باستخدام البر والبحر والجو لمفاجأة العدو فى عمقه وانطلاقا من ذلك حصل على تصديق القيادة على القيام بعملية اختراق بالهيلكوبتر والنزول خلف خطوط العدو فى جنوب سيناء وفعلا تم يوم ١٩٦٧/١١/٢٧ ولأول مرة الاختراق

بطائرتى هيلكوبتر تحمل إبراهيم الرفاعى ومعه بعض الفدائيين للنزول على طريق الطور شرم الشيخ لتلغيمه وتمت العملية بنجاح رغم وجود دوريات للعدو على الطريق ولقد اصطدمت عربات العدو بالألغام قبل عودة الدورية من أرض العدو وتمت عودة المجموعة بسلام وتم تكرار هذه العملية عدة مرات .

ولقد بلغ من نشاط وحماس إبراهيم الرفاعى وروحه الفدائية العالية فى عمليات الاستنزاف أنه قام بتنفيذ حوالى خمسين عملية مختلفة فى أرض العدو فى الفترة بين عام ١٩٦٧ ومنتصف عام ١٩٧٠ حينما هدأت عمليات حرب الاستنزاف وتقديرا من القيادة العليا لما قام به من تضحية وفداء ضد العدو فى ميدان القتال والدور الرئيسى الذى لعبه فى حرب الاستنزاف فقد منح النجمة العسكرية خلال هذه الفترة ثلاث مرات وتوجها بحصوله فى ٨/١٨ على نجمة الشرف التى منحه إياها السيد الرئيس أنور السادات تقديرا لأعماله البطولية فى ميدان القتال .

وحينما هدأت عمليات حرب الاستنزاف التعرضية الإيجابية تركزت توجيهات القيادة على توفير كل ما يمكن جمعه من المعلومات عن مواقع العدو فى سيناء سواء على الضفة الشرقية للقناة أو فى عمق سيناء لذلك وجه إبراهيم الرفاعى نشاطه لأداء هذا الواجب ولقد لمس مع مجموعة من الزملاء المتحمسين الحاجة إلى توفير وسيلة استطلاع توفر لهم الارتفاع الكافى لاستطلاع وتصوير الميول الخلفية لخط بارليف ومواقع العدو فى العمق القريب وقد هداهم التفكير إلى استخدام أحد بالونات شبكة الدفاع الجوى بعد تطويره وتركيب سلة فيه يركب فيها أحد الفدائيين ليرتفع به البالون فى الجو إلى ارتفاع ٣٠٠ متر وكان هذا العمل انتحاريا بلا شك فإن البالون قد أصبح ضخما جدا بعد أن أصبح حجمه ثلاثة أمثال حجم بالون الدفاع الجوى تقريبا وممتلئ بغاز الأيدروجين سريع الالتهاب، وإصابة البالون بأية طلقة بفعل العدو أو أية صاعقة جوية يعرضه للانفجار علاوة على أن التيارات الهوائية المتقلبة كانت كفيلة فى بعض الأوقات وخاصة أوقات فصل الشتاء بأن تخفض البالون فى ثانية واحدة وتصدمه الأرض وتحطم السلة ومن فيها ولا تتيح لهم فرصة للقفز كما كان مطلوبا بقاء البالون

فى الجو فترات طويلة كنقطة ملاحظة وهو مالم يكن ممكنا توفيره بالاستطلاع الجوى ولكن رغم كل ذلك تحمس الشهيد الرفاعى وزملاؤه للعمل على سرعة الانتهاء من تنفيذ تصميم البالون ودفعه إلى الجبهة وفى ٦٧/٢/٢٣ تم دفع البالون إلى المواقع الأمامية تجاه النقطة القوية للعدو فى موقع شرقى بورفؤاد وتم رفع البالون الى ارتفاع ٣٠٠ متر رغم سرعة الرياح الشديدة فى ذلك الوقت من الشتاء حيث إن الموقع كان لسان ضيق من الأرض شمال البحر المتوسط وجنوبه ملاحة وادى الطينة الواسعة. وأصر إبراهيم الرفاعى أن يكون أول من يستطلع العدو محمولا فى سلة يتلاعب بها الهواء وهى معلقة أسفل البالون وبعد زوال المفاجأة الأولى أسرع العدو بدفع مقاتلاته لاستطلاع هذه الظاهرة الجديدة فى مواقعنا وبات الموقف معروف النتائج مسبقا فإن إعادة خفض البالون إلى الأرض يستغرق حوالى ٢٠ دقيقة يكون العدو قد قضى فيها على البالون بدفعة نيران من طلقاته ولم يكن من الممكن القفز بالمظلة من السلة لأن البالون كان دائم الحركة السريعة بفعل الرياح ورغم ذلك كله فقد صمم إبراهيم على الاستمرار فى الاستطلاع ورفض حتى مجرد التفكير فى القفز وانسحبت طائرات العدو لشكها فى وجود كمين دفاع جوى وتم سحب البالون إلى الأرض وعاد إبراهيم وباقى زملائه إلى تناوب الصعود بالبالون لاستكمال الاستطلاع وكانت عملية هذا اليوم بداية لسلسلة من العمليات الناجحة للاستطلاع بالبالون تكررت على طول الجبهة وبعد دراسة العدو لذلك الأسلوب قام فى طلعة الاستطلاع بالبالون يوم ٧١/٣/١٥ فى منطقة كبريت أثناء وجود إبراهيم الرفاعى فى السلة للاستطلاع بدفع طائرة فانتوم لمهاجمة البالون، وحاولت إسقاطه بفعل اللهب الناتج من مؤخرة الطائرة، واشتبك إبراهيم وهو فى السلة مع الطائرة بالبندقية الآلية وانسحبت الطائرة وتمزقت بعض أجزاء من البالون ورغم ما حدث صمم الرفاعى على استكمال الاستطلاع فى ذلك اليوم هو وباقى الزملاء من الفدائيين. ولقد استمر الرفاعى طوال الفترة بين توقف النشاط القتالى لحرب الاستنزاف وبدء حرب أكتوبر المجيدة فى تنفيذ العديد من عمليات الاستطلاع

مثل الاستطلاع بالبالون للجبهة أو الاستطلاع عبر خليج السويس فى الزوارق الصغيرة ولقد بلغت الجرأة والتصميم فى هذه العمليات إلى حد الوصول بزورق واحد إلى منطقة رأس محمد فى الطرف الجنوبى لسيناء رغم حالة الجو ونشاط العدو البحرى والمخاطرة فى الخروج بزورق واحد احتمالات تعطله عالية وكان إبراهيم الرفاعى يخطط للكثير من عمليات الإغارة فى عمق العدو انتظارا للقرار الحاسم باستئناف القتال والهجوم على العدو لطرده من سيناء وكان من أشد المؤمنين بأن القتال واقع لاريب فى ذلك وأنه لا حل سواه لإجبار العدو على الانسحاب ولذلك كان دائم الاهتمام بالاستطلاع وتدريب مجموعته المجموعة ٣٩ قتال التى كونها فى بدء حرب الاستنزاف من زملائه من الفدائيين وخاض بها العديد من عمليات حرب الاستنزاف والتى استحقت بفضل روحه الفدائية وحسن قيادته وقيادتهم وبفضل فدائية وبطولة رجالها جميعا نوط الواجب العسكرى لعلم المجموعة الذى تفضل السيد الرئيس أنور السادات بمنحه لها تقديرا للأعمال البطولية التى قامت بها أثناء حرب الاستنزاف .

العبور العظيم فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

ما أن أصدر السيد الرئيس أنور السادات قراره العظيم فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ببدء الهجوم الشامل على العدو وعبور القناة واقتحام خط بارليف حتى كانت المجموعة ٣٩ قتال بقيادة الشهيد إبراهيم الرفاعى من أكثر الوحدات تلهفا على القتال والقيام بدورها الذى طال ترقبه ضمن القوات المسلحة المصرية وبدأت المجموعة فى تنفيذ عمليات الإغارة على مواقع العدو عبر الخليج «أى خليج السويس» حسب ما هو مخطط لها وقامت بعدة عمليات قاسية فى الفترة من ٦ أكتوبر إلى ١٨ أكتوبر ثم حدثت الثغرة التى نجح العدو فى فتحها غرب القناة فصدرت الأوامر إلى إبراهيم الرفاعى بأن يتحرك فورا إلى الإسماعيلية وأن يخترق مواقع العدو للوصول إلى المعبر الذى أقامه العدو فى الدفرسوار وتدميره وكان قد وصل لتوه مع مجموعته الساعة ١٥٠٠ يوم ١٨ أكتوبر إلى القاهرة عائدا بعد تنفيذ المهام المكلف بها فى خليج السويس وتحركت المجموعة

٣٩ قتال إلى الإسماعيلية الساعة ٢٣٤٥ فى نفس اليوم وقدم الشهيد إبراهيم الرفاعى نفسه إلى السيد الفريق سعد الشاذلى الساعة ٦٥٠ صباح يوم ١٩ أكتوبر الذى كان يتولى قيادة العمليات فى الجبهة لمجابهة الثغرة التى فتحها العدو فى مواقعنا وكان الموقف قد أصبح حرجا ومائعا فى المنطقة بين الدفرسوار والإسماعيلية فقام السيد الفريق سعد الشاذلى بإصدار أوامره إلى المجموعة باحتلال موقع دفاعى لصد تقدم قوات ومدرعات العدو المتقدمة من منطقة فايد لمحاولة قطع طريق القاهرة الإسماعيلية ورغم أن تشكيل المجموعة وتسليحها وضع أصلا للقيام بعمليات إغارة ولا يتضمن أسلحة مضادة للدبابات مناسبة كباقى قوات المشاة فقد تحرك إبراهيم الرفاعى فورا إلى المنطقة المخصصة له للتعاون مع باقى عناصر الجيش الموجودة فى هذه المنطقة للتصدى لتقدم مدرعات العدو ووقفها وتحركت المجموعة ٣٩ الساعة ٠٩٤٠ إلى منطقة نفيشة للتقدم منها إلى منطقة سرابيوم وكانت المعلومات التى وصلت تفيد بأن العدو يحتل منطقة سرابيوم بكتيبة دبابات يدفع منها عناصر شمالا على طريق المعاهدة لقطع طريق الإسماعيلية وعبرت المجموعة كوبرى نفيشة على طريق المعاهدة إلى أن وصلت إلى جسر المحسمة وكان الطريق مضروبا وبقسوة من العدو وقرر الرفاعى أن يحتل هو ومعه أطقم قواذف خفيفة مضادة للدبابات تبة يقع عليها أحد مواقع صواريخ الدفاع الجوى إلى الشرق من الطريق وأن يحتل قسم آخر من المجموعة مع أطقم خفيفة مضاد للدبابات الأرض الرملية غرب الموقع وخصص باقى القوة لعمل كمائن بين الأشجار على طول الطريق من كوبرى المحسمة للخلف فى اتجاه نفيشة لإعطاء عمق للدفاع وخلال ذلك كانت دبابات العدو تقصف التبة التى عليها الشهيد الرفاعى وقد أبلغ الشهيد ذلك الساعة ١١،٣٠ يوم ١٩ أكتوبر وطلب إخطار قيادة الجيش الثانى بأن هناك عشرة دبابات معادية تقصف الموقع من مسافة تتراوح بين ١ و٢٠, ١كم من جنوبه فى محاولة لتدميره- وطلب قصفة مدفعية ثم أفاد بعد دقائق أنه يرى عددا كبيرا من مدرعات العدو على المعبر عند الدفرسوار وطلب قصف المعبر بالطيران

والمدفعية وتكررت الطلبات ولكنها لم تنفذ وحوالى الساعة ١١,٥٠ قرر إبراهيم الرفاعى الاشتباك مع العدو بالأسلحة المضادة للدبابات المتيسرة معه لإحباط محاولة تدمير موقع الصواريخ ومحاولا فتح طريق تقدم المجموعة إلى سرابيوم وكان العدو قد دفع عنصر استطلاع مكون من دبابة وعربة نصف جنزير لاستطلاع أماكن توزيع المجموعة فاشتبكت معها مجموعة إبراهيم ودمرت الدبابة وانسحبت العربة نصف جنزير وأخذت فى الاشتباك مع النقطة بالهاون وهنا أمر إبراهيم الرفاعى بالتقدم وثبة للأمام حتى يمكن الوصول إلى نقطة يمكن أن يكون فيها مدى الأسلحة المضادة للدبابات مؤثرا على العدو وكان معه قاذف مضاد للدبابات وثلاثة أفراد فقط وبدأ العدو بعد أن اكتشف أماكن المجموعة فى تشديد القصف عليها وبدأ الضرب يكون مؤثرا على الأفراد فرفض إبراهيم الانسحاب وأمر بزيادة الانتشار لتقليل أثر الضرب وبدأت المجموعة الصغيرة فى الاشتباك مع دبابات العدو وكان يتبادل دور الرامى مع أطقم القاذف حيث إن القتال كان عنيفا جدا ونجح إبراهيم فى تدمير دبابة وكذلك نجح زملاؤه فى تدمير دبابة وعربة وتوقف طابور العدو عن التقدم وبدأ الانسحاب ولكنه زاد من قصف المجموعة وعندئذ أمر إبراهيم بالتقدم ثانيا وكان هذه المرة قد وصل إلى نقطة على خط السماء وكان العدو يفتح نيرانه من نقط مستورة فصعد العميد إبراهيم إلى تبة عالية لاستطلاع أماكن دبابات العدو الذى بدأ يكثف من نيرانه على موقعه وحاول زملاؤه أن يقنعوه بالانسحاب إلى أى ساتر ولكنه رفض وأصدر أوامره باستمرار الاشتباك وكان يسيطر بجهازه اللاسلكى على باقى عناصر المجموعة وبالإضافة إلى ذلك كان يعمر القاذف المضاد للدبابات للرامى الذى يشتبك مع العدو وعندما كان المؤذن يؤذن لصلاة الجمعة اليتيمة فى جامع قرية المحسمة وكان المقاتل إبراهيم الرفاعى يتفانى فى القتال ضد العدو وهو متمسك بصيامه فى رمضان المبارك سقطت دانة معادية من دبابات العدو وانفجرت بجوار النقطة التى يقف فيها .. وانتهت بذلك قصة إبراهيم الرفاعى انتهت نهاية يرضاها الله للمؤمنين من عباده الشهداء

ونهاية يرضاها لنفسه إبراهيم الرفاعى الذى ولد وعاش ليستشهد فى ميدان الشرف.. نهاية يتمناها كأى بطل فدائى ونهاية يرضاها له قادته فقد منحه السيد الرئيس أنور السادات وسام نجمة سيناء فى ٧٤/٢/١٩ تعبيرا عن شكر مصر وتقديرها لأبنائها الشهداء ولم يقتصر التقدير على مصر فقد منحه مجلس الثورة الليبى فى٧٤/٢/٢٩ وسام الشجاعة الليبى تقديرا من شعب ليبيا لأبطال مصر الشهداء الذين سقطوا فى معركة الشرف دفاعا عن مصر والعروبة.

من هو الشهيد إبراهيم الرفاعى؟

كان شهيدا يمشى على الأرض ولا يعنى ذلك أنه كان زاهدًا متزمتا بل إن فلسفته فى الحياة أن الإنسان ولد ليعيش ويحيا وإذا جاء أجله يموت، والموت مرحلة من المراحل يمر بها الإنسان فى تطوره فهو يولد ويعيش ويموت ثم يبعث وكان مؤمنا إيمانا راسخا بدون الحاجة إلى مظهريات افتعال فإيمانه متعلق بربه الذى يؤمن بأنه يرعاه ويحميه ويهديه وكان إيمانه بقضاء الله فوق كل شىء وأنه لن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم كان رب أسرة وأولاد إلا أن ذلك لم يؤثر على جرأته وفدائيته أبدا فجميع العمليات التى تمت وشارك فيها كان قائدا وكان مقاتلا ولم يكن ممن ينتظرون إلى أن توكل إليهم المهام بل كان دائما يسعى إلى خلق المهام والسعى للحصول على تكليف القيادة له بتنفيذها كان رأيه دائما أنه ليس فردا فى فراغ بل هو فرد فى أسرة ضمن مجتمع مترابط مؤمن وأنه إذا حدث واستشهد فإن ذلك المجتمع كفيل بإيمانه وترابطه بأن يرعى أسرته وأن عليه فى مقابل ذلك أن يترك لأسرته تاريخا وعملا مشرفا وأن يفى بما عليه نحو المجتمع الأكبر وهو وطنه بتقديم روحه فداء له كان وطنيا مخلصا لتراب مصر ينتمى انتماء كاملا إلى أرض وطنه ولا يعنيه اللون السياسى الذى يتطامى تحت رايته الكثيرون كان يكفيه أنه مصرى ومؤمن ومقاتل شريف كان يؤمن بأن شرف العسكرية المصرية ثابت وراسخ من عهد الفراعنة إلى حرب أكتوبر وما

بعدها فى أرض مصر دفاعا عنها أو فى أى أرض وفاء والتزاما بعهود الشرف التى تقطعها مصر على نفسها دفاعا عن القيم والمبادئ لم يكن يفرق بين الجندى والضابط فكلاهما مقاتل مصرى شريف يعملان جنبا إلى جنب ويستشهدان سويا دفاعا عن وطن واحد لهما فيه نفس الحقوق والواجبات كان يقوم بالعمل الفدائى بدافع وطنى بحت لا مأجورا أو جريا وراء شهرة وأخيرا كان إبراهيم الرفاعى الذى يمكن أن نقول إن قصته هى قصة شباب مصر جميعا فدائيون... وطنيون... مؤمنون... مقاتلون شرفاء... ببساطة تامة وبلا تعقيدات عقائدية أو مذهبية... يستشهدون دفاعا عن بلادهم دون تطلع إلى أجر أو ثواب .

الفهـــرس

عبده مباشر

سطور من السيرة الذاتية

تاريخ الميلاد ١٩/٩/١٩٣٧ بمحافظة الشرقية.

فى الميدان العلمى:

(١) ليسانس حقوق - جامعة القاهرة.

(٢) دبلوم معهد البحوث والدراسات العربية - تخصص فلسطين.

(٣) دبلوم من كلية التضامن للصحافة ببرلين.

(٤) ماجستير فى العلوم السياسية.

(٥) درجة الزمالة من كلية الدفاع الوطنى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا.

ملحوظة: أول صحفى يحصل على هذه الدرجة العلمية.

فى الميدان المهنى:

(١) محرر عسكرى ومراسل حربى بمؤسسة أخبار اليوم (١٩٥٨ - ١٩٦٨).

(٢) محرر عسكرى ومراسل حربى الأهرام (١٩٦٨ - ١٩٦٩).

(٣) رئيس القسم العسكرى بجريدة الأهرام (١٩٧٧ - ١٩٨٥).

(٤) عضو الجمعية العومية بالأهرام (١٩٧٧ ـ ١٩٨٥).

(٥) مساعد مدير مركز الدراسات الصحفية بالأهرام (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥).

(٦) كاتب بجريدة مايو (١٩٨٠ ـ ١٩٩٣).

(٧) رئيس تحرير جريدة شباب بلادى (١٩٨٥ ـ ١٩٨٩).

(٨) كاتب عمود بجريدة المساء (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧).

(٩) عضو بالدسك المركزى بجريدة الأهرام (١٩٧٧ ـ).

(١٠) مدير مكتب الأهرام بألمانيا (١٩٩٣ ـ ١٩٩٦).

(١١) مساعد رئيس تحرير الأهرام (١٩٩٣ ـ ١٩٩٦).

(١٢) نائب رئيس تحرير الأهرام (١٩٩٦ ـ).

التاريخ النقابى:

(١) عضو مجلس نقابة الصحفيين (١٩٧٧ ـ ١٩٨٩).

(٢) وكيل مجلس نقابة الصحفيين (١٩٨٥ ـ ١٩٨٩).

فى ميدان الحياة العامة:

(١) عضو اتحاد الكتاب.

(٢) عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٣) عضو الجمعية المصرية للعلوم السياسية.

(٤) عضو شعبة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة.

(٥) محاضر بعدد من الكليات والأكاديميات المدنية والعسكرية بمصر وبعدد من دول العالم العربى.

(٦) عضو مجلس إدارة نادى التوفيقية للتنس لمدة ٨ سنوات.

(٧) عضو مؤسس بجمعية الصداقة المصرية المغربية.

(٨) عضو بجمعية الصداقة المصرية اليونانية.

فى مجال العمل الوطنى:

(١) متطوع بكتائب الفدائيين التابعة لحزب الوفد عام ١٩٥١ لقتال قوات الاحتلال الانجليزى بمنطقة القناة.

(٢) متطوع بقوات الحرس الوطنى (١٩٥٢ ـ ١٩٦٨).

(٣) متطوع بالصفة المدنية بالمجموعة ٣٩ قتال (قوات الكوماندوز) التابعة للمخابرات الحربية المصرية، والمشاركة فى العمليات العسكرية خلف خطوط العدو بسيناء (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢).

ملحوظة: المدنى والصحفى الوحيد الذى نال هذا الشرف.

الأوسمة والنياشين:

(١) نوط التعبئة من الدرجة الثالثة ١٩٥٤.

(٢) نوط الواجب العسكرى من الطبقة الوسطى ١٩٧١ تقديرًا لشجاعته فى مسرح العمليات خلف خطوط العدو (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠).

(٣) وسام العلم اليوجوسلافى ذو النجمة الذهبية (١٩٧٢).

(٤) بطل الجيش الثانى.

(٥) درع الجيش الثانى.

(٦) ميدالية النصر من الجيش الثالث.

المؤلفات:

(١) رجال أكتوبر (١٩٧٥) ـ الناشر ـ كتاب اليوم ـ مؤسسة أخبار اليوم.

(٢) يوميات أكتوبر فى سيناء والجولان (١٩٧٦) ـ الناشر ـ دار المعارف.

(٣) المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (١٩٧٧) ـ الناشر ـ معهد البحوث والدراسات العربية.

(٤) سيناء الموقع والتاريخ (١٩٧٨) ـ الناشر ـ دار المعارف.

(٥) الحرب الالكترونية (١٩٧٩) ـ الناشر دار المعارف.

(٦) من أوراق مراسل حرب فى أكتوبر (١٩٨٠) - الناشر - مركز النيل - الهيئة العامة للاستعلامات.

(٧) الشيخ الشعراوى وقضايا معاصرة (١٩٨٤) الناشر - خاص.

(٨) حوار مع أبو عمار (١٩٨٥) - الناشر - دار المعارف.

(٩) الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٦) - الناشر - كتاب اليوم - مؤسسة أخبار اليوم.

(١٠) السلام والمتغيرات فى الوضع العسكرى الإسرائيلى (١٩٨٧) - الناشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١١) اغراق ايلات (١٩٨٩) - الناشر - كتاب الجمهورية - دار التحرير للطبع والنشر.

(١١ مكرر) اغراق ايلات (٢٠٠٦) طبعة جديدة - الهيئة العامة للكتاب.

(١٢) البحرية المصرية من محمد على السادات (١٩٩٥) - الناشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٣) قالوا عن الرسول المصطفى ﷺ - ١٩٩٩) - الناشر - مؤسسة أخبار اليوم.

(١٤) قناة السويس - المشروع - والصراع (٢٠٠٠) - الناشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٥) قضية رشوة (مجموعة قصصية) (٢٠٠١) - الناشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٦) حرب الاستنزاف (٢٠٠٤) - الناشر - سلسلة تاريخ المصريين.

(١٧) على شاطئ الفلسفة (٢٠٠٥) - الناشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

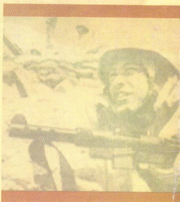
(١٨) صدام.. والكويت - ثلاثية الغزو والتحرير والسقوط (٢٠٠٥) - الناشر - العالمية للطباعة والنشر.

(١٩) قطرات من نهر الحياة - سطور من السيرة الذاتية (٢٠٠٦) الناشر - الهيئة العامة للكتاب.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org

هذا الكتاب عن «حرب الاستنزاف» لعبده مباشر، وإسلام توفيق، وهو فى الأصل تسجيل لشهادة كلٌ من المؤلفان عن المجموعة ٣٩ قتال من الاستنزاف إلى الانتصار.

والمجموعة ٣٩ قتال قام بتشكيلها إبراهيم الرفاعى بتعليمات من اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية فى ذلك الوقت، وقد انضم إليها متطوعًا عبده مباشر بصفته المدنية، وبموافقة خاصة من الرئيس جمال عبدالناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة.





الهيئة المصرية العامة للكتاب


ISBN# 977419599X
6 221149 000506

١٠ جنيهات